د. حُسين عطوَان

سيرة الوليد بن يزيد

دار المعارف

سيرة
الوليد بن يزيد

من كتب التاريخ والأدب ومن شعره

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

د. حسين عطوان

سيرة الوليد بن يزيد

من كتب التاريخ والأدب ومن شعره

دار المعارف

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

تصميم الغلاف : **شريفه أبو سيف**

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

المحتويات

صفحة

مقدمة ٧

الفصل الأول : مولده وأسرته ١١

(١) مولده ١٣

(٢) أبوه ١٤

(٣) أمه ٤٨

(٤) إخوته ٥٠

(٥) أزواجه ٥٣

(٦) أولاده ٦٧

الفصل الثانى : تعليمه وثقافته ٧١

(١) عبد الصمد بن عبد الأعلى أشهر مؤدبيه ٧٣

(٢) أبو نخيلة التميمى مؤدبه الثانى ٩٦

(٣) مؤدب ثالث مجهول ٩٨

(٤) اتجاهات ثقافته ١٠٠

الفصل الثالث : تَرَفُهُ ومَلاهيه ١١٣

(١) أحوال الوليد العامة والخاصة ١١٥

(٢) الوليد والمغنون والمضحكون ١٢٦

(٣) الوليد والخمر والمجون ١٥٠

(٤) الوليد والعشق والغزل ١٨٠

(٥) الوليد وسباق الخيل ١٨٨

(٦) الوليد والصيد والتبدى ١٩٣

(٧) الوليد والملاهى الأخرى ١٩٨

صفحة

الفصل الرابع : علاقته بهشام بن عبد الملك ٢٠١
(١) فى خلافة يزيد بن عبد الملك ٢٠٣
(٢) فى صدر خلافة هشام ٢٠٦
(٣) فى آخر خلافة هشام ٢٢٠

الفصل الخامس : خلافته وسياسته ٢٣٩
(١) مبايعته بالخلافة ٢٤١
(٢) بطشه بأعدائه ٢٤٥
(٣) تغييراته الإدارية ٢٥١
(٤) عنايته بشئون الدولة ٢٥٥
(٥) مبايعته لولديه بولاية العهد ٢٥٨
(٦) خلافته وسياسته فى الشعر الأموى ٢٧١

الفصل السادس : قتله ونتائجه : ٢٨٣
(١) بنو أمية وقتله ٢٨٥
(٢) اليمنية وقتله ٢٩١
(٣) القدرية وقتله ٣١٣
(٤) عزله وقتله ٣٢٠
(٥) نتائج قتله ٣٣٠
الخاتمة ٣٦١
مصادر البحث ومراجعه ٣٦٥

مقدّمة

لفت نظرى وأنا أقرأ شعر الشعراء من مخضرمى الدولتين الاختلاف الكبير بين صورة الوليد بن يزيد فى الروايات التاريخية ، وصورته فى شعر الشعراء الإسلاميين والمخضرمين الذين أدركوا الدولتين الأموية والعباسية ، فشخصيته فى الروايات التاريخية مُنْحَلَّةٌ مُنْحَرِفَةٌ ، وشخصيته فى القصائد الأموية مُعْتدلة مُستَقِيمة ! فعزمت على أن أدرس سيرته درساً وافياً .

وقبل أن أشرع فى جمع أخباره وأشعاره من كتب التاريخ والأدب عرضت الموضوع على صديقى وأستاذى الدكتور عبد العزيز الدورى ، حتى أتيقَّنَ من أن سيرة الوليد لم تُبْحث بحثاً علمياً كافياً ، فإن أكثر ماعثرت به مما كتب عنه مقالات أو فصول أشهرها فصلان فى كتاب : « تاريخ الدولة العربية » . عقدهما المستشرق فلهاوزن ليزيد بن عبد الملك وابنه الوليد ، وهما أضعف أجزاء كتابه ، لأنه اقتصر فيهما على أخبار يزيد بن عبد الملك ، وأخبار ابنه الوليد التى وجدها فى تاريخ الطبرى ، والتبنيه والإشراف والأغانى ، وسلَّمَ بها ، وأسَّسَ عليها رأيه فى شخصية كل منهما وخلافته وسياسته ، ولم يَتَنبَّه إلى مايشيع فيها من عبث ووَضْعٍ .

وكتب المستشرق لامانى كتيباً عن الوليد بن يزيد ، كما كتب إبراهيم الإبيارى كتيباً آخر عنه . وأهم مايؤخذ على الكتابين أن مؤلِّفَيهما لم يَستَوْفيا أخبار الوليد بن يزيد ولم يتتبَّعاها فى مصادرها المطبوعة والمخطوطة ، ولم يقارنا بين رواياتها المختلفة ، ولم يَنْقُدَاها ، ولم يَستَقصيَا جوانب سيرة الوليد استقصاءً شاملاً .

فشجَّعنى الدكتور عبد العزيز الدورى على البدء فى البحث ، لماله من أهمية بالغةٍ ، ولقلة ماكتب عن الوليد ، وكثرة ماأصاب أخباره وأشعاره من تحريف وتزييف ودسٍّ ، وحاجتها إلى الدرس والتمحيص .

فمضيت أجمع أخبار الوليد وأشعاره فى كتب التاريخ والأدب المطبوعة والمخطوطة المتاحة ، حتى إذا أَحْسَسْتُ أن مادة البحث اسْتَتَمَّتْ أوكادت ، أخذت أتأملها وأستوعبها وأفحصها ، فهالنى مارأيت من تناقض بين رواياتها المتعددة ، ووضح لى مافيها من تلفيق واختلاق ، فأخضعتها للنقد الداخلى لأهتدى إلى أصولها ونصوصها الأولى ، فتعقبتها فى المصادر تعقباً تاريخياً دقيقاً ، وعرضتها على الوقائع والأحداث والحقائق الثابتة ، وأخضعتها للنقد الخارجى ، لأعرف شخصيات رواتها

وميولهم ، وآراء القدماء فيهم ، ومقدار الثقة بهم ، فتتبّعتُ أخبارهم فى كتب التراجم والطبقات ، لأميز بين الصحيح والمنحول من أخبار الوليد وأشعاره ، وأكشف عما داخلها من افتعال وتهويل ، وأَجْلُوَ أسبابَهُ ودَوافعهُ . فرَجَّح نَقْدُها الداخلى والخارجى أن ما اعتراها من فساد مصدَرُه أهواء الرواة الحزبية ، ونزعاتهم الزُّبَيْرِيَّةُ ، واليمنيَّةُ ، والشيعِيَّةُ والعباسية المناهضة لبنى أمية .

وساهم بعض الفقهاء المُتَزمِّتِينَ المتَعسِّفين فى مسخ سيرة الوليد ، فقد صَنَّفَ القاضى المعافا بن زكريا الجريرى المتوفى سنة تسعين وثلاثمائة كتاباً عن الوليد حشد فيه كل ماوَقَعَ عليه ، وماصُنِعَ له من أخبار وأشعار سقيمةٍ خبيثةٍ ، تُجَرِّحُ الوليد ، وتَقْدَحُ فى خُلُقِه ودينه ، لأنه كان يعتقد أنَّ مُحاربةَ الوليد نُصْرَةٌ للإسلام ! وفى منهجه الذى التزم به فى تأليف كتابه وغايته منه يقول : أخبار الوليد بن يزيد كثيرة . وقد ذكرها الإخباريون مَجْمُوعةً ومُفرَّقةً . ومعظمها يأتى مُتَفرِّقاً فى مجالس كتابنا هذا . فكنت قد جمعت شيئاً منها فيه من سيره وأثارِهِ ومن شعره الذى ضَمَّنَهُ مافَجَرَ به من خُرْقِه وسَفَاهَتِهِ وحُمْقِهِ وخَسَارَتِهِ وهَزْلِهِ ومُجُونه ورَكَاكتِهِ وسَخَافَةِ دِينهِ ، وماصَرَّحَ به من الإلحاد فى القرآن ، والكفر بمن أَنْزَلَهُ وأُنْزِلَ عليه ، عارَضْتُ شعره السَّخيفَ بشعر حَصِيف ، وباطلَهُ بِحَقٍّ بَيِّنٍ شريفٍ ، وأتيتُ فى هذا بما تَوَخَّيْتُ به رضا الله عَزَّ وجَلَّ ، واسْتيجابَ مَغْفِرَته[1] » . فتحامل على الوليد ، وشوَّهَ سِيَرتَهُ تَشْوِيهاً شديداً وكان صداه فيمن جاءوا بعده من المؤرخين عظيماً ، وعلى تَفَاوُتِ تأثرهم به ، فإنهم قَبِلُوا الأخبار والأشعار المُفْتَعَلَةَ التى أَلْصَقَها بالوليد ، وأخذوا بآرائه الْمُتَهوِّرة ، العَقِيمةِ ، وبَنَوْا تَصَوُّرهم لشخصية الوليد عليها ، واشْتَقُّوا أحكامَهم منها .

وكان هشام بن عبد الملك وبعض أبنائه ، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك وطائفة من إخوانه ، وعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، وعبد الله وعاصم ابنا عمر بن عبد العزيز ينافسون الوليد ويحقدون عليه ، فبادروا إلى الطعن فيه ، والتشهير به ، مُبْتَغِين تحطيمه ، وتَسْويغَ منازعتهم له ، وثورتهم عليه ، وتَعَلَّق الرواة والإخباريون بافتراءاتهم وأباطيلهم ، ومَدُّوا فيها ، وأضافوا إليها ، ولم يزالوا بها يُوَسِّعُونها ، ويُقْحِمُون فيها مايُوَلِّدُونَ ويَخْتَرِعُون حتى غدا الوليد عندهم شخصية أسطوريةً خرافيةً لامثيل لها فى مجانتها وإباحتها وكفرها وزندقتها !

والبحث مقسومٌ بين ستة فصول ، أفردت أولها لمولد الوليد وأسرته ، وثانيها لتعليمه وثقافته ، وثالثها لِتَرَفِهِ وملاهيه ، ورابعها لعلاقته بهشام بن عبد الملك ، وخامسها لخلافته وسياسته ، وسادسها لِقَتْلِه ونتائجه . واتَّبَعْتُ المنهج التاريخى فى عرض الموضوعات التى عالجتها فى فصول البحث ، لأنه

---

(١) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨١ ظ ، وانظر تاريخ الإسلام ٥ : ١٧٥ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥١ .

يؤدى إلى رسم سيرة الوليد رَسْماً مُحْكماً ، ويُعينُ على إنزاله فى منزله الصحيح من سياق الحياة الاجتماعية والحضارية والسياسية فى العصر الأموى .

وقد رجعت فى البحث إلى كثير من المصادر المطبوعة منها كتب التاريخ والأنساب والأدب والتراجم والطبقات والبلدان ، وانتفعت ببعض المصادر التاريخية المخطوطة مثل أنساب الأشراف للبلاذرى ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ، وسير أعلام النبلاء للذهبى ، وعيون التواريخ لابن شاكر الكتبى ، وعُدْتُ إلى المراجع التاريخية والأدبية الحديثة .

وأنساب الأشراف هو أهم المصادر التى أَفَدْتُ منها ، لنزاهة البلاذرى ، وحياده ، وتَجرُّده ، ولاشتمال كتابه على أخبار الوليد وأشعاره المتداولة برواياتها المَدَنِيَّة والعِرَاقِيَّة ، دون اختيارٍ أوحَذْفٍ أودَسٍّ ، ولاحْتِوائِهِ على أخبار وأشعار جديدة لم تَرِدْ فى غيره من المصادر ، لها قيمتها ، لأنه تُوَضِّحُ جَوانِبَ مُبْهمةً من سيرة الوليد .

أما صديقى وأستاذى الكريم الدكتور عبد العزيز الدورى فله منى أصدق الشكر وأجزله ، لما أولانى من عناية ورعاية ، فقد زَوَّدنى ببعض المصادر والمراجع ، وقرأ البحث وعَلَّق عليه تعليقات سديدة استَرْشَدْتُ بها فى تَصْوِيب بعض الاجتهادات ، وتَدْقيقها ، واستكمال بعض الفصول وتَعْمِيقها .

وأما أخى الأستاذ أحمد راتب النفاخ فمها شكرتُه واعترفتُ بِفَضلِه ، وأَثْنَيْتُ عليه ، فإنى عاجز عن أن أُوَفِّيَه حَقَّهُ من الشكر والتقدير ، فإنه بذل لى من نفسه وعَوْنه الصادق شيئاً كثيراً ، وأمدَّنى بترجمة يزيد بن عبد الملك ، وترجمة الوليد بن يزيد فى تاريخ دمشق ، وسير أعلام النبلاء ، وعيون التواريخ ، وَدَفَع إلى بعض المصادر التى لم تَتَيسَّرْ لى مثل « الحور العين » لنشوان بن سعيد الحميرى ، و « تاريخ الإسلام » للذهبى .

ولصديقى الدكتور محمود أبوطالب أحسن الشكر وأخلصه لقاء ماأنفق من وقت فى قراءة مقالة المستشرق « فان إس » : « القدرية فى بلاد الشام فى العصر الأموى » ونَقْلها إلى العربية .

ولِتلْميذَىَّ العزيزين تامر الفايز، وخلف الخريشة أجمل الشكر وأصفى المودة ، لما تَكَبَّدا معى من عناء ، وما قَدَّما لى من مساعدة مكنتنى من زيارة قصور الوليد بن يزيد فى البادية الأردنية .

وقد اجتهدت ما استطعت أن أعْرِضَ سيرة الوليد بن يزيد كاملةً محققةً ، دون تَحيُّزٍ له أو تَحزُّبٍ عليه . وأرجو أن يكون فيما قدمت بعض المنفعة .

حسين عطوان

الفصل الأول

مولده وأسرته

١ - مولــده

يختلف الإخباريون فى تاريخ ميلاد الوليد بن يزيد ، فنهم من يجعله سنةَ سبع وثمانين[(١)] ، أوسنة ثمان وثمانين[(٢)] ، ومنهم من يروى أنه كان سنة تسعين[(٣)] ، ومنهم من يتأخر به إلى سنة اثنتين وتسعين[(٤)] .

والراجح أنه ولد سنة تسعين ، فإن هذا التاريخ يتفق مع أحداث حياته الهامة المشهورة ، اتفاقاً دقيقاً ، كاضطرار أبيه إلى تقديم عمه هشام بن عبد الملك عليه فى ولاية العهد سنة إحدى ومائة ، لأن الوليد كان صغيراً لم يُدْرِكْ ، ولم يُجَاوِز الحادية عشرة[(٥)] ، وبُلُوغِهِ الخامسة عشرة فى آخر أيام أبيه ، سنة خمس ومائة ، ونَدَم أبيه على جَعْلِهِ وَلِىَّ عَهْدِهِ الثانى[(٦)] . ومَقْتَلِ الوليد سنة ست وعشرين ومائة ، وهو ابن ست وثلاثين[(٧)] .

---

(١) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٧٩ر .

(٢) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٣٤ .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٨ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٧٩و ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق ، رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة : ١١١ ظ ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٣ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ . ح ٥ ، الورقة : ١٩و .

(٤) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة ٤٧٩و ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق ، رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة : ١١١ ظ ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٣ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ١٦و .

(٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية عن مخطوطة استانبول رقم ٥٩٧ - ٥٩٨ ، المجلد الثانى ، ص : ٢٣٧ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٩ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٤٢ ، والأغانى ٧ : ٢ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٩١ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ١٩و .

(٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٢٣٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٢ ، ٢٠٩ ، والأغانى ٧ : ٢ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٩١ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ١٦ر .

(٧) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٨ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣٣٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٣ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ، رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٤ر ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٨ .

٢ - أبـــوه

وتتباين الروايات فى مولد أبيه يزيد بن عبد الملك على نحو ما تباينت فى مولده ، فمن قائل : إن أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية[(٨)] ولدته لأبيه عبد الملك بن مروان سنة ستٍ وستين ، ومن قائلٍ : بل سنة إحدى وسبعين ، أوسنة اثنتين وسبعين[(٩)] .

ويبدو أن يزيد بن عبد الملك كان فى صغره وصباه مثالاً للرجل الكامل الجميل فى حُسْنِ خِلْقَتِه ، وتَمام بِنْيته ، وظهور قُوَّته ، يصفه المسعودى فيقول : كان طويلاً جسيماً ، أبيض مُدَوَّرَ الوَجْه ، لم يَشِبْ[(١٠)] » . فَفُتِنَتْ به أمه فتنةً شديدةً ، وتَعَلَّقت به تَعَلُّقاً بالغاً . وزاد من محبتها له ، وإعجابها به ، وعطفها عليه أنه كان أَوَّل أبنائها[(١١)] ، وأنها كانت تُحِسُّ تَمَيزه من سائر إخوته ، وتَفَرُّدَه بين أقرانه من الأمراء الأمويين ، إذ تحقق فيه نُصوعُ النسب ، واجتمعَ له كرم المَنْبِتِ من جهة أبيه وأمه ، ولما كان يجرى فى عروقه من دم مَرْوَانى وسُفْيَانى .

وضاعف من التصاق أمه به ، وحُنُوِّها عليه أن عبد الملك لم يلبث أن طَلَّقهَا وفَارَقها ، وتزوج بنت أخيها أم عثمان بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية[(١٢)] ، فأصبح يزيد أملَ حياتها ، ومصدر سعادتها ، وكلَّ هَمِّها وشُغْلها فى وحدتها . فعاشت به وله ، تَحُوطُهُ برعايتها ، وتُسْبغُ عليه من حنانها ، فارْتَبط بها ، واعتمد عليها ، حتى نُسِبَ إليها عند الشعراء الأمويين[(١٣)] ، وبعض المؤرِّخين[(١٤)] ، ونشأ فى أحضانها نشأةً فيها الرِّقةُ والنُّعومة ، وفيها الشُّموخ بالنسب والنفس ، مماظلٌ يَتَعمَّقه طول حياته ، فقد

---

(٨) انظر أخبار عاتكة فى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٧٩ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٠ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٠٦ ، والأغانى ٧ : ١ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٩١ ، ١١٣ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، حـ ١٨ ، الورقة : ١٦١و ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٩ ، والبداية والنهاية ٩ : ٢٣١ .

(٩) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨١ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، حـ ١٨ ، الورقة : ١٦١ ظ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص : ٢٤٦ .

(١٠) التنبيه والإشراف ص : ٢٧٧ ، وأنظر تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، حـ ١٨ ، الورقة : ١٦١ ظ .

(١١) تاريخ الطبرى ٦ : ٤١٩ .

(١٢) جمهرة أنساب العرب ص : ١١٣ .

(١٣) ديوان كثير عزة ص : ٣٤١ ، وديوان الفرزدق ٢ : ١٧ .

(١٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى . ص : ١٧٩ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٦١٥ ، ٦٢٠ .

غرست فيه حب الترف والزينة والمسرة ، وقوّت فيه الشعور بكرامته وشهامته ، والفخر بذاته ومنزلته [١٥] . وتعهّدتْ ابنَه الوليد فى حياته ، وبعد مماته ، ونفختْ فيه من روحها ، فإنها عُمِّرت إلى أن أدركت مقتله [١٦] . ويدل شعره على أنه كان يَتَمَدَّحُ بها ، وَيَتَغَنَّى بشرفها وعظمتها ، وَيَعْتَدُّ بخُؤولته فى الهاشميين بسببها ، فإن أم عاتكة هى أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر ، وأم عبد الله بن عامر هى أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم [١٧] .

ولم يَحْمل القدماء شيئاً من أخبار علاقة يزيد بأبيه عبد الملك ، أما تربيته له فيمكن أن تكون على شاكلة تربيته لبقية أولاده ، فإن عبد الملك كان مَعْنِيا بتأديبهم وتَنْشِئَتهم تَنْشِئةً عربيةً خالصةً [١٨] . إذ كان يختار لِتَعْلِيمهم كبار الأدباء والعلماء ، وكان يرسلهم إلى البادية ليأخذوا منها اللغة العربية الفصيحة ويُجيدوها ويُتْقِنوها إتقاناً شديداً ، وليكتسبوا منها الخلق العربى الكريم . وأما صلته العاطفية به فيظهر أنها كانت ضعيفة فاترةً ، وأنه لم يرعه كما كان يرعى أبناءه من أزواجه الأخريات ، فقد طَلَّق أمه ، فتنحَّتْ به ، وفرغت له ، وكان عبد الملك ميالاً لابنه الوليد ميلاً واضحاً ، حَفِياً به ، مُقَدِّماً له على إخوته ، مُتساهلاً فى تَرْبيته تَساهُلاً ظاهراً ، حتى قال : أَضَرَّنا فى الوليد حُبُّنا له ، فلم نُوَجِّهْهُ إلى البادية ، فكان كثير اللحن فى كلامه » [١٩] .

ولما كبر يزيد واشتدَّ عوده ، ونضجَ ووَعَى جد فى طلب المعرفة ، واجتهد فى لقاء العلماء اجتهاداً موصولاً ، فقد كان فى صباه يَرْحَلُ من دمشق إلى المدينة ، وينزل بداره قرب المسجد النبوى [٢٠] ، وكان فى أثناء نزوله بها يَتَرَدَّدُ على حلقات المحدثين والفقهاء ، يَسْتَمِعُ لهم ، ويأخذُ عنهم [٢١] ، وكان يزور المدينة فى مواسم الحج ، فيجالس العلماء ، ويُجِلُّهم ويُجَدِّدُ تلمذته عليهم ، ويحسن الإصغاء إليهم [٢٢] . فإذا رجع إلى دمشق التقى فى قصر أبيه بمحمد بن مُسْلِمٍ الزهرى ، وحرص على الانتفاع بعلمه [٢٣] ، فثَقِفَ الحديث ، وتمكَّنَ منه ، وبَرَعَ فيه ، واشتهر بحفظه وروايته ، حتى عُدَّ من

---

(١٥) التنبيه والإشراف ص : ٢٧٧ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، حـ١٨ ، الورقة : ١٦١ ظ .

(١٦) جمهرة أنساب العرب ص : ٩١ .

(١٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١١ ، والأغانى ٧ : ٦ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٩ .

(١٨) عيون الأخبار ٢ : ١٦٧ ، والبداية والنهاية ٩ : ١٦٣ ، ١٧٧ .

(١٩) البيان والتبيين ٢ : ١٦٥ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٢٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ١١ ، والبداية والنهاية ٩ : ١٦٤ .

(٢٠) تاريخ الطبرى ٧ : ٤٣٧ .

(٢١) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، حـ ١٨ ، الورقة : ١٦١ ظ .

(٢٢) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، حـ ١٨ ، الورقة : ١٦٢و .

(٢٣) عيون التواريخ . مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ٥ ، الورقة : ١٥و .

المحدثين[٢٤] ، واستمر يطلب العلم ، ويسعى له فى شبابه ، إذ يروى ابن كثير أنه «كان يكثر من مجالسة العلماء قبل أن يلى الخلافة[٢٥] » ، ويقول صاحب الإمامة والسياسة : إنه كان محبوباً فى قريش بجميل مَأْخَذِهِ فى نفسه وهَدْيه وَتَواضُعِهِ وقَصْدِه[٢٦] .

وأثرت ثقافته الدينية فى سياسته تأثيراً بارزاً ، إذ استهل خلافته بتقريب العلماء والفقهاء من أمثال رجاء بن حيوة الكندى[٢٧] ، ومحمد بن مسلم الزهرى[٢٨] ، وغيرهما ممن أحصاهم اليعقوبى[٢٩] وأجلّهم يزيد وأحسن اليهم ، واستعان بهم فى القضاء ، واستضاء بآرائهم فى تصريف شئون الدولة[٣٠] ، وابتدأ حكمه بالتشبه بعمر بن عبد العزيز ، فقد حفظ عنه أنه قال يوم بويع بالخلافة « والله ما عمر بأحوج منى إلى الله »[٣١] .

وأبقى يزيد عمال عمر بن عبد العزيز فى وظائفهم[٣٢] ، وأمرهم أن يسيروا بسيرته[٣٣] ، ولم يفصل أحداً منهم فى السنة الأولى من خلافته ، ولا فى مطلع السنة الثانية منها ، حتى إذا ثار عليه يزيد ابن المهلب بالبصرة ، وحبس واليها عدى بن أرطاة الفزارى ، وقتله ، وهَدَّدَ الخلافة الأموية بعد انضمام القبائل اليمنية والربعية العراقية إليه[٣٤] ، ومناداته بالرجوع إلى الكتاب والسُّنَّة[٣٥] ، حينئذ سيَّر يزيد بن عبد الملك إليه أخاه مسلمة بن عبد الملك ، وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك فى جيش أهل الشام من قضاعة وكلب ، وآزرتهما فى البصرة القبائل المضرية من قيس وتميم ، فقتلا يزيد بن المهلب بالعَقْرِ من أرض بابل ، وتعقب جندهما وقادتهما فُلُولَ المهالبة بفارس وأبادوها[٣٦]

(٢٤) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، حـ ١٨ ، الورقة : ١٦١ ظ .

(٢٥) البداية والنهاية ٩ : ٢٣٢ .

(٢٦) الإمامة والسياسة ٢ : ١٢٥ .

(٢٧) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٣١٤ .

(٢٨) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ١٥و .

(٢٩) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٥ .

(٣٠) الأغانى ٤ : ٢٤٨ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، حـ ١٨ ، الورقة : ١٦١و ، والبداية والنهاية ٩ : ٢٣٢ .

(٣١) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، حـ ١٨ ، الورقة : ١٦٣و ، وانظر الأغانى ١٥ : ١٢٨ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٤٧ .

(٣٢) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٨٩ .

(٣٣) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، حـ ١٨ ، الورقة : ١٦٣و ، والعبر فى خبر من غبر ١ : ١٢٨ ، والبداية والنهاية : ٢٣٢ ، ومرآة الجنان ١ : ٢٢٤ ، وشذرات الذهب ١ : ١٢٨ .

(٣٤) الأغانى ١٤ : ٢٧٧ .

(٣٥) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٨٧ .

(٣٦) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٩٠

وكشفت ثورة المهالبة عن خطر القبائل اليمنية العراقية على الخلافة الأموية فأعاد يزيد بن عبد الملك النظر فى سياسته الداخلية ، وأحدث تغييرات شاملة فى الوظائف الإدارية ، فأقصى القبائل اليمنية العراقية وجفاها ، واصطنع القبائل القيسية وانحاز إليها ، إذ عهد بولاية العراق إلى أخيه مسلمة[٣٧] ، فَعَيَّنَ على خراسان سعيد بن عبد العزيز الأموى[٣٨] ، ولم يلبث يزيد أن عزل أخاه مسلمة عن العراق وخراسان ، لانكسار خراج العراق فى أيامه ، وَوَلَّى عليها عمر بن هبيرة الفزارى ، فَصَرفَ سعيد بن عبد العزيز الأموى عن خراسان ، واستعمل عليها سعيد بن عمرو الحرشى[٣٩] ، .

ونَحَّى يزيد عن المدينة محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى ، انتقاما لنفسه منه ، وتَضْييقاً على اليمنية ، فإن يزيد كان حَجَّ فى أيام أخيه الوليد بن عبد الملك ، فَتَزَوَّجَ بنت عَوْنٍ بن محمد بن على بن أبى طالب ، وأَصْدَقَها مالاً كثيراً . فكتب الوليد إلى ابن حزم أن يَقْبِضَ المال من عَوْنٍ ، فإن لم يَدْفَعْهُ إليه ضَرَبَهُ بالسِّياط حتى يُسْتَوْفِيَهُ منه ، وَيَفْسَخَ نكاحَ يزَيد . فَصَدَعَ ابنُ حزمٍ بأمر الوليد وَنَفَّذَه[٤٠] .

وضَمَّ يزيد المدينة إلى عبد الرحمن بن الضحاك الفهرى عامل مكة[٤١] . وألح عثمان بن حيان المرى على يزيد أن يعاقب ابن حزم ، لأنه كان ضَرَبَهُ حدَّيْنِ فى الشراب[٤٢] فامتنع يزيد على ابن حيان ، وسَفَّهَ رَأْيَه ولكنه وَعَدَهُ أنْ يُوَلِّيَهُ المدينة ، فَأَبَى وقال : لا أريد ذلك ، لوضَرَبْتُهُ بسلطانى لم يكن لى قوداً ، فكتب يزيد إلى عبد الرحمن بن الضحاك الفهرى : « انظر فيما ضَرَبَ ابنُ حزمٍ ابنَ حيَّان ، فإن كان ضَرَبَهُ فى أَمرٍ بيِّنٍ ، فلا تَلْتَفِتْ إليه ، وإن كان ضربه فى أمر يُخْتَلفُ فيه ، فلاتَلْتَفِتْ إليه ، وإن كان ضربه فى أمرٍ غير ذلك ، فَأَقِدْهُ منه[٤٣] » . فاستدعى عبدُ الرحمن بنُ الضحاك الفهرى ابنَ حَزْمٍ وضَرَبَهُ حَدَّيْنِ فى مقام ، ولم يَسْأَلْهُ عن شىء !

وكتاب يزيد إلى ابن الضحاك الفهرى واضح الدلالة على تَحَوُّطِهِ فى محاسبة ابن حزم ، ورغبته فى إنصافه ، فإنه لم يكن يريد أن يصب عليه الأذى والعقاب دون ذنب ، غير أن ابن الضحاك الفهرى طوى كتاب يزيد ، وتَصَرَّف على هواه ، فجلد ابن حزم وأهانه ! ثم أساء السيرة فى المدينة ، ولم

---

(٣٧) تاريخ الطبرى ٦ : ٦٠٤ .

(٣٨) تاريخ الطبرى ٦ : ٦٠٥ .

(٣٩) تاريخ الطبرى ٦ : ٦٢٠ .

(٤٠) الأغانى ٤ : ٢٥٢ .

(٤١) تاريخ الطبرى ٦ : ٦٢٠ .

(٤٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨٣ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٥٧٥ .

(٤٣) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٧٥ ، وانظر تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٢ .

يعمل بشيء مما أوصاه به محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى من الرشاد والسداد ، واستشاره أهل الفَضْلِ والخير ، فَعَادى الأنصار جميعاً ، وسامهم سوء العذاب [٤٤] . وأراد أن يَتَزَوَّجَ فاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب على كرهٍ منها ، فلما رَفَضَتْ هَدَّدَهَا بِضَرْبِ أكبر بنيها فى الخمر ، فَرَفَعَتْ أَمْرَهَا إلى يزيد سرًّا ، فغضب لها ، وصَمَّمَ على الاقتصاص لها من ابن الضحاك الفهرى ، فاستشفع له مسلمة ابن عبد الملك ، فلم يقبل يزيد شفاعته فيه ، ثم عزله عن المدينة وَوَلَّى عليها عبد الواحد بن عبد الله النَّضرى وأمره بِضرب ابن الضحاك الفهرى ، وإغرامه أربعين ألف دينار ، ففعل[٤٥] . وأقام النضرى بالمدينة ، وأحسن السيرة فى أهلها ، فلم يقدم عليهم والٍ أحب إليهم منه . وكان يذهب مذاهب الخير ، لايَقْطَعُ أَمْراً إلا استأنس فيه بِرَأْيِ العلماء والفقهاء[٤٦] .

وصَرَفَ يزيدُ عن إفريقية محمد بن يزيد مولى الأنصار ، ووكلها ليزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج ابن يوسف[٤٧] . فارتفعت مكانة القبائل القيسية فى العراق والمشرق وإفريقية ، واتسع سلطانها ، وانحطت منزلة القبائل اليمنية العراقية والخراسانية ، وتقلص نفوذها .

ومع أن يزيد بن عبد الملك اعتمد على القبائل القيسية وحاباها ، لأنها ساندته على القبائل اليمنية والربعية العراقية التى أيدت المهالبة ، فإنه احتفظ للقبائل اليمنية الشامية بمنزلة مرموقة فى دمشق ، وظل يَتَمَسَّكُ بها . ولا يُفَرِّطُ فيها . فإنها كانت تُشَكِّلُ صُلْبَ جيشه فى الشام ، كما أنها امْتَثَلَتْ لأمره حين نَدَبَهَا لمحاربة المهالبة الذين خرجوا عليه ، فَهَبَّتْ للذود عنه ، وأجهزت على المهالبة وأنصارهم . وَبقيت على ولائها له ، وندد شعراؤها بيزيد بن المهلب[٤٨] ، واعتبروا خروجه على الخليفة مُروقاً من الدين ، بل إنها افتخرت بقضائها على يزيد بن المهلب ، وتدميرها لمن ثار معه وأطاعه من أهل العراق ، إذ يقول زهير بن المسيب الكلبى الدمشقى [٤٩] :

قَتَلْنَا يَزِيدَ بنَ المُهَلَّبِ بَعْدَ مَا ... تَمَنَّيْتُمُ أَنْ يَغْلِبَ الحَقَّ بَاطِلُهْ
وماكانَ فى أهلِ العراقِ منافقٌ ... عن الدِّين إلاَّ مِنْ قُضَاعَةَ قَاتِلُهْ

وقَدَّرَ يزيد انصياع القبائل اليمنية الشامية لإرادته ، وصدقها فى الدفاع عن خلافته[٥٠] ، فاختار

---

(٤٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨١ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ١٤ .
(٤٥) تاريخ الطبرى ٧ : ١٣ ، وانظر تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٣ .
(٤٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨١ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ١٤ .
(٤٧) تاريخ الطبرى ٦ : ٦١٧ .
(٤٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢١٥ .
(٤٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢١٥ .
(٥٠) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٨٤ .

منها كثيراً من عماله على الأمصار ، وموظفيه فى دمشق ، فكان على أرمينية مَعْلَق بن الصفار البهرانى الحمصى (٥١) ، وعلى الجزيرة فايد بن محمد الكندى ، ثم العرس بن قيس الكندى (٥٢) ، وأرسل إلى إفريقية يحيى بن ناعصة الكلبى (٥٣) ، بعد أن قتل أهلها يزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج ، وولوا عليهم محمد بن يزيد الأنصارى (٥٤) وكان على مصر بشر بن صفوان الكلبى (٥٥) ، وعلى اليمن وحضرموت الضحاك بن زمل السكسكى من أهل بيت لُهيًّا من قرى دمشق (٥٦) . وكان على قضاء الكوفة الحسين ابن الحسن الكندى (٥٧) ، وعلى قضاء الصائفة عبد الرحمن بن سليم الكلبى (٥٨) ، وكان على ديوان الخراج والجند والرسائل أسامة بن زيد مولى أهل اليمن (٥٩) ، وعلى الحرس أبو مالك السَّكْسَكى (٦٠) .

واهتم يزيد بشون الدولة المالية ، فانتخب للإشراف عليها صالح بن عبد الرحمن الغدانى (٦١) ، أشهر موظفى سليمان بن عبد الملك ، وعمر بن عبد العزيز ، وأشدهم اتِّباعاً للحق ، وأكثرهم خِبْرةً بالخراج ، وأوسعهم عِلْماً به (٦٢) . وقرر يزيد أن يَضْبِطَ سواد العراق ويُنَظِّمه لأنه لم يُمْسَحْ منذ مسحه عثمان بن حنيف فى زمن عمر بن الخطاب (٦٣) . ولكن عباس بن هشام الكلبى (٦٤) يزعم أنه إنما قَرَّر ذلك ليستولى على الأرض التى لا أصحاب لها ، إذ يقول البلاذرى : « حَدَّثنى عباس بن هشام الكلبى عن أبيه عن رجل من آل الأهتم قال : كتب يزيد بن عبد الملك إلى عمر بن هبيرة – وهو

---

(٥١) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٥ .

(٥٢) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٥ .

(٥٣) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٥ .

(٥٤) تاريخ الطبرى ٦ : ٦١٧ .

(٥٥) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٥ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٢٤٣ .

(٥٦) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٣ .

(٥٧) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٦ .

(٥٨) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٧ .

(٥٩) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٧ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٤١ .

(٦٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٧ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٤ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٤١ .

(٦١) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٢٣ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٣٧١ ، ووفيات الأعيان ٦ : ٢٩٥ . واسمه فى تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٧ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٤١ « صالح بن جُبَيْر » .

(٦٢) انظر ترجمته فى تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٣٧١ .

(٦٣) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٣ .

(٦٤) كان هشام بن محمد الكلبى يمنى الهوى ، وكان يميل إلى الشيعة ، وكان غير موفق فى رواية الأخبار (انظر فى ميوله ، ومدى الثقة فيا يروى من الأخبار) نشأة علم التاريخ عند العرب ص : « ٤١ ، ١٢٧ » .

عامله على العراق – أنه ليست لأمير المؤمنين بأرض العرب خُوصَةُ قَسْرٍ[٦٥] على القطائع ، فَخُذْ فُضُولَهُ لأمير المؤمنين . فجعل عمر يأتى القطيعة فيسأل عنها ثم يمسحها[٦٦] » . ويذهب اليعقوبى[٦٧] إلى أن يزيد أمر بِمَسْحِ السَّوادِ لِيُحْصِيَ أرضه ، وأن ابن هبيرة فرض على الناس ضرائب جديدة أجحفت بهم ، إذ يقول : « كتب يزيد إلى عمر بن هبيرة – وهو عامل العراق – يأمره أن يمسح السواد ، فمسحه سنة خمس ومائة . . . فَوَضَعَ على النخل والشجر ، وأَضَرَّ بأهل الخراج ، ووضع على التانئة[٦٨] ، وأعاد السُّخَر والهدايا وما كان يؤخذ فى النيروز والمَهْرجَان[٦٩] » .

ويقول اليعقوبى : إن يزيد عَزَل عمَّال عمر بن عبد العزيز جميعاً[٧٠] . وينقل ابن عساكر[٧١] وابن كثير[٧٢] ، واليافعى[٧٣] ، والسيوطى[٧٤] ، وابن العماد الحنبلى[٧٥] أن يزيد ألْغَى إصلاحات عمر بن عبد العزيز ، ويصفون سياسته المالية بالفساد والاضطراب ، ويتهمونه بإرهاق أهل الأمصار بالضرائب . ولا شاهد لهم على ما دمغوا به سياسته المالية إلاَّ خبر واحد رواه المدائنى فقال[٧٦] : « عمد يزيد بن عبد الملك إلى كل ما صنعه عمر بن عبد العزيز مِمَّا لم يوافقه فَرَدَّه ، ولم يرهب فيه شناعةً عاجلةً ولا إثْمًا عاجلاً . وخَلَّف محمد بن يوسف أخو الحجاج على أهل اليمن وظيفةً جعلها خراجاً عليهم ، فكتب عمربن عبد العزيز إلى عامله يأمره بإلغاء تلك الوظيفة ، والاقتصار على العشر ، ونصف العشر ، وقال : لأَنْ يأتينى من اليمن حَفْنَةُ كَتْمٍ[٧٧] أَحَبُّ إلىَّ من أن يُقِرَّ هذه الوظيفة . فلما مات ، وولى يزيد بن عبد الملك بعد عمر ، أمر بَرَدِّها ، وكتب إلى عروة بن محمد عامله : إنَّ عمر بن عبد العزيز كان مغروراً منك ومن أشباهك ، فأعد على أهل اليمن الضريبة التى

---

(٦٥) القسور : واحدته قسورة ، وهى حُمْضَةٌ من النجيل ، وهو مشتق من القَسْر .

(٦٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨٤ .

(٦٧) كان اليعقوبى شيعى المذهب ، وكان يحامل العباسيين . (انظر نشأة علم التاريخ عند العرب ص : ٥٢ ، ٥٣) .

(٦٨) التانئة : المقيمون فى البلاد الذين لا ينفرون مع الغزاة ، ليس لهم فى الفئ نصيب . (لسان العرب : تنأ) .

(٦٩) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٣ .

(٧٠) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٠ .

(٧١) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، جـ ١٨ ، الورقة : ١٦٣و .

(٧٢) البداية والنهاية ٩ : ٢٣٢ .

(٧٣) مرآة الجنان ١ : ٢٢٤ .

(٧٤) تاريخ الخلفاء ص : ٢٤٦ .

(٧٥) شذرات الذهب ١ : ١٢٨ .

(٧٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ١٨٠ وانظر الكامل فى التاريخ ٥ : ٦٧

(٧٧) الكتم : نبت فيه حمرة ، يخلط بالحناء ، وينبت فى أصعب الصخر .

كان عمر أسقطها ، ولو صاروا حرضا »(٧٨) .

والخبر السابق لا يُبيِّنُ الأنظمة المالية التى اقترحها عمر وطبقها ، ثم أعرض يزيد عنها ، وأبطلها ، وإنما يشير فقط إلى حالة واحدة ، وهى أن عمر كان رفع ضريبةً عن أهل اليمن ، ففرضها يزيد عليهم ، وطالب عامله باستخراجها منهم . ولا يكشف الخبر عن السياسة المالية التى أمر يزيد عماله بالتزامها فى الأمصار الأخرى .

وأورد ابن عبد ربه الخبر السابق دون إسناد محرفاً تحريفاً ظاهراً ، إذ تَحوَّلَ عنده من رسالة وَجَّهها يزيد إلى عامله باليمن إلى رسالة بعث بها إلى كافة عماله فى الأمصار ، يسألهم فيها أن يتركوا سياسة عمر ابن عبد العزيز ، ويستوفوا من أهل الأمصار الضرائب التى كانوا يُؤَدُّونها قبل عمر ، ويأخذوها منهم بالقهر ، وإنْ أَجْحَفَ ذلك بهم ، إذ يقول ابن عبد ربه : « كتب يزيد إلى عمال عمر : أما بعد ؛ فإن عمر كان مغروراً ، غررتموه أنتم وأصحابكم ، وقد رأيت كتبكم إليه فى انكسار الخراج والضريبة . فإذا أتاكم كتابى هذا ، فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده ، وأعيدوا الناس إلى طبقتهم الأولى ، أَخْصَبُوا أم أَجْدَبُوا ، حَيَوْا أم ماتوا »(٧٩) .

وممَّا يَدُلُّ على عبث الرواة بما حملوا من أخبار سياسة يزيد المالية ، وإدخالهم فيها أخباراً موضوعة أنها فى جملتها لا ترسم لسياسته صورة واحدة متسقة متشابهة ، فإن بعضها يعارض بعضاً ، وينقضه نَقْضاً . فإذا كان المدائنى روى أن يزيد أبطل إصلاحات عمر فإن الطبرى يذكر أنه كان يأبى على ولاته أن يظلموا المسلمين من غير العرب ، وينكر عليهم أن يعاملوهم معاملة أهل الذمة ، إذ يقول : « فى سنة اثنتين ومائة قُتِلَ يزيد بن أبى مسلم بإفريقية ، وهو والٍ عليها ، وكان سبب ذلك أنه كان عزم على أنْ يَسِيرَ بهم بسيرة الحجاج بن يوسف فى أهل الإسلام الذين سكنوا الأمصار ، ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة ، فأسلم بالعراق ، ممن رَدَّهم إلى قراهم ورساتيقهم ، ووضع الجزية على رقابهم . على نحو ما كانت تؤخذ منهم وهم على كفرهم . فلما عزم على ذلك تآمروا فى أمره ، فأجمع رأيهم على قتله فقتلوه ، وَوَلَّوْا على أنفسهم الذى كان عليهم قبل يزيد بن أبى مسلم مولى الحجاج . وهو محمد بن يزيد مولى الأنصار . . وكتبوا إلى يزيد بن عبد الملك : إنا لم نخلع أيدينا من الطاعة ، ولكن يزيد بن أبى مسلم سَامَنَا ما لا يَرْضَى اللهُ والمسلمون ، فقتلناه وأعدنا عاملك . فكتب إليهم يزيد بن عبد الملك : إنى لم أَرْضَ ما صنع يزيد بن أبى مسلم ، وأقر محمد بن يزيد على

---

(٧٨) صاروا حرضاً : أشفوا على الهلاك .

(٧٩) العقد الفريد ٤ : ٤٤١

إفريقية »[(٨٠)]

وأخذ يزيد بن عبد الملك بقرارات عمر بن عبد العزيز التى أمر موظفيه بتنفيذها لرفع الظلم عن أهل خراسان وسمرقند ، وهو ظلم يتمثل فى فرض الجزية على من أسلم منهم . ولكن الدهاقين الذين استدعاهم سعيد بن عبد العزيز الأموى عامل خراسان ، واستشارهم فيمن يُوَجِّه إلى الكور لاستيفاء الخراج والجزية من أهلها أشاروا عليه بقوم من العرب كانت لهم بهم صلات ، وكانوا يحفظون للدهاقين مكانتهم الاجتماعية ، ويؤَمِّنون لهم منافعهم المادية ، كما كانوا يوافقون الدهاقين على مطالبة المسلمين من الأعاجم بالجزية ، لأن الدهاقين كانوا يرشونهم ، مما كان سبباً فى تذمر الترك من أهل ما وراء نهر جيحون ، وفى ثورتهم على عمال سعيد[(٨١)] .

وتَجَبَّر سعيد بن عبد العزيز الأموى فى محاسبة موظفى المهالبة من اليمنية الذين اتهموا بسرقة الأموال تجبراً شديداً ، فقد رُفِعَ إليه أن جَهْمَ بن زَحْر الجعفى ، وعبد العزيز بن الحجاج الزبيدى ، والمنتجع بن عبد الرحمن الأزدى ، والقعقاع الأزدى ، وخمسة آخرين ، من اليمنية وَلُوا ليزيد بن المهلب . وعندهم أموال اختانوها من فىء المسلمين ، فحبسهم فى سجن مرو الشاهجان ، وعذبهم فَقُتِلَ ثلاثة منهم فى العذاب ، وأشرف الباقون على الموت[(٨٢)] .

ويرجع تَسَلُّطُ سعيد على موظفى المهالبة إلى عصبيته الأموية ، وسخطه على اليمنية ، لأنهم ناصروا المهالبة فى ثورتهم على يزيد بن عبد الملك ، ويرجع إلى تَحَيُّزِهِ للمضرية فى خراسان ، وتأثره بمناهضتهم لليمنية ، يشهد على ذلك تهاونه فى محاسبة عمال عبد الرحمن بن عبد الله القشيرى الذين ولوا لعمر بن عبد العزيز ، ورموا باحتجاز الأموال واحتيازها ، فإنه سجنهم ، ثم كَلَّمَهُ فيهم عبد الرحمن ، وضمن له عنهم سبعمائة ألف درهم ، فأطلقهم . ثم لم يأخذ عبد الرحمن بالأموال التى تكَفَّلَ بِدَفْعِها عنهم[(٨٣)] !

وبَلَغَ يزيدَ بن عبد الملك اضطراب الوضع المالى والعسكرى بخراسان ، وانكسارُ خراجها ، واشتعال ثورة الترك بسمرقند ، لفساد سياسة سعيد بن عبد العزيز الأموى ، وضعف خبرته الإدارية والحربية ، فأعفى أخاه مسلمة بن عبد الملك من ولاية العراق وخراسان ، واستعمل عليها عمر بن هبيرة الفزارى[(٨٤)] .

---

(٨٠) تاريخ الطبرى ٦ : ٦١٧ .

(٨١) تاريخ الطبرى ٦ : ٦٠٧ ، ٦٠٨ .

(٨٢) تاريخ الطبرى ٦ : ٦٠٦ .

(٨٣) تاريخ الطبرى ٦ : ٦٠٦ .

(٨٤) تاريخ الطبرى ٦ : ٦١٥ .

وحاول ابن هبيرة أن ينهج نهج سعيد بن عبد العزيز الأموى فى معاقبة موظفى المهالبة ، ومن كانوا يلوذون بهم ويؤيدونهم ، فأخذ قهرماناً ليزيد بن المهلب له علم بأهل خراسان وأشرافهم فحبسه ، فلم يَدَعِ القهرمان شريفاً إلاَّ قَرَفَهُ واتَّهمه ، فبعث ابن هبيرة إلى سعيد بن عمرو الحرشى عامله على خراسان أن يدفع إليه النفر الذين سَمَّاهم له ، لِيَسْتَأْدِيَهم ما عليهم من الأموال . فلم يفعل . فلما وَلَّى ابن هبيرة على خراسان مسلم بن سعيد الكلابى أمره بجباية تلك الأموال . وقدم مسلم فأراد أخذ الناس بالأموال التى قُرِفَتْ عليهم . فقيل له : إن فعلت هذا بهؤلاء لم يكن لك بخراسان قرار ، وإن لم تعمل فى هذا حتى توضع عنهم فسدت عليك وعليهم خراسان ، لأن هؤلاء الذين تريد أن تأخذهم بهذه الأموال أعيان البلد قُرِفُوا بالباطل . فبعث إلى ابن هبيرة وفداً أخبره بأنَّ ما رُفِعَ إليه هو الظلم والباطل ، وأنه ما على المُتَّهَمِينَ منه إلاَّ القليل ، ولو أُخِذُوا به أَدَّوْهُ . فكتب إلى مسلم بما قال الوفد ، وأمره أن يستخرج الأموال ممن ذكر الوفد أنها عندهم (٨٥) .

فيزيد بن عبد الملك لم ينقض خطة عمر بن عبد العزيز المالية الإصلاحية ، ولم يعرض عنها ، بل ظل يسترشد بها . ويأمر عماله فى خراسان وسمرقند وإفريقية بتطبيقها . ولكن بعض عماله كانوا يتغاضون عن توجيهاته وتعلياته ، ويهملونها ، دفعهم إلى التغاضى عنها والإهمال لها تحكُّم الإحن والضغائن القبلية فى نفوسهم ، ومجاهرتهم بممالأة المضرية ومناوأة اليمنية . وكان الدهاقين فى خراسان وسمرقند يغرون الموظفين العرب المشرفين على الخراج والجزية بالأموال ، فكانوا يَسْكُتُونَ عن فَرْضِ الدهاقين الجزية على من أسلموا من أهل الذمة ، واستمروا يأخذونها منهم فى خلافة هشام ، فأَزْمَنَتِ المشكلةُ وتأزَّمَت ، والتهبت سمرقند بالثورة ، ولم تزل ملتهبةً بها حتى وضع نصر بن سيار حَدًّا لتلاعب الدهاقين ، وحَلَّ المشكلة وفقاً لخطة عمر بن عبد العزيز ، فرفع الجزية عن المسلمين من الأعاجم ، وأجرى العطاء على مقاتليهم (٨٦) .

واشتغل يزيد بالجهاد وحماية الثغور ، إذ اندفع عماله وقادته بعد إحْبَاطِ ثورة المهالبة عليه ، واستتباب الحكم له يغزون فى بلاد الترك والروم على حدود الدولة الشرقية والشمالية والغربية ، ويحرزون الانتصار تلو الانتصار ، ففى سنة اثنتين ومائة غزا عمر بن هبيرة الروم بأرمينية . فهزمهم وأسر منهم بشراً كثيراً ، قيل سبعمائة أسير (٨٧) . وفيها أغزى يزيد بن أبى مسلم وهو بإفريقية محمد بن

---

(٨٥) تاريخ الطبرى ٧ : ١٩ ، ٢٠ .

(٨٦) تاريخ الطبرى ٧ : ١٧٣ .

(٨٧) تاريخ الطبرى ٦ : ٦١٦ ، وانظر تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٤ .

أوس الأنصارى فى البحر صقلية من بلاد المغرب ، وأغزى معه الناس ، فغنم وسلم[٨٨] . وغزا العباس بن الوليد بن عبد الملك ، فافتتح دَبَسَة من أرض الروم[٨٩] .

وفى سنة ثلاث ومائة غزا العباس بن الوليد أرض الروم[٩٠] . وغزا الوليد بن هشام بن عبد الملك أرض الروم ، فنزل على المخاضة عند أنطاكية[٩١] . وغزا مَعْلَقُ بن صَفَّار البهرانى أرمينية[٩٢] ، وغزا محمد بن مروان الصائفة الكبرى ، وعثمان بن حيان الصائفة الصغرى[٩٣] . وغزا يزيد بن مسروق اليَحْصُبى سردانية من أرض المغرب ، فغنم وسلم[٩٤] . وكفرت الصغد وساروا بأهاليهم وأموالهم إلى فرغانة ، وسار إليهم سعيد بن عمرو الحرشى ، فسألوه الصلح على أن يرجعوا إلى بلادهم ، ويؤدوا الجزية ، فخرج بعضهم ، وبقى بعضهم ، ثم خرجوا على الناس ، فقتلهم سعيد عن آخرهم ، وسبى ذراريهم[٩٥] .

وفى سنة أربع ومائة وَلَّى يزيد بن عبد الملك أرمينية الجراح بن عبد الله الحكمى ، فغزا وافتتح بَلَنْجَر[٩٦] . وغزا عثمان بن حيان المرى ، وعبد الرحمن بن سليمان الكلبى فنزلا على سَيْبَرَة فافتتحاها ، وافتتحا قَيْصَرة من حصون الروم[٩٧] . وأغزى بشر بن صفوان وهو والٍ على إفريقية عمرو بن فاتك الكلبى فى البحر ، فغنم وسلم[٩٨] .

وفى سنة خمس ومائة غزا الجراح بن عبد الله الحكمى اللاَّنَ حتى أتى مدائن من وراء بَلَنْجَر ، ففتح بعضها ، وأجلى أهل بعضها ، وقتل وغنم[٩٩] . وغزا مروان بن محمد الصائفة اليمنى ، فافتتح مدينة من أرض الروم من ناحية عَبْخ[١٠٠] . وغزا سعيد بن عبد الملك بن مروان أرض الروم[١٠١] .

---

(٨٨) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧١ .
(٨٩) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧٣ .
(٩٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧٥ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٤ .
(٩١) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٤ .
(٩٢) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧٥ .
(٩٣) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧٥ .
(٩٤) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧٥ .
(٩٥) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧٥ وتاريخ الطبرى ٦ : ٦٢١ .
(٩٦) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧٧ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٣ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ١٤ .
(٩٧) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧٨ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٥ .
(٩٨) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧٩ .
(٩٩) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٠ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٥ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١ .
(١٠٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨١ .
(١٠١) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١ ، وانظر تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٥ .

وغزا مسلم بن سعيد الترك . فلم يفتح شيئاً ، فقفل ، ثم غزا أُفْشِينة من مدائن الصُّغْد ، فصالح ملكها وأهلها(١٠٢) .

ولا تقاس الفتوحات التى أنجزت فى عهد يزيد وفى عهود الخلفاء السابقين له واللاحقين به بالفتوحات التى أنجزت فى أيام الوليد بن عبد الملك . ولكن ليزيد فضل المحافظة على رقعة الدولة الواسعة ، وحراسة حدودها المترامية من غارات الترك والروم .

واحتفل يزيد بالرعية ، فكان يجلس للوفود ، ويستقبل الناس ، وَيَتَفَرَّغ لمعالجة شئونهم ، وما رُفِعَ إليه من شكاياتهم ، مُطيلاً التفكير فيها ، والتَّدبُّر لها ، لا يمل ولا يسأم ولا ينصرف من مجلسه حتى يقضى أمر من قصده ، ويحل مشكلة من تَظَلَّمَ إليه(١٠٣) .

واعتنى ببقاء الخلافة فى الأسرة الأموية ، فبايع بولاية العهد لأخيه هشام بن عبد الملك ، ثم لابنه الوليد بن يزيد ، ليمنع المتمردين عليه من المهالبة ومن آزرهم من أهل العراق من أن يرجفوا بموته ، فينهار جنده ، ويصيب الوَهَنُ والفَشَلُ أهل الشام ، ويضطرب أمر الأمة(١٠٤) .

على أن يزيد إذا كان اهتم بشئون الدولة فى السنوات الثلاث الأولى من خلافته ، فإنه بعد أن محق ثورة المهالبة ، وتَوَطَّدَ سلطانه أخذ يفرغ لحياته الذاتية ساقه إلى ذلك أحواله الخاصة ، وتربيته المترفة ، ونشأته فى النعيم ونضارة العيش وما أحاطته به أمه من الحنان والدلال ، وما اتصف به من الفُتُوَّةِ والظَّرْفِ(١٠٥) ، فأرهف ذوقه ، وانغمس فى مباهج الدنيا وزينتها ، وانهمك فى طلب اللهو والمتعة واللذة ، فقد احتفى بثيابه وعطوره(١٠٦) ، واستهتر بأناقته(١٠٧) ، وشغف بالغناء شغفاً قويًّا جرَّه إليه إقامته بالمدينة ، وتأثره بتحليل فقهاء الحجاز لسماع الغناء(١٠٨) ، وما أبصر من عكوف عامة أهل المدينة وخاصتهم عليه(١٠٩) . فتعلق بالغناء ، وجعل يعاشر المغنين ، ويطرب لغنائهم ، ويبذل لهم

---

(١٠٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١ .

(١٠٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٣٤٤ .

(١٠٤) نسب قريش ص : ١٦٣ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، والمجلد الثانى ص : ٢٣٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٩ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٣٠ ، والأغانى ٧ : ٢ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٩١ .

(١٠٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨٠ ، وانظر مرآة الجنان ١ : ٢٢٥ ، وشذرات الذهب ١ : ١٢٨ .

(١٠٦) التاج فى أخلاق الملوك ص : ١٥ ، ١٥٤ ، ١٥٥ .

(١٠٧) البيان والتبيين ٢ : ١٠٢ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨ . والعقد الفريد ٤ : ١٤٧ .

(١٠٨) العقد الفريد ٦ : ٦ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٢٩ ، والمختصر فى أخبار البشر ١ : ١٨٩ .

(١٠٩) الأغانى ٣ : ٣٠٣ ، ٦ : ٢١ ، ٨ : ٣٣٤ ، ١٤ : ١٢١ ، ١٥ : ١٤٠ ، وانظر العصر الإسلامى ص : ١٤١ .

الجوائز ، ويخلع عليهم الخِلَع . فني أخباره أنه قدم مكة ، فبعث إلى الغَرِيض سِرًّا ، فأتاه فَغَنَّاهُ صوتين فأمر له بجائزة سَنِيَّة[١١٠] . وحج فى أيام أخيه سليمان ، فاستمع لغناء ابن سُرَيْج فاستخفه ، فنزع حُلَّته وخاتمه ودَفعها إليه[١١١] واستمع لغناء العالية التى سماها حبابة ، فسحرته بحسنها وروعة صوتها ، فاشتراها بأربعة آلاف دينار ، فَهَمَّ سليمان بالحجر عليه ، فَرَدَّها الى مولاها[١١٢] . ورأى سلامة القس بالمدينة ، وكانت أمة ظريفة تجيد الغناء ، وتتقن الضرب على العود ، فَفُتِنَ بها ، واشتراها فى خلافه سليمان[١١٣] . وكان يختلف فى المدينة إلى مغنية طاعنة فى السِنِّ ، تُدْعَى أم عوف[١١٤] .

فأغرم يزيد بالغناء قبل أن يلى الخلافة ، ولكنه كان يَتَستَّر على سماعه له ، وانهماكه فيه ، وكان يرتدع عن عشق القيان ، والصبابة بهن . فلما أفضت الخلافة إليه ، أسرف فى إقباله على الغناء بعض الإسراف ، واشترت له زوجه سعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان حبابة ، لتحظى عنده ، وأخذت عليها قبل أن تَهَبها له أن تُوَطِّئ لابنها عبد الله[١١٥] فى ولاية العهد[١١٦] ، ويقال : إن زوجه زينب بنت محمد بن يوسف الثقفى هى التى ابتاعتها له ، وشرطت عليها أن ترشح ابنها الوليد لولاية العهد ، فوفت لها بذلك[١١٧] .

وملكت حبابة قلب يزيد ، وأصبحت تتصرف فى شئون الدولة ، وتتدخل فى تَعْيين الولاة ، فقد تَوَسَّل بها الأحوص إلى يزيد . فغنّته بشعره ، فَرَقَّ يزيد له ، وصفح عنه ، وأخرجه من السجن ، وقَرَّبَهُ ، وكان سليمان بن عبد الملك جَلَدَهُ وَحَبسهُ بِدَهْلَك ، لفساد خلقه ، ورفض عمر بن عبد العزيز الإفراج عنه[١١٨] . وسعت حبابة عند يزيد لتولية عمر بن هبيرة الفزارى العراق ، ولم تزل تعمل له ، وابن هبيرة يحمل الهدايا إليها حتى استجاب يزيد لها ، واستعمله على العراق[١١٩] .

---

(١١٠) الأغانى ٢ : ٣٨٢ .

(١١١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨٤ ، والأغانى ١ : ٢٥٩ .

(١١٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣ ، والأغانى ١٥ : ١٢٤ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ١٢٢ .

(١١٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨٥ ، والأغانى ٨ : ٣٤٣ .

(١١٤) الأغانى ١٥ : ١٤٢ .

(١١٥) جمهرة أنساب العرب ص : ٩١ .

(١١٦) الأغانى ١٥ : ١٢٤ .

(١١٧) الأغانى ١٥ : ١٢٤ .

(١١٨) الأغانى ٤ : ٢٤٨ .

(١١٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ١٨٤ ، ١٩٠ ، والأغانى ١٥ : ١٢٧ .

ولم يقتصر يزيد على سلامة القس وحبابة ، فقد كان يستقدم المغنين من المدينة ، مثل معبد (١٢٠) ، وابن عائشة (١٢١) ، ومالك بن أبي السَّمْح (١٢٢) . وكان معبد وابن سُرَيْج يزورانه ويمكثان عنده ، يغنيانه فيجيزهما (١٢٣) .

فأكبَّ يزيد على سماع الغناء ، وانقطع إلى القيان ، وأكثر من طلب مباهج الدنيا وملاهيها ، وأعلن طلبه لها وأظهره ، وأولع بحبابة ولعاً شديداً دون تحرُّجٍ أو مبالاةٍ أو مراعاةٍ لهيبة الخلافة وجلالها . فعابه الناس ، وامتعض أخواه مسلمة (١٢٤) ، وهشام (١٢٥) من سلوكه ، واستهجنه الفقهاء وأنكروه (١٢٦) ، واتّكأ عليه زعماء بعض الأحزاب المعارضة فى مهاجمة يزيد ، ومهاجمة بنى أمية ، والتأليب عليهم ، والدعوة إلى الوثوب بهم ، إذ كان أبو حمزة الشارى إذا ذم بنى مروان أشار إلى يزيد فقال : « أقعد حبابة عن يمينه ، وسلاّمة عن يساره ، ثم قال : أريد أن أطير ! فطار إلى لَعْنَةِ الله وأَلِيم عَذَابه » (١٢٧) !

ومع أن المسعودى (١٢٨) ، وأبا الفرج (١٢٩) ، ومن نقل عنهما من المؤرخين المتأخرين (١٣٠) يجمعون على أن يزيد استبان الرُّشْدَ بعد أن لاَمَهُ أخوه مسلمة وزَجَره ، فتاب ، وأقلع عن اللهو ، وجفا حبابة ، وندم على ما فَرَطَ منه (١٣١) ، فإنهم يختمون حياته بالضلال بعد الصلاح ، إذ يقولون : إن هَجْرَهُ لحبابة غلظ عليه ، فدخلت إليه واعترضته والعود فى يدها ، فَغَنَّتْهُ أبياتاً للأحوص فى العشق والصبابة ، فأسرته ، وعاد إلى الانقطاع إليها والتَّلَهِّى بها (١٣٢) . ولم يزل معها حتى خرج بها إلى بيت

(١٢٠) الأغانى ١ : ٣٧ .

(١٢١) مروج الذهب ٣ : ٢٢٨ ، والأغانى ١ : ١٠٩ .

(١٢٢) الأغانى ٥ : ١٠٩ .

(١٢٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ١٨٤ .

(١٢٤) مروج الذهب ٣ : ٢١٢ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٧١ .

(١٢٥) العقد الفريد ٤ : ٤٤٣ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٠٨ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٤٨ ، والأغانى ١٥ : ١٢٨ ، وشذرات الذهب ١ : ١٢٨

(١٢٦) العقد الفريد ٤ : ٤٤٣ ، ومروج الذهب ٣ : ٢١٣ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ، رقم ٣٣٩١ . جـ ١٨ ، الورقة : ١٦٢ ط ، والبداية والنهاية ٩ : ٢٣٢ .

(١٢٧) انساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨٧ ، ٣٧٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٢ ، ومروج الذهب ٣ : ٢١٠ ، والفخرى فى الآداب السلطانية ص : ١١٨ ، والكامل فى التاريخ ٥٠ : ١٢١ .

(١٢٨) مروج الذهب ٣ : ٢٠٨ .

(١٢٩) الأغانى ١٥ : ٢٩ .

(١٣٠) شذرات الذهب ١ : ١٢٨ .

(١٣١) مروج الذهب ٣ : ٢٠٨ ، والأغانى ١٥ : ١٢٨ ، وشذرات الذهب ١ : ١٢٨ .

(١٣٢) مروج الذهب ٣ : ٢٠٨ ، والأغانى ١٥ : ١٢٩ ، وانظر البدء والتاريخ ٦ : ٤٨ ، وشذرات الذهب ١ : ١٢٨ .

رأس من إربد بالأردن ، فأكلت رمانة فشرقت بحبة منها ، وماتت [١٣٣] . فحزن عليها حزناً طويلاً ، وَوَجَد بها وَجْداً عظيماً . فصده أخوه مسلمة عن الخروج فى جنازتها حتى لا يظهر منه للناس شىء يسفهه عندهم [١٣٤] .

وحمل أبو الفرج رواياتٍ مختلفة عن حال يزيد بعد موت حبابة ، ففيما يرويه شيوخه عن مسلمة بن عبد الملك أن يزيد جزع عليها فى بعض أيامه ، فقال : انبشوها حتى أنظر إليها ! فقيل له : تَصِيرُ حَدِيثاً ! فرجع فلم ينبشها [١٣٥] . ويأخذ أبو الفرج عن المدائنى مباشرة وبينهما أجيال من الرواة ! أن يزيد اشتاق إلى حبابة بعد ثلاثة أيام من دفنه إياها ، فقال : لابُدّ أنْ تُنْبَشْ ! فَنُبِشَتْ ، وكُشِفَ له عن وَجْهِهَا ، وقد تَغَيَّر تغيراً قبيحاً ، فقيل له : كيف قد صارت ! فقال : ما رأيتها قط أحسن منها اليوم ! أخرجوها ، فجاءه أخوه مسلمة وَوُجُوه أهله ، فلم يزالوا به حتى أزالوه عن ذلك ودفنوها ، وَانْقَرفَ ، فكمد كَمَداً شديداً حتى مات فدفن إلى جانبها [١٣٦] .

والخيال واضح فى قصة عشق يزيد لحبابة ، فقد حاكى صانعها قصص الحب العذرى ، وصاغها على مثاله ، وأكثر ما يبدو ذلك فى تطور أحداثها وتَعَقُّدها ، وفى انتهائها بهلاك يزيد حزناً على حبابة ، ودفنه بقرب قبرها ! مما نسبه أبو الفرج إلى المدائنى ، ولم يذكر المصدر الذى استمد رواية المدائنى منه ، ومما يخالف ما نقله بعض المؤرخين من أن يزيد مات بالطاعون [١٣٧] . وكانت بيئة دمشق موبوءة بهذ المرض ، ومات به بعض الخلفاء الأمويين .

وما يبدو فى أخبار يزيد بن عبد الملك من تَنَاقُضٍ وتَهْوِيلٍ وافتعالٍ مَبْعثُه الميول السياسية لبعض الكُتّاب الذين ناصروا العباسيين فى القرن الثالث ، ودافعوا عن حقهم فى الخلافة ، بعد أن نَدّد أهل السُّنّة والجماعة [١٣٨] بنظريتهم فى وراثة الملك ، وانتقدوها ، متخذين من تفخيم معاوية وإحياء سيرته ، وتعظيم مناقبه ، واعتباره المثل الأعلى للخليفة الفاضل العادل وسيلة إلى التعبير عن بَرَمِهم بالعباسيين ، وتَذَمُّرهم من سياستهم . وبدأت معارضة أهل السنة والجماعة للعباسيين فى آخر أيام

---

(١٣٣) مروج الذهب ٣ : ٢٠٩ ، والأغانى ١٥ : ١٤٣ ، وانظر الأخبار الموفقيات ص : ٥١٩ ، والكامل ، للمبرد ٢ : ٢٥٤ .

(١٣٤) مروج الذهب ٣ : ٢٠٩ ، والأغانى ١٥ : ١٤٥ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢٤ .

(١٣٥) الأغانى ١٥ : ١٤٤ .

(١٣٦) الأغانى ١٥ : ١٤٤ .

(١٣٧) العقد الفريد ٤ : ٤٤٥ .

(١٣٨) انظر حركة أهل السنة والجماعة فى كتاب استحقاق الإمامة للجاحظ ، برسائل الجاحظ للسندوبى ص : ٢٤١ ، والجاحظ فى البصرة ص : ٢٧٢ ، والعباسيون الأوائل ص : ١٩٥ .

الرشيد(١٣٩)، واشتدت فى عهد المأمون(١٤٠)، مما أزعج العباسيين وأقْلَقهم، وزعزع نظريتهم فى وراثة الملك، فَهبُّوا لمقاومة أهل السنة والجماعة بالتَّخْوِيفِ والإرهاب والتهديد بأقسى العقاب، حتى لقد أمر المأمون منادياً فنادَى: « بِرئَتِ الذِّمَّةُ ممن ذَكَرَ معاويةَ بِخَيْرٍ أو فَضَّلَهُ على أحدٍ من أصحاب رسول الله»(١٤١).

وأوحى العباسيون إلى كتابهم السياسيين أن ينافحوا عن حقهم فى الخلافة. وُيَدَلِّلوا على صحة نظريتهم فى وراثة الملك. ونهض الجاحظ لهم بذلك، فألف « رسالة العباسية»(١٤٢)، التى تحدث فيها عن وراثة الأنبياء، والتمس كل شاهدٍ ليبرهن على سلامتها، وخَطَّأ أبا بكرٍ، لأنه رفضها ولم يعمل بها، واستغل إثارة العلويين لوراثة النبى ليخلص منها إلى تسويغ وراثة العباسيين له، لأنهم أقرب إليه، فهم أبناء عمه العباس بن عبد المطلب.

وانبرى الجاحظ فى سائر رسائله السياسية التى ناضل فيها عن العباسيين لتجريح الأمويين والقدح فيهم، والطعن عليهم، فجردهم من المحامد والفضائل، ونسب إليهم المعايب والرذائل، ونفى من تاريخهم كل مظاهر السداد والقوة، وَمَلأه بما قدر عليه من العجز والتقصير والفساد والانحراف، ما يتضح فى رسالة: « فضل هاشم على عبد شمس»(١٤٣)، فإنه عرض فيها تاريخ الهاشميين والأمويين فى الجاهلية والإسلام عَرْضاً تَحَيَّزَ فيه للعباسيين وقَدَّمهم، وكَفَّر الأمويين وَجَرَّمهم. ثم استقصى القول فى الميراث، ليدعم به احتجاجه لحق العباسيين فى الخلافة. وللغاية نفسها صنف الجاحظ « رسالة بنى أمية»(١٤٤). وهو يُشَهِّر فيها بالأمويين من سفيانيين ومروانيين، وَيسْلُبهُم مكارمهم ومساعيهم، ويلحق بهم القبائح والمثالب، ويتهمهم بمخالفة الإسلام، وتعطيل حدوده، ويعيب عليهم بطشهم بالعلويين والزبيريين، ويرميهم بظلم الرعية، والحكم بالهوى والشفاعة. وشَنَّع فيها على يزيد بن عبد الملك كما شنع على غيره من الخلفاء الأمويين، فقد سماه « يَزِيد الخَليع»(١٤٥)، واسترذل إقرار عمر بن عبد العزيز ببيعته، وَعَدَّ توليته له أمر المسلمين خروجاً على الإسلام، وتجاوزاً لأحكامه وشرائعه.

---

(١٣٩) تاريخ الطبرى ٨ : ٣٥٣.
(١٤٠) تاريخ الطبرى ٨ : ٦٣٢.
(١٤١) تاريخ الطبرى ٨ : ٦١٨.
(١٤٢) رسائل الجاحظ للسندوبى ص : ٣٠١.
(١٤٣) رسائل الجاحظ للسندوبى ص : ٦٧، وشرح نهج البلاغة ١٥ : ١٩٨.
(١٤٤) رسائل الجاحظ للسندوبى ص : ٢٩٢.
(١٤٥) رسائل الجاحظ للسندوبى ص : ٢٩٤.

وساهم الرواة والعلماء الذين استَحْكَمَ فى نفوسهم بُغْضُ الأمويين ، وكانت لهم صلاتٌ بالعباسيين فى إبراز الجانب اللاهى من سيرة يزيد بن عبد الملك ، ولَجُّوا فى تَضْخِيمِهِ ، ودَسُّوا عليه أخباراً مُحرَّفةً أو مُزَيَّفةً أَبْعَدَتْهُ من الواقع ، وجعلته كالخيال ! وانتهز فرصة مهاجمة العباسيين للأمويين رُواةُ اليمنية وعلماؤهم من طيئ وكلب وهمدان والأزد ، وكان فيهم أَنَفَةٌ لقبائلهم ، وعصبيةٌ على بنى أمية ، لأنهم أبادوا كل من خرجوا عليهم من رؤساء اليمنية ، وفتكوا بهم فتكاً ذريعاً[١٤٦] . فَدَبَّ الشِّقاقُ بين القبائل اليمنية العراقية وبنى أمية فى نهاية القرن الأول ، واستَفْحَل فى مستهل القرن الثانى ، ثم استطار العداء بين القبائل اليمنية الشامية وبنى أمية فى خلافة الوليد بن يزيد ، فاستَيْأَسَ اليمنية من عودة السلطانَ إليهم ، وتَجَدُّدِ ثقة الأمويين بهم ، وانْتَظَمَ بعض سادتهم بخراسان والعراق فى صفوف الدعوة العباسية ، وكانوا من القوى الأساسية التى آزرت الثورة العباسية[١٤٧] ، فاستوعبهم العباسيون ، واستخدموهم فى الولايات . ويُسْتَفَادُ من شعر الشعراء من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية[١٤٨] أن قادة اليمنية كانوا يستشعرون نكبة الأمويين لهم ، وجنايتهم عليهم ، وتحكيمهم المضرية من قيس وتميم فى رقابهم ، كما كانوا يستشعرون تاريخهم الجاهلى والإسلامى ، مُهَوِّلِينَ له ، ومُعتَّزِينَ به ، ومستعلين على المضرية بما نالوا من النفوذ والشهرة فى عهد العباسيين .

وفى أخبار يزيد بن عبد الملك شواهد تكشف عن صنيع رواة اليمنية وعلمائهم ، فقد اخترعوا بعض الأخبار التى تظهر انصرافه إلى حبابة ، وتَبَذُّله معها تَبَذُّلاً قبيحاً يُسْرَدُ فى أسلوبٍ ساخرٍ يَنُمُّ عن الحقد والكيد ، وشوَّهُوا بعض أخباره الصحيحة المعتدلة[١٤٩] التى رواها عمر بن شبَّة[١٥٠] ، والمدائنى[١٥١] .

(١٤٦) تاريخ الطبرى ٦ : ٣٨٩ ، ٥٩٠ ، ٧ : ٢٥٤ .

(١٤٧) أخبار الدولة العباسية ص : ٢١٦ ، ورسالة مناقب الترك للجاحظ ، برسائل الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ١ : ٢٢ ، والأخبار الطوال ص : ٣٦٩ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٥٦٢ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٨١ .

(١٤٨) الأغانى ٣ : ٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ومعجم الشعراء ص : ٣٤٢ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ٤ : ١٧٦٢ ، وديوان بشار ١ : ٣٣٧ ، ٣٤٥ ، ٢ ، ٢٤٧ ، ٣ ، ٥٣ ، ١٨٨ .

(١٤٩) انظر أخبار يزيد وحبابة التى رواها عمر بن شبة والمدائنى فى الأغانى ١٥ : ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، وقارنها برواية حاتم بن قبيصة المهلبى ، والهيثم بن عدى الطائى ، وخالد بن يزيد الخزاعى ، وعبد الله بن عياش الهمدانى ، وأبى غانم الأزدى فى الأغانى ١٥ : ١٢٢ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤٣ ، وفى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ١٨٠ .

(١٥٠) انظر ترجمته فى الفهرست ص : ١١٢ ، وتاريخ بغداد ١١ : ٢٠٨ ، ومعجم الأدباء ٦ : ٤٨ ، ونور القبس ص : ٢٣١ ، وبغية الوعاة ص : ٣٦١ .

(١٥١) انظر ترجمته فى تاريخ الطبرى ٨ : ١٢٤ ، والفهرست ص : ١٠٠ ، وتاريخ بغداد ١٢ : ٥٤ ، ومعجم الأدباء ٥ : ٣٠٩ ، وميزان الاعتدال ٣ : ١٥٣ ، ولسان الميزان ٤ : ٢٥٣ ، ونور القبس ص : ١٨٢ ، والنجوم الزاهرة ٢ : ٢٥٩ ، وضحى الإسلام ٢ : ٣٤٣ ، ونشأة علم التاريخ عند العرب ص : ٣٩ .

واستغل الفرصة علماء الزبيريين ، كمصعب بن عبد الله ، والزبير بنَ بكّار ، وهم على ما يوصفون به من التّدْقيق والصِّدْق فِي الرواية [١٥٢] ، كانوا مَغيظين من الأمويين ، خانقين عليهم ، لأنهم أحبطوا ثورة عبد الله بن الزبير ، وقتلوه ، وَضَيَّقوا على الزبيريين بالمدينة . وكان العباسيون يعرفون فَضْلَ الزبيريين فى العلم ويُقَدِّرونه ، وكانوا يعرفون كُرْهَهم للأمويين ، فاستمالوهم وانتفعوا بهم فى العلم والسياسة ، فقد قدم مصعب إلى بغداد ، وأقام بها ، وتوفى فيها [١٥٣] ، ووفد الزبير بنَ بكّار إلى بغداد ، فاختاره المتوكل مؤدباً لولده . ثم ولاّه قضاء مكة ، وأجزل له الصلة [١٥٤] . وألف الزبير كتابه : « الأخبار الموفقيات » للموفق بن المتوكل ، وسَمَّاه باسمه [١٥٥] .

ومن الطبيعى بعد ذلك أن يُحابِيَ مصعب بن عبد الله ، والزبير بن بكّار العباسيين ، وأن يتحاملا على الأمويين فى بعض ما رويا من أخبارهم ، إرضاء لأهوائهما ؛ ونفاقا للعباسين الذين اصطنعوهما ، ويظهر تحاملهما على يزيد بن عبد الملك فى اقتصارهما على رِوايةِ أخباره الذاتية اللاهية ، وجمْعِها لها جَمْعاً وافياً ، فكانَا مصدر أغلب الروايات التى تُصَوِّرُ علاقاته العفيفة والبذيئة بالمغنيات والمغنين [١٥٦] . كما يظهر فى إغفالها لبقية أخباره الرسمية فى أيام ولايته للعهد ، وفى أيام خلافته ، على كَثْرتها وتنوُّعها وأهَميتها .

وشارك المؤرخون من أصحاب الميول السياسية الواضحة المكشوفة ، والخفية المستورة فى تشويه سيرة يزيد ، فأخباره بسيطة صافية ، لا اضطراب فيها ، ولا تَعَارُضَ بينها فى كتب المؤرخين المتقدمين الذين لم يتأثروا فى عرضهم لسيرته وَسِيرَةِ غيره من الخلفاء الأمويين بالحزازات القبلية القديمة . والظروف السياسية الجديدة التى طرأت بعد قيام الدولة العباسية ، وهى واسعة مفصلةٌ تضم الصحيح والمنحول والمصنوع فى كتب المؤرخين المحايدين الذين اهتموا بحشد كل ما وصل إليهم من أخباره وأخبار غيره من الخلفاء الأمويين برواياتها المختلفة ، وهى فاسدة مُوَجَّهةٌ فى كتب المؤرخين والأدباء الذى أخضعوا مؤلفاتهم لنزعاتهم الحزبية ، أو الذين أسَّسُوا كتبهم على منهج الانتخاب من الأخبار ، وهى قليلة مُمَحَّصةٌ فى كتب بعض المؤرخين المتأخرين الذين لاحظوا الخَلْطَ والوضع فيها ،

---

(١٥٢) انظر دراسة الأستاذ محمود شاكر للزبير بن بكار وشيوخه وعلمه ومقدار الثقة به فى المقدمة التى كتبها لكتاب جمهرة نسب قريش ص : ٥٥ — ٧٢ .

(١٥٣) الفهرست ص : ١١١ ، وتاريخ بغداد ١٣ : ١١٤ .

(١٥٤) الفهرست ص : ١١٠ ، وتاريخ بغداد ٨ : ٤٦٧ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٣١١ ، والبداية والنهاية ١١ : ٢٤ .

(١٥٥) انظر مقدمة الدكتور سامى مكى المعانى لكتاب الأخبار الموفيات ص : ٢٤ .

(١٥٦) الأغانى ٤ : ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٨ : ٣٤٣ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ١٥ : ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٤٥ .

فَفَحَصُوها ومَيَّزوا بينها ، ثم أثبتوا الموثق منها ، وشكوا فى الضعيف الذى لم يجمع العلماء عليه ، وأسقطوا الملفق المخترع الذى لا يصمد للنَّقْدِ .

فترجمة يزيد فى تاريخ خليفة بن خياط (١٥٧) ، وهو أقدم ما وصل إليه من كتب التاريخ . مُتَّزِنةٌ مُعْتَدِلَةٌ ، خالية من الشوائب والعيوب ، سليمةٌ من التناقض والاضطراب ، إذ عَرَض فيها لاستخلاف يزيد ، وما وقع فى عهده من أحداث عسكرية وسياسية ، وما تَمَّ من غزوات وفتوحات ، ثم أحْصَى عُمَّاله وموظفيه ، ولم يَعْبَأْ بحياته الخاصة ، وتَرَفه ولهوه .

وترجمته فى أنساب الأشراف (١٥٨) هى أشمل ترجمةٍ له فى كتب التاريخ . فقد استَوْفى البلاذرى فيها سيرته الذاتية والرسمية ، واستقصاها فى الرِّوايات المَدَنيةِ والعراقية ، دون إيجاز فى جانب ، وتركيز على جانب آخر ، وبغير تحيُّز له ، أو تحزبٍ عليه ، مع التَّعَمُّق فى الإبانة عن الخصائص التى تميَّزت بها شخصيته وسياسته ، والتدقيق فى البحث عن دوافعها وبواعثها . فساق البلاذرى أخبار يزيد التى تتصل بأسرته ونشأته وأزواجه وأولاده ، ومزاجه ، وشغفه بالنعيم ، وكلفه بالغناء ، وسَرَدَ أخباره التى تتصل بولايته للعهد وخلافته ، وخلع المهالبة لطاعته ، وأسبابه الشخصية والقبلية ، ونتائجه السياسية ، وألَمَّ بثورات الخوارج على عماله فى الشام والعراق والبحرين ، وإخمادهم لها .

وتُشْبِهُ تَرْجَمَتُهُ فى تاريخ اليعقوبى (١٥٩) تَرْجَمَتَهُ فى تاريخ خليفة بن خياط شبهاً كبيراً ، وتُماثِلُها فى عناصرها ومادتها ، فقد وقف عند نسبه ومبايعته بالخلافة ، وسياسته الإدارية والمالية والقضائية ، وعَدَّدَ ولاته وقضاته فى الأمصار المختلفة ، وموظفيه فى دمشق ، ووصف ما حدث فى أيامه من فِتَنٍ فى العراق وخراسان وإفريقية ، وما أُنجِزَ فيها من غزوات وفتوحاتٍ . ولم يتأثر اليعقوبى بميوله الشيعية أو بمحاباته للعباسيين فى ترجمته ليزيد ، وأهمل الحديث عن حياته الخاصة ، ولم يورد شيئاً من أخبار ترفه ولهوه ، وربما كان السبب فى مجاملته ليزيد انتصافه لفاطمة بنت الحسين بن على بن أبى طالب من عبد الرحمن بن الضحاك الفهرى ، عندما شَكَتْهُ وذكَّرَتْهُ بقرابتها ورحمها .

وعَرَضَ الطبرى لـلأحداث الكبرى فى خلافة يزيد ، مثل ثورة المهالبة ، وأسبابها ونتائجها ، وأَحْصى عُمَّاله ، وما واجهوا من مشكلات فى خراسان وإفريقية ، وما حققوا من انتصارات (١٦٠) ،

(١٥٧) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧١ – ٤٨١ .

(١٥٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٧٩ – ٢٣٤ .

(١٥٩) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٠ – ٣١٥ .

(١٦٠) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٧٤ – ٦٢٢ ، ٧ ، ٧ – ٢٢ .

معتمداً على الروايات المَدِنِّية والعراقية التى اعتمد البلاذرى عليها . وعندما شرع فى الترجمة ليزيد . وبَسَطَ القول فى سيرته حتى استكملها (١٦١) ، تأثَّر بمنهجه فى كتابة التاريخ ، الذى كان ثمرة دراساته الدينية ، ومعرفته بالحديث والفقه . وهو منهج أقامه على الاختيار من الروايات المُسْنَدة ، ولم يَتَطرَّق إلى نقد ما اختاره منها ، بل قَدَّمَهُ كما وجَدَه ، مُكْتَفِيًا بِقُوَّةِ أسانيده ، ومُلْقِياً تَبِعَةَ ما فيه من الحقائق والأوهام ، ومن الصواب والخطأ على رُواته وحَمَلَتِه (١٦٢) . وهو مَنْهَجٌ يَدُلُّ ظاهِرُهُ على تَجَرُّدٍ ونَزَاهةٍ ، ولكن جوهره يَدُلُّ على رأيٍ سابقٍ ، والأخبارُ المنتقاة تجلُو هذا الرَّأى ، وتكشف عنه . ويُسْتَشَفُّ من الأخبار التى اصطفاها الطبرى وارتضاها ، وشكَّلَ منها ترجمة يزيد أنه كان من أوائل المؤرخين الذين تَدَّخلُوا فى رسم صورته ، وحاولوا إظهار الجانب اللاهى من سيرته ، فقد انتخب الأخبار التى تُوَضِّحُ عناية يزيد بالإماء والغناء ، وجعلها مُمثلة لأبرز سِماتِ شخصيته وسياسته !

وتلقط أكثر المؤرخين بعد ذلك أخبار يزيد الفاحشة ، وَحَمَل بعضهم أخباراً مُهَوَّلَةً أو مُفْتعلة أرادوا بها تضخيم مُجُونِهِ وانْحِلاَلِه ! فترجمته فى العقد الفريد (١٦٣) مختصرة اختصاراً مُخلاً مُحَرَّفاً عن ترجمته فى « تاريخ خليفة بن خياط » و « أنساب الأشراف » و « تاريخ اليعقوبى » فإن ابن عبد رَبِّه اختار الأخبار التى تظهر فساد سيرة يزيد ، والتواء سياسته ، ودَمَج بعضها فى بعض ، وحَوَّرَ فى غيرها ، وزاد عليها زيادات أزالتها عن أصولها لتلائم ما انتهى إليه من أنه كان صاحب لهْوٍ ولَذَّاتٍ ، وصاحب حَبَّابة وسَلاَّمة (١٦٤) . مما يُفْصِحُ عنه الخبر الذى اتَّهَمَهُ فيه بِهَدْمِ إصلاحات عمر ابن عبدالعزيز المالية ، وَوَصَمَه بالجور على الرعية فى كافة أقطار الدولة (١٦٥) ، وهو خَبَرٌ وَلَّدهُ من خبر رواه المدائنى رواية أخرى (١٦٦) ليس فيها تَعَسُّفُ ابن عبد ربه وتَعْمِيمُه ! ويفصح عنه الخبر الذى صَوَّر فيه وفاة يزيد ، ونَسَبه إلى الزُّبير بن بكَّار ، إذ يقول : « قال الزبير بنَ بكَّار : كان يزيد ابن عبدالملك كَلِفاً بحبَّابةَ كَلَفا شديداً ، فلما تُوُفِّيَتْ أكَبَّ عليها يَتَشَمَّمُها أياماً حتى أَنْتَنَتْ ، فأخذ فى جِهَازِها ، وخرج بين يَدَىْ نَعْشِها ، حتى إذا بلغ القَبْرَ نَزَل فيه . فلما فَرَغَ من دَفْنِها . لصق به مَسْلمةُ أخوه يُعَزِّيه ويُؤْنِسُه ، فقال : قاتل الله ابن أبى جُمْعَة ! كأنه كانَ يَرَى ما نحن فيه حيث يقول :

---

(١٦١) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٢ – ٢٤ .

(١٦٢) نشأة علم التاريخ عند العرب ص : ٥٥ .

(١٦٣) العقد الفريد ٤ : ٤٤١ – ٤٤٥ .

(١٦٤) العقد الفريد ٤ : ٤٤١ .

(١٦٥) العقد الفريد ٤ : ٤٤١ .

(١٦٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص ١٨٠ .

فإنْ تَسْلُ عنك النَّفسُ أَوْ تَدَعِ الهَوَى ... فَبِاليْأسِ تَسْلُو عَنْك لاَ بالتَّجَلُّد
وكُلُّ خَليلٍ زَارَنى فهو قَائِلٌ ... مِنَ اجْلِكِ : هذا ميِّتُ اليوم أَوْ غَدِ

قال : وَطُعِنَ فِي جَنازتها ، فدَفَنَّاهُ إلى سبعة عشرَ يوماً » (١٦٧)

فالخبر لم يَرِدْ على هذه الصورة فى مصادر القرن الرابع التى نَقَلَ أصحابها روايات الزبير بن بكار نَقْلاً دقيقاً ، وإنما هو مؤلفٌ مُشْتَقٌ من ثلاثة أخبار : روى أبو غانم الأزدى أوَّلَها (١٦٨) ، وَرَوَى المدائنى ثانيها(١٦٩) ، وروى الزُّبَيْرُ بنُ بكَّار ثَالِثَها (١٧٠) !

وَنَحا مطهر بن طاهر المقدسى فى ترجمته ليزيد (١٧١) نَحْوَ ابن عبد ربه ، واتَّبعَ مَنْهجهُ ، فإنه انتخب من أخبار يزيد ما يوافق وَصْفه له بالطيش والبطش ، وما يطابق حكمه عليه بالحمق والفسق !

واختصر مؤرخو الشيعة وأدباؤهم فى القرنين الرابع والخامس على أخبار يزيد الفاحشة القبيحة ، التى تُشَهِر به وتسيء إليه ، مع ما فى أسانيدها ومتونها من قرائن قوية تشير إلى ضَعْفِهَا ، وتُرجِّحُ بُطْلانها ، وأفرطوا فى إشاعة الأخبار التى تطعن فيه ، والتى ليس لها أصول عند غيرهم من المؤرخين .

فقد استهل المسعودى سيرة يزيد (١٧٢) بالحديث عن غَلَبة حَبَّابة وَسلاَّمة عليه ، ثم حشد الأخبار التى تُظْهِره بِمَظْهَرِ الخليفة الماجن ، الممعن فى المجون ، حتى عاتبه إخوته ، ولامه الفقهاء ، وأضاف إليها أخباراً يتوقف سندها عند رواة القرن الثالث . تقدح فى عقيدة يزيد ، وتفصح عن عطفه على كفار قريش ، منها قوله : « ذكر إسحاق الموصلى قال : حدثنى ابن سلام قال : ذكر يزيد قول الفند الزِّمَّانى فى حرب البسوس ، فقال لحبابة : غَنِّنى بِهِ بحياتى ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، هذا شعر لا أعرف أحداً يغنى به إلاَّ الأحول المكى ، فقال : نعم ، قد كنت سمعت ابن عائشة يعمل فيه ويترك . قالت : إنما أخذه عن فلان ابن أبى لهب ! وكان حسن الأداء . فَوَجَّه يزيد إلى صاحب مكة : إذا أتاك كتابى هذا ، فادفع إلى فلان ابن أبى لهب ألف دينارٍ لنفقة طريقه ، واحمله على ماشاء من دواب البريد ، فَفَعل : فلما قدم عليه قال : غَنِّنى بشعر الفِنْدِ ، فغناه فأجاد وأحسن ، وقال : أَعِدْهُ ، فأعاده فأجاد وأحسن ، وأطرب يزيد . فقال له : عمَّن أخذت هذا الغناء ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أخذته عن أبى ، وأخذه أبى عن أبيه ، فقال : لو لم تَرِثْ إلاَّ هذا الصوت لكان أبو

(١٦٧) العقد الفريد ٤ : ٤٤٤ .

(١٦٨) الأغانى ١٥ : ١٤٣ .

(١٦٩) الأغانى ١٥ : ١٤٤ .

(١٧٠) الأغانى ١٥ : ١٤٥ .

(١٧١) البدء والتاريخ ٦ : ٤٦ — ٤٨ .

(١٧٢) مروج الذهب ٣ : ٢٠٧ — ٢١٥ ، وانظر التنبية والإشراف ص : ٢٧٧ — ٢٧٨ .

لهب ورّثكم خيرا كثيراً ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إن أبا لهب مات كافراً مؤذياً لرسول الله ﷺ ، فقال : قد أعلم ما تقول ! ولكنى دخلتنى له رقة إذ كان مجيداً للغناء ، ووصله وكساه ورده إلى بلده مكرماً » (١٧٣)

ومثله خبر ثانٍ ذكره المسعودى دون إسناد ، يصرح فيه أن يزيد وابنه الوليد أشركا فى لهوهما . فقد غنّى ابن عائشة يزيد بشعر فأطربه ، وقيل : إنه ألحد وكفر فى طربه . وكان فيما قال لساقيه : اسقنا بالسماء الرابعة ! فكأن ابنه الوليد ورث الطرب فى هذا الشعر عن أبيه (١٧٤) !

وحذَا أبو الفرج حَذْوَ المسعودى فى عرض أخبار يزيد الذاتية اللاهية عَرْضاً مُوَجَّهاً ، يزرى به وينال منه ، مما يُبَيِّنُهُ ما جمعه من أخبار يزيد مع حبابة (١٧٥) وسلامة (١٧٦) ، فأكثر ما أورده أبو الفرج منها استقاه من علماء الزبيرين واليمنيين ، وفيه أخبارٌ مصنوعة ، كهذا الخبر الذى أخذه عن الزبيريين فقال : « رَوَى الزبير عن مصعب بن عثمان ، عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال : خرجت مع أبى إلى الشام فى زمن يزيد بن عبد الملك ، فلما ماتت حبابة ، وأخرجت لم يستطع يزيد الركوب من الجَزَع ولا المشْىَ ، فَحُمِل على منبرٍ على رقاب الرجال ، فلما دُفِنَتْ قال : لم أُصَلِّ عليها ، انبشوا عنها ! فقال له مسلمة : نَشَدْتُكَ الله يا أمير المؤمنين ، إنما هى أمة من الإماء ، وقد واراها الثرى . فلم يأذن للناس بعد حبابة إلاَّ مرة واحدة ، قال : فو الله ما اسْتَتَمَّ دخول الناس حتى قال الحاجب : أجيزُوا رحمكم الله ، ولم يَنْشَبْ يزيد أن مات كَمَداً » (١٧٧) .

فَسَندُ الخبر ونَصُّهُ يدلان على أن عروة بن الزبير عاصر يزيد بن عبد الملك إلى آخر أيامه ، وشهد موته ألماً على حبابة سنة خمس ومائة ، وعروة بن الزبير تُوُفِّىَ فى الروايات الضعيفة الرديئة سنة مائة (١٧٨) ، وتُوُفِّى فى الروايات الصحيحة الراجحة سنة ثلاث وتسعين ، أو سنة أربع وتسعين (١٧٩) ، فهو لم يُدْرِكْ موتَ يزيد ولا خلافته حتى لو أخذنا بالروايات الضعيفة الرديئة ! مما يَقْطعُ بِتوْلِيدِ الخبر وتلْفِيقهِ !

---

(١٧٣) مروج الذهب ٣ : ٢٠٨ .

(١٧٤) مروج الذهب ٣ : ٢٢٨ .

(١٧٥) الأغانى ١٥ : ١٢٢ – ١٤٥ .

(١٧٦) الأغانى ٨ : ٣٣٩ – ٣٥١ .

(١٧٧) الأغانى ١٥ : ١٤٥ .

(١٧٨) البداية والنهاية ٩ : ١٠٣ .

(١٧٩) الطبقات الكبرى ٥ : ١٨٢ ، وتاريخ خليفة بن خياط ١ : ٤٠٧ ، والمعارف ص : ٢٢٢ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٤٩١ ، ووفيات الأعيان ٣ : ٢٥٨ ، والبداية والنهاية ٩ : ١٠٣ ، وانظر نشأة علم التاريخ عند العرب ص : ٦٢ .

واستمد ابن الطقطقى حديثه عن سيرة يزيد وخلافته (١٨٠) من المسعودى ، فقد لَخَّصَ ترجمته فى « مروج الذهب » تلخيصاً مبتسراً ، وأطلق عليه أحكاماً مُجَرَّدةً مُتَعَسِّفَةً ، وأنكر كل ما كان فى عهده من غزوات وانتصارات ، إذ افتتح ترجمته له بقوله : « كان يزيد خليع بنى أمية ، وشغف بجارتيين : اسم الأولى سلامة ، واسم الأخرى حبابة ، فقطع معها زَمَانه (١٨١) ، ووصف خلافته بقوله : « لم تكن دولة يزيد طائلةً ، ولا وقع فيها من الفتوح والوقائع ما تَحْسُنُ حكايته » (١٨٢) .

وتتفاوت سيرة يزيد فى كتب التاريخ المتأخرة بين الطول والقصر ، ولكنها على تفاوتها يمكن أن تُصَنَّفَ فى ضربين : أما الضرب الأول فتعلق أصحابه بأخبار يزيد الذاتية اللاهية ، وساقوا كل ما وصلهم منها . وابن عساكر (١٨٣) خير من يمثل المؤرخين المتأخرين الذين قبلوا تلك الأخبار ، ولمْ يُفرِّقُوا بين صحيحها ومنحولها ، وقد التزم بمنهج المحدثين فسرد أخبار يزيد بأسانيدها ، ولم يُلْق بالاً إلى توثيق رجال السَّنَد ، فَحَمَلَ أكثر أخبار يزيد القديمة التى تُجرِّحُهُ وتسخر منه ، وحمل معها أخباراً جديدة مخترعة ، تتهم يزيد بالانسلاخ من الدين ، ونَسَبَ إليه شعراً فى إنكار البَعْثِ والحسابِ والثَّوابِ والعقاب (١٨٤) ، رواه المسعودى (١٨٥) ، وألصقه بالوليد بن يزيد ! وهو شعرٌ مُوَلَّدٌ من قصيدة لبجير ابن عبد الله القشيرى ، أو لأبى بكر بن الأسود المعروف بابن شعوب الليثى (١٨٦) فى رثاء المغيرة بن هشام المخزومى .

وبالرغم مما تَخَلَّلَ ترجمة يزيد فى « تاريخ دمشق » من أخبار عقيمةٍ مخترعة ، فإن ابن عساكر أورد فيها أخباراً جديدة تصور عناية يزيد بالحديث والفقه ، ورعايته للعلماء (١٨٧) .

وابن الأثير من المؤرخين المتأخرين الذين سَلَّموا بما بلغهم من أخبار يزيد المُوَثَّقةِ والمختلقة (١٨٨) ، فإنه نقل ترجمة يزيد عن تاريخ الرسل والملوك وأخذ بالأخبار التى اختارها الطبرى ، ولم يزد عليها شيئا من « أنساب الأشراف » ، مع أنه رجع إليه . وقابل بين ما جاء فيه وفى « تاريخ الرسل والملوك »

(١٨٠) الفخرى فى الآداب السلطانية ص : ١١٨ - ١١٩ .

(١٨١) الفخرى فى الآداب السلطانية ص : ١١٨ .

(١٨٢) الفخرى فى الآداب السلطانية ص : ١١٩ .

(١٨٣) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، جـ ١٨ ، الورقة ١٦١ و- ١٦٤ ظ .

(١٨٤) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، جـ ١٨ ، ٢ الورقة : ١٦٢ ظ .

(١٨٥) مروج الذهب ٣ : ٢٢٩ .

(١٨٦) انظر نسب قريش ص : ٣٠١ ، والاشتقاق ص : ١٠١ ، والمؤتلف والمختلف ص : ٧٦ ، والحور العين ص : ١٩١ ، وخزانة الأدب ٣ : ٢٢٧ ، ٤ : ١٤ .

(١٨٧) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، جـ ١٨ ، الورقة : ١٦١ ظ ، ١٦٢ جـ .

(١٨٨) الكامل فى التاريخ ٥ : ١٢٠ .

من أخبار ، وانتفع به فى استدراك ما أغفله الطبرى من أخبار بعض الخلفاء الأمويين .

وتَمَسَّكَ الذهبى [١٨٩] ، وابن شاكر الكتبى [١٩٠] ، وابن العماد الحنبلى [١٩١] ، بأخبار يزيد الذاتية اللاهية ، التى تزرى به ، وبالأخبار التى تعيبُ سياسته الإدارية والمالية ، واقتصروا عليها ، وأهملوا الأخبار التى توضح اهتمامه بشئون الدولة المختلفة .

وأما الضرب الثانى من سيرة يزيد فى كتب التاريخ المتأخرة ، فكان أصحابه أشد رَوِّيةً وأناةً ، وأكثر تدقيقاً وتمحيصاً ، ومن أجل ذلك فإنهم تَحَرَّزوا مما تراكم لديهم من أخبار يزيد ، ودفعهم ما فيها من اضطراب وتعارض إلى امتحانها ومحاكمتها ، فأبقوا منها ما اطمأنوا إليه ، وحذفوا ما ارتابوا منه ، وما تَيَقَّنوا من افتعاله .

وأبو الفداء [١٩٢] ، واليافعى [١٩٣] ، وابن تغرى بردى [١٩٤] ، والسيوطى [١٩٥] ، من المؤرخين المتأخرين الذين نَخَلُوا أخبار يزيد وحَقَّقُوها . فعادت سيرة يزيد فى كتبهم بسيطة متوازنة ، كما بدأت فى كتب المؤرخين المتقدمين المعتدلين . وعلى قصر سيرته عندهم جميعاً ، فإنها تتضمَّنُ المعالم الأساسية لحياته وخلافته ، مُصَفَّاةً من الأخبار المُحَرَّفَةِ والمَصْنُوعَةِ ، مُبَرَّأَةً من الأحكام السريعة .

وتميز ابن كثير من المؤرخين ، المتأخرين بالإفاضة فى الترجمة ليزيد [١٩٦] ، دون تَحَيُّز له ، أو تَجَنٍّ عليه ، فقد اصطفى مادة سيرته مما استقام له من أخبار يزيد فى أنساب الأشراف ، وتاريخ الرسل والملوك ، ومروج الذهب ، وتاريخ دمشق ، وساقها مُسْنَدةً إلى روايتها ومصادرها ، لأنه كان يأخذ بمنهج المحدثين . فعرض لأسرة يزيد ومولده ، وتربيته وثقافته ، وحياته الخاصة ، وما اشتهر به من التنعم ، وطلب الملاهى ، والصبابة بحبابة ، وتحدث عن خلافته وُعمَّاله . وما كان فى عهده من فتنٍ وخروقٍ ، وما أُنجِزَ فيه من مغازٍ وفتوح . ونفى عنه ما قذفه به المسعودى وابن عساكر من ضعف العقيدة ، وجزم بحسن إسلامه إذ قال : « اتهمه بعضهم فى الدين وليس بصحيح » [١٩٧] .

---

(١٨٩) العبر فى خبر من غبر ١ : ٢٢٤ .

(١٩٠) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، جـ ٥ ، الورقة : ١٥ و .

(١٩١) شذرات الذهب ١ : ٢٢٨ .

(١٩٢) المختصر فى أخبار البشر ١ : ٢٠١ .

(١٩٣) مرآة الجنان ١ : ٢٢٤ .

(١٩٤) النجوم الزاهرة ١ : ٢٥٥ .

(١٩٥) تاريخ الخلفاء ص : ٢٤٦ .

(١٩٦) البداية والنهاية ٩ : ٢١٩ — ٢٣٣ .

(١٩٧) البداية والنهاية ٩ : ٢٣٢ .

وللشعراء الإسلاميين من موالى بنى أمية ، ومن الشيعة الكيسانية والزيدية ، ومن اليمنية والمضرية والربعية قصائد كثيرة فى مديح يزيد ، تدل على احترامهم له ، وإشادتهم بتقواه وعدله ، وحفاظه على كيان الدولة ، وحراسته للدين ، فقد مدحه نُصَيْبُ بن عبد الرحمن ، مولى عبد العزيز بن مروان ، ويبدو أنه نَوَّه به تنويهاً سياسياً رائعاً ، طرب له يزيد واستحسنه فملأ فَم نُصَيْبٍ جوهراً لم يزل به غنياً حتى مات (١٩٨) . ولكن ميول أبى الفرج الشيعية جعلته يوردُ الخبر ، ويسقط الشعر !

وفَخَّمهُ كثير بن عبد الرحمن الخزاعى ، شاعر الكيسانية (١٩٩) الذى لم يكن ينسى أصوله وعواطفه اليمنية (٢٠٠) ، فأشار إلى استقرار الأحوال فى زمن يزيد ، وما حققه للمسلمين من عدالةٍ وعزةٍ ومكانة رفيعة ، لما اتصف به من سماحة النفس ، وشدة البأس ، وعلُوِّ الهِمَّة ، وقوة العزيمة ، فكان إمام الهدى الذى وَفَّقَهُ الله ، وحَنَّكَتْهُ الأيام ، يقول (٢٠١) :

إلى الأَبيضِ الجَعْدِ ابن عاتكة الذى ... له فَضْلُ مُلْكٍ فِى البَرِّيةِ غَالبِ
كريـمٌ يُؤولُ الرَّاغِبـُونَ بِبَابِهِ ... إلى واسع المعروفِ جَزْلِ المَوَاهبِ
إمامُ هُدًى قد سَدَّدَ اللهُ رَأْيَهُ ... وقد أَحْكَمَتْهُ ماضياتُ التَّجاربِ
ولمْ يَبْلُغ السَّاعُونَ فِى المجدِ سَعْيَهُ ... ولم يُفْضلُوا إفْضَالَهُ فِى الأقاربِ

ويقول معجباً برعايته للمسلمين . وداعياً له بالخير والبركة ، ومستنزلا له الرحمة من الله والملائكة (٢٠٢) :

جَزَى اللهُ حَيًّا بالمُوَقَّرِ نَضْرَةً ... وجَادَتْ عليهِ الرَّائحاتُ الهواتِكُ (٢٠٣)
بكلِّ حَثِيثِ الوَبلِ زَهْرٍ غَمَامُهُ ... له دِرَرٌ بالقَسْطلَيْنِ حَوَاشِكُ (٢٠٤)
كما قد عَمَمْتَ المؤمنينَ بِنَائلٍ ... أبا خالدٍ صَلَّتْ عليكَ المَلائِكُ

ويقول مستهشفعاً له فى المهالبة بعد أن مَحَق ثورتهم ، ونكَّل بهم . مَدْفُوعاً إلى استِشْفاعه فيهم بأو صر النسب والقربى التى كانت تشده إليهم بالرغم من تَشَيُّعِهِ للكَيْسَانِيَّة ، ومُطْرِياً أخلاقه النبيلة ، وكَظْمَهُ للْغَيْظ ، ومحاسَبَتَهُ لِعَدُوِّه إنْ وَقَعَ بيده حِساباً نَزِيهاً فى غير شَطَطٍ ولا طغيان ، أو صَفْحَه عنه

(١٩٨) الأغانى ١ : ٣٧٠ .

(١٩٩) الأغانى ٩ : ٣ .

(٢٠٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧٣ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٤٣ .

(٢٠١) ديوانه ص : ٣٤١ .

(٢٠٢) ديوانه ص : ٣٤٩ .

(٢٠٣) الهوائك : السحب التى تمطر بالليل . والموقر : قرية جنوبى عمان من الأردن ، كان ليزيد قَصْرٌ بها .

(٢٠٤) القَسْطَل : قرية جنوبى عمان من الأردن ، كان ليزيد قصر بها . الحواشك : السحب كثيرة الماء غزيرته .

صَفحاً جميلاً ، مُستَعطِفاً له أنْ يَغفِرَ للمهالبة ذَنْبَهم ، فَيُسَجِّلَ لنفسه فَضْلاً جَليلاً باقياً . ومضى يَعترِفُ بِجُرْمِهم ، ويتمنّى عليه أن يَكُفَّ عنهم ، ويُشْفِقَ عليهم ، مُرَدِّداً أنَّ أعظم الحلمِ حلم المُحْنَقِ الثّائر وأن أحْسَنَ العَفْوِ عَفْوُ المُتَمَكِّنِ القادر ، فقد مزّق المهالبة ، وروَّع بقاياهم ، وطَردَهم القرشيون وأنصارهم من القبائل اليمنية الشامية عن مكة ، فهاموا على وُجُوههم ، وأصبحوا مُشَرَّدين فى الأرض (٢٠٥) :

حليمٌ إذا ما نَالَ عَاقَبَ مُجْمِلاً ... أَشَدَّ العِقابِ أو عَفَا لم يُثَرِّبِ (٢٠٦)

فَعفْواً أمير المؤمنين وحِسْبَةً ... فمَا تَكتَسِبْ مِنْ صالحٍ لَكَ يُكْتَبِ

أساءُوا فإنْ تَغْفِرْ فإنَّكَ قادِرٌ ... وأَفْضَلُ حِلْمٍ حِسْبَةً حِلْمُ مُغْضَبِ

نَفَتْهُمْ قُرَيْشٌ عن أباطحِ مَكَّةٍ ... وذُو يَمنٍ بالمَشْرَفِىِّ المُشَطَّبِ (٢٠٧)

ويذكر أبو الفرج أنَّ الكُميتَ بن زيد الأسدى شاعرَ الزَّيدية كان يفد على يزيد بن عبد الملك ، ويمدحه ، غير أنه لمْ يُنْشِدْ شيئاً من الشعر الذى مَدَحَهُ به (٢٠٨) !

وأشاد به الأحوص من شعراء الأوس ، وكان شديد الفخر بدور جده وخاله فى الإسلام ، مُتَسَخِّطاً على الأمويين ، لأنهم تنكّروا للأنصار ، وأبْعَدُوهم عن مراكز النفوذ ، ومَنَعُوهم من المشاركة فِى السياسة ، هَجَّاءً للقرشيين ، مُطاولاً لهم . فأمر سليمان بن عبد الملك بَجْلده وسَجْنه فى دَهْلَك ، فلم يزل مَنْفِيًّا بها فى خلافة سليمان وعمر بن عبد العزيز (٢٠٩) ، حتى وَلِىَ يزيد ، فأطلقه ، فَتحوَّل إليه ، وأخذ يُقَلِّدُهُ المدائح البديعة . وفيه يقول مُجلاً شَخْصِيَّتَهُ ، وكَرَمَه الذى لا يُبارىَ ، ومُقَدِّراً اتِّباعَهُ للحقِّ ، وحمايَتَه للدين ، مما أَعَزَّ المسلمين ، وأضْعَفَ المشركين (٢١٠) :

مَنْ يَكُنْ سائلاً فإنَّ يزيداً ... مَلِكٌ من عَطائِهِ الإكثارُ

عَمَّ مَعْرُوفُهُ فَعَزَّ به الدِّ ... ينُ وَذَلَّتْ لِمُلْكه الكُفَّارُ

وأقامَ الصِّراط فابْتَهَجَ الحَـ ... ـقُّ مُنِيراً كما أنارَ النَّهارُ

ويقول مُثْنِياً على سَعَة خَيْره ، وكَثْرَةِ بِرِّه ، وسَبْقه للمكارم ، خَالعاً عليه هالةً من القداسة ،

---

(٢٠٥) ديوانه ص : ٣٥١ .

(٢٠٦) المجمل : الذى لا يسرف فى الانتقام . والتثريب : الإفساد والتخليط .

(٢٠٧) المشطب : السيف ذو الطرائق . وفى الديوان : « ذى يمن » والتصويب من تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧٣ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٤٣ .

(٢٠٨) الأغانى ١٧ : ٢٣ .

(٢٠٩) الأغانى ٤ : ٢٤٦ .

(٢١٠) الأغانى ٤ : ٢٥١ ، وانظر شعر الأحوص ص : ٩٠ .

ورافعاً له إلى منزلة أئمَّةِ الشيعة ، فهو عنده « امامُ هُدًى » و « إمامٌ مُبارَكٌ » شملَ الناس بإحسانه ، ونَشَرَ العدل فى الأرض (٢١١) :

كريمُ قُرَيشٍ حينَ يُنْسَبُ والذى … أَقَرَّتْ لهُ بالمُلْكِ كَهْلاً وأَمْرَدا
وليسَ وإنْ أعطاكَ فى اليومِ مَانِعاً … إذَا عُدْتَ مِنْ أضعافِ أضعافِهِ غدا
أهانَ تِلاَدَ المالِ فِي الحَمْدِ إنَّهُ … إمامُ هُدًى يَجْرى على ما تَعَوَّدَا
وما كان مَالى طارِقاً من تِجارةٍ … وما كانَ مِيراثاً من المالِ مُتْلدَا
ولكنْ عَطاءٌ مِنْ إمام مُبارَكٍ … مَلاَ الأرضَ مَعْروفاً وعَدْلا وسُؤددا

وتَسَارعَ إليه شعراء تميم ، وحَفُّوا به فَرحين بِقَمعِه للمهالبة ، وإفنائه لهم . إذْ هَدَّدوا القبائلَ مِن قريشٍ وتميمٍ وقيس تَهْديداً قويًّا ، وتَدافَعُوا يؤكّدون حق الأمويين فى الخلافة ، فهم أَهْلُها الشَّرْعِيُّون ، وَرِثُوها عن عثمان بن عفان ، واختارهم الله لها ، وجعلهم الأوصياء على عباده . وأضفوا على يزيد صفات الورع والطهر والجلال . ففيه يقول جرير هاتِفاً بتوفيق الله له ، وأنه إمام العدل « وخليفة الله » ومُنَدِّداً بالمهالبة الذين خرجوا عليه ، وعادًّا ثورتهم به مُرُوقاً من الدين ، فَمكَّنَهُ الله من قَهْرِهم ، كما نَصَرَه من قَبْلُ على غيرهم (٢١٢) :

زُورُوا يزيدَ فإنَّ الله فَضَّلَهُ … واستَبْشرُوا بِمَرِيعِ النَّبتِ مَحْبُورِ (٢١٣)
لمَّا بَلَغْتُ إمامَ العدلِ قلتُ لهمْ : … قدْ كانَ من طُولِ إدْلاجى وتَهْجِيرى
يا ابن المهلَّبِ إنَّ الناس قدْ عَلِمُوا … أنَّ الخِلاَفَةَ لِلشُّمِّ المَغَاوِيرِ
خليفةَ الله إنِّى قد جعَلْتُ لكمْ … غُرًّا سوابقَ من نَسْجى وتحْبِيرى
زَانَ المنَابِرَ واخْتالَتْ بِمُنْتَجَبٍ … مُثَبَّتٍ بكِتَابِ الله منصُورِ (٢١٤)
يَكْفِى الخليفةَ أنَّ الله فَضَّلَهُ … عَزْمٌ وَثيقٌ وعَقْدٌ غيرُ تَغْرِيرِ (٢١٥)
كم مِنْ عَدُوٍّ فَجَدَّ الله دابِرَهُم … كادُوا بمكْرِهِمُ فارْتَدَّ فى بُورِ
وكان نَصْراً من الرحمن قَدَّرَهُ … والله رَبُّك ذُو مُلْكٍ وتَقْدِيرِ

ويقول مُمَجِّداً خلقه الكريم ، وطاقته الفذة ، وسياسته المستقيمة ، ونضاله الباسل عن ديار

---

(٢١١) الأغانى ٤ : ٢٥٠ ، وانظر شعر الأحوص ص : ٦١ .

(٢١٢) ديوانه ١ : ١٤٧ .

(٢١٣) المريع : الخصيب . والمحبور : المسرور .

(٢١٤) المنتجب : المختار المصطفى .

(٢١٥) غير تغرير : لا يقود إلى الهلكة .

العرب والمسلمين ، ومواساته لليتامى والمحتاجين ، فإذا القبائل من قريش والأوس والخزرج وقضاعة وحمير وقيس وتميم مطيعةٌ له ، مُسْتَبْشرةٌ به ، وناقِداً المهالبة الذين نابَذوه وحاربُوه ، فَعصوا ربَّهم ، واسْتخَفُّوا بإرادته وقضائه ، فأهلكهم اللهُ لطغيانهم كما أَهْلَكَ ثمودَ مِنْ قَبْلِهم ، مَسْروراً بما لحقهم من القتل والحبس ، فقد ذاقوا ما يستحقون من العذاب (٢١٦) :

لما مَلَكْتَ عَصا الخلافةِ بَيَّنَتْ ... لـلطَّالبين شَمائِلٌ ونجارُ (٢١٧)
ساسَ الخلافة حينَ قامَ بِحَقِّها ... وحَمَى الذِّمارَ فما يُضَاعُ ذِمارُ (٢١٨)
ويزيدُ قد عَلِمَتْ قريشٌ أَنَّهُ ... غَمْرُ البحورِ إلى العُلاَ سَوَّارُ (٢١٩)
إنَّ الخليفةَ لليتامَى عِصْمةٌ ... وأَبُو العيالِ يَشُفُّه الإقتارُ (٢٢٠)
صَلَّى القبائلُ من قريش كُلِّهِمْ ... بالموسِمَيْن عليكَ والأنْصارُ (٢٢١)
تَرْضَى قُضاعةُ ما قَضَيْتَ وسَلَّمَتْ ... لِرِضَى بِحكمِكَ حِمْيَرٌ ونِزَارُ
قيسٌ يَرَوْنَكَ ما حَيِيتَ لهمْ حَياً ... ولآلِ خِنْدفَ مُلْكُكَ اسْتِبْشارُ
آلُ المُهَلَّبِ فَرَّطُوا فِي دِينِهِمْ ... وطَغَوْا كما فَعَلَتْ ثَمودُ فَبارُوا
لـمَّا أَتَوْك مُصَفَّدِين أَذِلَّةً ... شُفِيَ النُّفوسُ وأُدْرِكَ الأَوْتارُ

ومدحه الفرزدق بغير قصيدة ، ففيه يقول مُعَظِّماً شخصيته ، لخيره الذي يَعُمُّ الناسَ فى الشدائد والأزمات ، وما له من مجد عريق ورثه عن أجداده السفيانيين والمروانيين ، مُصَرِّحاً بأن الخلافة تَحَدَّرت إليه من عثمان بن عفان ، وأن الأُمَّة دانت له . كما خَضَعَت الوحوشُ له وسَبَّحَتْ بحمده ، لِنَقَائِهِ واتِّقائِهِ الله ، فهو طاهرٌ قريبٌ من الله ، ينزلُ بمنزلةِ الصِّدِّيقينَ والأنبياء (٢٢٢) :

أخُو شَتَواتٍ يَرْفَعُ النارَ لِلْقِرَى ... إذا كَعَمَ الكلبَ اللَّئِيمُ وأَخْمَدَا (٢٢٣)

---

(٢١٦) ديوانة ٢ : ٦٤٦ .

(٢١٧) النجار : الأصل . وعصا الخلافة : قضيب النبي الذى كان الخلفاء يخطبون به .

(٢١٨) الذمار : ما يحق على الرجل أن يحميه .

(٢١٩) سوار : وَثَّابَ نَهّاض .

(٢٢٠) وأبو العيال : الواو ليست عاطفة ، كأنه قال : حين أبو العيال يَشُفُّه الاقتار . ويَشُفُّه : يُؤْذِيه . والإقتار : تَقْديمُ القليلِ لأهله .

(٢٢١) الموسمان : مكة وَمِنىً .

(٢٢٢) ديوانه ١ : ١٤٤ .

(٢٢٣) الشتوات : سنوات الجدب والقحط . وكعم الكلب : أَلْجَمهُ لئلا ينبح ويدل عليه الضيوف . وأخمد : أطفأ النار حتى لا يعرف أحدٌ منزله .

وَرِثْتَ ابنَ حَرْبٍ وابنَ مروانَ والذى ... به نَصَرَ اللهُ النَّبِىَّ مُحَمَّدا (٢٢٤)
تَرَى الوَحْشَ يَسْتَحْيِينَهُ إذْ عَرَفْتَهُ ... لهُ فَوْقَ أركانِ الجَراثِيمِ سُجَّدا (٢٢٥)
ولو صَاحَبَتْهُ الأنبياءُ ذَوُو النُّهَى ... رأوْهُ معَ المَلْكِ العظيمِ المُسَوَّدا

ويقول مُنَوِّهاً بأجداده السفيانيين والمروانيين ، وَمُكَرِّرًا أن الأمويين أَوْلى بالخلافة من غيرهم ، فإن لهم حقًّا ثابتاً فيها ، دَافَعُوا الناسَ عنه بسيوفهم ، وواصفاً له بأنه « الإمام » الذى يمده الله بقُوَّتِه ، ويَمْحَقُ أعداءه ، مُسْتَهْجِناً وُثُوبَ يزيد بن المهلب عليه ، ومعرباً عن سعادته بِقَتْلِه وَصَلْبِه (٢٢٦) :

سِيرُوا ولا تَحْفِلُوا إتْعَابَ رَاحِلَةٍ ... إلى إمامٍ بسيفِ اللهِ مَنْصُورِ
حَرْب ومروانُ جدّاكَ اللّذَانِ لها ... مِنَ الرَّوابِى عظِيماتُ الجَماهِيرِ (٢٢٧)
غَلَبْتُم الناسَ بالحقِّ الذى لكمُ ... عليهمْ وبِضَرْبٍ غير تَعْذِيرِ (٢٢٨)
لقدْ عَجِبْتُ مِنَ الأزدىِّ جاءَ بهِ ... يَقودُه للمنايا حَيْنُ مَغْرُورِ
حَتَّى رآه عبادُ اللهِ فِى دَقَلٍ ... مُنَكَّساً وهوَ مَقْرُونٌ بِخنزيرِ (٢٢٩)

ويقول مُثْنِياً على تَدَيُّنِه ، وسُمُوِّ مكانته ، واهتمامه بشئون الرعية ؛ وبلائه فى الدفاع عن الإسلام بلاءً حسناً ، حتى كان أعظم من حَافَظَ عليه بَعْدَ الرسول وأصحابه ، مُشَبِّهاً المهالبة بِكُفَّار قريش ، ومُبْتَهِجاً بإيقاعه بهم ، وقضائه عليهم (٢٣٠) :

وأنت غِياثُ الأرضِ والناسِ كلِّهمْ ... بكَ اللهُ قد أحْيا الذى كان باليَا
وما وَجدَ الإسلامُ بَعْدَ مُحَمدٍ ... وأصحابِهِ لِلدِّينِ مِثْلَكَ رَاعيَا
أرَى اللهَ بالإسلامِ والنَّصْرِ جاعلاً ... على كَعْبِ مَنْ نَاوَاكَ كَعْبَكَ عَالِيَا
لقدْ عَلِمَ الفُسَّاقُ يومَ لَقِيتَهُمْ ... يزيدُ وحُوَّاكُ البُرودِ اليَمانِيا
ضَرَبْتَ بسيفٍ كان لاقَى محمدٌ ... به أهلَ بَدْرٍ عاقِدِينَ النَّوَاصِيَا (٢٣١)

---

(٢٢٤) الذى نَصَرَ الله به النبىَّ : عثمان بن عفان .
(٢٢٥) الجراثيم : الأماكن المرتفعة .
(٢٢٦) ديوانه ١ : ٢١٤ .
(٢٢٧) جمهور كل شىء : معظمه .
(٢٢٨) التعذير : التقصير .
(٢٢٩) الدقل : الخشبة الطويلة .
(٢٣٠) ديوانه ٢ : ٣٥٢ .
(٢٣١) عقد ناصيته : غضب وتهيأ للشر .

أراهُـمْ بنومـروانَ يَـوْمَ لَـقُوهُـمُ ببابل يَوْماً أخْرجَ النَّجْمَ بادِيَا
بَكَوْا بِسُيوفِ الله لِلدِّين إذْ رأَوْا معَ السُّودِ والحُمْرانِ بالعَقْرِ طاغيا

ويقول مُلَقِّباً له بإمام الهدى ، والمصطفى المنتظر ، ومشيداً بحمايته للإسلام ، وعنايته بالمسلمين ، وتأييد الله له فى محاربة المهالبة ، وإبادته لهم ، لأنهم بَغَوْا وتَجبَّروا كالفراعين (٢٣٢) :

إمامٌ كأَىٍّ مِنْ إمامٍ نَمَى به وشَمْسٍ وبَدْرٍ قد أضاءَ فَنَوَّرا
وكان الذى أعْطاهُما الله منهما إمامَ الهُدَى والمصطفى المُتَنَظَّرا
فكمْ مِنْ مَصَلٍّ قد رَدَدْتَ صلاتَهُ له بعد ما قد كانَ فِى الرومِ نَصَّرا
به دَمَّرَ اللهُ المزُوْن ومن سعى إليهم كما كانَ الفَراعينَ دَمَّرا

ويقول مُنَوِّهًا بِذَبِّهِ عن الإسلام ، وما يأخذ به نفسه من الورع وخشية الله ، والعدل فِى الحُكْمِ، والمواساة للناس (٢٣٣) :

أرَى اللهَ قد أَعْطَى ابنَ عاتكة الذى لهُ الدِّينُ أمْسَى مُسْتَقِيمَ السَّوالِفِ (٢٣٤)
تُقَى اللهِ والحُكْمَ الذى لَيْسَ مِثْلَهُ ورأفةَ مَهْدِىٍّ على الناسِ عَاطِفِ

ويقول هاتفاً بحق الأمويين فى الملك ، وأن الله أراده لهم ، وجعلهم الأولياء على الناس ، فجاهدوا فى سبيل الله ، ونصروا الإسلام ، رافعاً يزيد على الخلفاء الأمويين . ومُمَيِّزاً له منهم ، إذ فَضَلَهُمْ بتقواه وُنسكِه وطُهْرِهِ الذى لا يُقارِبُه طُهْرُ البشر ، فَوَهَبَهُ الله الخلافة ، وأرشده وأيَّده (٢٣٥) :

هل تعلمونَ بنى أمية قاتَلُوا إلاَّ بسَيْفِ نُبُوَّةٍ لمْ يُغْلَلِ
ضَرَبُوا بِحَقِّ نُبُوةٍ كانتْ لهمْ وسيوفُ أُسْدٍ خَفِيَّةٍ لم تَنْكُلِ (٢٣٦)
أَعْطَى ابنَ عاتكة الذى ما فَوْقَهُ غير النُّبُوَّةِ والجَلاَلَ الأَجْلَلِ
سُلْطَانَهُ وعَصـا النَّبِىِّ . وخاتماً أَلْقَى لـه بِجِرانِهِ والكَلْكَلِ (٢٣٧)

ويقول مؤكدا استحقاق الأمويين للخلافة ، لأنهم ورَثَة النبى ، ومُجلا شخصية يزيد ومقدرته ، وزاعماً أنه لو لم تنته النُّبوَّات ، ولم تُختَم الرِّسالاتُ ، لَبَعَثَه اللهُ نبياً فِى الناس (٢٣٨) :

---

(٢٣٢) ديوانه ١ : ٣٤٦ .

(٢٣٣) ديوانه ٢ : ١٧ .

(٢٣٤) السالفة : جانب العنق .

(٢٣٥) ديوانه ٢ : ١٢٥ .

(٢٣٦) خفية : أجمة فى سواد العراق ينسب إليها فيقال : أسود خفية . وتنكل : تجبن .

(٢٣٧) الجران : باطن العنق .

(٢٣٨) ديوانه ٢ : ٢٨٢ .

وَلَوْ كانَ بعدَ المُصْطَفى مِنْ عِبادِهِ نبيٌّ لهمْ منهمْ لأَمْرِ العَزائمِ
لكنْتَ الذى يَخْتارُهُ اللهُ بَعْدَهُ لِحَمْلِ الأماناتِ الثِّقالِ العَظائمِ
وَرِثْتُم خَليلَ اللهِ كُلَّ خِزانةٍ وَكُلَّ كتابٍ بِالنُّبوَّةِ قائمِ

ومدحه النابغة الشيبانى بقصائد عديدة ، يقول فى إحداها مُتَغَنِّياً بنسبه الساطع ، وأسرته الماجدة ، وتَرْبيتها له تربية صالحة جعلته أهلاً للسيادة ، وهَيَّأتْهُ لِتَوَلِّى الحكم ، فهو نقى العرض ، صافى النفس ، ماضى العزم ، حسن العقيدة ، واسع المعروف ، صاغة الله للملك ، وَحَبَاهُ الخلافة ، فنهض بأعبائها ، وأدى حُقُوقَها خيرَ أداء . ومضى يُنَوِّهُ برعايته للبائسين والبائسات . وإنقاذه للفقراء من الموت والهلاك ، وبجيشه الكثيف ، وفرسانه الأشداء الذين أعدهم للقاء الأعداء ، فكانوا يثخنون فيهم قَتْلا وجَرْحاً وأَسْراً (٢٣٩) :

إنَّ الخليفةَ فَرْعٌ حينَ تَنْسُبُهُ من الأعاصى هِجانٌ خَيْرُ مَنْسُوبِ (٢٤٠)
يُنميه حَرْبٌ ومروانُ وأصْلُها إلى جراثيمِ مَجْدٍ غير مَأْشُوبِ (٢٤١)
نَمَاكَ أربعة كانوا أئِمَّتَنا فكان مُلْكُكَ حقًّا ليس بالحُوبِ (٢٤٢)
أعطاكَ مُلْكاً وتقوى أنت سائِسُهُ بعد الفضائل مَنْ أَوْحَى إلى النُّوبِ (٢٤٣)
كالبَدْرِ أَبْلَجُ عالى الهمِّ مُخْتَلَقٌ يُنْمى إلى الأَبْطَحِيَّاتِ المَصَاعِيبِ (٢٤٤)
بَحْرٌ نَمتْهُ بُحورٌ غيرُ سَاجيةٍ تلك المَخَاصِيبُ أبناءُ المخَاصِيبِ (٢٤٥)
قَوْمٌ بمكةَ فى بَطْحائِها وُلِدوا أبناء مكّةَ لَيْسُوا بالأعَارِيبِ
أنتَ ابنُ عاتكةَ المَيْمونُ طائِرُها أُمِّ الملوكِ بَنِى الغُرِّ المناجِيبِ

---

(٢٣٩) ديوانه ص : ٧٦ .

(٢٤٠) الأعاصى : الأعياص من ولد أمية الأكبر عبد شمس ، وهم : العاصى ، وأبو العاصى ، والعيص ، وأبو العيص ، والعويص ، وأبو عمرو . (انظر جمهرة أنساب العرب ص : ٧٨) والهجان : الخالص .

(٢٤١) الجراثيم : الأصول : والمأشوب : المتداخل المختلط .

(٢٤٢) الحوب : الإثم .

(٢٤٣) النوب : النحل .

(٢٤٤) الأبلج : طَلْقُ الوجه . والمختلق : المخلوق خِلْقَةً تَصْلُح لِلْمُلك . ويُنْمَى : يُعْزَى وينسب . الأبطحيات : أهل الأباطح من قريش ، وهم أشراف قريش وسادتها . والمصاعيب : جمع مصعب : وهو الأبِيُّ النَّفُور من الرجال ، استعارة من الجمل المصعب الذى لم يُرْكَبْ ولم يَمْسَسْهُ حَبْلٌ .

(٢٤٥) غير ساجية : غير ساكنة ولا هادئة .

سَهْلُ المَباءَةَ يعْفُو الناسُ جَمَّتَهُ ... يكسُو الجفَانَ سَدِيفاً من ذُرَى النِّيبِ (٢٤٦)
حتّى تَصُدَّ العَوافى بعدمَا سَبَقَتْ ... عند المجاعَةِ مِنْ لحْم وتَرْعِيبِ (٢٤٧)
وأنتَ تُحْيِى فِئَاماً بعدما هَمَدتْ ... إحياءَ غَيْثٍ بِصَوبٍ نَفْسَ جُلْبُوبِ (٢٤٨)
وجَحْفَلٍ لَجِبٍ جَمٍّ صواهِلُهُ ... عُوذ يَخُدُّ مُتونَ السَّهل واللُّوبِ (٢٤٩)
تَرَى السَّماجِيجَ فيه وهى مُسْنَفَةٌ ... وكلُّ فَحْلٍ طُوالَ الشَّخْصِ يَعْبُوبِ (٢٥٠)
تَرْدِى بشُعْثٍ إذا ابْتَلَّتْ رَحَائِلها ... بكُلِّ فجٍّ مِنَ الأعداءِ مَرْهُوبِ (٢٥١)
يَسْمو بها وبجيشٍ كالدَّبَا أشِبٍ ... بكلِّ هَوْلٍ على ماكانَ مَرْكوبِ (٢٥٢)
حتّى يَفُضَّ جُموعاً بعـدَما حُشِدَتْ ... يُهالُ منها ويُغْشى كلُّ مَرْعُوبِ
له كِبَاشٌ بَوْقع السيفِ يَغْصبها ... وكَبْشُ صَفِّك ماض غيرُ مَغْصُوبِ (٢٥٣)
ثُمَّتَ نَاصَتْ فُـلولاً من عَدُوِّكمُ ... قد أجْحرَتْ بينَ مَقْتولٍ ومَجْنُوبِ (٢٥٤)
بَلْهَ سُبِىٌّ حَوَتْهَا الخَيْل تَحْسَبُها ... زُهاءَ شاءٍ من الأذْرِىِّ مَجْلُوبِ (٢٥٥)
كأنَّ رَنَّاتِ نِسْوانِ السُّبِىِّ وقد ... أُلْوِى بها القومُ أصواتُ اليَعاقيبِ (٢٥٦)
غُنْمٌ يَظَلُّ إمامُ الناس يَقْسِمُها ... فَبَيْنَ مَوْهُوبةٍ منها ومَوْهُوب

ويقول فى قصيدة ثانيةٍ مُشيداً بِشَرَفِهِ العظيم من جهة أبيه وأمه ، وما تَمَتَّعَ به من صفات عربية كريمة ، ثم استرسل يتحدث عن تدينه ، فإذا هو مثال للمؤمن الصالح فى مراقبته لله ، وحسن عبادته ، وقضائه الليل يصلى ويقرأ القرآن ويتضرع إلى الله ، ثم تحدث عن خلافته ، فإذا هو مثال

---

(٢٤٦) المباءة : المرجع . ويعفو : يطلب . والجمة : معظم الماء كنى بها عن كرمه . والسديف : لحم السنام . والنيب : جمع ناب ، وهى الناقة المسنة .

(٢٤٧) العوافى : طالبات المعروف والترعيب : قطع اللحم الكبيرة .

(٢٤٨) الفئام : الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه والجلبوب : دابة تكون فى الحجارة شبه الدودة ، تكون من المطر .

(٢٤٩) الجحفل : الجيش العظيم واللجب : كثير أصوات الأبطال وصهيل الخيل . والصواهل : الخيل . والعوذ : المسن من الإبل ، شبه الجيش به لحنكته وتذليله الصعب . ويخد : يشق . اللوب : الغامض من الأرض .

(٢٥٠) السماجيج : الطوال . ومسنفة : متقدمة . واليعبوب : الفرس الطويل السريع .

(٢٥١) تردى : ترجم الأرض بحوافرها والشعث : جمع أشعث وهو المغبر المتلبد الشعر .

(٢٥٢) الدبا : الجراد وأشب : الكثيف المشتبك .

(٢٥٣) الكبش : قائد الجيش . ويغصبها : أى يهلك نفوس الكباش .

(٢٥٤) ناصت : أخذت بالنواصى أى مقدم الرؤوس .

(٢٥٥) بله هنا بمعنى كيف ، وسبى مبتدأ . وسُبِىّ : جمع سَبْى . وزهاء : مقدار . والأذرى : المنسوب إلى أذربيجان .

(٢٥٦) اليعاقيب : جمع يعقوب ، وهو ذكر النحل .

للخليفة الكامل في حَزْمه ووقاره وحِلْمه وعفَّته ووفائه وعَدْله وفَضْله وفَصَاحته وسداده (٢٥٧) :

حَكَمِيًّا بين الأعاصى وَحَرْبٍ أَبْطَحِيَّ الأعمام والأخوال
أُمُّهُ مَلْكَةٌ نَمَتْهَا مُلوكٌ وهى أهلُ الإكرامِ والإجلالِ
تِلْكَ أمٌ كَسَتْ يزيدَ بَهاءً وجمالاً يَبُذُّ كلَّ جَمالِ
وأبُوهُ عبد المَليكِ نَمَاهُ زادَ طُولاً على الملوك الطِّوالِ
حَالَفَ المجدَ عَبْشمِيًّا إماماً حَلَّ داراً بها تكون المعالى
أَرْيَحِيًّا فَرْعاً ومَعْقِلَ عِزٍّ قَصَّرَتْ دُونَهُ طِوالُ الجبالِ
أُعطِىَ الحِلْمَ والعَفَافَ مع الجُو دِ وَرَأْيًا يفوقُ رَأىَ الرِّجَالَ
وحَبَاهُ المَليكُ تَقْوَى وبِرًّا وَهوَ من سُوسِ ناسكٍ وَصَّالِ (٢٥٨)
يَقْطَعُ اللَيلَ آهةً وانْتِحاباً وابْتِهالاً لله أىَّ ابتِهالِ
تارة راكعاً وطَوْراً سُجوداً ذا دُموعٍ تَنْهَلُّ أىَّ انْهِلالِ
ولهُ نَحْبَةٌ إذا قَامَ يَتْلُو سُوراً بعد سورةِ الأنْفَالِ
عَادِلٌ مُقْسِطٌ وميزانُ حَقٍّ لَمْ يَحِفْ فى قَضائِه للمُوالى
مُوفِياً بالعُهودِ من خَشْيَة الله ومَنْ يَعْفُهُ يكُنْ غَيْرَ قَالِ (٢٥٩)
مُحْسِنٌ مُجْمِلٌ تَقِىٌ قَوِىٌّ وَهو أهلُ الإحسانِ والإجمال

ويقول فى قصيدة ثالثة مُبَجِّلاً كرمه الفيَّاض ، وسَعْيَهُ للمعالى والمحامد ، واكْتِسابَه لها ، وسَبْقَه لقريشٍ فيها ، ومُكْبِراً صيانَتَه للخلافة الأموية ، وعَقْدَهُ العَهْدَ لأخيه هشام وابنه الوليد ، وفَتْكَه بالمهالبة ، واسْتِئْصالَهُ لهم ، وماحقق للناس من أمن وطمأنينة ، وعِزٍّ ومَنَعَةٍ ، وما أصابوا فى أيامه من رَغدٍ ورخاء ، وماأغدق عليهم من صلات وعطاء (٢٦٠) :

يَزيدُ الخَيْرِ وهو يَزِيدَ خيراً وَيَنْمى كلما ابْتُغِىَ النَّماءُ
قريشٌ تَبْتَنِى المعروفَ قِدْماً وليسَ كما بَنَيْتَ لها بِناءُ
فَضَضْتَ كتائبَ الأَزْدِىَّ فَضاً بِكَبْشِكَ وهوَ بُغْيَتُهُ اللِّقاءُ
وعَادَتُهُ إذا لاقَى كِباشاً فَنَاطَحَهُنَّ قَتْلٌ واحْتِوَاءُ

(٢٥٧) ديوانه ص : ٦٨ .
(٢٥٨) السوس : الأصل .
(٢٥٩) يعفوه : يقصده ويسأله . غير قالٍ : غير كارهٍ له ولا جافٍ عنه .
(٢٦٠) ديوانه ص : ٤٩ .

أَبَرْتَ عَدُوَّهُمْ وعَفَوْتَ عَفْواً ... به حُقِنَتْ من الناس الدِّماءُ
سَمَكْتَ لهمْ بإذنِ اللهِ مُلْكاً ... كما سُمِكَتْ على الأرضِ السَّماء(٢٦١)
وأَحْيَيْتَ العَطـاءَ وكَانَ مَيْتاً ... ولَـوْلاَ اللهُ مـاحَيِـيَ العطاءُ
ففي كُلِّ القَبائِلِ من مَعَدٍّ ... ومِنْ يمنٍ له أيضاً حِباءُ
وَصَلْتَ أخاكَ فهو وَلِيُّ عَهْدٍ ... وعندَ اللهِ في الصِّلَةِ الجزاءُ
نُرَجِّي أنْ يكونَ لنا إماماً ... وفي مُلْكِ الوليدِ لنا الرَّجاءُ

تلك سيرة يزيد فى القصائد الإسلامية المعاصرة لخلافته ، والفرق بينها وبين سيرته فى الروايات التاريخية كبير ، فسيرته فى القصائد الإسلامية مستقيمة ناصعة ، لأن المؤيِّدين والمُتَملِّقين له من الشعراء هم الذين صاغوها ، فاهتموا اهتماماً زائداً بإظهار جلاله ووقاره وتَدَيُّنه ووَرَعِه ، واتزانه وقصده وحكمته وخوفه من الله ، وحسن عبادته ، ورعايته للأمة ، وحفاظه على ثغور الدولة ، وحمايته للدين ، وجهاده فى سبيل الله ، وبالغوا فى الدِّفاع عنه . والنِّفاق له مبالغةً شديدةً حتى لَقَّبوه بإمام الهدى ، وإمام العدل ، والإمام المبارك ، والمُصْطَفَى المُنْتَظَر ، والمهدى المرتقب ! وأغفلوا الإشارة إلى حياته الخاصة ، وإكبابه على النعيم واللهو .

وسيرته فى الروايات التاريخية أَشْمَلُ وأَوْفَى وأَغْنَى ، لأنها تُمَثِّلُ جوانب حياته الذاتية والرسمية ، بدقائقها وتفاصيلها ، وتتضمن آراء أنصاره وخصومه فيه . فهى تسجل ملامح تربيته وثقافته ونشأته ، وتبرز معالم سياسته الإدارية والمالية والعسكرية ، مع اختلاف الإخباريين والمؤرخين فى تقويمها والحكم عليها ، فهم بين مُشِيد بها ، ونَاقِدٍ لها . وتكشف بوضوح عن كلفه بالترف ، وإسرافه فيه ، وإقباله على الغناء ، وانقطاعه إلى حَبَّابة وسَلاَّمة وغيرهما من الإماء ، وتدل على تقليصه لنفوذ القبائل اليمنية العراقية والخراسانية ، واستعانته بالقبائل المضرية بعد قضائه على ثورة المهالبة ، مما جَدَّد المُنَافَسةَ بين هاتين المجموعتين من القبائل .

---

(٢٦١) سَمَكَ : رفع .

٣ – أمه

كانت زينب بنت محمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف الثقفى[٢٦٢] ثانية أزواج يزيد بن عبد الملك ، وأم الوليد بن يزيد ، وليس فى المصادر المتاحة شىء من أخبار حياتها وعلاقتها بيزيد قبل أن يَتَزَوَّجها ، وليس فيها أيضاً شىء من أخبار صلتها بابنها وتربيتها له . ويفترض افتراضاً يُرَجحه صَبابةُ يزيد بالحسان ، وخضوعه لهن ، وإدلالُ زينب عليه بجمالها ، لما نالت من حظوةً عنده ، أنَّ زينَب نَشَّأَتْ الوليد نشأةً ناعمةً مترفةً ، وأَحَاطَتْه برعايتها وحنانها ، ومَحَضَتْهُ خالص ودها وعطفها ، فقد كانت مزهوة به ، لأنه كان أكبر أبنائها ، فَقَوَّى منزلتها ، وزاد من إعجابها بنفسها ، وشموخها على سائر نساء يزيد .

وقد سَعَتْ إلى إقناع زوجها بالاهتمام بابنها الوليد ، ونجحت فى سعيها ، فمال يزيد إليه ، واحتفل به ، وفضله على إخوته وعَمِلَتْ لِتَزْكِيته لولاية العهد[٢٦٣] ، وأفلحت بما شاءت ، وفازت به ، إذ عَيَّنَهُ يزيد وَلِيَّ عهده الثانى ، وآثره على أخيه عبد الله[٢٦٤] ، ابنه الأكبر من امرأته الأولى سعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان .

وفى شعر الوليد مايدل على احترامه لأمه ، وافتخاره بها ، فقد كان يتمدح بخؤولته فى الثقفيين ، كما كان يتمدح بنسبه فى الهاشميين والسفيانيين والمروانيين[٢٦٥] .

وكان الثقفيون يبادلونه عاطفة بعاطفة ، واعتداداً باعتداد ، ممايتضح فى شعر طريح بن إسماعيل الثقفى ، فهو يشيد فى مدائحه للوليد بشرف نسبه من جهة أبيه وأمه ، فهو كريم الأجداد والأخوال ، بل هو صفوة قريش وثقيف ، ورَمْزٌ لاتحاد دمائهم ، وامتزاج أمجادهم فهو يقول فيه[٢٦٦] :

(٢٦٢) انظر أخبار زينب فى نسب قريش ص : ١٦٧ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٢٩ ، ٣٠٩ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٣١ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٢١ ، والأغانى ٧ : ١ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٧٩ و ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٩ .

(٢٦٣) الأغانى ١٥ : ١٢ .

(٢٦٤) جمهرة أنساب العرب ص : ٩١ .

(٢٦٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١١ ، ٣١٢ ، والأغانى ٧ : ١ ، ٦ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٩ .

(٢٦٦) الشعر والشعراء ٢ : ٦٧٨ ، والأغانى ٤ : ٣١٦ ، وديوان المعانى ١ : ٢٤ ، وتاريخ الطبرى ٨ : ١٨٣ ، ولسان العرب ٣ : ٢٢٣ .

أنتَ ابنُ مُسْلَنْطحِ البِطَاحِ ولمْ تُطْرَقْ عليكَ الحُنِيُّ والوُلُجُ(٢٦٧)
طُوبَى لِفَرْعَيْكَ من هُنَا وهُنَا طُوبَى لأَعْرَاقِكَ التى تَشِجُ(٢٦٨)

ويقول(٢٦٩) :

واعتامَ كَهْلَكَ مِنْ ثَقِيفٍ كُفْأَهُ فَتَنازَعَاكَ فأنتَ جَوْهَرُ جَوْهَرِ(٢٧٠)
فَنمتْ فَروعُ القَرْيَتَيْنِ قُصَيُّها وقَسِيُّها بكَ فى الأَشَمِّ الأكبرِ(٢٧١)

وأَثَّرتْ زينب فى سياسة يزيد بن عبد الملك تأثيراً قوياً فقد حملته على الانحياز لأصهاره من آل أبى عقيل . وعلى الاستعانة بقيس واصطناعها . وأغرته بالمهالبة فَنَفَر منهم . وهَدَّدهم . ووعدها بالقضاء عليهم(٢٧٢) . فإن سليمان بن عبد الملك أمر يزيد بن المهلب باعتقال أقارب الحجاج وعماله . والبطش بهم . لأن الحجاج أَيَّد الوليد بن عبد الملك فى عزل سليمان من ولاية العهد(٢٧٣) . ولأن ابن المهلب كان ناقماً من الحجاج إقصاءه له عن خراسان(٢٧٤). ففيما يرويه عباس بن هشام الكلبى عن أبيه عن لوط بن يحيى وعوانة بن الحكم أنه لما استخلف سليمان بن عبد الملك . تَتَبَّع من كان بالشام وغير الشام من آل أبى عقيل . فدفعهم إلى يزيد بن المهلب – وكان يزيد أَوَّل من عَزَّاه بالوليد . وسلَّم عليه بالخلافة – وأمره أن يَسْتَأْدِيَهُمْ ويبسط عليهم. فَوَلَّى أمرهم أخاه عبد الملك بن المهلب . فعذب الحكم ابن أيوب بن الحكم بن أبى عقيل حتى قتله . وألح عبد الملك على يوسف بن عمر بن محمد ابن الحكم بن أبى عقيل . وغضب عليه يوماً . فرماه بِسَفَرْجَلَةٍ فَشَتَر عَيْنَه . وبعث يزيد بن المهلب إلى البلقاء من عمل دمشق . وفيها خزائن الحجاج بن يوسف وعياله . فَنَقَلَهُمْ ومامعهم إليه . وكان فيمن أُتِيَ به أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم بن أبى عقيل . وكانت امرأة يزيد بن عبد الملك بن مرون . فكان عبد الملك يُعَذِّبها بأمر أخيه يزيد بن المهلب فى منزله . فكلمه فيها يزيد ابن عبد الملك . فأبى أن يُشَفِّعه فيها . فقال : الذى وَظَّفْتم عليها عَلَيَّ . فأبى قبول ذلك . فقال يزيد : والله لئن وليتُ من الأمر شيئاً . لأَقْطَعَنَّ منك طابقاً ! فقال يزيد بن المهلب : وأنا والله . فلئن

(٢٦٧) المسلنطح من البطاح : ما اتسع واستوى سطحه . وتطرق عليك : تطبق عليك وتغطيك وتُضَيِّق مكانك . والحنى : ما انخفض من الأرض . والولج : كل متسع من الوادى . يريد لم تكن بين الحين والولج حتى يخفى مكانك .

(٢٦٨) تشج : تشتبك وتلتف .

(٢٦٩) الأغانى ٤ : ٣١٧ .

(٢٧٠) اعتام : اختار .

(٢٧١) قصى : هو قصى بن كلاب . وقسى : هو ثقيف .

(٢٧٢) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٦٤ ، ووفيات الأعيان ٦ : ٢٩٥ .

(٢٧٣) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٩٨ ، ٥٠٦ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٢٣ .

(٢٧٤) تاريخ الطبرى ٦ : ٣٩٥ .

كان لى ذلك لأرمينك بمائة ألف عنان[٢٧٥]» . ويقول البلاذرى «وقال قوم : لم يفعل ذلك بأم الحجاج بنت محمد ، وإنما فعله بأختها فجرى هذا القول بينه وبين يزيد بسببها[٢٧٦]» . فلما استخلف يزيد بن عبد الملك ، خافه ابن المهلب ، فثار به ، وقُتِل .

واقتدى الوليد بن يزيد بسياسة أبيه فعادى القبائل اليمنية العراقية ، وخضع لضغط أمه عليه ، فحابى أخواله من ثقيف وأذعن لمطالبهم ومطامحهم ، وانصاع لآرائهم وأهوائهم[٢٧٧] . وكان بعض إخوة أمه من كبار الموظفين فى قصره وفى الأمصار الأخرى ، وكان أولاد عمها الحجاج بن يوسف وحفدته يَلُون وظائف متعددة فى دمشق وغيرها[٢٧٨] .

٤ – إخوتـــه

كان للوليد إخوة كثيرون ، منهم يحيى وهو أخوه لأبيه وأمه ، وعبد الله وعائشة أمها سعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، والغَمْرُ لأُمٍّ وَلَد ، وعبد الجبار وسليمان لأُمٍّ وَلَد ، وهاشم وأبو سفيان لأُمٍّ وَلَد[٢٧٩] .

والغَمْرُ هو أشهر إخوته ، وأقواهم علاقةً به ، وأشدهم صداقةً له ، وكان يُشْبِهُ الوليد فى كثير من صفاته وأخلاقه ، فقد كان مُعْتدلاً غير مُتَزَمِّتٍ ولامُتَهَوِّرٍ ، خفيف الروح لطيف العشرة ، مُحِبًّا للدُّعابة والمَرَح فأدناه الوليد ، ووثق به . ففى أخبار الغمر أنه كان يستملح الفكاهة ، ويستطيب الغناء ، ويعكف على سماعه ، إذ يروى أنه حَجَّ فدخل عليه مَعْبَد مُغَنِّى المدينة النَّابه ، فغناه صَوْتاً من شعر عمر بن أبى ربيعة ، فلم يزل يَرُدُّ عليه ، ثم أخرجه معه لَمَّا رَحَل عن المدينة فَغَنَّاه فى بعض الطريق ، ولم يُفَارِقْه إلاَّ بعد أن رجع إلى دمشق[٢٨٠] ، ويروى أنه مَرّ وهو حَاجٌّ بالدَّلاَّل مُغَنِّى المدينة ومُضْحِكِها وصاحب النَّوادر فيها ، فَغَنَّاه صوتاً من شعر النابغى الذبيانى ، فاستحسن غناءه[٢٨١] .

(٢٧٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٩٨ ، وانظر تاريخ ابن خلدون ، المجلد الثالث ، القسم الأول ص : ١٦٦ .

(٢٧٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٩٩ .

(٢٧٧) الأغانى ٤ : ٣٠٦ ، وسمط اللآلئ ص : ٧٠٥ ، ومعجم الأدباء ٤ : ٢٧٦ .

(٢٧٨) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٢٦٧ .

(٢٧٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٢٩ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٩١ .

(٢٨٠) الأغانى ١ : ٢٠٨ ، ٢٨٢ .

(٢٨١) الأغانى ٤ : ٢٧٨ .

وكان المغنون كمالك بن أبي السَّمْح وغيره من مغني الحجاز المذكورين ينزلون به حين يفدون إلى دمشق . ويَتَوسَّلون به إلى الوليد . فكان يستقبلهم ويدخلهم إليه (٢٨٢) . وكان يشهدُ مجالسَ لَهْوِ الوليد ويشارك فيها (٢٨٣) . وكان شعراء الحجاز والعراق كإسماعيل بن يسار النسائي ومطيع بن إياس يقصدونه ويمدحونه لمكانته عند أخيه . فكان يكافئهم ثم يَصِلُهم به (٢٨٤) .

وكان الغَمْرُ بجانب تغنِّيه وانطلاقه جَلْداً عاقلاً عفيفاً (٢٨٥) . وفارساً مِغْواراً ومُحارباً مُراً . فأناط به الوليد قيادة بعض الغزوات . إذ أَغْزَاه قُبْرص سنة خمس وعشرين ومائة . فاقتحمها وفتحها (٢٨٦) . وَوَلاَّه الصّائفة غَيْر مَرَّة . فَغَنِم مالم يَغْنَمْهُ أحدٌ قَطُّ وكانت أخرى صوائفه سنة ست وعشرين ومائة (٢٨٧) . واستعمله على اليمامة .

ومَدَحَ الغَمْرَ بعضُ الشعراء الأمويين والشعراء من مُخَضْرمى الدولتين مُكْبِرين خِصالَه العربية الكريمة ، وشمائله الإسلامية المجيدة . ففيه يقول إسماعيل بن يَسار النسائي مُشيداً بِسَعَة نَوالِهِ ونُبْلِهِ وتَصَوُّنِهِ وشهامته ونَفَاذِ بَصِيرته . وقوته التى تُعِزُّ الدين وَيْخشَاها أعداءُ المسلمين (٢٨٨) :

إذَا عَدَّدَ الناسُ المكارِمَ والعُلاَ ... فلا يَفْخَرَنْ يوماً على الغَمْرِ فاخِرُ
فما مَرَّ مِنْ يَوْمٍ على الدَّهْرِ واحدٌ ... على الغَمْرِ إلاَّ وهو فى النَّاسِ غامِرُ
تَراهُمْ خُشوعاً حينَ يَبْدُو مَهابَةً ... كما خَشَعَتْ يوماً لِكِسْرَى الأساوِرُ
أَغَـرُّ بِـطَـاحِيٌّ كـأنَّ جَبِينَهُ ... إذا مَابَدا بَدْرٌ إذا لاَحَ باهِرُ
وَقَى عِرْضَهُ بالمالِ فالمالُ جُنَّةٌ ... لهُ وأهانَ المالَ والعِرْضُ وافِرُ
وفى سَيْبِهِ لِلْمُجْتَدين عِمَارَةٌ ... وفى سَيْفِهِ للدِّينِ عِزٌّ ونَاصِرُ

وفيه يقول مطيع بن إياس مُنَوِّهاً بِعلُوِّ منزلته وأريحيته وشجاعته ومضائه وغنائه فى المحن والشدائد ، وصِحَّةَ تقديره للأمور وكمال تقواه (٢٨٩) :

---

(٢٨٢) الأغانى ٥ : ١١ .

(٢٨٣) الأغانى ٧ : ٥٠ .

(٢٨٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٢٩ – والأغانى ٤ : ٤٢٤ ، ١٣ : ٢٩٨ ، والديارات ص : ٢٥٢ .

(٢٨٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٢٢٩ .

(٢٨٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٢٧ .

(٢٨٧) أنساب الأشراف مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٢٩ ، وتاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٦ .

(٢٨٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٢٩ ، والأغانى ٤ : ٤٢٤ .

(٢٨٩) الأغانى ١٣ : ٢٩٨ ، والديارات ص : ٢٥٢ ، وشعراء عباسيون ص : ٣١ .

وإذا أُمَيَّةُ حُصِّلَتْ كان المُهَذَّبَ فى انتمائِهْ[٢٩٠]
وإذا الأُمُورُ تَفَاقَمَتْ عِظَماً فَصَدِّرْها برائِهْ[٢٩١]
وإذا أَرَدْتَ مَدِيحَهُ لم يُكْدِ قَوْلُكَ فى ثَنَائِهْ[٢٩٢]
فى وَجْهِهِ عَلَمُ الهُدَى والمَجْدُ فى عِطْفَىْ رِدَائِهْ
وكأنَّمَا البَدْرُ المُنِيرُ مُشَبَّهٌ بِهِ فى ضِيَائِهْ

وكان الغمر بحَرَّان[٢٩٣] عندما قُتِلَ الوليد[٢٩٤]، فاستقر بها بين أنصار أخيه من المضرية، وانضم إليه عبد الملك بن مروان بن محمد[٢٩٥]. وتَقِلُّ أخبار الغَمْرِ بعد مقتل أخيهِ، ويظهر أنه آثر الصَّمْتَ والتَّرَقُّب، أو اختار الحياد والمسالمة فإنه لم يَسْتَجبْ لمروان بن محمد حين حَثَّهُ على مكافحة يزيد بن الوليد وشيعته من القدرية[٢٩٦]. وتنقطع أخباره بعد ذلك، ولايَتَبَيَّنُ له دَوْرٌ أساسيٌّ أو ثانويٌّ فى أيام يزيد بن الوليد وأخيه إبراهيم، ومااحتدم فيها من صراع بين المضرية واليمنية، انتهى بِغَلَبَةِ المضرية، وسيطرة مروان بن محمد على الخلافة، ولايُذْكَرُ إلاَّ فى بعض الروايات التى تصور هلاكه فى عهد أبى العباس السفاح. ويزعم ابن عبد ربه أن أبا العباس قَتَلَ الغَمْرَ مع ثمانين رجلاً من بنى أمية بالحيرة[٢٩٧]. والصحيح أنه قُتِلَ على نهر أبى فِطْرس بفلسطين سنة اثنتين وثلاثين ومائة[٢٩٨]. فى المجزرة التى قَتَلَ فيها عبدُ الله بن على العباسى ثمانين رجلاً من أمراء بنى أمية وأشرافهم[٢٩٩]. وإنما التبس الأمر على ابن عبدربه لأنه وَرَدَ فى خبر سَفْكِ أبى العباس لدماء بعض الأمويين اسم سليمان بن هشام، وكان يكنى بأبى الغَمْرِ[٣٠٠]. فظن أنه الغمر بن يزيد!

---

(٢٩٠) حُصِّلت: مُيِّزَت.

(٢٩١) رائه: رأيه.

(٢٩٢) يكدى: يخيب.

(٢٩٣) حران: قصبة ديار مضر على طريق الشام وبلاد الروم. وهى قاعدة كان الجنود يتجمعون بها ويخرجون منها لمهاجمة الروم. (انظر معجم البلدان ٢: ٢٣٠).

(٢٩٤) تاريخ الطبرى ٧: ٢٩٦.

(٢٩٥) تاريخ الطبرى ٧: ٢٩٦.

(٢٩٦) تاريخ الطبرى ٧: ٢٨١.

(٢٩٧) العقد الفريد ٤: ٤٨٥.

(٢٩٨) جمهرة أنساب العرب ص: ٩١.

(٢٩٩) تاريخ اليعقوبى ٢: ٣٥٥، ومروج الذهب ٣: ٣٦١، ومعجم البلدان ٤: ٨٣١.

(٣٠٠) الأغانى ٤: ٣٥١.

وأما سليمان بن يزيد بن عبد الملك فكان بَرِماً بأخيه الوليد ، مُبْغضاً له ، أعان عليه وسعى فى قتله ، واتهمه بعد أن قُتِلَ واحْتُزَّ رأسه ، وحُمِلَ إليه بأنه كان شروباً للخمر ، ماجنا فاسقاً(٣٠١) . وتَنكَّرَ لابنيه الحكم وعثمان ، فإن يزيد بن الوليد سَلَّمَهُما له ، فكثا عنده أياماً . ثم رَدَّهُما إليه وقال : « قد كَثُرَ اختلافُ الناس إليهما ، وقد كان أبوهما بايع لهما ، فأخاف أن أُغْلَبَ عليهما ، فإن فى الناس غُواةً ، فأمر يزيد بحبسهما »(٣٠٢) . وقتل أنصار العباسيين سليمان بالبلقاء سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وقطعوا رأسه ، ودفعوه إلى عبد الله بن على العباسى (٣٠٣) .

وليس لسائر إخوة الوليد بن يزيد أهمية ، ولا كان لأحدهم موقف من خلافته ومقتله ، فشخصياتهم مغمورة ، وأخبارهم قليلة ، بل نادرة .

٥ – أزواجــــه

تَزَوَّجَ الوليد بن يزيد ثلاثاً من الحرائر الأمويات ، وامتلك عدداً من الجوارى وَضعت له إحداهن ابنه العباس . وهو أكبرُ أبنائه ، إذ به كان يكنى(٣٠٤) .

والثابت أنه اقترن بَسْعْدَةَ بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان فى خلافة أبيه(٣٠٥) . وربما اقترح عليه أبوه أن يَتَزَوَّج مُبَكِّراً ، فخطب له سَعْدة ، ليبتهج بزواجه فى حياته ، ويُوثِّق به الروابط الدموية والسياسية بينه وبين ذُرِّيَّة عثمان بن عفان ، فإن الخلفاء المروانيين كانوا حراصاً على تَماسُك الأسرة الأموية وتَلاحُم فروعها العثمانية والسفيانية والمروانية ، فأصهروا إلى عثمان بن عفان وأبنائه وحفدته ، كما أصهروا إلى يزيد بن معاوية بن أبى سفيان وأولاده فقد تَزَوَّجَ مروان بن الحكم

---

(٣٠١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٢٩ ، ٣٣٤ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٥١ ، وعيون الأخبار ٢ : ٤٢ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق ، رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة : ١١٢ وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ١٩ ظ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥١ ، وخزانة الأدب ١ : ٣٢٩ .

(٣٠٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٦ .

(٣٠٣) مروج الذهب ٣ : ٢٦١ .

(٣٠٤) نسب قريش ص : ١٦٧ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٧٢ .

(٣٠٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٥٣ ، والأغانى ٧ : ٢٦ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٩١ .

أمَّ أبان بنت عثمان بن عفان[٣٠٦] ، وتزَوجَ عبد الملك بن مروان أمَّ أيوب بنت عمرو بن عثمان بن عفان[٣٠٧] ، وتزَوَّج سليمان بن عبد الملك عائشة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان[٣٠٨] ، واقترن يزيد بن عبد الملك بأختها سَعْدَة[٣٠٩] ، واقترن هشام بن عبد الملك بأمِّ عثمان بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان[٣١٠] ، وبنى عبد الملك بن مروان بعاتكة بنت يزيد بن معاوية[٣١١] ، وبنى سليمان بن عبد الملك بأمِّ يزيد بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية[٣١٢] .

وربَّما أصْهَرَ الخلفاء المروانيون إلى عثمان بن عفان وأبنائه وحفدته أكثر من إصهارهم إلى يزيد بن معاوية وأولاده ، تَقْوِيةً لوشائج الرحم والدم بينهم وبين ذُرِّيَّة عثمان ، وتَسْويغاً لما أذاعوه من أنهم ورثوا الخلافة عنه ، ومنعاً لذريته وذرية يزيد بن معاوية من مُنَازعتهم فى المُلْك !

ولما كان يزيد بن عبد الملك مُصْهِراً إلى عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، عم سعيد ابن خالد ، وكان سعيد مُجَاوِرا ليزيد بدمشق[٣١٣] ، صديقاً له ، غالباً عليه ، مُتَصَرِّفاً فى خلافته[٣١٤] ، فقد ساعد ذلك على اختياره بنت سعيد قرينة لابنه الوليد .

ولم تَطُلْ إقامة سعدة عند الوليد بعد موت أبيه ، فقدالْتَوَتْ علاقتُه بها وتكدَّرت ، وفَتَرَتْ عاطفته نحوها ، إذ هام حُبًّا بأختها سلمى[٣١٥] ، وأراد أنْ يَتَزَوَّجها ، وكان من المستحيل أنْ يَجْمَع بين الأختين ، لأن الشريعة الإسلامية تُحَرِّمُ الجَمْعَ بينهما ، فَطَلَّق سَعْدَةَ لِيَقْتَرنَ بأختها سلمى ، فَصُدَّ عنها ، ومُنِعَ من زيارتها ورؤيتها زَمناً[٣١٦] ، فَنَدِمَ على تَطْلِيقه سَعْدَةَ ، وغَمَّه فراقُها ، فَسَعى فى إرْجَاعها ، وبعث إليها أشْعَبَ المُضْحِكَ[٣١٧] ، فَرَدَّته بقوة ، بل إن وساطته بينهما فَجَّرَتْ حَنَقَ

---

(٣٠٦) نسب قريش ص : ١٦١ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٨٧ .

(٣٠٧) نسب قريش ص : ١٦٤ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٤٢٠ .

(٣٠٨) نسب قريش ص : ١٦٦ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٩١ .

(٣٠٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨٦ ، وانظر قريش ص : ١٦٧ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٦٦ .

(٣١٠) نسب قريش ص : ١٦٨ .

(٣١١) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٢٠ .

(٣١٢) نسب قريش ص : ١٦٥ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٩١ .

(٣١٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨١ .

(٣١٤) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٤ .

(٣١٥) الأغانى ٧ : ٢٦ .

(٣١٦) الأغانى ٧ : ٣٠ .

(٣١٧) العقد الفريد ٤ : ٤٥٣ ، والأغانى ٧ : ٢٧ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٧٥ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٤٧٤ ، ونهاية الأرب ٤ : ٣١ .

سَعْدَةَ على الوليد ، وأجَّجَتْ كُرْهَها له ، وزَادتْ من استِهانَتِها به ، لأنه أهْمَلها وجَفَاها وطَلَّقها . ثم تَزَوَّجَتْ بشر بن الوليد بن عبد الملك (٣١٨) ، خَصْمَ الوليد اللدود (٣١٩) ، لِتَكُفَّ الوليد عن مُلاحَقَتِها ، وتَنْتَقِمَ منه لنفسها ، وتُعَكِّرَ عليه صَفو حياته ، كما عَكَّر عليها صَفْوَ حياتها .

وأمَّا امرأةُ الوليد الأمويةُ الثانية فهى عاتكةُ بنت عثمان بن محمد بن عثمان بن محمد بن أبي سفيان (٣٢٠) . وكأنما كان لِجَدَّتِهِ عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان دَوْرٌ فى اختيارها حليلة له ، فهى بنت عمها ، وبنى الوليد بعاتكة فى الفترة التى تَلَتْ تَطْلِيقَه سَعْدَة ليَتعزَّى بها عن إخفاقه فى زواجه الأول ، ويَتَسَلَّى عن حِرْمانِه من سَلْمَى ، فإن عثمان بن عاتكة لم يكن قد احْتَلَم يوم عَقَد له الوليد ولاية العهد ، ولم يبلغ الخامسة عشرة من عمره يوم قُتِلَ أبوه .

وأمَّا امرأةُ الوليد الأموية الثالثة فهى سَلْمى بنتُ سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وقصة عشقه لها ، وزواجه بها تُشْبهُ قصص الحب العذرى فى نُشُوئها وتطور أحداثها وتعقدها ونهايتها ، فهى تبدأ بشغفه بسلمى حين عَادَ أباها بالفَدَّيْنِ (٣٢١) من أرض حوران (٣٢٢) ، أوحين زارت سلمى أختها سعدة بدمشق (٣٢٣) . وكانت سلمى من أَجْمَلِ الفتياتِ وَجْهاً ، وأكْمَلِهنَّ حُسْناً ، فوقعت فى قلب الوليد ، ومَلأتْ عليه نفسه ، وغَدَتْ تُمَثِّلُ فتاة أحلامه . فاضطربت صلته بأختها سعدة ، وانتهت بتطليقه إياها ليحظى بأختها . ثم خطب سلمى إلى أبيها فَتَأَبَّى عليه ، ورَدَّه رداً قبيحاً ، إذ قال له : « أما تُريدُ منى أن أتَّخذَكَ فَحْلاً لِبنَاتى (٣٢٤) » ! وكان لهشام بن عبد الملك تأثيرٌ كبيرٌ فى دَفْع سعيدٍ للوليد ، فقد كانت أم عثمان بنت سعيد عند هشام وكان هشام يَمْقُتُ الوليد ويَتَرَبَّصُ به ، فكاد له عند سعيد ، إذ كتب إليه : « إياك أن تُزَوِّجَ الوليد وقال له : « أيُريدُ الوليدُ أنْ يكونَ فَحْلاً لبناتك ، يُطَلِّقُ واحدةً ، ويَتَزَوَّجُ أخرى (٣٢٥) » ! فَتَعَثَّرتْ خِطْبَة الوليد لسلمى ،

(٣١٨) العقد الفريد ٤ : ٤٥٣ ، والأغانى ٧ : ٢٦ .

(٣١٩) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٤ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٩ ، والأغانى ٧ : ٧٥ .

(٣٢٠) نسب قريش ص : ١٦٧ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٩١ .

(٣٢١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٤ ، والأغانى ٧ : ٢٦ .

(٣٢٢) يذكر أبو الفرج أنه كان لسعيد بن خالد قصر بقُرَيْن من اليمامة ، وأنه كان مُبْتَدِّياً به حين عادَهُ الوليد ، ورأى سلمى . (انظر الأغانى ٧ : ٢٦ ، ٢٩) ، والصحيح أن رَسْمَ القُرَيْن محرف عن الفَدَّيْن ، وإنما كانت قراه وضياعه وقصوره فى المدينة والشام فقط ، (انظر جمهرة أنساب العرب ص : ٨٥ ، ومعجم البلدان ٣ : ٨٥٩ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ١٢٥) .

(٣٢٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٩ .

(٣٢٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ .

(٣٢٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٤ .

وامتعض من أبيها ، وضَجَّ بالشكوى منه ، وتأذّى كلٌ منهما بصاحبه ، وأَفْحَشَ عليه ، فكان الوليد يراجع سعيداً ، وسعيدٌ يَرْفُضُه ، فأخذ الوليد يَذُمُّه ويُوَبِّخُه ، وكان سعيد يعتصم بهشام بن عبد الملك ، ولايستطيع أن يَعْصى له أمراً فجعل يُناهِضُ الوليد ، ويُقابِلُ إساءتَه بمثلها مُقَرِّعاً لَهُ . ومُسْتخفاً به ، وكان يقول للوليد : « إنَّ المرءَ يجعل كريمتَهُ عندَ مِثْلِكِ لحقيقٌ بأكثرَ مماقلت »(٣٢٦). وكان الوليد يعرف أن هشاماً هو الذى مَكَر به ، وزَيَّن لسعيد أن يَجْفُوه ويَزْجُرَه ، فكان يقول : العجبُ لسعيد ! خطبت إليه فَرَدَّنى ، ولو قد مات هشام ، وَوُلِّيت لَزَوَّجَنى . وهى طالق ثلاثاً إنْ تَزَوَّجْتُها حينئذٍ ، وإنْ كنتُ أهواها »(٣٢٧) ، وامتدت الخصومة بين الوليد وسعيد إلى بناتهما ، إذ كانت سلمى تُفاخِرُ بِنْتاً للوليد ، وتَدَّعى أنَّ أباها يَصْلُحُ للخلافة ، لأنه ابن الخليفة عثمان بن عفان ، فكانت بنت الوليد تُسَفِّهُها وتُغْلِظُ لها فى القول(٣٢٨).

واسْتَبَدَّتْ سلمى بفؤاد الوليدِ مُدَةَ ولايته للعهد ، واستولت على عواطفه ، وشَغَلَتْ فِكْرَه ، وضاعف من شوقه إليها ، وتَعَلُّقِه بها أنها حُجِبَتْ عنه ، فكان يخرج إلى الفَدَّيْن ويطوفُ بِقَصْرِها لِيَراها ، فلما لم يَنْتَفِعْ بِطَوافِهِ حَوْلَ قصرها ، تَخَفَّى فى زِىِّ زَيَّاتٍ فأَبْصَرها(٣٢٩) . ولم يَنْقَطِع عن مُلاَحَقَتِها ومُرَاقَبتها ، فبالغ أبوها فى حِراسَتِها ثم اضطر إلى الرحيل بها من حوران إلى المدينة(٣٣٠) ، لِيَنْجُو من تَعَقُّب الوليد لها . ولكن رَحِيلَهُ بها لم يَصْرِفِ الوليد عن حبها ، فقد ظَلَّ يَحِنُّ إليها ، ويَهْذِى باسمها حتى بويع بالخلافة ، فلم يكن له هِمَّةٌ إلاَّ أن يتزوجها ، فأرسل إلى أبيها فَخَطبها إليه ، فَرَضَخَ له ، فقيل للوليد : قد كنت حلفت بطلاقها ثلاثاً إذا تزوجتها ، وأنت إمام فلايَصِحُّ أنْ تَبْنِىَ بها ، فاستقدم الفقهاء من المدينة ليسألهم عن يمينه(٣٣١) ، فقال بعضهم : هى طالق ، .وقال آخرون : لاطلاق إلاَّبعد النكاح ، فامْتَثَل لِفَتْوَى من أَقَرُّوا الطلاق ، مخافة أن يتخذ الناس زَواجه بسلمى سُنَّةً فأمسك عن سلمى ، وزوجها أبوها ابن أخى الوليد ، فَدَخَل بها ، ثم طَلَّقها . وانتظر الوليد حتى انقَضَتْ عِدَّتها ، فخطبها وتَزَوَّجها(٣٣٢) .

ولم تَتَّصِلْ فَرْحَة الوليد بسلمى ، ولادامت مَسَرَّتُهُ بها ، فإنها لم تلبث أنْ مرضت وماتت .

---

(٣٢٦) الأغانى ٧ : ٣٤ .

(٣٢٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٠ ، والأغانى ٧ : ٢٦ ، ٣٤ .

(٣٢٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٠ .

(٣٢٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٥ ، والأغانى ٧ : ٢٩ .

(٣٣٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ ، والأغانى ٧ : ٢٩ .

(٣٣١) معجم البلدان ٣ : ٨٥٩ .

(٣٣٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٩ .

ويختلف الرواة فى المدة التى أقامتها عنده ، فالمُقَلِّلُ منهم يقول : إنها اعتَلَّتْ حين حُمِلَت إليه من المدينة ، وماتت ليلة أُدْخِلَتْ عليه ، أو بعدها بثلاث ليالٍ أو سبع ليال (٣٣٣) ، والمُتَوسِّط يقول : إنها مكثت عنده أربعين يوماً (٣٣٤) ، والمكثر يقول : إنها لبثت عنده عاماً (٣٣٥) . ولا يستفاد من شعر الوليد أن سلمى توفيت ليلَة زُفَّتْ إليه ، فهو يذكر أنه اقترن بها (٣٣٦) . والراجح أنها عاشت معه مدةً يسيرةً ، إذ يشير فى رثائه لها أنه لم يعاشرها إلاَّ فترةً قصيرةً (٣٣٧) .

وأكثر ما بقى من شعر الوليد فى النسيب بسلمى . وهو يشرح فيه قصة حُبِّهِ لها بكل تفاصيلها . إذ يتوسل فى بعضه إلى أبيها بعد أن خضع لرأى هشام بن عبد الملك ، وازور عن الوليد ، أنْ يَقْبَلَهُ زوجاً لابنته ، مذكراً له بما يربط بينهما من أواصر القربى التى توجب عليه أن يُرَحِّبَ به ، وَيرْتَضِيه صهراً له ، كقوله (٣٣٨) :

أبا عثمانَ هَلْ لَكَ فى صَنيعٍ تُصِيبُ الرُّشْدَ فى صِلَتى هُدِيتَا
فأَشْكُرَ منك ما تُسْدى وتُحْيِى أبا عثمانَ مَيْتَةً ومَيْتَا

وَيَسْخَرُ فى بعضه بسعيدَ بن خالد سخرية لاذعة موجعة ، لإصراره على رَفْضِه ، وتماديه فى تحاميه ، كقوله يَتَهكَّمُ منه ، ويصور ما فُطِرَ عليه من غِلَظِ القَلْبِ ، وجَفاءِ الطَّبْعِ ، ولُؤْم النفس (٣٣٩) :

ومَنْ يَكُ مِفتاحاً لِخَيْرٍ يُرِيُدهُ فإنَّكَ قُفْلٌ يا سعيدُ بن خالِد

وبلغَ الوليدَ أنَّ سلمى جَزِعَتْ لما جرى بينه وبين أبيها ، وأنها بكت ، وأَقْذَعَتْ فى سَبِّه ونالت منه ، فأخذ يستعطفها مُبَيِّناً لها أنه يَوَدُّ أباها ويحترمه ، كما يحبها ويُجِلُّها ، وإنما أخرجه عن طوره أن أباها تمادَى فى صَدِّه ، مُسْتَعْذِباً لَوْمها ، ومُسْتَسِيغاً امتعاضِها ، ومُقْسِماً لها أنه لن يَكُفَّ عن الاعتذار إليها حتى تصفح عنه ، يقول (٣٤٠) :

عَتِبَتْ سلمى علينَا سَفاهَا أنْ سَبَبْتُ اليومَ فيها أَبَاهَا

---

(٣٣٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ .
(٣٣٤) الأغانى ٧ : ٦٥ .
(٣٣٥) الأغانى ٧ : ٣١ .
(٣٣٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٦ ، والأغانى ٧ : ٣٠ .
(٣٣٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى : ٣٢٠ ، والأغانى ٧ : ٣١ ، ٦٥ .
(٣٣٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٤ ، والأغانى ٧ : ٣٠ .
(٣٣٩) الأغانى ٧ : ٣٥ .
(٣٤٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٠ ، والأغانى ٧ : ٣٤ .

كان حَقُّ العَتْبِ يا قَوْمُ مِنّى ليسَ منها كانَ قَلْبى فِدَاهَا
فَلَئِنْ كنتُ أردَتُ بِقَلْبى لأَبى سلمَى خِلاَفَ هَواهَا
فَثَكِلْتُ اليومَ سَلْمى فَسلمَى مَلأَتْ أَرْضى معاً وسَماهَا
غَيْرَ أَنّى لا أَظُنُّ عَدُوًّا قد أَتَاها كاشحاً بِأَذَاهَا
فَلَها العُتْبَى لَدَيْنَا وقَلَّتْ أبداً حتّى أنالَ رِضَاهَا

ويقول واصفاً لَوْمَها له ، وإنكارها عُنْفَهُ بأبيها واعْتداءهُ عليه(٣٤١) :

وقالتْ عند هَجْرَتِنَا أَبَاهَا أَرَدْتَ الصُّرْمَ فانْتَدِهِ انْتدَاهَا(٣٤٢)
أَرَدْتَ بِعَادَنَا بِهجاءِ شَيْخى وعندكَ خُلَّةٌ تَبْغِى هَواهَا(٣٤٣)

واعتذر إلى أبيها اسْتِرضَاءً له ولها ، فَصَرَّحَ بأنَّ ما وقع بينهما من نزاعٍ وشقاقٍ سَبَبُه تَسَرُّعها ، وأكد أنه يُصْفِى له المودة ويُصِحُّهَا ، أملاً أن يسكت عما ثار بينهما وينساه ولا ينطق به فى مجالسه ، وأن يُطَهِّر نَفسه من الحقد والبُغْضِ ، حتى تستقيم العلاقة بينهما ، إذ يقول له(٣٤٤) :

أَلاَ أَبْلغْ أَبَا عُثْمَا نَ عِذْرَةَ مُعْتِبٍ أَسِفَا(٣٤٥)
فَلَسْتُ كَمنْ يَوَدُّكَ بالْـ ـلِّسانِ ويُكْثِرُ الحلِفَا
عَتِبْتَ عَلَىَّ فى أَشيا ءَ كانَتْ بَيْنَنا سَرَفَا(٣٤٦)
فلا تُشْمِتْ بِى الأعدا ءَ والجِيرانَ مُلْتَهِفَا(٣٤٧)
تَوَدُّ لَو أَنّى لَحْمٌ رَأَتْهُ الطَّيْرُ فاخْتُطفَا
ولا تَرْفَعْ بِهِ رَأْساً عَفَا الرَّحمنُ ما سَلَفَا(٣٤٨)

ولكن سعيداً لم يَغْفِرْ للوليد زَلَّته ، ولم يُقَدِّر اعترافه بالخطأ ، ولم يَكْتَرِثْ لصداقته ، بل ظل مُعْرِضاً عنه ، حانقاً عليه ، يتحاماه وينفر منه ، ولا يتيح له أن يزور سلمى ويجاذبها أطراف الحديث ، لأن هشام بن عبد الملك نهاه وَتَوَعّده ، فأخذ الوليد يَتَرَدَّدُ على قصر سعيد بالفَدَّيْن لعل

---

(٣٤١) الأغانى ٧ : ٣٥ .
(٣٤٢) انتده : ازدجر .
(٣٤٣) الخلة : الصديقة .
(٣٤٤) الأغانى ٧ : ٣٥ .
(٣٤٥) أعتب الرجل : أرضى صاحبه ، ورجع إلى مسرته .
(٣٤٦) السرف : مجاوزة القصد ، والجهل ، والخطأ .
(٣٤٧) الملتهف : الحزين المتحسر المغيظ .
(٣٤٨) لا ترفع به رأساً : لا تذكره ولا تعلنه .

سلمى تَعْلَمُ به ، فتَرِق لحاله ، وتخرج لمقابلته ، فيمتِّع نفسه بمشاهدتها وتكليمها . فلما استعصى عليه لقاؤها ، وبَـرَّح به الشوق إلى رؤيتها ، انتحل شخصية غير شخصيته . فَحَظِيَ بالنَّظر إليها ، وشَفَى بَعْضَ وَجْدِهِ بها ، إذ مر به زَيَّاتٌ معه حمار ، عليه زيت ، قرب القصر ، فقال له : هل لك أن تأخذ فرسي وتعطيني حمارك ، وتأخذ ثيابي وتعطيني ثيابك ؟ ففعل الزَّيَّاتُ ذلك ، وجاء الوليد ، وعليه الثياب ، وبين يديه الحمار ، يسوقه مُتَنكِّراً . حتى دخل قصر سعيد ، فنَادَى : من يشترى الزيت ؟ فاطَّلع بعض الجوارى ، فرأينه ، فدخلن إلى سلمى وقلن لها : إن بالباب زياتاً أشبه الناس بالوليد ، فاخرجى فانظرى إليه ، فخرجت ، فرأته ورآها ، فرجعت القهقرى ، وقالت : هو والله الوليد ، وقد رآنى ! فقال الجوارى : لا حاجة بنا إلى زيتك ، فانصرف ، وسجل الوليد مغامرته فى شعره ، فقال (٣٤٩) :

إنَّنى أَبْصَرْتُ شَخْصاً حَسَنَ الوَجْهِ مَليحْ
لابساً أثوابَ سُوءٍ مِنْ عَباءٍ ومُسُوحْ (٣٥٠)
وأبيعُ الزَّيْتَ بَيْعاً خاسراً غيـرَ رَبيحْ

وقال يصور ازورار سلمى عنه بعد أن عرفته ، فأخرجته من ساحة القصر ، وأغلقت بابه من دونه (٣٥١) :

فما مِسْكٌ يُعَلُّ بِزَنْجَبيلٍ ولا عَسَلٌ بأَلْبَانِ اللِّقَاحِ
بأشهىَ من مُجَاجةِ ريقِ سلمَى ولا ما فى الزِّقاقِ من القَراحِ
وَلاَ واللهِ لا أَنْسَى حَياتى وِثَاقَ البابِ دُونى واطِّراحى

ويدور أغلب نسيب الوليد بسلمى أثناء ولايته للعهد على وصف غرامه بها ، ولَهْفَته عليها ، وما يقاسى من تباريح هواها ، إذ يقول متغنياً بوفائه لها ، ومتمنياً أن تبادله حُبًّا بحبٍ ، وإخلاصاً بإخلاص (٣٥٢) :

أَرَانى اللهُ يا سلمَى حَياتى وفى يَوْم الحسابِ كما أَرَاكِ
أَلا تَجزِين مَنْ نَحَّيْتِ عُمْراً ومَنْ لو تَطْلُبينَ لقد أَتَاكِ
ومَنْ إنْ مِتِّ ماتَ ولا تَمُوتى وإنْ أُنسى لَهُ أَجَلٌ بَكاكِ

---

(٣٤٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٥ ، والأغانى ٧ : ٢٩ .

(٣٥٠) المِسْحُ : الثوب من الشعر .

(٣٥١) الأغانى ٧ : ٢٩ .

(٣٥٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٥ ، والأغانى ٧ : ٣٨ .

ومَنْ حَقًّا لو أُعْطِىَ ما تَمَنَّى　　من الأرضِ العَرِيضَة ما عَداكِ
وَمَنْ لَوْ قُلْتِ مُتْ : فأطاقَ مَوْتاً　　إذنْ ذَاقَ المماتَ وما عَصَاكِ
أَثِيبِى هَائماً كَلِفاً مُعَنًّى　　إذا خَدِرَتْ لَهُ رِجْلٌ دَعَاكِ (٣٥٣)

ويقول مصوراً نزوعه إليها ، ولوعته بها ، فهى شُغْلُهُ فى حياته ، بل قَدَرُهُ الذى كتب الله عليه أن يشقى به ، ويأرق له (٣٥٤) :

بَلِّغَا عَنِّى سُلَيمَى　　وسَلاَهَا لِىَ عَمَّا
فَعَلَتْ فى شَأْنِ صَبٍّ　　دَنِفٍ أُشْعِرَ هَمَّا (٣٥٥)
ولقدْ قُلْتُ لِسَلْمَى　　إذْ قَتَلْتُ البيْنَ عِلْمَا
أنت هَمِّى يا سُلَيمَى　　قدْ قَضَاهُ الرَّبُّ حَتْمَاَ
نَزَلَتْ فى القَلْبِ قَسْراً　　مَنْزِلاً قدْ كانَ يُحْمَى

ويقول واصفاً ما آلت إليه نفسه من انقباض واكتئاب بعد أن سَلَبَتْ سلمَى عَقْلَهُ ، فهى لا تخطر بباله حتى يخفقَ قلبُه ، وتغرقَ عيناه بالدَّمْعِ ، وَيئِنَّ وَينْتَحِبَ . وإنها لتغالى فى هجره وجفائه ، فتزيده حُرْقَةً إلى حُرْقة ، وبيدها أن تَمُنَّ عليه بنظرة تُطْفِئُ شَوقه (٣٥٦) :

مَنْ لِقَلْبٍ أَمسى كئِيباً حَزِيناً　　مُسْتَهاماً بين اللَّهَا والتَّراقِى (٣٥٧)
أَمَّ سلاَّم ما ذكَرْتُكِ إلاَّ　　شَرِقَتْ بالدُّموعِ منى المآقى
أَمَّ سَلاَّم ذِكْرُكُمْ حيثُ كُنْتُمْ　　أنت دَائى وفى لِسَانِكِ راقى
حَذراً أنْ تبينَ لى دَارُ سَلْمَى　　وَتجِيءَ الدّنيا لها بِفِراق

ويقول شاكياً سهره وقلقه ، وما يطبق عليه من آلام فى ليله ، لشدة تفكيره فى سلمى ، وهى لاهية عنه ، لا تعبأ به ، راجياً أن تُنَوِّلَهُ حتى تبقى على حياته ، فإنها إن لَجَّتْ فى مطله وقطيعته قَرَّبَتْ حَتْفَهُ ، وإنه لَيَقْبَلُ قَضَاءَها فى حُبِّه لها ، ولا يطلب سوى إنصافها (٣٥٨) :

---

(٣٥٣) كانت العرب تقول : إن الإنسان إذا خدرت قدمه دعا باسم أحب الناس إليه فسكنت .

(٣٥٤) الأغانى ٧ : ٣٩ .

(٣٥٥) الدنف : المريض الذى دنا من الموت . وأُشْعِرَ هَماً : غَشِيَه الهَمُّ .

(٣٥٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص ٣١٦ ؛ والأغانى ٧ : ٨٤ .

(٣٥٧) اللَّهَا : جمع اللَّهاة ، وهى من كل ذى حلق اللحمة المشرفة على الحلق ، وقيل هى منقطع أصل اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم . والتراق : جمع ترقوة ، وهى مقدم الحلق فى أعلى الصدر .

(٣٥٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٦ ، والأغانى ٧ : ٩١ .

نامَ مَنْ كانَ خَلِيًّا مِنْ أَلَمْ ... ولقدْ بِتُّ شَجِيًّا لمْ أَنمْ
أَرْقُبُ النَّجْمَ كأنى مُسْنَدٌ ... بأَكُفِّ القومِ تغْشانى الظُّلَمْ
إنَّ سَلْمَى ولنا مِنْ حُبِّها ... دَيْدَنٌ فى القلبِ ما اخْضَرَّ السَّلَمْ
قد سَبَتْنى بِشَتِيت نَبْتُهُ ... وثنايا لَمْ يَعِبْهُنَّ قَضَمْ[٣٥٩]
أُحْكُمى فى الوَصْلِ إذْ وُلِّيتِهِ ... ليس قَتْلُ النَّفْسِ مِنْ عَدْلِ الحَكَمْ

ويقول مُرَجِّعاً أحزانه ومواجعه ، وسائلاً لَها أن تحتقر عُذّاله وتردهم مغيظين[٣٦٠] :

يا سُلَيْمَى يا سُلَيْمَى ... كنتِ للقلبِ عَذابَا
يا سليمَى ابنَةِ عَمِّى ... بَرَدَ الليلُ وطابَا
أَيُّمَا واشٍ وشى بى ... فاملَئى فاهُ تُرابَا

ويقول مُتَحَسِّراً على بُعْدِها ، فهى بهجة حياته ، وإنه ليتَضَرَّعُ إليها أن تعطف عليه ، فقد ذهبت بِرَوْعَة أيامه ، لطول عزوفها عنه ، واتصال ظلمها له ، فأصبح مسلوب الفؤاد ، شارد العقل[٣٦١] :

أمَّ سَلاَّمَ أثيبى عاشِقاً ... يَعْلَمُ اللهُ يقيناً رَبُّهُ
أنكمْ مِنْ عَيْشِهِ فى نَفْسِهِ ... يا سليمَى فاعْلَميهِ حَسْبُهُ
فارْحَميهِ إنَّهُ يَهْذى بكمْ ... هائمٌ صَبٌّ قد اودَى قَلْبُهُ
أنتِ لو كنتِ لهُ راحمةً ... لم يُكَدَّرْ يا سُلَيْمَى شِرْبُه[٣٦٢]

ويقول أسفاً على حرمانه منها ، فهى جَنَّتُهُ فى دنياه ، وإنه ليأمل أنْ يَلْتَئِم شَمْلُهُ بها ، داعياً لها بالسلامة واليمن ما عاشت[٣٦٣] :

أُمَّ سَلاَّمَ لا بَرِحْتِ بِخَيْرٍ ... ثمَّ لا زِلْتِ جَنَّتى ما حَيِيتِ
طَرَباً نَحْوَكُمْ وشوقاً وتوقاً ... لادِّكَارِيكُمْ وطِيب المَبِيتِ
حيثُما كنتِ من بلادٍ وسِرْتُمْ ... فَوَقَاكِ الإلهُ ما قدْ خَشِيتِ

ويقول ضائقاً بمعاناته فى حبها ، فقد أهزلته وَحطَّمت قلبه ، متوسلاً إليها أن ترحمه ، حتى تُخَفِفَ تَعَسَهُ ، وتُنْعِشَ نَفْسَه[٣٦٤] :

---

(٣٥٩) القضم : تكَسُّرٌ أو تَثَلُّمٌ فى أطراف الأسنان .
(٣٦٠) الأغانى ٧ : ٤٠ .
(٣٦١) الأغانى ٧ : ٤٢ .
(٣٦٢) الشرب : الماء ، والمورد .
(٣٦٣) الأغانى ٧ : ٤٢ .
(٣٦٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٢ ، والأغانى ٧ : ٨٤ .

أُمَّ سَلاَّمَ لولَقِيتِ مِنَ الـ ـوَجْدِ عَشِيرَ ما لَقِيتُ بَراكِ
فأَثِيبِى بالوُدِّ صَبًّا عَمِيداً مُسْتَهاماً لم يَشْجُهُ مَا شَجاكِ(٣٦٥)

ولِشِدَّةِ وَلَهِهِ بها لازمته صورتها فى نهارِهِ وليله ، وجعل يهتف باسمها فى يَقَظَتِه وغَفْلَتِهِ ، فكان يمضى يومه يفكر فيها ، فإذا هجع فى مرقده أَلَمَّ به خيالها ، فأَرَّقَهُ وهَاجَ أحزانه ، وَحَرَّك مَوَاجِدَهُ ، يقول(٣٦٦) :

طاف مِنْ سَلْمَى خَيَالٌ بَعْدَمَا نِمْتُ فَهَاجَا
قُلْتُ عُجْ نَحْوِى أُسَائِلْـ ـكَ عَنِ الحُبِّ فَعَاجَا
يَـــا خَلِيلِى يَـــا نَدِيمِى قُمْ فَأَنْفُثْ لى سِرَاجَا(٣٦٧)
بِفَلاةٍ لَيْسَ تُرْعَى أَنْبَتَت شِيحاً وحَاجَا(٣٦٨)

ويقول مُصَوِّراً زيارة طيفها له ، وقد نام أصحابه ، عاجباً من سيرِها نحوه ، وتَخَطِّيها الأميال الطويلة إليه ، وتَعَرُّضِها للأخطار والمهالك ، مع ما يعرف من رِقَّتها وتَنعُّمها ، وقِلَّةِ مُزَايَلَتِها لِبَيْتِها(٣٦٩) :

طَرَقَتْنِى وصِحَابِى هُجُوعٌ ظَبْيَةٌ أَدْمَاءُ مِثْلُ الهِلاَلِ(٣٧٠)
مِثْلُ قَرْنِ الشَمْسِ لمَّا تَبدَّتْ واسْتَقَلَّتْ فى رُؤُوس الجِبَالِ
تَقْطَعُ الأهوال نَحْوِى وكانتْ عندنَا سَلْمَى أَلُوفَ الحِجَالِ
كمْ أَجَازَتْ نَحْوَنَا مِنْ بِلادٍ وَحْشَةٍ قَتَّالةٍ للرِّجالِ

ويقول واصفاً هيامه بها ، وما كان من عذاب فى هواها حتى نَسِىَ صَوْمَه وصَلاتَه ، فهى أمنيته فى حياته ، وإنه لَيتمنَّى أنْ تأذن له بزيارتها ، ليسعد برؤيتها كما يسعد بخيالها الذى يطرقه كلما أصاب سِنة من النوم(٣٧١) :

أَرانى قَـدْ تَصَابَيْتُ وقَـدْ كُـنْتُ تَنَاهَيْتُ

---

(٣٦٥) العميد : المريض الذى لا يستطيع الجلوس حتى يُقَامَ من جوانبه بالوسائد ، ومنه اشتق القلب العميد ، أى الذى هَدَّه العشق وكسره .

(٣٦٦) الأغانى ٧ : ٤٢ .

(٣٦٧) أنفث : أصله نفث ، وهومُتَعَدٍّ بنفسه ، ومعناه : نفخ .

(٣٦٨) الحاج : نَبْتٌ من الحَمْضِ .

(٣٦٩) الأغانى ٧ : ٤٣ .

(٣٧٠) الأدماء : البيضاء .

(٣٧١) الأغانى ٧ : ٣٣ ، وانظر معجم البلدان ١ : ٧٨٥ .

ولو يَشْرُكُنى الحُبُّ لقدْ صُمْتُ وصَلَّيْتُ
إذا شِئْتُ تَصَبَّرْتُ ولا أَصْبِرُ إنْ شِيتُ
ولا واللهِ لا يَصْبِـرُ فى الدَّيْمُومَةِ الحُوتُ(٣٧٢)
سُلَيْمَى ليسَ لى صَبْرٌ وإنْ رَخَّصْتِ لى جِيتُ
فَقَبَّلْتُكِ أَلْفَيْنِ وفَدَّيْتُ وحَيَّيْتُ
ألا أَحْبِبْ بِزَوْرِ زَا رَ مِنْ سَلْمَى بِبَيْروتِ
غَزالٌ أَدْعَجُ العَيْنِ نَقِىُّ الجِيدِ واللِّيثِ(٣٧٣)

ويقول مصوراً ما كان يعتريه من هموم ، وما كان ينهمر على خديه من عبرات ، وما كان يَخْنُقه من زفرات كلما استعاد قصة حبه لسلمى ، مكرراً أن خيالها زاره ، وظل يداعبه حتى انبلجت أضواء الفجر(٣٧٤) :

تَذكَّر شَجْوَهُ القَلْبُ القَريحُ فَدَمْعُ العَيْنِ مُنْهَلٌّ سَفُوحُ
ألا طَرَقَتْكَ بالبَلْقاءِ سَلْمَى هُدُوًّا والمطىُّ بنا جُنُوحُ
فَبِتُّ قَريرَ العَيْنِ حَتَّى تَكَلَّمَ ناطقُ الصبحِ الفَصِيحُ

ولقوة حنينه إلى سلمى ، وطول حرمانه منها اختلطت صورتها بصورة مظاهر الطبيعة الحية فى وجدانه ، فكان يرى سلمى فى ظباء الصحراء(٣٧٥) ، وكان يَتَوهَّمُ أنَّ للطير صحبةً معها ، وأنه يعلم أخبارها ، فكان يتفاءل به ، إذا أبصره ، ويسأله عن أسرارها ، وكأنه شخص حقيق يصغى إليه ويَردُّ عليه ، كقوله يحاور الطير ويستنطقه(٣٧٦) :

خَبَّرُونى أَنَّ سَلْمَى خَرَجَتْ يَوْمَ المُصَلَّى
فإذا طيرٌ مَليحٌ فوقَ غُصْنٍ يَتَفلَّى
قلتُ : مَنْ يَعْرف سلمَى قالَ : هَا ثمَّ تَعَلَّى
قلتُ : يا طيرُ ادْنُ منى قال : هَا ثُم تَدَلَّى
قلتُ : هلْ أبصرَت سلمَى قال : لا ثمَّ تَوَلَّى
فنكا فى القَلْبِ كَلْماً باطِناً ثمّ تَعَلَّى

---

(٣٧٢) الديمومة : الصحراء البعيدة .

(٣٧٣) الدعج : شدة البياض مع شدة السواد . والليت : صفحة العنق .

(٣٧٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٩ .

(٣٧٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٠ ، والأغانى ٧ : ٤٨ .

(٣٧٦) الأغانى ٧ : ٣٦ .

ولم يزل الوليد يَنْسِبُ بسلمى ، وينشد نسيبَهُ بها جُلساءه وخاصته ، ويدفعه إلى المغنين ، وهم يلحنونه ، ويَصْدَحونَ به ، حتى ذاعت قصة حبه لسلمى فى البوادى والحواضر ، وتَلقَّف الفتيات نسيبه بها وتَرَاسَلْنَهُ وتَبادَلْنَهُ ، وشَدَوْنَ به مُتَرنِّحاتٍ مُعْجباتٍ ، وفى ذلك يقول(٣٧٧) :

شاعَ شِعْرى فى سُلَيْمَى وظَهَرْ ورواهُ كلُّ بادٍ وحَضَرْ
وتَهادَتْهُ العَذارَى بَيْنَها وتَغَنَّيْن بِهِ حَتَّى انتَشَرْ
قلتُ قولاً لسُلَيْمَى مُعْجِباً مِثْلَ ما قالَ جَمِيلٌ وعُمَرْ
لو رَأَيْنَا لِسُلَيْمَى أثراً لَسَجَدْنَا ألفَ ألفٍ للأَثَرْ
واتَّخَذْنَاهَا إماماً مُرْتَضىً ولكانَتْ حَجَّنَا والمُعْتَمَرْ
إنَّما بنتُ سَعيدٍ قَمَرٌ هلْ حَرِجنَا إنْ سَجَدْنَا لِلْقَمَرْ

وعَبَّر الوليد عن فرحته بسلمى ليلة أدخلت عليه ، كما عبر عن لَهْفَتِه عليها ، ولَوْعَته بها قبل أن يتَزَوَّجَها ، فإنَّ له قصيدة طويلةً صور فيها زَفَافها إليه ، فقد ظَلَّت تزين حَتَّى الفجر ، فأحَسَّ بِثقَل الوقت وبُطْئِهِ ، ثم خرجت من بيتٍ مجاورٍ لقصرِهِ فى موكبٍ حافلٍ ، تَحُفُّ بها خَمْسُ فتياتٍ ، فاقتهن حُسْناً وجَمالاً ، يقول(٣٧٨) :

خَفَّ من دَارِ جيرَتى يا خَليلَىَّ أُنْسُها
أَوَلا تَخْرُجُ العَرُو سُ فقد طالَ حَبْسُها
قد دَنَا الصُّبْحُ أو بَدَا وهى لم يُقْضَ لُبْسُها
خَرَجت كالمهاةِ فى ليلةٍ غابَ نَحْسُها
بَيْنَ خَمْسٍ كَواعبٍ أكرمُ الجِنْسِ جِنْسُها

ويقول مُبْتَهجاً بانْفِضَاضِ موكب زفافها ، وخُلُوِّه إليها ، فقد انتشى بها وجَذِلَ ، وأخذ يرقص معها ، مسترجعاً أيامه المُرَّةَ التى قضاها محروماً منها ، وعاتباً على القدر الذى باعد بينه وبينها ، وداعياً بِهَلاكِ العُذَّال ، حتى يَبْرَأَ المجتمعُ منهم ، وَيَنْجُوَ المحبون من أذاهم(٣٧٩) :

أنَا فى يُمْنَى يَدَيْهَا وهىَ فى يُسْرَى يَدَيَّهْ
إنَّ هـذا لَـقَضـاءٌ غيرُ عَدْلٍ يا أُخَيَّهْ
ليتَ مَنْ لاَمَ مُحِبًّا فى الهَوى لاَقَى مَنِيَّهْ

---

(٣٧٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٥ ، وأنظر العقد الفريد ٤ : ٤٥٤ .
(٣٧٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٠ ، والأغانى ٧ : ٣٠ .
(٣٧٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٦ .

فاسْتَراحَ النَّاسُ مِنْهُ مِيتَةً غَيرَ سَوِيَّهْ

وعندما اختطفت المنية سلمى منه ، حزن عليها ، ورثاها رثاءً حاراً ، وصف فيه كِبَرَ رُزْئه بها ، وقِلَّةَ عَزائِه فيها . إذ فُجعَ فى جمالها وشبابها وأخلاقها ، وسُلِبَ شقَّةَ نَفْسِه . فَحُقَّ له أن يبكى الأيام القصيرة الحلوة التى أمضاها معها ، يقول(٣٨٠) :

أَلَمَّا تَعلَمَا سَلْمى أَقَامَتْ مُضَمَّنَةً مِنَ الصَّحراءِ لَحْدا
لَعَمْرُكَ يا وليدُ لَقَدْ أَجَنُّوا بها حَسَباً ومَكْرُمَةً ومَجْدَا
وَوَجْهاً كانَ يَقْصُرُ عَنْ مَداهُ شُعاعُ الشمسِ أَهْلٌ أن يُفَدَّى
فلمْ أَرَ مَيِّتاً أَبْكَى لِعَيْنٍ وأَكثَر جازِعاً وأَجَلَّ فَقْدَا
وأَجْدَرَ أَنْ تكونَ لَدَيْهِ مِلْكاً يُرِيكَ جَلادَةً ويُسِرُّ وَجْدَا

ويقول واصفا ما ينتابه من الغم والكآبة والسَّأم كلما تذكر أنه افتقدها فى ربيع عمرها ، فقد كانت كالروضة الطيبة ، التى رجا أن يفىء إلى ظلها ، وينعم بخيراتها . وكان يرى أشجارها وهى تَشْتَدُّ سِيقانُها ، وتَتَفَرَّعُ أغصانُها ، وتتكَوَّنُ أزهارُها ، فكان يزداد حرصاً عليها ، ورعايةً لها ، حتى إذا نَضِجَتْ ثمارُها ، وحَانَ قِطَافُها ، هَبَّت رياحُ الخريف الهوجاء(٣٨١) فأَذْبَلَتْهَا وعصفت بها :

يا سَلْمُ كنتِ كَجَنَّةٍ قد أَطْعَمَتْ أَفْنَانُها دانٍ جَنَاها مُوضَعُ(٣٨٢)
أربابُها شَفَقاً عليها نَوْمُهُمْ تَحْليلَ مَوْضِعها ولمَّا يَهْجَعُوا(٣٨٣)
حتى إذا فَسَح الرَّبيعُ ظُنُونَهُمْ نَثَرَ الخريفُ ثِمارَها فَتصدَّعُوا

ذلك أكثر ما وصل من شعر الوليد فى النسيب بسلمى . وهو يشهد بأن غزله يقترب اقتراباً شديداً من الغزل العذرى ، وَيَلْتَحِمُ به التحاماً قوياً . فهو زاخر بمعانى الصَّبابةِ والشَّوقِ والحسرة والأسى المقيم الذى لا يَبْرَح . فقد غدت سلمى غاية أمانيه ، بل معبودته فى حياته . قَضَى زَهْرَةَ شبابه فى محراب حُبِّها ، يكتوى بنار هجرها وبُعْدِها ، وَيَلْهجُ باسمها ، ويَنْشُدُ وِصَالَها . لا يفكِّرُ فى غيرها ، ولا يجعل لسواها مكاناً فى قلبه ، مُخْلِصاً لها ، مع ما لَقِى من عذابٍ وحرمانٍ فى عِشْقِهَا ، ومُتَرَفِّعاً فيه عن الإفحاش والإسفاف . فلما بَنَى بها استقرت عواطفه ، وخُيِّل إليه أن الدنيا أقبلت عليه ، فَعَبَّرَ عن سعادته وفرحته . ولكن القدر سرعان ما انتزع منه قُرَّةَ عَيْنِه فانكبَّ على نفسه ، يبكى شريكة حياته ،

---

(٣٨٠) الأغانى ٧ : ٣١ .

(٣٨١) الأغانى ٧ : ٦٥ .

(٣٨٢) مُوضَع : مُنَضَّد .

(٣٨٣) شفقاً عليها : خوفاً عليها . والتحليل : النزول اليسير .

وَيندُبُ حَظَّه التعيس فى دنياه .

وأما ما رَدَّدَهُ من أن سلمى شغلته عن الصلاة ، وصرفته عن الصوم ، أو أنه لو عثَرَ بأثَرٍ لها لَسَجَدَ له ، أو أنها أصبحت كعبته التى يحج إليها ويطوف بها ، أو إمامه المرتضى الذى يَنْقَادُ له ، ويُسَلِّمُ أمرَه إليه ، فليس من المجون والعبث الفكرى ، والشك فى الدين ، وإنما هو من باب الظَّرْفِ والإطراف ، والرغبة فى الوُقوع على المعانى اللطيفة ، وقد استوحى أقله من الأساطير الشعبية ، واستوحى أكثره من الثقافة الدينية الإسلامية !

وأما أسلوب الوليد الغزلى فمعظم ألفاظه مستمدة من اللغة الدارجة ، وهو يَرَكِّبُ جُمَلَهُ وَيبْنيها بناءً يُشْبِهُ بناءَ الجملة فى اللغة المحكية ، وتَجْرى فى غزله بعض العبارات اليومية (٣٨٤) ، والأمثال الشعبية (٣٨٥) ، وتَلْتَوى بعضُ جُمَلِهِ وتتعقَّدُ ، وتَغْمُضُ معانيها ، ولاتَتَبَيَّنُ الصِّلَةُ بينها وبين غيرها (٣٨٦) .

وهو لا يَميلُ إلى التصوير فى غزله إلَّا قليلاً . وصورُهُ حضريةٌ ضَيِّقَةٌ ، قَرِيبةُ المأْخَذ ، لا عُمْقَ فيها ولا إبداع ، فإنَّ طاقته الفنية المرهقة المكدودة لم تُمكِّنْهُ من التَّحْليق بخياله ولم تُعِنْهُ على تَحْبيرمناظر واسعةٍ غنيةٍ . وهو لا يجنح إلى استلهام الصور الغزلية الصحراوية التى ابتكرها الشعراء الجاهليون وتعاقبوا عليها ، وتمسك بها خالفوهم من الشعراء الإسلاميين البدويين أو التقليديين .

ولا يظهر فى غزله أثر للتهذيب والتنقيح ، أو للفخامة والرصانة ، «لأنه لم يكن يَتَصَنَّعُ فى شعره ، ولم يكن يبالى بما يقوله منه» (٣٨٧) . بل كان ينشده كما تَفيضُ به قريحته ، ويَرْتَجِلُه كما يَتَيَسَّرُ له ، ولا يدَّخره زماناً لِيجُيلَ فيه نَظَره ، ويُحَكِّكَهُ وُيقوِّمَهُ ، ويُخلِيَهُ من العيوب والسقطات ، فإن نفسه المستهلكة المنهكة لم تكن تطيق الصبر على ذلك ، فقد كانت متوترةً مشحونةً بالمشاعر ، وكان هَمُّهُ مُتَّجِهاً إلى بثِّ مشاعرها وإفراغها بأقصى سرعة .

ويحس الإنسان بضعف محاولاته الغزلية الأولى وسذاجتها ، فهو يبدو فيها شاعراً ناشئاً لم تَنْضُجْ مَوْهِبَتُه ، ولم تَكْتَمِلْ ثقافَتُهُ ، ولم يُجاوِزْ مَرْحَلَة التَّدَرُّب عِلى نظم الشعر ، فكان يَصُفّ الكلمة بجانب الكلمة ، ويقدم ويؤخر الكلمات داخل الأبيات ، ويستكره الألفاظ ، وينزلها فى غير مواضعها ، ويجتلب بعض الغريب والمهجور (٣٨٨) ، ويتصرف فى صيغ الأفعال ، فيلحق الهمزة بالفعل

---

(٣٨٤) الأغانى ٧ : ٣٣ .

(٣٨٥) الأغانى ٧ : ٣٣ ، ٣٥ ، ٦٥ .

(٣٨٦) الأغانى ٧ : ٨٤ .

(٣٨٧) الأغانى ٧ : ٨٤ .

(٣٨٨) الأغانى ٧ : ٣٥ .

المتعدى (٣٨٩) ، ويأخذ ببعض وجوه الإعراب الشاذة ، مثل إلزام المثنّى الألف فى جميع أحواله (٣٩٠) ، ويرتكب بعض الضرورات العروضية كالسناد والإقواء (٣٩١) ، حتى يُؤلِّفَ الأبيات . ويستقيم له وزنها ، ويعقدها بالقوافى . فغلب على مقطوعاته الغزلية المبكرة غير قليل من الركاكة والهَلْهَلَةِ والضحالة والعقم . ولكن مقطوعاته الغزلية المتأخرة أرق من سابقاتها بدرجات ، فهى نغماتٌ صافية «خالصة» ، وألحان «موسيقية خفيفة راقصة» ، لِيُسْرِ ألفاظها وعُذُوبتها ، ورِقَّةُ جُمَلها وسهولتها ، وقِصَرِ أوزانها ورَشاقتها .

ولهذه الخصائص الموضوعية واللغوية والتركيبية والتصويرية أهميةٌ بالغَةٌ ، فهى مقياس «سليم» لتوثيق بقية ما يضاف إليه من الغزل ، وأساسٌ «صالحٌ» لتمييز صَحيحه من مَنْحُولِـه ، فكلُّ غَزَلٍ رَواه له الرواة المدققون ، وتَحَقَّقَتْ فيه تلك الخصائص كان من شعره الذى يطمأن إليه ، وَيُعْتَدُّ به ، وكلُّ غَزَلٍ رواه له الرواة المتَّهمون ، وغابت عنه تلك الخصائص ، وكان فى مَضْمُونه عُهْرٌ وفُجْرٌ ، وإباحة صريحة ، وإلحاد واضح ، وفى أسلوبه متانَةٌ وجزالةٌ . كان فى الغالب مَوْضُوعاً عليه أو مَنْحُولاً له .

٦ – أولاده

أَعْقَبَ الوليد خمسة عشر من البنين هم (٣٩٢) : سعيدٌ ، وأُمُّه سَعْدة بنت سعيد بن خالد ، وعثمانُ ، وأُمُّه عاتكة بنت عثمان بن محمد ، والعبَّاس ، والحَكَمُ ، ويزيدُ ، والعَاصى ، وموُسى ، وفَتْحُ ، وفِهْرٌ ، وقُصَىٌّ ، ولُؤَىٌّ ، وواسط ، وذؤابة ، ومؤمن ، والوليد ، لأمَّهات أولادٍ شتَّى من الجوارى . وتَرَكَ عِدَّةً من البنات (٣٩٣) ، منهن أَمَةُ اللهِ ، تزوجها عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك (٣٩٤) ، وأُمُّ الحَجَّاج ، تزوجها محمد بن يزيد بن الوليد ، ثم خَلَفَ عليها يحيى بن عبد الله ابن مروان بن الحكم (٣٩٥) .

(٣٨٩) الأغانى ٧ : ٤٢ .

(٣٩٠) الأغانى ٧ : ٣٥ .

(٣٩١) الأغانى ٧ : ٣٣ .

(٣٩٢) نسب قريش ص : ١٦٧ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٣٤ ، وجمهرة أنساب العرب ص ٩٢ .

(٣٩٣) سير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة : ١١١ ظ.

(٣٩٤) جمهرة أنساب العرب ص : ٩٢ .

(٣٩٥) جمهرة أنساب العرب ص : ٩٢ .

والحكم أهم أبناء الوليد[٣٩٦] . عقد له الوليد العهد ، واستعمله على دمشق ثم حبسه يزيد ابن الوليد ، وظل فى الحبس حتى انهزم سليمان بن هشام أمام مروان بن محمد على مشارف دمشق ، فأرسل سليمان إلى الحكم من اغتاله ، لأنه خاف إن بقى حيًّا أن يبايع له مروان بن محمد بالخلافة ، فينتقم من قتله أبيه[٣٩٧] .

وتُنسَبُ للحكم قصيدة تُسَجِّل تأزُّم الأوضاع السياسية فى الفترة الأموية الأخيرة ، إذ تشير إلى تَفَسُّخِ الأسرة المروانية وَتفرُّقها ، ومنازعةِ بعضها لبعض فى المُلكِ ، وإلى تَفَاقُم الخلاف والصراع بين القبائل العربية على السلطان ، ومشايعة اليمنية ليزيد بن الوليد ، ومناصرة المضرية لمروان ابن محمد ، وسعى مروان للأخذ بثأر الوليد ، واجتهاده فى القضاء على نفوذ اليمنية ، وتَمَسُّ وراثةَ الخلافة ، وتَسَلْسُلَها فى أبناءِ الخلفاء الصُّرَحاء ، وحَجْبَها عن أبنائهم الهُجَناء ، مما كان يُثِيرُ أبناء الخلفاء من الإماء ، ويدعوهم إلى التَّذَمُّرِ والتَّسَخُّط ، وتتضمن نِهايَتُها عَهْدَ الحَكَمِ بالخلافة لمروان ابن محمد ، وهى تنساب على هذا النحو[٣٩٨] :

أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ مَرْوانَ عَنِّى ... وَعَمِّى الغَمْرَ طال بِذا حَنِينَا
بأنِّى قد ظُلِمْتُ وصارَ قَوْمِى ... على قَتْلِ الوليدِ مُتَابعينا
أَيَذهب كَلْبُهُم بِدَمِى ومَالِى ... فلا غَثًّا أَصَبْتُ ولا سَمِينا
ومَروانٌ بِأَرْضِ بَنِى نِزارٍ ... كَلَيْثِ الغَابِ مُفْتَرِشٌ عَرِينا
أَلَمْ يُحْزِنْكَ قَتْلُ فَتَى قريشٍ ... وشَقُّهُمُ عِصِيَّ المُسْلِمينا
أَلاَفَاقْرِ السَّلاَمَ على قريشٍ ... وقيسٍ بالجزيرةِ أَجْمَعِينا
وسَادَ النَّاقِصُ القَدَرِىُّ فِينَا ... وألقى الحَرْبَ بَيْنَ بَنِى أَبِينا
فلو شَهِد الفوارسُ من سُلَيْمٍ ... وكَعْبٍ لم أكنْ لهمُ رَهِينا
ولو شَهِدَتْ لُيُوثُ بنى تَمِيمٍ ... لما بِعْنَا تُراثَ بَنِى أَبِينا
أَتَنْكَثُ بَيْعَتِى مِنْ أَجْلِ أُمِّى ... فَقَدْ بَايَعْتُمُ قَبْلِى هَجِينا[٣٩٩]

---

(٣٩٦) ترجمته فى تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٤١٠ .

(٣٩٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٨ ، ٣١١ ، ووفيات الأعيان ٧ : ١١١ .

(٣٩٨) تاريخ الطبرى ٧ : ٣١١ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٥٨ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٤١١ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٢٣ .

(٣٩٩) يشير إلى يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، فإن أمه فارسية ، وهى شاهفريد بنت كسرى بن فيروز بن يزدجرد بن شهريار . (انظر جمهرة أنساب العرب ص : ٨٩) .

فَلَيْتَ خُؤولَتِى من غَيْرِ كَلْبٍ وكانتْ فى ولادةِ آخرينا
فإنْ أَهْلِكْ أنا وَوَلِىُّ عَهْدِى فمروانٌ أمـيـرُ المؤمـنـيـنـا

والراجح أنَّ القصيدةَ مَوْضُوعةٌ ، وأنها وُضِعَتْ تلبيةً لرغبة مروان بن محمد ، لِيُثْبِتَ بها أنه الوارث الحقيقى للخلافة ، ويُضْفى على خلافته صفة الشرعية ، وأنها جاءته كما جاء الخلفاء السابقين من طريق العهد والميثاق . والبيت الأخير من القصيدة يكشف عن الغاية من صُنْعها ، فهو يشمل مبايعة الحكم لمروان بولاية أمر المسلمين ، وهو الوثيقة التى استند إليها مروان فى تأكيد حقه فى الخلافة ، إذ كان يقول : « أنا أطلب الخلافة عن بَيْعَة »(٤٠٠) . ويُرَجِّحُ وَضْعَ القصيدة أن المدائنى يروى عن بعض الشاميين أنَّ أبياتاً منها قيلت على لسان الحكم(٤٠١) . ولم يلتفت صانعها إلى أن الحكم لم يكن شاعراً ، وأنه لم يؤثر له غيرها ، بل التفت إلى أنه كان صغيراً ، فَقَدَّم لها بقوله : إن الحكم كان أدْرَكَ وتَزَوَّج ، ورُزِقَ ولداً قبل أنْ يُسْجَن (٤٠٢) ، لِيُسَوِّغَ استِيعابَهُ للقضايا السياسية التى عرضها فى القصيدة ، وَوَعْيَه لها . ولكن قوله الذى قدم به لها ليس بصحيح ، إذ يَنْقُضُه ما ذكره ابن حزم من أن الحَكَم ليس له عَقِب(٤٠٣) ، ويَهْدِمُه أيضاً مخالفته لأخطر ما أُخذَ على الوليد من أنه بايع للحكم وهو غلامٌ لم يَحْتَلِمْ(٤٠٤) !

وبايَعَ الوَليدُ لابنه عثمان بعد أخيه الحكم ، وَوَلَّاه على حمص (٤٠٥) . واغتيل عثمان مع أخيه الحكم فى السجن سنة سبع وعشرين ومائة(٤٠٦) .

وكان سعيد بن الوليد يُزَكِّى نفسه للخلافة ، ولم يكن له عَقِب(٤٠٧) . وهرب العباس بن الوليد إلى إفريقية سنة أربع وثلاثين ومائة ، ولم يكن له عقب(٤٠٨) . وفَرَّ العاصى ولؤى إلى إفريقية مع عبد الله بن مروان بن محمد ، وقُتِلَ العاصى بأرضِ النوبة ، قَتَلَهُ عبدُ الرحمن بن حبيب الفهرى(٤٠٩)

(٤٠٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٥٨ .

(٤٠١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٥٨ .

(٤٠٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٣١١ .

(٤٠٣) جمهرة أنساب العرب ص : ٩٢ .

(٤٠٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٢ .

(٤٠٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٠ .

(٤٠٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٢ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٤١٠ ، ووفيات الأعيان ٧ : ١١١ .

(٤٠٧) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٢٧٧ ، وانظر جمهرة أنساب العرب ص : ٩٢ .

(٤٠٨) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٧٢ ، وانظر جمهرة أنساب العرب ص : ٩٢ .

(٤٠٩) جمهرة أنساب العرب ص : ٩٢ .

وكان لِلُؤَيٍّ من الوَلَدِ يزيد والعباس . واستمر عَقِبُ فتح والوليد وتكاثروا[٤١٠] . وأما يزيد وموسى وفهر وقصى وواسط وذؤابة ، فلم يَتَّصِلْ نسْلُهُمْ ، ولا كانت لهم ذُرِّية[٤١١] .

ويزعم ابن حزم أن مؤمن بن الوليد هرب إلى إفريقية ، وأن أولاده رحلوا إلى الأندلس واستقروا بها ، وكان لهم سلطان بأشبيلية[٤١٢] . ورَوَى المدائنى أنَّ مُؤْمناً مات فى خلافة أبيه[٤١٣] . وفى شعر الوليد ما يؤيد رواية المدائنى ، فهو يقول فى رثاء مُؤْمنٍ . وقد نعاه إليه سنان الكاتب[٤١٤] :

أَتَانى سِنانٌ بالوَداع لِمُؤْمِنٍ ... فقلتُ له : إنِّى إلى اللهِ رَاجعُ .
وكيفَ بُكائِى مُؤْمناً ولقد أَرَى ... بأَنِّى له يا نَفْسُ لابُدَّ تَابعُ
ألاَ أيُّها الحَاثى عليه تُرابَهُ ... تَعِسْت وشُلَّتْ من يَدَيْكَ الأصابعُ
يَقُولونَ لا تَجْزَعْ وأَظْهِرْ جَلادَةً ... فكيفَ بِمَا تُحْنَى عليهِ الأَضَالِعُ !

(٤١٠) جمهرة أنساب العرب ص : ٩٢ .

(٤١١) جمهرة أنساب العرب ص : ٩٢ .

(٤١٢) جمهرة أنساب العرب ص : ٩٢ .

(٤١٣) الأغانى ٧ : ٦٩ .

(٤١٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٢. ، والأغانى ٧ : ٦٩ .

الفصل الثاني

تعليمه وثقافته

١ – عبد الصمد بن عبد الأعلى أشهر مؤدبيه

كان عبد الصمد بن عبد الأعلى بن أبي عمرة أوَّلَ مُؤدِّبي الوليد بن يزيد ، وأصدَقَهُم مودةً له ، وأقواهم اتصالاً به ، اختاره يزيد بن عبد الملك ، وكلَّفه بتربية ولده وتأديبه ، حين كبر وبلغ سن التعليم ، لمعرفته بمكانته الأدبية الرفيعة ، وثقته بقدرته التعليمية العالية .

وأخبار عبد الصمد فى أسرته وحياته قليلة ، وما وصل منها فيه اضطراب واختلاف شديد ، ولما له من دَوْرٍ بارزٍ فى تكوين شخصية الوليد ، وتشكيل ثقافته ، وما نُسِبَ إليه من اللهو والمجون والزندقة ، فإن من المهم استقصاء ما تَشَتَّتَ من أخبار أسرته وأخباره فى المصادر والمظان المختلفة ، لاستظهار أصله ، ونشأته ، ونشاطه العلمى ، واتجاهه الفكرى ، وتَجْلِيَةِ أثره فى ثقافة الوليد وسلوكه .

وجَدُّ عبد الصمد هو أبو عَمْرَة ، كان من الغلمان الذين سباهم خالد بن الوليد من عين التمر عندما فتحها سنة ثلاث عشرة للهجرة ، إذ وَجَدَ فى بَيْعَتِها أربعين غلاماً يتعلمون الإنجيل ، عليهم باب مغلقٌ ، فكسره عنهم ، وسأل عن أمرهم ، فقيل له : إنهم رَهائن ، فقسمهم فى أهل البلاء من قادته ، فصار أبو عمرة لشرحبيل بن حسنة(١) .

وفى شعر الفرزدق ما يَقْطَعُ بأن أبا عمرة عربىٌ شيبانى أصلاً وصَلِيبةً لا وَلاءً ، فهو يُصَرِّحُ فى مدائحه لعبد الله بن عبد الأعلى بن أبى عمرة بأنه من صميم بنى مرة بن ذهل بن شيبان ، ومن أهل السيادة والتَّقَدُّم فيهم ، وأن جَدَّه أبا عمرة كان من الفتية الشيبانيين الذين احْتَجَزهم كسرى رهائنَ حين أطلق الأسرى من رؤساء بكر ، الذين كان طلبهم وأخذهم فحبسهم بقلعة عين التمر ، بعد اندحار الفرس فى موقعة ذى قار أمام بكر وشيبان ، إذ يقول(٢) :

أَرِحْنِى أبا عبد المَلِيكِ فما أَرَى   شِفاءً من الحاجاتِ دونَ قَضائِها
وأَنتَ امرؤٌ للصُّلْبِ من مُرَّةَ التى   لها مِنْ بَنى شيبانَ رُمْحُ لِوائِها
همُ رَهَنُوا عنهم أباكَ فما أَلَوْا   عنِ المُصْطَفَى مِنْ رَهْنِها لوَفائِها
فَفَكَّ من الأَغْلالِ بكرَ بنَ وائلٍ   وأَعْطَى يداً عنهمْ لهمْ مِنْ غَلائِها
وأَنْقَذَهُمْ من سِجْنِ كسرى بنِ هُرْمُزٍ   وقد يَئِسَتْ أَنْفَارُها مِنْ نِسائِها

(١) تاريخ الطبرى ٣ : ٣٧٧ ، ٤١٥ ، وسمط اللآلى ص : ٩٦٣ ، والبداية والنهاية ٦ : ٣٥٠ .
(٢) ديوانه ١ : ١٠ .

وما عَدَّ مِنْ نُعْمَى امرؤٌ مِنْ عشيرةٍ   لِوَالِدِهِ عَنْ قَوْمِهِ كَبَلائِها
أَعَمَّ علَى ذُهْلِ بنِ شيبانَ نِعْمَةً   وأَدْفَعَ عَنْ أَمْوَالِها ودِمَائِها
وما رَهَنَتْ عن قَوْمِها مِنْ يَدِ امرئٍ   نِزَارِيةٍ أَغْنَتْ لَها كَغَنَائِها
أَبُوهُ أَبوهُمْ فى ذُراهُمْ وأُمُّهُ   إذا انْتَسَبَتْ مِنْ مَاجداتِ نِسَائِها
وأنتَ امرؤٌ مِنْ آلِ شيبانَ تَسْتَقِى   إلى دَلْوِكِ الكُبْرَى عِظَامُ دِلائِها
وأنتَ امرؤٌ مِنْ ذُهْلِ شيبانَ تَرْتَقِى   إلى حَيْثُ يَنْمِى مَجْدُها مِنْ سَمَائِها
وقد عَلِمَتْ ذُهْلُ بنُ شيبانَ أَنَّكُمْ   إلى بَيْتِهَا الأَعْلَى وأهلُ عَلائِها

ويقول الفرزدق مُقَرِّراً تَحَدُّرَ عبد الله بن عبد الأعلى من بنى مرة بن ذهل بن شيبان ، ونصاعة نَسَبِه فيهم ، ونباهة أسرته بينهم ، مُعَظِّماً بَلاءَ بنى شيبان فى قتال الفرس يوم ذى قار ، ومؤكداً أنَّ جَدَّه كان أحد الغِلْمة الذين قُدِّمُوا رَهَائِنَ لكسرى ، لضخامة قومه ، وسطوع مجدهم[٣] :

وأنتَ امرؤٌ لِلصُّلْبِ مِنْ مُرَّةَ التى   تُقَصِّرُ عنها بَسْطَةُ المُتطاوِلِ
هُمُ رَهَنُوا عنهمْ أباكَ لِفَضْلِهِ   علَى قَوْمِهِ والحقُّ بادى الشَّواكِلِ[٤]
ولو عَلِمُوا أَوْفَى لِحَقْنِ دِمَائِهم   وأَبْيَنَ فَضْلاً عندَ تلك الفَواضِلِ
لهُمْ من أبيكَ المُصْطَفَى لاتَّقَوْا بِهِ   أَسِنَّةَ كِسْرَى يومَ رَهْنِ القَبَائِلِ
فَضَلْتُمْ بنى شيبانَ فَضْلاً وسُودداً   كما فَضَلَتْ شيبانُ بكرَ بن وائلِ
حَمَيْتُم مَعَدًّا يومَ كِسرى بنِ هُرْمُزٍ   بِضَربةِ فَصْلٍ قَوَّمَتْ كُلَّ مَائِلِ

فالفرزدق يشهد شهادةً قاطعةً بعروبة أبى عمرة ، وأنه من بنى شيبان الخُلَّصِ الأقحاح ، بل من صَفْوَتِهِمْ وعِلْيَتِهِمْ . وشهادته تَدْفَعُ ما ذهب إليه بعض القدماء من أن أبا عمرة من موالى بنى شيبان[٥] ، ولو صَحَّ أنه وَوَلَدَه وَحَفَدَتَهُ كانوا من الموالى ، لَوَجَبَ أن يكون ولاؤهم لشرحبيل ابن حسنة ، سَيِّدِ أبى عمرة . ويزيد من قيمة شهادة الفرزدق بأَصَالةِ عروبتهم أنه كان خبيراً بالقبائل بصيراً بأنسابها بَصراً دقيقاً ، فقد كان من الرواة الموثقين ، وكان شعره مصدراً من مصادر التاريخ الجاهلى ، إذ يصفه الجاحظ بأنه «راويةُ الناس وشاعرهم وصاحبُ أخبارهم»[٦] ، ويقول يونس

(٣) ديوانه ٢ : ١١٠ .

(٤) الحق بادى الشواكل : أخذه من قولهم : طريق ذو شواكل : أى تتشعب منه طرق عدة ، يريد أنهم كانوا فى موقف صعب .

(٥) سمط اللآلى ص : ٩٦٣ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة مكتبة الأزهر ، المجلد ٥ : ٢٩ ، الورقة : ١٩٦ ظ .

(٦) البيان والتبيين ١ : ٢٥٦ .

ابن حبيب العالم البصرى الصدوق المُتَثَبِّت(٧) مصوراً أهمية شعر الفرزدق فى حفظ التراث الجاهلى : «لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس»(٨) .

ونشأ أبو عمرة فى أسرة شرحبيل بن حسنة(٩) ، أحد كتاب رسول الله العشرة الأشراف(١٠) ، ومن القادة الذين أسهموا فى كفاح المرتدين ، وشاركوا فى فتوح الشام والأردن وفلسطين(١١) . ومات بطاعون عِمْوَاس بفلسطين سنة ثمانى عشرة للهجرة(١٢) .

وليس فى المصادر المتيسرة ما يجلو الغموض الذى يلف شخصية أبى عمرة وحياته ووفاته ، والغالب أن نشأته بالمدينة فى أسرة صحابى جليل فتحت له أبواب الثقافة العربية الإسلامية ، فحفظ شيئاً من القرآن ، وروى بعض الأحاديث ، وعرف أطرافاً من أشعار العرب وأخبارهم وأنسابهم .

ويبدو أن أبا عمرة لم يُعْقِبْ من الولد غيرَ ابنه عبد الأعلى ، وترجح أخبار حياة عبد الأعلى ، وصلاته بالأمراء والخلفاء الأمويين كعبد العزيز بن مروان ، وعمر بن عبد العزيز أنه ولد فى نهاية العقد الثالث أو بداية العقد الرابع من القرن الأول . وقد شَبَّ فى جَوِّ المدينة العلمى الإسلامى(١٣) ، وأكب على طلب الحديث ، وتخصص فى روايته ، وأصبح من رجاله ، فهو يسلك فى الطبقة الرابعة من المُحَدِّثين(١٤) . وسمع عبدَ الله بن عمر بن الخطاب ، وحَدَّث عن عُبادةَ بن نسى ، وعمر بن عبد العزيز(١٥) . وأخذ الحديث عنه(١٦) خالد بن مهران البصرى(١٧) ، وسلمة بن المغيرة ، وشعيب

---

(٧) انظر ترجمته فى نزهة الألباء ص : ٤٩ .

(٨) البيان والتبيين ١ : ٢٥٦ .

(٩) فى تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٢٩٩ : أنه من ولد الغوث بن مر بن أدبى طانجة . وفى بقية المصادر كالطبقات الكبرى ٧ : ٥١٤ ، والمعارف ص : ٣٢٥ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ١٦٢ : أنه حليف بنى زهرة بن كلاب ، وأن أمه حسنة مولاة معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، وزوجة سفيان بن معمر ، تزوجها عبد الله بن عمرو بن المطاع الكندى ، فولدت له شرحبيل ، فنسب إلى أمه .

(١٠) الطبقات الكبرى ٧ : ٥١٤ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٨٠ ، والعقد الفريد ٤ : ١٦٨ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٢٩٩ .

(١١) تاريخ الطبرى ٣ : ٢٤٩ ، ٢٧٢ ، ٢٨٧ ، ٣٩٤ ، ٤٤٢ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٣٠٠ .

(١٢) المعارف ص : ٣٢٥ ، وأنساب الأشراف ١ : ٢١٤ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٣٠٢ ومعجم البلدان ٣ : ٧٢٩ ، والبداية والنهاية ٧ : ٩٣ .

(١٣) انظر ترجمته فى تاريخ دمشق ، مخطوطة مكتبة الأزهر ، المجلدة : ٢٩ ، الورقة : ١٩٦ ظ .

(١٤) سمط اللآلى ص : ٩٦٣ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة مكتبة الأزهر ، المجلدة : ٢٩ ، الورقة : ١٩٧ و .

(١٥) تاريخ دمشق ، مخطوطة مكتبة الأزهر ، المجلدة : ٢٩ ، الورقة : ١٩٦ ظ .

(١٦) تاريخ دمشق ، مخطوطة مكتبة الأزهر ، المجلدة : ٢٩ ، الورقة : ١٩٦ ظ .

(١٧) سمط اللآلى ص : ٩٦٣ ، ولسان الميزان ٢ : ٣٨٧ ، وميزان الاعتدال ١ : ٦٤٢ .

ابن أبي جمرة ، وعبد الله بن المغيرة بن معيتب الشيباني الكوفي نزيل مصر[١٨] .

وعُنِيَ عبدُ الأعلى بالدراسات الأدبية التي كانت تمثل الجانب الثاني من جوانب الحياة العلمية بالمدينة . وكان شاعرا[١٩] . فاحتفل بالشعر الجاهلي والإسلامي ، واستوعب منه شيئاً كثيراً .

وانعقدت بينه وبين عبد العزيز بن مروان علاقة وطيدة ، ولا توضح أخبار عبد الأعلى متى بدأت العلاقة بينهما . ومن المحتمل أن يكون اتصل بعبد العزيز في المدينة ، ثم رحل معه إلى دمشق ، بعد غلبة عبد الله بن الزبير على المدينة ، وإجلائه عنها بني أمية ومروان بن الحكم[٢٠] . سنة أربع وستين ، فاستقر بدمشق ، وفيها توثقت علاقته بعبد العزيز ، واتسعت صلاته ببني أمية وأنصارهم ومواليهم ، فعرف موسى بن نصير[٢١] ، وتزوج أخته[٢٢] .

والتحق عبد الأعلى بعبد العزيز بن مروان في أثناء ولايته على مصر[٢٣] ، وعظمت منزلته عنده ، فَسَفَرَ بينه وبين أليون ملك الروم ، وأفلح في سفارته ، فأقطعه عبد العزيز أرضاً بالإسكندرية ، شيَّد عليها داراً له[٢٤] . ثم عاد إلى دمشق بعد موت عبد العزيز ، وأقام بها ، ويظهر أن مكانته تَدَنتَّ في عهد الوليد بن عبد الملك ، وفي عهد سليمان بن عبد الملك ، وإن كانت له صلة ضعيفة بسليمان يدل عليها عمل ابنه عبد الله مؤدباً لأيُّوب بن سليمان[٢٥] .

وتلمع مكانته في أيام عمر بن عبد العزيز ، فقد غدا من موظفيه المقربين . وسعى له كما سعى لأبيه من قبل في بعض الأمور السياسية ، إذ بعثه عمر إلى أليون ملك الروم ، ليفاوضه في تبادل الأسرى بين المسلمين والروم ، ووفق في بعثته[٢٦] . وسَجَّل الفرزدق بعثة عبد الأعلى في شعره ، وأشاد بما بَذَل فيها من جُهْدٍ ، وما حَقَّق لها من نجاح ، وما رَدَّتْ عليه وعلى قومه من مجدٍ لا يبلَى على الدهر ، فقال[٢٧] :

أَتَرْضَى بَنُو شيبانَ للهِ دَرُّهُمْ وبكرٌ جميعاً كلُّ مُثْرٍ ومُعْدِمِ

(١٨) لسان الميزان ٢ : ٤٨٧ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٣٢٢ .

(١٩) لسان الميزان ٣ : ٣٠٥ .

(٢٠) تاريخ الطبرى ٥ : ٥٣٠ .

(٢١) أنظر ترجمته في البداية والنهاية ٩ : ١٧١ ، ووفيات الأعيان ٥ : ٣١٨ .

(٢٢) تاريخ دمشق ، مخطوطة مكتبة الأزهر ، المجلدة : ٢٩ ، الورقة : ١٩٧ و .

(٢٣) انظر ترجمته في البداية والنهاية ٩ : ٥٧ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٧١ .

(٢٤) تاريخ دمشق ، مخطوطة مكتبة الأزهر ، المجلدة : ٢٩ ، الورقة : ١٩٧ و .

(٢٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثاني ص : ١١٩ .

(٢٦) تاريخ دمشق ، مخطوطة مكتبة الأزهر ، المجلدة : ٢٩ ، الورقة : ١٩٧ ظ .

(٢٧) ديوانه ٢ : ١٩٦ .

بأزدِ عُمانٍ أخوةً دونَ قَوْمِهِم لقد رَغِمُوا فى رَأْيِهِم كلَّ مَرْغَمِ[٢٨]
فإنَّ أخاهَا عبدَ أعلى بَنَى لها بأرضِ هرقلٍ والعُلاَ ذاتُ مَجْشَمِ
رَفيعاً مِنَ البنيانِ أثْبَتَ أُسَّهُ مآثِرَ لم تَخْشَعْ ولم تَتَهَدَّمِ

وربما توفى عبد الأعلى فى السنة الأخيرة من القرن الأول أو بعدها بقليل ، فإن سفارته بين عمر ابن عبد العزيز وأليون هى آخر ما حمله الرواة من أخباره .

وكان لعبد الأعلى ثلاثة أبناء هم : عبد الرحمن ، وعبد الله ، وعبد الصمد . وعبد الرحمن هو أول أبنائه وأكبرهم ، إذ به كان يُكْنَى[٢٩] . ويستنتج من أخباره أنه كان مَيَّالاً إلى العلوم اللغوية والأدبية أكثر من ميله إلى العلوم الدينية ، فهو يُنْظَم فى الشعراء والخطباء البارعين[٣٠] ، ولا يُنْظَمُ فى المُحَدِّثين . ولم يكن له شأن فى الحياة الاجتماعية والسياسية ، إذ لم يَشْتَغِلْ بالتَّعليم ، ولم يَتَبَوَّأْ مَنصباً رفيعاً . وقد اتهمه هشام بن عبد الملك بالزندقة فى السنوات الأخيرة من خلافته ، فاحتجزه ، وساقه مُكَبَّلاً بالأغلال إلى يوسف بن عمر واليه على العراق : فحبسه ، وعذبه حتى مات فى العذاب[٣١] .

وثانى أبناء عبد الأعلى وأوسطهم هو عبد الله[٣٢] . وفى شعر الفرزدق أن أمه من بنى شيبان[٣٣] . وكان عبد الله أشد إقبالاً على المعرفة من أخيه عبد الرحمن ، فألَمَّ بالعلوم الإسلامية وأتقنها ، ووسع ثقافته الأدبية والتاريخية وَعمَّقَها ، فكان مُحَدِّثاً مشهوراً[٣٤] ، وخطيباً مُفَوَّهاً[٣٥] ، وشاعراً معدوداً[٣٦] ، فعهد إليه سليمان بن عبد الملك بتعليم ابنه أيوب ، فكان فيما يرويه البلاذرى «مُؤَدِّبَه وحَاضِنَه ورثَاهُ حين مات[٣٧] » .

واتهم المرزبانى عبدَ الله بأنه زَنْدَقَ أيوب : فَدَسَّ سليمانُ إلى ابنه سما فَقَتَلَه . وهى تهمة انفرد

(٢٨) رغموا : ذلوا . وهو يأخذ على قبائل ربيعة محالفتها للأزد بالبصرة ، ومنافستها للمضرية من تميم وقيس .
(٢٩) تاريخ دمشق ، مخطوطة مكتبة الأزهر ، المجلدة : ٢٩ ، الورقة : ١٩٦ ظ .
(٣٠) البرصان والعرجان والعميان والحولان ص : ٨٢ .
(٣١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٢ .
(٣٢) ترجمته فى سمط اللآلى ص : ٩٦٣ ، ولسان الميزان ٣ : ٣٠٥ .
(٣٣) ديوانه ١ : ١١ .
(٣٤) لسان الميزان ٣ : ٣٠٥ .
(٣٥) البرصان والعرجان ص : ٨٢ ، والكامل للمبرد ٢ : ١١٢ .
(٣٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١١٩ ، وسمط اللآلى ص : ٩٦٣ ، ولسان الميزان ٣ : ٣٠٥ .
(٣٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١١٩ ، وانظر العقد الفريد ٤ : ٤٢٦ .

المرزباني بروايتها ، ونقلها عنه ابن حجر[٣٨] ، ولم يُشِرْ إليها البلاذريُّ وغيره من المؤرخين . وليس فى أخبار أيوب أنه مات مسموماً ، بل فيها أن أباه كان يُفَضِّله ويُرَشِّحُه للخلافة[٣٩] ، فمات أيوب سنة ثمان وتسعين ، فالتاع سليمان لموته ، وكادت كبده تَتَصَدعُ حُزْناً عليه[٤٠] ، مما يَدْحَضُ قَوْلَ المرزباني دَحْضاً . وكان المرزباني معتزلياً[٤١] ، يميل إلى التَّشيُّع فى المذهب[٤٢] ، فربما قادَهُ تَشَيُّعُه إلى وَضْع الخبر ، وربما وَضَعَهُ أحدُ رواةِ الشِّيعةِ . ثم رواه المرزباني عنه ، فإن الخبر مَوَلَّد مُشْتَقٌّ من الخبر الذى يَدْمَغُ عبد الصمد بن عبد الأعلى بإفساد دين الوليد بن يزيد ، ومصنوع على شاكلته !

ومِثْلُهُ خَبَر آخر يقذف عبد الله بالزندقة ، رواه المبرد دون إسناد[٤٣] ، وحمله عنه ابن حجر[٤٤] . فقد زعم المبرد أن عمر بن عبد العزيز أوفد عبد الله ورجلاً من عَبْس[٤٥] إلى أليون ملك الروم ، ليدعواه إلى الإسلام ، فلما بلغا القيصر دعاه العَبسى إلى الإسلام ، ثم تَبِعَه عبد الله فَهَزِئَ منه أليون ، واتهمه بأنه لا يؤمن بالإسلام ولا بالنصرانية ، فأقر له عبد الله بأنه ملحد لا يعتقد بدين ، حتى إذا رجع عبد الله والعبسى ، وأخبرا عمر بما كان من أمر سفارتهما ، وخرجا ، رَدَّ عُمر العَبْسِيَّ وسأله عما كانَ من عبد الله ، فأخبره به ، فَلَعن عُمَرُ عبدَ الله ، وقال : «لقد كانت نفسى تأباه ، ولم أَحْسَبْهُ يَجْتَرِئُ على مثل هذا» !

والخبر مُوَلَّدُ مُحرَّف ، فعمر بن عبد العزيز لم يوجه عبد الله بن عبد الأعلى إلى أليون ، وإنما وَجَّه إليه عبد الأعلى بن أبي عمرة ، رَوَى ذلك ابن عساكر ، وقَيَّدهُ الفرزدق فى شعره ، وهو معاصر للأحداث ، وتقييده له يُؤَكِّدُ روايةَ ابن عساكر ويُوَثِّقها . ولو أَنَّ المبردَ استَبْدَلَ اسم الأب باسم الابن ، وأَحَلَّ عبد الله محل عبد الأعلى ، ونَقَلَ بقية الخبر بألفاظها أو بمعناها ، ولم يَسْتَرْسِلِ فى تَزْييفها

---

(٣٨) لسان الميزان ٣ : ٣٠٥ .

(٣٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١١٩ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٥٣١ .

(٤٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٢٦ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٢٦ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٣٠٢ .

(٤١) تاريخ بغداد ١٣ : ١٣٦ ، ومعجم الأدباء ٧ : ٥٠ ، ولسان الميزان ٥ : ٣٣٧ ، والوافى بالوفيات ٤ : ٢٣٦ .

(٤٢) وفيات الأعيان ٤ : ٣٥٤ .

(٤٣) الكامل للمبرد ٢ : ١١٠ .

(٤٤) لسان الميزان ٣ : ٣٠٥ .

(٤٥) فى الكامل للمبرد ٢ : ١١٠ : عَنْس ، وهو مصحف عن عَبْس . والتصحيح من لسان الميزان ٣ : ٣٠٥ . وكان للعبسيين وجود فى القصر الأموى ، فإن عبد الملك بن مروان تزوج ولادة بنت العباس بن جزء العبسى . وهى أم ولديه الوليد وسليمان . وكان للعباسيين نفوذ فى عهد عبد الملك ، وابنيه الوليد وهشام . (انظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٣٩٥ ، ٤١٩ ، ٥٤٢ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٢٣٦ ، ١١٦٠ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٢٨ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٤١٧ ، ٧ : ٢٣٧) .

لكان مَا فَعَل من باب السَّهْوِ والنِّسْيان ، ولكنه أحكم تأليف الخبر الذى صَنَعَهُ إحكاماً شديداً ، وصرفه إلى القَدْحِ فى دين عبد الله ، فقد ذهب إلى أن عمر بن عبد العزيز أَوْصَى العَبْسِى أن يحفظ ما يدور بين عبد الله وأليون ، وأن العبسى كان يجيد الرومية ، حتى يَتَسنى له أن يفهم كلام أليون ويستظهره ، وادَّعى أن عمر أمر العبسى بعد أن عاد أن يقص عليه خبر عبد الله ، فلما قَصَّهُ عليه . ذَمَّه عمر ، وطعن فى دينه ! وإنما دفع المبرد إلى الكذب والاختلاق تَحَامُلُهُ على بنى أمية ، فإن إنتماءه إلى الأزد جره إلى التَّعَصُّبِ لهم ولليمنية ، فروى الصحيح والسقيم من الأخبار ليعلى شأنهم(٤٦) ، وساقه إلى التَّحزُّبِ على المضرية وبنى أمية ، فحمل الموثق والمفتعل من الأخبار ليحط من قدرهم !

وارتفعت منزلة عبد الله فى أيام يزيد بن عبد الملك ، فكان من رجال قصره البارزين ، وممن لهم كلمة مسموعة عنده ، ونشأت بينه وبين الوليد بن يزيد صداقة قوية(٤٧) . ومدح الفرزدقُ عبد الله ، ونَوَّه به تنويهاً رائعاً ، وسبب ذلك أن الفرزدق هجا مالك بن المنذر بن الجارود العبدى(٤٨) . قائد شرطة خالد بن عبد الله القسرى بالبصرة(٤٩) ، ونَدَّدَ بخالد نفسه ، وانْتقد سياسته الإدارية ، والزراعية(٥٠) ، لما انطوت عليه من محاباةٍ لليمنية وحُلفائهم من الرَّبعية ، ومجافاةٍ للمضرية ، فحبسه خالد ، وظل فى حبسه إلى أن حَجَّ وأناب أخَاه أسداً على العراق ، فأطلقَ الفرزدق ، وَوَهَبَهُ لجرير ابن عطية(٥١) . فأسرع الفرزدق إلى دمشق ، وعاذ بالوليد بن يزيد ، ومدحه بعدة قصائد رجاه فيها أن يُؤَمِّنَهُ من الخوف(٥٢) ، وهو يقول فى إحداها مستعطفاً إياه أن يستشفع له عند هشام ، ليردَعَ خالداًعنه ، وَيمْنَعَه من التَّعرضِ له بعد عودته من الحج(٥٣) :

أُرَجِّى أميرَ المؤمنينَ لحاجةٍ ... بِكَفَّيْكَ بعدَ اللهِ يُرْجَى قَضاؤُها
وأنتَ سماءُ اللهِ فيها التى لهمْ ... من الأرضِ يُحْيِى مَيِّتَ الأرض مَاؤُها
لنعم مُناخِ القومِ حَلُّوا رِحَالَهُمْ ... إلى قُبَّةٍ فوقَ الوليد سَماؤُها
بَنَاها أبو العاصى ومروانُ فَوْقَهُ ... ويُوسفُ قَدْ مَسَّ النُّجُومَ بِنَاؤُها

---

(٤٦) ضحى الإسلام ١ : ٣١٩ .

(٤٧) تاريخ دمشق مخطوطة مكتبة الأزهر المجلدة : ٢٩ ، الورقة : ١٩٧ ظ .

(٤٨) الأغانى ٢١ : ٣٧٨ .

(٤٩) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٢٠ .

(٥٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٨١ ، والأغانى ٢١ : ٣٧٩ .

(٥١) الأغانى ٢١ : ٣٨٠ .

(٥٢) ديوانه ١ : ٧٨ ، ٣٣٦ ، ٤١١ ، ٢ : ٩٢ .

(٥٣) ديوانه ١ : ١٢ .

ومَدَح الفرزدقُ عبدَ الله بن عبد الأعلى ، وسأله : أنْ يَدْعُوَ الوليد إلى مراجعة هشام بن عبد الملك فى أمره ، فاستجاب له ، وكَلَّمَ الوليد ، فراجع هشاماً ، فَوَعَده أن يكُفَّ خالداً عن مطاردة الفرزدق ، فابتهج الفرزدق ، وطوق عبد الله بمدائح كثيرة ، اعترفَ فيها بما أسدى إليه من جميل ، إذ يقول (٥٤) :

فأبْلِغْ أبَا عبدِ المَلِيكِ رسالةً ... يَمِينَ وفاءٍ لم تَنَظَّفْ بمأْثَمِ (٥٥)
ستَأْتِيكَ منى كلَّ عامٍ قصيدةٌ ... مُحَبَّرةٌ نُوفيكَها كُلَّ مَوْسِمِ
جَزاءً بما أَوْلَيْتَنى إذْ حَبَوْتَنى ... بجَابِيةِ الجولاَنِ ذَاتِ المخَرَّمِ (٥٦)

ويقول مُقَدِّراً كبرَ طاقته ، وعظم مساعيه ، وما قَدَّمَ له من معروف ، فقد ساعده فى مِحْنَتِه ، ونجّاه من المكروه حين تَخَلَّفَ كُلُّ من قصدهم عن نُصْرته وحمايته (٥٧) :

شَكَرْنَا لِعَبْدِ اللهِ حُسْنَ بَلائِهِ ... غداةَ كَفانَا كُلَّ نِكْسٍ مُوَاكِلِ (٥٨)
بِجابِيَةِ الجَوْلانِ إذْ عَمَّ فَضْلُهُ ... علينا وقِدْماً كان جَمَّ الفَوَاضِلِ
فلستُ وإنْ كانَتْ ذُؤابَةُ دارِمٍ ... نَمَتْنِى إلى قُدْمُوس مَجْدٍ حُلاحِلِ (٥٩)
وإنْ حَلَّ بَيْتِى مِنْ سَماءِ مُجَاشِعٍ ... بمنزلةٍ فَاتَتْ يَدَ المُتَناوِلِ
بِنَاسٍ لِبكْرٍ حُسْنَ صُنْعِ أَخِيهِمُ ... إلَىَّ لَدَى الخذْلاَنِ مِنْ كُلِّ خاذِلِ
كَفانَا أموراً لمْ يكُنْ لِيُطِيقَها ... مِنَ القَوْمِ إلاَّ كامِلٌ وابنُ كامِلِ

واستمرت لعبد الله وَجَاهَته وسلطته إلى أن فسدت العلاقة بين هشام بن عبد الملك ، والوليد ابن يزيد فى أوائل العقد الثالث من القرن الثانى ، وأخذ هشام يَتَعَقَّبُ أعوان الوليد وخاصته ، ويَصُبُّ عليهم أنواع الأذى والظلم صبًّا ، لِيُحَارِبَ الوليد باضطهادهم واغتيالهم ، فانحطت مكانة عبد الله ، ويزعم الجاحظ (٦٠) أن هشاماً اعتقله وأرسله إلى يوسف بن عمر الثقفى واليه على العراق ،

---

(٥٤) ديوانه ٢ : ١٩٥ .

(٥٥) تنظف : تلطخ .

(٥٦) ذات المخرم : الشاهقة الشامخة ، أو التى فيها مخرج من البلاء .

(٥٧) ديوانه ٢ : ١١٠ .

(٥٨) النكس : الضعيف المقصر عن غاية النجدة والكرم . والمواكل : العاجز كثير الاتكال على غيره .

(٥٩) القدموس : القديم . والحلاحل : الضخم .

(٦٠) الغالب أن الجاحظ خلط فيما أورد من رواية المدائنى التى تتحدث عن مصير أبناء عبد الأعلى ابن أبى عمرة الشيبانى بن عبد الله وأخيه عبد الرحمن ، لقلة تدقيقه فيما ينقل من الروايات التاريخية ، لأن غايته من كتبه الأدبية التى تشتمل على الأخبار والأشعار والنوادر كانت تثقيف القراء ، والترويح عنهم ، فلم يكن يكلف نفسه مشقة التَّثَبُّتِ والتمحيص والرجوع إلى ما بين يديه من كتب ومصادر ، وإنما كان يرتجل القول ارتجالاً ، ويسوقه فى كثير من التجاوز والتسامح ، ويدفعه كما ورد فى خاطره ساعة كتابته أو إملائه . (انظر مصادر الشعر الجاهلى وقيمها التاريخية ص : ٦٠٨) .

فَنَكَّلَ به وقَتَله[٦١] . ولكن البلاذرى يذكر عن أستاذه المدائنى أن هشاماً لم يَمْسَسْ عبد الله بسوء ، بل تركه حُرًّا طَلِيقاً ، وقبض على أخويه عبد الرحمن وعبد الصمد ، فَتَشَفَّعَ عبد الله لهما عنده ، فقال له : أنت على دينهما ! فقال : أنا عليه ، والله ما يدينان إلاَّ بالإسلام ، فلم يَقْبَلْ شفاعته فيهما ، وأمر به ، فأخرج عنه ، وقال : لا يُسَاكِنُنى ، ولا يكلمه أحد[٦٢] . فلزم عبد الله مسجد دمشق مُطَّرحاً منبُوذاً . وينقل البلاذرى عن المدائنى خبراً آخر يصور تطور حال عبد الله ، وما كان له من النباهة ، وما صار إليه من المذلة والمهانة . فيقول : «قال رجل من قريش : قدمت الشام . فرأيت عبد الله بن عبد الأعلى ، فَتَمَنَّيْتُ أن تكون حالى مثل حاله . ثم غبت أعواماً ، وقدمت الشام ، فإذا هو مُفْرَد لا يجالسه أحد ولا يكلمه : فقلت له : إنى قدمت الشام منذ أعوام فرأيتك فى حال تمنيت أن أكون فى مثلها ، وأنت اليوم على ما أرى . فقال : بلغ قومنا عنا شىء ، فأخذوا بظاهر البلاغ ، ولم يَطَّلعوا على باطِن الغيب . ومن ورائنا وورائهم الحساب»[٦٣] .

وكان لهذا التحول الذى طرأ على حياته أثر سيىءٌ فى نفسه ، عَبّر عنه فى شعره الذى استفرغ عامته فى الزهد والمواعظ[٦٤] ، وهو يصدر فيه عن نفس محطمة مجروحة ، طعنت فى شرفها وكرامتها ودينها ، وفَقَدتْ حَيَوِيتَها ونشاطها . آسياً لما انتهى إليه من الخمول والنسيان ، وما سُلِّط عليه من البغى والعدوان ، إذ يقول فى بعضه[٦٥] :

مَنْ هُنا لى مِنْ صَديقٍ فَلْيَعُدْ ... لِيَعُدْنى إننى اليومَ كَمِدْ
مِنْ هُمومٍ تَرَكَتْنى قَلِقاً ... قَلَقَ المِحْورِ بالقَتِّ المَسَدْ[٦٦]
ليتَ شِعرى ، ولليتِ نَبْوة ... أينَ صارَ الروحُ مُذْ بان الجَسَدْ
بينَما المرءُ شهاب ثاقب ... ضَرَب الدهر سَنَاهُ فَخَمدْ
غَالَهُ الدَّهْرُ وغَطَّى حَزْمَهُ ... وانْتَضَاهُ من عَديدٍ وَوَلدْ[٦٧]

وعاش عبد الله إلى ما بعد سنة ست وعشرين ومائة ، إذ يروى البلاذرى أنه أدرك خلافة الوليد

(٦١) البرصان والعرجان ص : ٨٣ .

(٦٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣١٢ .

(٦٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣١٣ .

(٦٤) أمالى القالى ٢ : ٣١٩ ، وسمط اللآلى ص : ٩٦٣ ، ولسان الميزان ٣ : ٣٠٥ .

(٦٥) البرصان والعرجان ص : ٨٣ .

(٦٦) المحور : الحديدة التى فى وسط البكرة ، تدور عليها البكرة . وألقت : نوع من الليف أو الخوص . والمسد : الممسود أى الذى أجيد فتله . ويريد بالقت المسد : الحبل من الليف أو الخوص الذى أحكم فتله .

(٦٧) انتضاه : أخرجه وانتزعه .

ابن يزيد ، وأتاه فلم يؤذن له بالدخول عليه[٦٨].

وعبد الصمد هو ثالث أبناء عبد الأعلى ، وأصغرهم[٦٩]. ويبدو أنه كان جاداً فى طلب العلم ، فحصل منه معارف متنوعة ، وورث عن أبيه موهبة الشعر والخطابة . فكان كأبيه وأخيه عبد الله من المُحَدِّثين[٧٠] ، ومن الشعراء والخطباء المشهورين[٧١]. وكانت له مكانة اجتماعية ، وعلمية وأدبية كبيرة . وهى مكانة هَيَّأت له أن يشتغل بتعليم أبناء الطبقة الخاصة من الأمراء والخلفاء الأمويين ، ففى أخباره أنه عَلَّم بعض أبناء الأسرة السفيانية ، إذ يروى الجاحظ أنه كان مؤدباً لولد عُتْبَة بن أبى سفيان[٧٢]. وشركه فى نَقْلِ الخبر ابن قتيبة[٧٣] ، والمرزبانى[٧٤] ، وألحقا به وَصِيَّةً قالها عتبة لعبد الصمد حين كَلَّفه بتعليم ولده . وهم مخطئون فى نسبة الخبر والوصية إلى عتبة بن أبى سفيان ، لأن المؤرخين يجمعون على أن عتبة[٧٥] توفى فى مستهل خلافة أخيه معاوية سنة أربع وأربعين[٧٦] وعبد الصمد لم يكن وُلِدَ فى هذا التاريخ . وأضاف ابن عبد ربه الوصية إلى عمرو بن عُتْبة[٧٧] لا إلى عتبة بن أبى سفيان ، ولم يذكر اسم المؤدب الذى قيلت له . وهو واهم فى ذلك أيضاً لأن عمرو ابن عتبة قتل فى ثورة عبد الرحمن بن الأشعث سنة ثلاث وثمانين[٧٨] ، وعبد الصمد لم يكن كبر ، وأصبح من العلماء فى هذا التاريخ ، بل كان صغيراً لم يجاوز العاشرة من عمره على وجه التقريب . وربما كان عبد الصمد مُعَلِّماً لولد عُتْبَة بن عُتْبَة ابن أبى سفيان[٧٩] ، فالتبس اسم عتبة بن عمرو باسم جَدِّه عُتْبَة بن أبى سفيان .

---

(٦٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٢ ، ولسان الميزان ٣ : ٣٠٥ .

(٦٩) ترجمته فى تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ، رقم ٣٣٧٤ ، المجلد العاشر ، الورقة ١٦٨و ، ولسان الميزان ٤ : ٢١ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٦٢٠ .

(٧٠) لسان الميزان ٤ : ٢١ ، وميزان الإعتدال ٢ : ٦٢٠ .

(٧١) البرصان والعرجان ص : ٨٢ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ، رقم ٣٣٧٤ ، المجلد العاشر ، الورقة ١٦٨ و .

(٧٢) البيان والتبيين ١ : ٢١٠ .

(٧٣) عيون الأخبار ٢ : ١٦٦ .

(٧٤) نور القبس ص : ١٨٧ ، وانظر النجوم الزاهرة ١ : ١٢٣ .

(٧٥) ترجمته فى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الأول ص : ٦٩١ ، ونسب قريش ص : ١٢٥ ، وتاريخ الطبرى ٥ : ٢٢٨ ، والعقد الفريد ٢ : ٢٦٨ ، ٤ : ١٣٨ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ١١١ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٢٢ ، ونور القبس ص : ١٨٦ .

(٧٦) النجوم الزاهرة ١ : ١٢٥ ، ونور القبس ص : ١٩٠ . وروى ياقوت الحموى أن عتبة توفى سنة أربع وسبعين ، وهو مخطئ فى ذلك . (انظر معجم البلدان ٤ : ٦٧٥) .

(٧٧) العقد الفريد ٢ : ٤٣٦ .

(٧٨) جمهرة أنساب العرب ص : ١١٢ .

(٧٩) نسب قريش ص : ١٣٣ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ١١٢ .

ونصطدم بعد ذلك بروايات تَدْمَغُ عبد الصمد بالزندقة واللواط . أما الزندقة فَتَحَفَّظ المؤرخون المُتَقدِّمُونَ المُوَثَّقونَ المحايدون على قَذْفِه بها ، فقد ساق البلاذرى التهمة بصيغةٍ تدل على شكه فيها ، إذ قال : «قالوا : وكان فيما يزعمون زنديقاً»[٨٠] . ويظهر أن رواية المدائنى التى أخذها عنه تلميذه البلاذرى أخذاً مباشراً ، وأخذها عن غيره من الإخباريين ، لأنه قَدَّم لها بسند جماعِى عام ، لا تؤكد اتهام عبد الصمد بالزندقة ، فإن رواية المدائنى كما حملها الطبرى بنصها الدقيق دون مُداخلةٍ بينها وبين روايات غيره من الإخباريين ، لا تستخدم فيها كلمة الزندقة ، فهى ترد عنده على هذا النحو : «وَلِىَ هشام وهو للوليد مُكْرِم مُعَظِّمٌ مُقَرِّب ، فلم يزل ذلك من أمرهما حتى ظهر من الوليد بن يزيد مجونٌ وشُرْبُ الشراب ، حمله على ذلك عبد الصمد بن عبد الأعلى»[٨١] .

ورواة العباسيين هم الذين حَذَفُوا تَحَرُّزَ البلاذرى من التهمة ، وهم الذين غَيَّروا رواية المدائنى التى حملها الطبرى ، إذ نقل أبو الفرج رواية المدائنى عن الحسن بن على ، وهو مولى لعبد الصمد بن على الهاشمى [٨٢]. وهى ترد عنده مخالفة لما وردت عليه عند البلاذرى والطبرى ، فهى تقطع فى موضعين ذكَرَهما فيهما بزندقة عبد الصمد قطعاً ، إذ يقول فى الموضع الأول : «وكان يرمى بالزندقة »[٨٣] ، ويقول فى الموضع الثانى : «وكان لوطيًّا زنديقاً »[٨٤] .

وَقَبِلَ المؤرخون المتأخرون رواية المدائنى كما ساقها رواة العباسيين مُعَدَّلَةً مُغَيَّرة ، ولم يلتفتوا إلى أن لها صورة أقدم وأوثق ، ولم يَتَنبهوا إلى الفرق فى الدلالة بين نصها الأول الصحيح ، ونصها الثانى المُشَوَّه ، لأنهم وجدوا الرواية فى كتاب الأغانى ، فأخذوها منه ، وسَلَّموا بما جاءهم عن رواة العباسيين ، ورَوَّجوه ، وجعلوا اتهام عبد الصمد بالزندقة حقيقة ثابتة لامراء فيها ، يتضح ذلك عند ابن عساكر[٨٥] وعند ابن حجر[٨٦] .

وأما اللواط ، فالبلاذرى هو أول من روى اتهام عبد الصمد به بإسناد جماعى عام ، إذ يقول : «قالوا : وكان سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصارى وفد على هشام ، وكان غلاماً وضىء الوجه ، فجعل يختلف إلى عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيبانى ، مؤدب الوليد بن يزيد بن

---

(٨٠) أنساب الأشراف . مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٣١٠ .
(٨١) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٩ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٤ .
(٨٢) تاريخ بغداد ٧ : ٣٦٩ .
(٨٣) الأغانى ٧ : ٣ .
(٨٤) الأغانى ٨ : ٢٧١ .
(٨٥) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٧٤ ، المجلد العاشر ، الورقة ١٦٨ و .
(٨٦) لسان الميزان ٤ : ٢١ .

عبد الملك ، فراوده عبد الصمد عن نفسه ، وأتى باب هشام ، فأذن له ، فدخل مُغْضَباً ، فقال :

إنَّه والله لولا أنتَ لمْ يَنْجُ منى سالماً عبدُ الصَّمدْ

قال هشام : ولم ذاك ؟ قال :

إنُه قدْ رَامَ منّى خُطَّةً لمْ يَرُمْها قَبْلَهُ منى أَحَدْ
فهو فيما كانَ منه كالذى يَتَبَغَّى الصَّيْدَ فى خِيسِ الأسدْ

فأساء هشام القول فى عبد الصمد ، وَهَمَّ به ثم أمسكَ »(٨٧) .

ثم نقل أبو الفرج الخبر ، وذكر سلسلة رواته ، مع تحوير يسير فى نصه يُضخِّم تهمة اللواط ويبرزها ، فقال : « أخبرنى الحسن بن على الَخفَّاف ، قال : حدثنا أحمد بن زهير ، قال : حدثنا الزبير بن بَكّار . قال : حدثنى عمى ومحمد بن الضحاك بن عثمان قالا : وفد سعيد بن عبد الرحمن ابن حسان على هشام بن عبد الملك ، وكان حسن الوجه ، فاختلف إلى عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدب الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فأراده على نفسه ، **وكان لوطيا زنديقاً** ، فدخل سعيد على هشام مُغْضَباً وهو يقول :

إنهُ والله لولا أنتَ لمْ يَنْجُ منى سالماً عبدُ الصمدْ

فقال له هشام : ولماذا ؟ قال :

إنه قد رامَ منى خُطَّةً لم يَرُمْها قَبْلَهُ منى أَحَدْ

فقال : وما هى ؟ قال :

رامَ جهلاً بى وجهلاً بأبى يُدْخِلُ الأفْعَى إلى خِيسِ الأسدْ

قال : فضحك هشام وقال له : لو فعلت به شيئا لم أنْكِرْ عليك »(٨٨) .

ومع أن سلسلة رواة الخبر تثير الشبهة فيه ، لأن مصدره مصعب بن عبد الله ، والزبير بن بكار ، وآخر رواته الحسن بن على ، مولى عبد الصمد بن على الهاشمى ، وكلهم كانوا يَمْتَعِضون من الأمويين ، ويُلفقون بعض الأخبار للتشهير بهم ، بسبب ميولهم الزبيرية وللعباسية ، فإن ما يشيع فى نص الخبر من تخليط عند رواة القرنين الخامس والسادس يزيد من الشك فيه ، ويوحى باختلاقه وتهافته ، فقد أثبته القاضى أحمد بن محمد الجرجانى كما يلى : « حُكِيَ أن مؤدباً لبنى مروان يسمى عبد الصمد ، **وكان الخليل بن أحمد فى مكتبه** ، فرام منه قبيحاً ، فدخل الخليل للوالى وقال :

إنه والله لولا أنتَ لم يَنْجُ منى سالماً عبدُ الصمدْ

---

(٨٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٢ .

(٨٨) الأغانى ٨ : ٢٧١ .

فقال الوالى : وما ذاك ؟ قال :

رامَ بى جهلاً وجهلا بأبى يُدْخِلُ الأفْعَى إلى خِيسِ الأسدْ (٨٩)

ومعروف أن الخليل بن أحمد ولد سنة مائة ، وتوفى سنة سبعين ومائة(٩٠) . ولم يغادر البصرة إلى دمشق على امتداد حياته . ويستبعد أن يكون التقى بعبد الصمد ، لأنه كان ملازماً للوليد بن يزيد ملازمة دائمة فى العقدين الأولين من القرن الثانى .

وساق ابن عساكر الخبر بصورة رابعة مضطربة مناقضة لصوره السابقة ، فقال : «كان عبد الصمد ابن عبد الأعلى مؤدبا **لسعيد بن هشام بن عبد الملك بن مروان** ، فعبث به يوماً ، فدخل سعيد على هشام ، فوقف بين يديه ، ثم أنشأ يقول :

إنهُ واللهِ لولا أنت لمْ يَنْجُ منى سالماً عبد الصمدْ

فقال هشام : ولم ذاك ؟ فقال :

إنه قد رامَ منى خطةً لم يرمها قبلَهُ منى أحدْ

قال هشام : وما رام ؟ فقال سعيد :

رَامَ جَهْلاً بى وجَهْلا بأبى يُولِجُ العُصْفُورَ فى خِيسِ الأسَدْ

قال هشام : لا وكرامة »(٩١) .

فالخبر فاسدٌ عند ابن عساكر فساداً شديداً ، لأنه يعارض الحقائق التاريخية ، فعبد الصمد لم يُؤدبْ سعيد بن هشام ، وهو يخلط بين سعيد بن هشام ، وسعيد بن عبد الرحمن بن حسان ، وسعيد ابن عبد الملك ، وكان معبد الجهنى معلم سعيد بن عبد الملك(٩٢) .

ومما يُضَعِّفُ الخبر ، ويدل على اختلاقه أن أبا الفرج رواه عن غير الحسن بن على مولى العباسيين رواية ثانية لا تمت إلى اللواط بصلة ، بل تدور على الفكاهة والدعابة التى اشتهر بها الوليد بن يزيد ، فقال : « أخبرنى الجوهرى قال : حدثنا عمر بن شبة قال : أخبرنى أبو سلمة الغفارى قال : أخبرنى أبو عاصم الأسلمى قال : بينا ابن يسار النسائى مع الوليد بن يزيد جالس على بركة إذ أشار الوليد إلى مولى له يقال له عبد الصمد فَدَفَعَ ابنَ يسارِ النسائىِ فى البركة بثيابه ، فأمر به بالوليد ، فأُخْرِجَ ، فقال ابن يسار :

---

(٨٩) المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء ، للقاضى الجرجانى ص : ٣١ .

(٩٠) ترجمته فى الفهرست ص : ٤٢ ، ونزهة الألبا ص : ٤٥ ، وإنباه الرواه ١ : ٣٤١ ، ومعجم الأدباء ٤ : ١٨٣ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢٤٤ ، ونور القبس ص : ٥٦ ، وبغية الوعاه ص : ٢٤٣ .

(٩١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ١٧٨ .

(٩٢) البيان والتبيين ١ : ٢١٠ .

قُلْ لِوَالى العَهدِ إنْ لاقَيْتَهُ ۝ وَوَلِىُّ العَهْدِ أَوْلَى بالرَّشَدْ
إنَّهُ واللهِ لولا أَنْتَ لمْ ۝ يَنْجُ منى سَالِماً عبدُ الصَّمَدْ
إنه قَدْ رامَ منى خُطَّةً ۝ لم يَرُمْهَا قَبْلَهُ منى أَحَدْ
فهو فيما رام(٩٣) منى كالذى ۝ يَقْنِصُ الدُّراجَ مِنْ خِيسِ الأَسَدْ(٩٤)

فبعث إليه الوليد بخلعةٍ سَنِيَّةٍ وَوَصلهُ وتَرَضَّاه »(٩٥).

والنص الأخير هو أصل الخبر فى الأعم الأرجح ، فهو يتفق مع ما يروى من أن إسماعيل بن يسار النسائى عاش عمراً طويلاً إلى أن أدرك آخر سلطان بنى أمية ولم يدرك الدولة العباسية(٩٦) وكان طَيِّباً مَلِيحاً مُنْدِراً بَطَّالا . وهو ينسجم مع ما يقال من أن الوليد بن يزيد غُنِّىَ فى شعرٍ له ، فسأل عن صاحبه فقيل له : إنه لإسماعيل بن يسار النسائى ، فكتب فى إشخاصه إليه(٩٧) ، فوفد عليه وقد أَسَنَّ وضَعفَ ، فتوسل إليه بأخيه الغمر بن يزيد ، ومدحه(٩٨) .

ويَرْفَعُ من قيمة النص الأخير للخبر أنَّ أَصْلَهُ مدنى . فراوية الأول هو أبو عاصم الأسلمى ، أخذه عنه أبو سلمة الغفارى ، ثم حمله عنه عمر بن شبَّة الذى عاصر الزبير بن بكار وعمه مصعباً وكان من المهتمين بتاريخ الأمويين ، إذ ألَّف كتاباً فى « مقتل عثمان بن عفان »(٩٩) .

ومقارنة بين نَصِّ الخبر الأخير ، ونَصِّ الخبر المولد الذى اشتق منه ، ونَحَلَهُ مصعب بن عبد الله ، والزبير بن بكار لعبد الصمد بن عبد الأعلى تكشف عما لحق نص الخبر الأخير من تزييف أَحَالَهُ عن معناه ومغزاه ، وَوَجَّهه للطعن فى الوليد بن يزيد ومؤدبه ، فقد استعاض الزبيريون عن إسماعيل بن يسار النسائى بسعيد بن عبد الرحمن بن حسان ، ونسبوا إلى عبد الصمد أنه راوده عن نفسه ، وأن سعيداً شكاه إلى هشام بن عبد الملك ، مع أن هشاماً لم يكن مُسْتَلْطِفاً لسعيدٍ أو مَعْنِياً به ، فإنه لم يستقبله حين وفد عليه بدمشق مع جماعة من قريش ، ولم ينشط له(١٠٠) ، فاحتفل الوليد بن يزيد به وأكرمه(١٠١) . وأسقط الزبيريون البيت الأول من شعر إسماعيل بن يسار النسائى ، وهو يخاطب فيه

(٩٣) فى الأصل : مما رام .
(٩٤) الدراج : طائر على خلقه القطا إلا أنه ألطف منه ، باطن جناحيه أسود ، وظاهرهما أغبر . وخيس الأسد غابته ومكانته .
(٩٥) الأغانى ٤ : ٤١٣ .
(٩٦) الأغانى ٤ : ٤٠٨ .
(٩٧) الأغانى ٤ : ٤١٦ .
(٩٨) الأغانى ٤ : ٤٢٤ .
(٩٩) الفهرست ص : ١١٢ .
(١٠٠) الأغانى ٨ : ٢٦٩ .
(١٠١) الأغانى ٨ : ٢٧٥ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ١٤٩ .

الوليد بن يزيد ، ويدل على أصل القصة ، ويشهد بأنه زار الوليد وهو وَلِيُّ عهدٍ ، مما تُوَثِّقُهُ أخبار إسماعيل بن يسار النسائى التى ذكرها أبو الفرج . وأبقى الزبيريون الأبيات الثلاثة التى تحتمل التأويل ، والتى يمكن أن يُفْهَمَ منها أنها تشيرُ إلى أنَّ عبد الصمد بن عبد الأعلى حاول الاعتداء على سعيد . ولكى يزيلوا الغموض الذى يَلُفُّ دلالة الأبيات على اللواط ، عَدَّلوا الشطر الثانى من البيت الأخير ، إمعاناً فى صَرْفِ الخبر والشعر من الظَرْفِ والهَزْلِ البرىء إلى الفحش والزِّنا ، وافتناناً فى التَّعمية والتَّمْوِيهِ على الخبر المُخْتَلق .

ومنذ أن ألحق يزيد بن عبد الملك ابنه الوليد بعبد الصمد بن عبد الأعلى ليؤدِّبه ، أحاط به عبد الصمد ، وظل مصاحباً له فى خلافة أبيه ، وفى أثناء ولايته للعهد مصاحبة لا انحراف فيها ولا غبار عليها . وكان فى عبد الصمد لباقة وكياسة وطرافة ، فلم تقتصر علاقته بالوليد على تعليمه وتربيته ، بل تطورت ، ونشأت عنها صداقة حميمةٌ بينهما .

فلما فترت الصلة بين هشام والوليد بعد سنة ست عشرة ومائة(١٠٢) ، وشرَع هشام فى التدبير لِعَزْلِ الوليد عن ولاية العهد ، وراح يُجَرِّحُهُ ، ويَقْدَحُ فيه وفى مُؤدِّبه ، لِيُنَفِّرَ الناس عنه ، ويستعديهم عليه ، ويدفعهم إلى المناداة بخلعه ، ازداد الوليد تَمسُّكاً بعبد الصمد ، واشتد إخلاص عبد الصمد له ، إذ ارتبط مصيره بمصير تلميذه وسيده ، ووَجَدَ فى الوليد ملجأً يأوى إليه ، ويمتنع به من ظلم هشام ، وجعل يَحُضه على التَّشَبُّثِ بولاية العهد ، ويحرِّضُهُ على مقاومة هشام ، ويَهْدِيهِ إلى مُنَاوَأَتِه ، ويَدُلُّهُ على ما يُفْسِدُ خُطَطَهُ ، ويُرْشِدُه إلى السُّخْرِيَةِ منه ، والكيد لابنه مسلمة الذى كان يرشحه للخلافة (١٠٣) ، مما أثار هشاماً وأسخطه على الوليد وعبد الصمد . ولكنه كان عاجزاً عن العنف بهما ، والانتقام منهما ، لأن مسلمة بن عبد الملك – وكان أَجَلَّ إخوته – كان يَزَعُ هشاماً عن التَّعرُّض للوليد ، ويَرْدَعُهُ عن الإساءة إليه(١٠٤) .

ولم يزل هشام مَغِيظًا من الوليد ، حتى تُوُفِّيَ مسلمة بن عبد الملك سنة عشرين ومائة(١٠٥) ، فأتيحت الفرصة لهشام ، فرَمَى الوليد وعبد الصمد بالضلال والإلحاد ، وعنُفَ بهما عُنْفاً شديداً ، فرحل الوليد وخاصته إلى الأزرق جنوبى عَمَّان ، ورافقه عبد الصمد فى رحلته ، وأقام معه بالأزرق ، وأخد يسليه ويواسيه ، حاثًّا له على التَّجلد . وباعثاً فيه الأمل ، ومبشراً له بمستقبل باسم ،

---

(١٠٢) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥١٢ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٩٨ ، ٢٠٩ .

(١٠٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ ، والأغانى ٧ : ٤ .

(١٠٤) نسب قريش ص : ١٦٥ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٣٣ ، والأغانى ٧ : ٦ .

(١٠٥) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥١٩ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٢٩ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٢٨٥ ، ٢٨٨ .

وظل مرافقا له ، يُهوِّن عليه ، ويستطيل خلافة هشام ، ويتَمَنَّى هلاكه ، حتى يصفو الأمر للوليد ، وهشام يُرَاقبُها ، وتُنْقَلُ إليه أخبارهُا ، حتى إذا بَلَغَه ما نظم عبد الصمد من شعر يعلن فيه قُرْبَ خلافة الوليد(١٠٦) ، خرج هشام عن طوره ، وكتب إلى الوليد أن يُسَلِّمهُ عبد الصمد ، فأرسله إليه مرغماً ، فسجنه هشام ، ثم بعث به إلى يوسف بن عمر الثقفى عامله على العراق ، فقتله صبراً(١٠٧) .

فهشام هو الذى اختلق تهمة الزندقة ، وألْصَقها بعبد الصمد ، ثم أشاع عليه أخباراً قبيحةً مخترعةً ، تُزْرى به ، وتَحُطُّ من قدره ، وتَطْعَنُ فى دينه ، لأنه أَيَّدَ الوليد بن يزيد ، ثم « بعث هشام بعبد الصمد وأخيه إلى يوسف بن عمر على أنهم زنادقة ، وأراد بذلك التَّشْنِيعَ على الوليد »(١٠٨) .

ذلك أكثر ما تَفَرقَ من أخبار عبد الصمد وأسرته ، وهو يُثبتُ بعد نَقْدِهِ وَنَخْلِهِ أن عبد الصمد سليل أسرة عربية شيبانية عريقة ، يمتد تاريخها من نهاية العصر الجاهلى إلى بداية القرن الثانى الهجرى ، ويُبيِّنُ أن مكانة الأسرة إنما عظمت فى حياة عبد الأعلى بن أبى عمرة ، لما كان له من فَضْلٍ علمى وأدبى جعله مقصد طلاب العلم بدِمشق ، فأموه وتَحَلَّقُوا عليه يَنْهَلُون من معارفه ، ويروون عنه الأحاديث . ولكن اشتغال عبد الأعلى بالسياسة واتصاله بالأمراء والخلفاء الأمويين ، وعَمَلَهُ لهم وَطَّدَتْ مكانته ، وزادت شخصيته بريقاً وتألقاً ، فقد عرف عبد العزيز بن مروان فى المدينة ودمشق ، فاطمأن عبد العزيز إليه ، واستدعاه إلى مصر ، فنهض له ببعض المهات السياسية . وقدر عمرُ بن عبد العزيز كفاءة عبد الأعلى العلمية والأدبية والسياسية ، فَقَدَّمهُ ، وأرسله إلى أليون ملك الروم ، وكَلَّفه أن يَعْقِدَ معه معاهدة لاسترجاع أسرى المسلمين ، فَلَبَّى أمْرَ عمر ، وحَقَّق هدفه .

وشق أبناء عبد الأعلى الثلاثة طريقهم فى الحياة معتمدين على مكانة أبيهم الاجتماعية والسياسية ، وما ورثوا عنه من ملكة الشعر والخطابة ، وما حَصَّلوا من ألوان العلم . وكان عبد الله يتمتع بمواهب أدبية وسياسية ، فَوَثَّق صلاته بالخلفاء الأمويين ، إذ تَقَرَّبَ من سليمان بن عبد الملك ، وأدَّب ابنه

---

(١٠٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١١ ، والأغانى ٧ : ٨ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٧٤ ، المجلد العاشر ، الورقة : ١٦٨ و .

(١٠٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣١٢ ، والبرهان والعرجان ص : ٨٣ .

(١٠٨) البرهان والعرجان ص : ٨٣ . الجاحظ فى كتبه الأدبية العامة غيره فى رسائله السياسية العباسية فهو فى كتبه الأدبية العامة إذا تَجَرَّدَ من هواه العباسى ، يُحَلِّلُ الأخبار ، ويَنْقُدُها ، ويستخلص الغايات والمقاصد منها ، ويُنْصِفُ الأمويين ومن عملوا لهم ، كما يتضح ذلك فى تَحْلِيلِه وتَعْلِيلِهِ لخبر حبس هشام بن عبد الملك لعبد الصمد بن عبد الأعلى . وهو فى رسائله السياسية العباسية ، يشايع العباسيين ، ويناضل عن حقهم فى الخلافة ، ويتحامل على خصومهم من العلويين والأمويين ، وقد يستغل العثمانية لرد حجج الشيعة فى الخلافة ، ومنازعتهم للعباسيين فيها ، وقد ينحى باللائمة عند الحاجة على الأمويين ويدارى العلويين ! فالقضية بالنسبة إليه هى تسويغ استيلاء العباسيين أولياء نِعْمته على الملك ، ومن هنا كان موقفه تجاه السلالة السابقة (الأمويين) والعلويين مُبْهَماً وخاضعاً لتأثير الظروف . (انظر الجاحظ فى البصرة ص : ٢٧٢) .

أيوب ، وحَظى عند يزيد بن عبد الملك ، وأخيه هشام إلى حين ، وكان من أهل السلطان والشفاعة فى أيامها . وكان أخوه عبد الصمد على مثاله عِلماً وأدباً وظرفاً ، فلاذ بالأمراء السفيانيين ، والخلفاء الأمويين ، إذا اصطفاه عتبة بن عمرو بن عتبة بن أبى سفيان لتربية أبنائه وتعليمهم ، وانتخبه يزيد بن عبد الملك لتأديب ابنه الوليد وتثقيفه ، فاحتَضَنه واختَصَّ به .

وكما رَفَع العلم والأدب والسياسة الأسرة إلى قمة المجد ، فإن مكائد السياسة ودسائسها وضَعَتها فى الحضيض ، وحطمتها ودمرتها ، فقد ثار هشام على الإخوة الثلاثة ، لأن عبد الصمد ناصر الوليد عليه ، وشجعه على مقاومة رغبته فى تحويل ولاية العهد إلى ابنه مسلمة ، وزينَ له الهُزْءَ منه ، فقبض هشام على عبد الصمد وأخيه عبد الرحمن ، وشَهَّر بهما كما شهر بأخيهما عبد الله ، ثم قَذَفهما بالإلحاد لِينْفى أنه قَتلها امتعاضاً لنفسه وتَعصُّبًا لابنه ، ويُوقِعَ فى أخلاد العامة أنه أعدمهما غَضَباً لله ودينه !

وبذلك كان هشام هو الذى صَمَّمَ على سحق هذه الأسرة ونَسْفها ، لأنها عارضت مطامحه السياسية ، وكانت سبباً من أسباب إخفاقه فى المبايعة لابنه مسلمة بالخلافة ، فأرجف بِفسْقِها ومروقها من الدين فى أول الأمر ثم مَزَّقها ، وطمسَ فَضْلها وعلمها وأدبها ، ومحا مآثرها ومحامدها . وعَثَّر الرواة والإخباريون الذين تَوَزَّعتهم النَّزعات السياسية العباسية والشيعية واليمنية والزبيرية المعادية لبنى أمية بالمساوى التى افتراها هشام على هذه الأسرة ، فنفخوا فيها ، واشتقوا منها وزادوا عليها ، إذ لم يكتفوا برمى عبد الصمد بالزندقة ، بل تجاوزوه إلى اتهامه باللواط ، ولم يقفوا عند قَرْفِ تلميذه الوليد بالزندقة ، بل تَعَدُّوه إلى وَصْمِهِ باللواط(١٠٩) ، حتى يكون امتداداً لأستاذه فى انحرافه الفكرى ، وشذوذه الجنسى !

ولا يذكر القدماء أن يزيد بن عبد الملك رسم منهجاً محدداً لعبد الصمد لكى يستضىء به فى تأديب ابنه الوليد ، وكأنما دفعته ثقته به وبقدرته إلى تحريره من القيود ، راضياً باجتهاده ، وما يؤديه إليه تَصَوُّره وتقديره . والغالب أن عبد الصمد انتفع فى تأديب الوليد بمعارفه الواسعة ، وخبراته التربوية السابقة ، ويفترض استناداً إلى وصايا الخلفاء والأمراء الأمويين لمؤدبى أولادهم(١١٠) أن

(١٠٩) عيون الأخبار ٢ : ٤٢ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٢٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٥١ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة : ١١٢ و ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ١٩ ظ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥١ ، وخزانة الأدب ١ : ٣٢٩ .

(١١٠) انظر وصية عبد الملك بن مروان لإسماعيل بن عبيد الله بن المهاجر معلم ولده فى عيون الأخبار ٢ : ١٦٧ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٢٧ ، ووصية هشام بن عبد الملك لسليمان بن سليم بن كيسان مؤدب ولده محمد فى تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٢٧٧ ، ووصية عقبة بن عمرو بن عتبة بن أبى سفيان فى عيون الأخبار ٢ : ١٦٦ ، والعقد الفريد ٢ : ٤٣٦ ، ونور القبس ص : ١٨٧ ، والنجوم الزاهرة ١ : ١٢٣ .

عبد الصمد عَلّم الوليد القراءة والكتابة (١١١) فإن إتقانهما كان صفة من صفات الرجل الكامل عند العرب (١١٢) . وكان تعليمهما رُكْناً من أركان التربية منذ النصف الأول من القرن الأول ، حرص مُؤَدِّبو أبناء الطبقات العليا والدنيا على أن يَتَدَربَ تلاميذهم عليه ، ويتمكنوا منه (١١٣) ، ويُسْتَدَلُّ من وصايا العمال الأمويين فى النصف الثانى من القرن الأول أنهم كانوا ينصحون مؤدبى أولادهم أن يهتموا بتعليمهم الكتابة كما يهتمون بتعليمهم ألوان المعرفة الأخرى (١١٤) ، ويستفاد من أخبار الوليد أنه كان شغوفاً بقراءة الكتب والمؤلفات المختلفة فى أيامه (١١٥) .

وأخذ عبد الصمد الوليد بكتاب الله . فأقرأه بعض السور القصار ، وآيات من السور الطوال . ولم يزل يلقّنها له شارحاً ومُفَسِّراً ، ومبينا ما فيها من الأحكام الفقهية مما يتصل بالحلال والحرام ، ومُبَسِّطاً ما فيها من ضروب البلاغة والإعجاز ، ومُسْتَنْبِطاً ما فيها من المواعظ والأمثال ، والوليد يُصْغى إليه . ويحفظ عنه . وفى شعر الوليد (١١٦) ، وخطبه (١١٧) ، ورسائله (١١٨) ما يقطع بأن عبد الصمد أقرأه كثيراً من سور القرآن وآياته ، وأنه وعاها واستظهرها ، فهو يستلهم فيها معانى القرآن وألفاظه ، وخطبته الشعرية التى تلاها فى جامع دمشق بعد أن استخلف تثبت ذلك ، فهو يكاد يصدر فى كل بيت منها عن معنى آية من القرآن ، إذ يقول (١١٩) :

أَلحمـدُ للهِ وَلِيِّ الحمـدِ ... أَحْمَدُهُ فى يُسْرِنَا والجَهْدِ
وهو الذى فى الكَرْبِ أستعينُ ... وهو الذى ليسَ له قَرينُ
أشهدُ فى الدُّنيا وما سواها ... أنْ لاَ إلهَ غَيْرُهُ إلٰها
ما إنْ لَهُ فِى خَلْقِه شَرِيكُ ... قد خَضَعَتْ لِمُلْكِهِ المُلوكُ

---

(١١١) تاريخ دمشق ، مخطوطة مكتبة الأزهر ، المجلدة : ٢٩ ، الورقة : ١٩٧ ظ .

(١١٢) عيون الأخبار ٢ : ١٦٨ .

(١١٣) نشأة تدوين الأدب العربى ، للدكتور يوسف العش ، فصلة من كتاب المحاضرات العامة للجامعة السورية لعام ١٩٥١ ص : ٧ ، وأنظر مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية ص : ١٣٤ ، وما بعدها .

(١١٤) عيون الأخبار ٢ : ١٦٦ .

(١١٥) الطبقات الكبرى ٢ : ٣٨٩ .

(١١٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٢١٤ ، ٣١٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٥ ، والأغانى ٧ : ٨ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٧ ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٤ .

(١١٧) الأغانى ٧ : ٧ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٠ .

(١١٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٣ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٢ ، والأغانى ٧ : ١٢ .

(١١٩) الأغانى ٧ : ٥٧ .

أشهدُ أنَّ الدينَ دينُ أحمدِ فليسَ من خالَفهُ بمهتَدى
وأنَّه رسولُ ربٍّ العَرْشِ القادرِ الفَرْدِ الشديدِ البَطْشِ
أَرْسَلَهُ فى خَلْقِهِ نَذيرَا وبالكتاب واعظاً بَشِيرَا
لِيُظْهِرَ اللهُ بذاكَ الدينا وقد جُعِلْنا قَبْلُ مُشْركينا
مَنْ يُطِع اللهَ فقد أصابا أَوْ يَعْصِهِ أو الرَّسولَ خابا
ثم القُرآنُ والهُدَى السَّبيلُ قد بَقيا لمَّا مَضَى الرَّسُولُ
كأنَّهُ لِمَا بَقِى لَدَيْكُمُ حَىٌّ صحيحٌ لا يزالُ فيكمُ
إنكمْ منَ بعْدُ إنْ تَزِلُّوا عَنْ قَصْدِهِ أو نهْجِهِ تَضِلُّوا
لاَ تَتْرُكُنْ نُصْحى فإنى ناصحُ إنَّ الطريقَ فاعْلَمُنَّ واضِحُ
مَنْ يتَّقِ اللهَ يجدْ غِبَّ التُّقَى يومَ الحسابِ صائراً إلى الهُدَى
إنَّ التُّقَى أفضلُ شىءٍ فى العَمَلْ أرَى جِمَاعَ البِرِّ فيهِ قَدْ دَخَلْ
خَافُوا الجَحِيمَ إخْوتى لَعَلكُمْ يومَ اللقاءِ تَعْرِفُوا ما سَرَّكُمْ
قَدْ قيلَ فى الأمثالِ لو عَلِمْتُمُ فانْتَفِعُوا بذاكَ إنْ عَقَلْتُمُ
ما يَزْرَعُ الزَّارِعُ يوماً يَحْصُدُهْ وما يُقَدِّمْ مِنْ صَلاحٍ يَحْمَدُهْ
فاسْتَغْفِروا رَبَّكمْ وتُوبُوا فالموتُ منكُمْ فاعْلَموا قَريبُ

وليست هذه القصيدة هى الخطبة الشعرية الوحيدة التى نظمها الوليد وتلاها على الناس ، فقد روى له القدماء قصيدة أخرى عينية(١٢٠) خطب بها فى جامع دمشق ، حين زاد أعطيات الناس ، وحَسَّن أوضاعهم ، واستوحى فيها معانى القرآن ، مطلعها(١٢١) :

أَلاَ أيُّها الرَّكْبُ المُخِبُّونَ أَبْلِغُوا سَلاَمِى سُكَّانَ البلادِ فَأَسْمِعُوا

وكان عبد الصمد من رُواة الحديث وحَمَلَتِه ، فعرض على الوليد طوائف منه ، استوعبها وتمكَّن منها تَمكُّناً يُوَضِّحُهُ ما يقال من أنه كان يروى كثيراً من الأحاديث ، وأنه كان من المُحَدِّثين(١٢٢) . وربما كان يُلْقِى عليه دروساً فى مغازى الرسول وأصحابه وبلائهم ، وفى أيام العرب وحروبهم

---

(١٢٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٨ ، وتاريخ الموصل ص : ٥١ ، والأغانى ٧ : ٢١ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤ .

(١٢١) الأغانى ٧ : ٢١ .

(١٢٢) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة ٤٧٩ و .

وأنسابهم وجماهير أحيائهم وأمثالهم وحكمهم(١٢٣).

وأغلب الظن أنه عَلّمه شيئاً من مفردات اللغة ومشتقاتها ، ومن قواعد النحو وأحكامه ، مما كانت تتضمنه القصائد والخطب التى يُلْقيها عليه ، ويَشْرحُها له . يدل على ذلك حذق الوليد لأصول اللغة ، وَبَصرُه بها ، وتمييزه بينها ، واستخدامه لها استخداماً دقيقاً ، وإجادته لقواعد النحو ، وإتقانه لها فى شعره وخطبه إتقاناً شديداً .

وكان عبد الصمد شاعراً مُطَّلعاً على الشعر الجاهلى والإسلامى ، فانتخب له منه أرق القصائد ، وأروع النماذج فى كل موضوع من موضوعاته . وهى قصائد ونماذج كان ينشدها لهُ مُفَسِّراً ومُحَلِّلاً . وكانت موهبة الشعر كامنة فى نفس الوليد لم تتفتح بعد ، فكان يُنْصِتُ بِشَغفٍ إلى ما يرويه أستاذه من الشعر ، سامعاً ومتأملاً ، وواعياً وحافظاً . ويستشف مما بقى من شعر الوليد أن عبد الصمد عَرضَ عليه قصائد من غزل عمر بن أبى ربيعة ، وجميل بن معمر(١٢٤) ، وأن الوليد كان أميل إلى غزل عمر وذوقه(١٢٥) ، كما ظل يسأل الرواة عنه ، ويَسْتَعِيدُهم له(١٢٦) .

وأما فى الفخر والعتاب والوصف فيبدو مما بقى من شعر الوليد أن عبد الصمد اصْطَفَى له أجزل القصائد وأَمْتَنها ، إذْ يغْلب على فخره وعتابه ووصفه بداوة المعانى وَغَرابتها ، وفخامة التعابير وَوُعُورتها ، وأَعْرَابيَّة الصور وخشونتها(١٢٧) ، لأنه كان يَسْتَمِدُّ فيها مما اخْتزنَ فى ذاكرته من لغة القصائد الجاهلية والإسلامية التقليدية وصورها الصحراوية التى ثَقِفَها عن عبد الصمد وأبى نخيلة التميمى(١٢٨) . ولأنه كان يَرْتَجِلها غير مُتَأَنٍّ فيها ، ولا مُراجعٍ لها أو مُقومٍ ما اعْوَجَّ منها . ولكنه يتأثر فى عتابه ببعض معانى القرآن وأمثاله وألفاظه(١٢٩) .

ولم يُطْلِعْهُ عبد الصمد على شعرٍ كثيرٍ من وصف الخمر . ومن الجائز أن يكون وَقَفَه على بعضه مما كان يَعْرِضُ فى القصائد المطولة التى كان يُدَرِّسُها له ، فمر بها مروراً سريعاً . ويَحْسُنُ أن يُشارَ إلى أن

---

(١٢٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٣ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٢ ، والأغانى ٧ : ١٢ ، ٧ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٠ .

(١٢٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٥ .

(١٢٥) الأغانى ١ : ١١٤ .

(١٢٦) الأغانى ١ : ١٣٥ .

(١٢٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٤ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٢ ، والأغانى ٧ : ١٣ .

(١٢٨) طبقات الشعراء ، لابن المعتز ص : ٦٣ .

(١٢٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٥ ، والأغانى ٧ : ٨ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٦ ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٤ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة ٤٨٠ ظ .

وصف الخمر فى الشعر الجاهلى مُتَناثِر فى تضاعيف القصائد ، وأن منَ تَفَرَّغوا له واشْتهروا به من الشعراء الجاهليين قليلون ، كعدى بن زيد والأعشى ميمون بن قيس . وليس فى أخبار الوليد الصحيحة أو المنحولة أنّ عبد الصمد تَتَبَّع وصف الخمر واستقصاء وسرده عليه . ويَحْسُنُ أن يُشَارَ أيضاً إلى أن وصف الخمر فى القرن الأول ذَبُلَ وتَضَاءَل . وجَفَّ وكاد يتلاشى ، فإن الشعراء الفحول وغير الفحول أعْرضوا عنه ، ولم يَعُودوا يَخُوضون فيه أو يستغلونه فى قصائدهم استغلالاً فَنيًّا نَظَرِيًّا جُزْئِيًّا إلاَّ نادراً(١٣٠) ، لأنه يُنافى عقيدتهم ، ولأنهم كانوا يتحاشون أن يَتَحاماهُم الخلفاء وكبار موظفيهم إذا هم أَلمُّوا به فى مدائحهم لهم . ولمَ يَشذَّ عن هذا النَّهْجِ منهم إلاَّ الأخطل التَّغْلَبِى . وأباحت له نَصْرانيته الشذوذ ، فأفاض فى مقدمات بعض قصائده وثناياها فى وصف مجالس لهوه . ولكنه لم يمدح بالقصائد التى وصف فيها الخمر خليفة أو والياً فكل ماله منها فى الافتخار بقبيلته أو فى مديح رجالٍ منها ، أو فى هجاء أفراد من قبائل أخرى(١٣١) . وحذا حذوه نفر من شعراء الكوفة المجان فى آخر العصر الأموى(١٣٢) .

وحمادٌ الراوية هو الذى رَوَى له شَذرات من وصف عدى بن زيد للخمر(١٣٣) ، بعد أن شَبَّ وجاوز مرحلة التلمذة المباشرة لعبد الصمد ، وهو الذى أنشده مقتطفات من أشعار الشعراء الكوفيين المجّان ، وهى أشعار جديدة حديثة العهد ، كانت حَبِيسةً بالكوفة غيرُ متَداولةٍ ولا متناقلةٍ بين الرواة فى دمشق وغيرها من الأمصار ، لأن أصحابَها نَبَغُوا وعُرِفُوا فى مطلع القرن الثانى(١٣٤) ، وكان عبد الصمد يجهلهم ، ولا يعلم بأشعارهم .

وكان عبد الصمد خطيباً بارعاً ، فروى للوليد وقرأ له قطعاً وأطرافاً من الخطب الجاهلية والإسلامية البديعة الرصينة ، واستكثر من عرضِها عليه ، وشرحها له ، مُبَيِّناً ما فيها من معانٍ أخاذة ، وألفاظٍ جَزْلَةٍ وأساليب ساحرة . فأعجب الوليد بها ، وعكف عليها دَرْساً وتَمثُّلاً حتى فَهِمها وحفظها ، يشهد بذلك ما يؤثر عنه من خُطَبٍ مُصَفَّاةٍ ناصعةٍ آسرةٍ ، كان يعمد فيها إلى ضرب من التقسيم الموسيقى والازدواج والسجع غير المتكلف ، كقوله من خطبة له معزيا عَمَّه هشام بن عبد الملك بوفاة أخيه مسلمة بن عبد الملك(١٣٥) : « يا أمير المؤمنين ، إن عُقْبَى منَ بَقِيَ لُحوقُ من مَضَى ، وقد

(١٣٠) مقدمة القصيدة العربية فى العصر الأموى ص : ٢٧ .

(١٣١) شعر الأخطل ص : ٥٢ ، ٧٦ ، ٢٠٧ ، ٢٥١ ، ٢٩١ .

(١٣٢) حياة الشعر فى الكوفة ، ليوسف خليفة ص : ٥٩٣ ، ٦٠٣ .

(١٣٣) الأغانى ٧ : ٤٥ .

(١٣٤) الأغانى ١٣ : ٢٧٦ ، ١٤ : ٣٢١ .

(١٣٥) الأغانى ٧ : ٧ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٠ .

أقفر بعدَ مَسْلَمَةَ الصَّيْدُ لمن يَرَى ، واختَلَّ الثَّغْرُ فَوَهَى . وعَلَى أَثَرِ من سَلَفَ يَمضى من خَلَفَ . وتَزَوَّدُوا فإنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى » .

ويشهد به أنه أصبح بعد أن استَوَتْ شخصيتُه ، واكْتَمَلَتْ ثقافتُه ، واستقامَ أسلُوبه من الخطباء الأمويين اللاّمعين ، فكان العُثْمَانيةُ فى أواخر القرن الثانى ، وأوائل القرن الثالث يَتَمَدَّحون بِقُدْرته الفذَّة على الخطابة ، وبراعته فيها ، مُطَاولين به العباسيين الذين كانوا يكاثرونهم بالخطباء من خلفائهم (١٣٦) . وكان القدماء ينوهون بخطبه ويقرون له بالتَّقَدُّم والسَّبْق فيها ، وَيَعْتَدُّونه من الخطباء البلغاء ، إذ قرنه ابن النديم فى فصاحته واسترساله فى خطبه بأعلام الخطباء ، كعلى بن أبى طالب ، وعبد الله بن عباس وزياد بن أبى سفيان ، وقطرى بن الفجاءة ، وخالد القسرى ، وأبى جعفر المنصور ، والمأمون (١٣٧) .

ونسب الزبير بن بكار للوليد بن يزيد ، وعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب (١٣٨) مفاخَرَةً جرت بينهما زمن هشام بن عبد الملك . ويظهر أن الوليد كان صديقاً لعبد الله (١٣٩) ، وأنهما كانا يلتقيان ويستفيضان فى الأحاديث مُتَمَازِحَيْنِ وجَادَّيْنِ ومُتَذَاكِرَيْنِ أيام العربُ (١٤٠) ، مما قد يفيد أن لمفاخرتهما أصلاً . ويتوالى بَعْضُ تَمَجُّدِ الوَليد فيها على هذا النمط (١٤١) :
«أنا ابن يزيد ، السيد العَمِيد ، من أناف فَفَاقَ شَرَفُه ، وكَرُمَ أَصْلُهُ وطَرَفُه ، وسَهُلَ بابُه وكَفُّه ، واشْتَدَّ من الضَّيم أَنْفُه . هو الذى قُسِمَتْ مَنافِعُه ، وَعَمَّتْ صَنائِعُه ، وتَتَابَعَتْ وَقَائِعُه . كانت إليه تعمد الوُفود ، وبسياسته تُرَاضُ الجنُود ، وبأمرِه تعْهَدُ العُهُود ، وتَتَضاءلُ عندُ رؤيَته الأُسود . ثم لعبد الملك . الذى كان إذا سابقَ الأكفاء سَبَق ، وإذا نَطَق صَدَق ، وَيَفْرِى كُلَّما خَلَق ، وتُحيِي مَخائِلُه إذا وَدَق (١٤٢) ، وَيرْتَقُ إذا فَتَق ، ولا يُفْتَقُ ما رَتَق . كان تهزَمُ الجيوشُ باسْمه ، وتَضِلُّ الحلومُ فى حِلْمِه ، ويعيشُ أهلُ الرَّأْى بِعلمِه ، ويَعْدلُ فى حُكْمِهِ وقَسْمِه . ويعرفُ فَضْلَ أبيه وأمِّهِ . هو

(١٣٦) كتاب فضل هاشم على عبد شمس ، برسائل الجاحظ ، للسندوبى ص : ٩٣ ، ٩٦ .
(١٣٧) الفهرست ص : ١٢٥ .
(١٣٨) ترجمته فى مقاتل الطالبيين ص : ١٦٢ ، والأغانى ١٢ : ٢٢٥ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٦٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٠٢ ، والملل والنحل ، للشهرستانى ١ : ١٣٥ .
(١٣٩) عيون الأخبار ٢ : ١٢٠ .
(١٤٠) الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار ص : ٥٦٣ .
(١٤١) الأخبار الموفقيات ص : ٥٦٣ .
(١٤٢) ودق : أمطر .

الذى قارَعَ عن المُلْكِ ففلج (١٤٣) ، وأَدْمَجَ حبلَ الجماعةِ فانْدَمجَ ، وأَرْتَج (١٤٤) بابَ الباطلِ فارتَتَج ، ولاقَ به المُلْكُ وابتَهَج » .

واستمر الوليد فى تَمَجُّده ببقية أسرته ، معتدا بمروان ، والحكم ، وأبى العاص ، وأميّة ، وعبد شمس ، ويزيد ، ومعاوية ، وصخر ، وحرب .

وما يتّضح فى المفاخرة من إطنابٍ وإسهاب ، وتدقيق تاريخى ، وما يشيع فيها من صَنْعَةٍ لَفْظِيَّة ، وتنقيب عن غرائب الألفاظ وشواردها ، واجتلابٍ لها لِتَتِمَّ بها الجُمَلُ وتَتَقابل فى موسيقاها وجَرْسِ أواخرها . مما لا يسود فى خُطَب الخطباء ، وكتب الكُتّابِ لهذه الفترة (١٤٥) قد يُسْتَخْلَصُ منه أنَّ أَصْلَ المُفاخرةِ قد نُمِّىَ وَطُوِّل ، فإن سائرها ركيكٌ مُفَكَّكٌ ، ولغته فيها تَكَلُّف مُسْرِفٌ يَنِمُّ عن أَثَر الوضع ، والبحث عن الألفاظِ المُماتة لإكمال الجُمَلِ وإقامتها ، والمساواة بينها فى طولها وموسيقاها .

وربما كان رواة العثمانية وعلماؤهم بالبصرة هم الذين مَدُّوا أصلها حتى وَسِعَ تاريخ الأمويين الجاهلى والإسلامى ، إذ لم يُترَك سيد من ساداتهم ، ولا خليفة من خلفائهم السفيانيين والمروانيين إلاّ ذُكِرَ فى بَقِيّتها ، وأُشِيدَ بسيرته ، وأُحْصِيت شمائِلِهِ الحميدة ونُوِّه بمساعيه المجيدة . ومما يكشف عَن دور العثمانية فى إطالتها والتَّكثُّر فيها أنّها حُمِلَتْ عنهم ، فراويها الأول هو عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عتبة ابن أبى سفيان ، أخذها عنه ابنه محمد (١٤٦) ، وهوَ بصْرِىٌّ كان يُحَدِّث عن أبيه ، وكان صاحب أخبار (١٤٧) ، وأكثر أخباره عن بنى أمية وأيامهم (١٤٨) ، وظَهر واشتهر فى الفَترة التى اشتدت فيها المنازعةُ النَّظريةُ فى الخلافة ، ومن يجب أنْ يَتولاَّها بين أنصار بنى أمية من أهل السنة والجماعة ، وبين أبى العباس وأتباعهم ، فقد توفى سنة ثمان وعشرين ومائتين (١٤٩) .

وسَرَدَ عبد الله بن معاوية فى رَدِّه على الوليد تاريخ الهاشميين ، وعَدَّد أشراف العباسيين والعلويين . إذ فاخر بأبيه وجده ، وبانتسابه إلى الرسول ، وتَمَدَّح بحمزة بن عبد المطلب ، وعلى ابن أبى طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، وابنه عبد الله ، وجعفر بن أبى طالب ، وأبى طالب ، وعبد المطلب وهاشم ، فى أسلوب أخف وأرشق من أسلوب الوليد أو ما أضيف إليه .

---

(١٤٣) فلج : ظفر وفاز .

(١٤٤) أرتج : أغلق .

(١٤٥) الفن ومذاهبه فى النثر العربى ، لشوقى ضيف ص : ٨٢ ، ١٠٨ .

(١٤٦) الأخبار الموفقيات ص : ٥٦٣ ، وتاريخ بغداد ٢ : ٣٢٤ .

(١٤٧) الفهرست ص : ١٢١ ، ومعجم الشعراء ص : ٣٥٦ ، وتاريخ بغداد ٢ : ٣٢٤ ، ووفيات الأعيان ٤ : ٣٩٤ .

(١٤٨) المعارف ص : ٥٣٨ .

(١٤٩) المعارف ص : ٥٣٨ ، وتاريخ بغداد ٢ : ٣٢٦ ، ووفيات الأعيان ٤ : ٤٠٠ .

وقد يكون الزبير بن بكار تَزَيَّد فى القسم الأخير من المفاخرة لاتصاله بأصدقائه العباسيين ، فهو يحتوى على جملة من فضائلهم ومناقبهم التى جمعها كتابهم ، فألحق به شيئاً اقتبسه من رسالة الجاحظ « فضل هاشم على عبد شمس » فالأخبار التى ترد فى الرسالة وفى القسم الأخير من المفاخرة متشابهة ، والأسلوب فيهما متقارب ، وكان الزبير معاصراً للجاحظ ، وقدم بغداد ، وعرف بها رسالة الجاحظ السابقة .

وإن لم يكن الزبير هو الذى تكثّر فى القسم الثانى من المفاخرة ، فإن تلميذه أحمد بن سعيد بن عبد الله الدمشقى ، الذى روى عنه الأخبار الموفقيات (١٥٠) هو الذى تَكثّر فيه منافقةً للعباسيين ، فهو الذى حمل المفاخرة عن الزبير (١٥١) ، وكان رحل إلى بغداد ونزل بها ، ولاذ بالخليفة المعتز ، وأدّب ابنه عبد الله (١٥٢) .

تلك هى المعارف والمهارات التى اكتسبها الوليد من عبد الصمد بن عبد الأعلى ، مما كان خبيراً به ، ومُتَضَلِّعاً فيه ، فقد دَرَّبه على القراءة والكتابة ، وَعلَّمه بعض القرآن والأحاديث وأيام العرب وأنسابهم ، وقواعد اللغة والنحو ، والشعر والخطب ، فوعى الوليد أكثر ما قَدَّمه إليه أستاذه من ألوان الثقافة وعياً دقيقاً ، ثم انطلق منه لتوسيع آفاقه ، وتعميق معلوماته ، وبناء شخصيته المستقلة ، فنجح فى ذلك نجاحاً يُوَثِّقه الصحيح من أشعاره وأخباره ، ويؤكِّده أنه كان امتداداً لأستاذه فى معارفه ومواهبه ، فقد غدا مثلَه مُحَدِّثاً وشاعراً وخَطِيباً .

٢ - أبُو نخيلة التَّميمى مُؤَدِّبه الثانى

لم يكن عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيبانى مُعَلِّم الوليد الوحيد ، فقد شركه أبو نَخيلة التميمى البصرى (١٥٣) فى تعليمه . وهو شاعر راجز من أفصح الناس وأشعرهم ، كان مطبوعاً مقتدراً كثير البدائع والمعانى غزيراً جدا ، وكان الغالب عليه الرجز ، ومع ذلك لا يُقَصِّر فى القصيد (١٥٤) .

---

(١٥٠) تاريخ بغداد ٤ : ١٧١ .

(١٥١) الأخبار الموفقيات ص : ٥٦٣ .

(١٥٢) تاريخ بغداد ٤ : ١٧٢ .

(١٥٣) ترجمته فى الشعر والشعراء ص : ٦٠٢ ، وطبقات ابن المعتز ص : ٦٢ ، والاشتقاق ص : ٢٥٢ ، والأغانى ٢٠ : ٣٩٠ ، والمؤتلف والمختلف ص : ٢٩٦ ، وسمط اللآلى ص : ١٣٥ ، وأمالى القالى ١ : ٢٩ ، وحماسة ابن الشجرى ١ : ٤٠٧ ، وخزانة الأدب ١ : ٧٨ وتاريخ الطبرى ٨ : ٢٢ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٧٨ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٣١٨ .

(١٥٤) طبقات ابن المعتز ص : ٦٣ ، والأغانى ٢٠ : ٣٩٠ ، والمؤتلف والمختلف ص : ٢٩٧ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٣١٨ .

وكان سبب قدومه الشام أنه كان عاقًّا بأبيه ، فنَفاه عنه ، وتَبرأ منه ، فخرج يطلب الرزق لنفسه ، فتأدَّبَ بالبادية حتى شعَر ، وقال رجزاً كثيراً ، وقصيداً صالحاً ، وشهِرَ . وسار شعره فى البَدْو والحَضَر . ورواه الناس(١٥٥) . ثم وفد على مسلمة بن عبد الملك بدمشق . فرفع منه ، وأعطاه ، وشَفَعَ له ، وأوصله إلى الوليد بن عبد الملك ، فمدحه ، ولم يزل به حتى أغناه(١٥٦) . واصطنعه مسلمة ، وأحسن إليه ، وأوْصَلَه إلى الخلفاء واحداً بعد واحد ، واستَماحهم له فأغنَوْه(١٥٧) .

ومعنى ذلك أن أبا نخيلة كان بدمشق منذ أيام الوليد بن عبد الملك ، وأقام بها فى خلافة يزيد ابن عبد الملك ، وهشام(١٥٨) ، والوليد بن يزيد(١٥٩) . ويظهر أنه عَاذَ بالوليد فى نهاية العقد الثانى من عمره ، بعد أن بُويعَ له بولاية العهد ، وترعرع وأَيْفَع ، وأصبحت له مكانة سياسية كبيرة . إذ يذكر ابن المعتز أنه هو الذى عَلَّم الوليد الشعر(١٦٠) . فكأنَّ دَوْرَه فى تأديب الوليد جاء بعد أن لَقَّنَه عبد الصمد حظا وافراً من العلوم ، وأخذت شخصيته الثقافية تستقل وتكتمل ، وملكاته الفنية تَتَفَتَّح وتَزْدَهِر ، وانحصر فى اكتشافه لموهبته الشعرية ، فتعهَّدها ، وَعَرَّفَه بأوزان الشعر وقوافيه ، ومَرَّنَه على إجازة الأشطار ، ومعارضة الأبيات ، ونظم بعض المعانى ، ولم يزل به يُدَرِّبه حتى حَلَّ عُقْدَةَ لسانه ، وأنطَقَه بالشعر .

ولعل رعاية أبى نخيلة الراجز الأعرابى ، والشاعر البدوى لملكة الوليد الشعرية ، وما كان يلقيه عليه ، ويُحَفِّظه له ، ويُمَرِّنه به من النصوص المتينة ، مع تثقيف عبد الصمد له بأجود الشعر وأرصنه . وهى التى تُفَسِّر ما يسود فى إنتاجه المبكر والمتأخر الذى نظمه فى الفخر والعتاب والوصف تأثره بالنَّمط الفنىِّ القديم ، إذ يَتَعلَّق فيه بالمعانى الجاهلية ، والقوالب البدوية ، والأخيلة الصحراوية ، ولايكاد يجاوزها وينفك منها إلاَّ قليلاً .

وكان الوليد يحب أبا نخيلة حبا شديداً(١٦١) ، فأحاط أبو نخيلة به خلال ولايته للعهد ، وحافظ على صلته به رغم تَرَدُّده على هشام ومدحه له ، ولما تولى الوليد الخلافة قَرَّبه وخَصَّه بجوائزه ، اعترافاً بفضله الأدبى ، وتقديراً لعنايته بموهبته ، إذ يروى ابن المعتز أن أبا نخيلة خرج من عند الوليد راكباً ،

---

(١٥٥) الأغانى ٢٠ : ٣٩٢ .
(١٥٦) الأغانى ٢٠ : ٣٩٢ .
(١٥٧) الأغانى ٢٠ : ٣٩٠ .
(١٥٨) الأغانى ٢٠ : ٣٩٣ ، ٣٩٤ ،
(١٥٩) طبقات ابن المعتز ص : ٦٣ .
(١٦٠) طبقات ابن المعتز ص : ٦٣ .
(١٦١) طبقات ابن المعتز ص : ٦٣ .

وبين يديه رجالة قد تَقَدَّموه ، وقد حُمِلَ معه مال كثير ، كان الوليد قد وَصَلَه به ، وهو يُفرِّقُ يميناً وشمالاً ويَتَصَدَّق ، حتى أتى منزله ، وقد فَرَّق منه شيئاً كثيراً ، ثم دفع إلى الرجالة الذين كانوا بين يديه مائة دينار(١٦٢) .

٣ - مؤدبٌ ثالثٌ مجهول

يذكر أبو الفرج أن يزيد بن أبي مساحق السلمى كان من مؤدبي الوليد بن يزيد . إذ يقول : « أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنى عقيل بن عمرو قال : قال يزيد بن أبي مساحق السلمى مؤدب الوليد شعراً . وبعث به إلى النوار . جارية الوليد . فَغَنَّتْهُ به . وهو :

مَضَى الخُلَفَاءُ بالأَمْرِ الحميدِ وأَصْبَحَتِ المَذَمَّةُ للوليدِ
تَشَاغَلَ عنْ رَعِيَّتِهِ بِلَهْوٍ وخَالَفَ فِعْلَ ذى الرَّأْيِ الرَّشيدِ

فكتب إليه الوليد :

ليتَ حَظِّى اليَوْمَ مِنْ كُـ ـلِّ مَعاشٍ لى وَزَادِ
قَـهْوَةٌ أَبْذُلُ فيها طارِفى ثُمَّ تِلاَدِى
فَيَظَلُّ القَلْبُ منها هائماً فى كُلِّ وادى
إنَّ فى ذاكَ صَلاَحى وَفلاَحى ورَشادى »(١٦٣)

ولا تُعينُ المصادِرُ المتاحة المتنوعة على مَعْرِفة يزيد بن أبي مساحق السلمى . وتَبَيُّنِ حياته وشخصيته ومكانته العلمية . ويبدو أنه مُؤدبٌ مخترعٌ صنعه الرواة المتأخرون الوضاعون لغمْزِ الوليد بن يزيد ولَمْزِهِ . وتَرْسِيخِ صورته المُنحَلَّة . وتَوْسِيعِ ما يُعْزَى إليه من الإيغال فى اللهو والبطالة . وإهمال شئون الدولة .

والخبر الذى رواه أبو الفرج ضعيفٌ . وفى سَنَدِهِ وَنَصِّهِ ثغراتٌ ومطاعنُ تشير إلى افتعاله . فليس للخبر أصلٌ قبلَ أبي الفرج ، ولم يحمِله أحدٌ من المؤلفين المعاصرين له واللاحقين به عن طريق آخر . وابن شاكر الكتبى هو الوحيد الذى أخذه عن أبي الفرج(١٦٤) . ثم إن شعر الوليد الذى تَضَمَّنَهُ الخبر لم

---

(١٦٢) طبقات ابن المعتز : ٦٣ .
(١٦٣) الأغانى ٧ : ٦٩ .
(١٦٤) عيون التواريخ . مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ : حـ ٥ . الورقة : ٢٤ ظ .

يرد فى المصادر المتقدمة رَدًّا على الشعر الذى اتهمه فيه مؤدبه بالإغراق فى المجانة ، والاشتغال بها عن أمور الخلافة ، بل وَرَد فيها مُفْرَدًا غيرَ مَسْبُوقٍ بشعر ولا خَبَر(١٦٥) !

وفى سلسلة رواة الخبر التى ساقها أبو الفرج فَجواتٌ تؤكد انبثاث وشائج التلمذة بين رجالها ، ففى كتب التاريخ والطبقات عشرة يسمون أحمد بن عبد العزيز(١٦٦) ، لا يُلَقَّبُ أحدهم بالجوهرى ، أربعةٌ منهم من علماء القرن الخامس ، وصلات التلمذة بينهم وبين عمر بن شبة المتوفى سنة اثنتين وستين ومائتين(١٦٧) مقطوعة ، إذ بينهم وبينه أجيال عديدة من العلماء ، وستةٌ منهم من علماء القرن الرابع ، وروابط التلمذة بينهم وبين عمر بن شبة غير قائمة ، إذ بينهم وبينه جيل من العلماء على الأقل ، وليس فى ترجمة أحدهم أنه التقى بعمر بن شبة ، أو أخذ عن تلاميذه .

وعقيل بن عمرو الراوى الأول للخبر من الرواة النكرات ، وليس فى ترجمة عمر بن شبة أنه كان من شيوخه .

فواضع الخبر ضعيفٌ ، لأنه ألَّف سلسلة رواته تأليفاً غير محكمٍ ، لم يراع فيه قواعد الأَخْذِ والتَّحَمُّلِ البسيطة ، وما تستلزمه من الاتصال المباشر بين الشيوخ والتلاميذ ، ولكنه أقحم فى سلسلة الرواة عمر بن شبة المعروف بميله إلى الأمويين ، وتَصْنِيفِهِ بَعْضَ الكتب فى تاريخهم(١٦٨) ، ونَقْلِهِ كثيراً من أخبارهم ، ومن أخبار الوليد بن يزيد خاصةً ، لِيُخْفِيَ به تَلْفِيقَه للخبر ، ويُضْفِيَ عليه هالةً من الصِّدْقِ ، ويَنْفِيَ عنه الشك !

وأسلوب الشعر الذى يقدح فى الوليد سهل ، قريب من أساليب العباسيين المُوَلَّدةِ اللَينَةِ ، بعيدٌ عن أساليب اللغويين والنحويين المتقعرة الوعرة ، مُخَالفٌ لأساليب الشعراء المعلمين فى القرن الأول والثانى ، مثل الطرماح بن حكيم(١٦٩) ، والكميت بن زيد(١٧٠) ، وذى الرمة(١٧١) ، وعبد الله بن عبد الأعلى(١٧٢) ، وما تَتَميَّزُ به من بداوةِ المَعْنَى ، وغَرابةِ اللَّفْظِ والتَّركيبِ .

---

(١٦٥) العقد الفريد ٤ : ٤٥٩ .

(١٦٦) تاريخ بغداد ٤ : ٢٥٦ ، وميزان الاعتدال ١ : ١١٧ ، ولسان الميزان ١ : ٢١٤ .

(١٦٧) تاريخ بغداد ١١ : ٢٠٨ ، ومعجم الأدباء ٦ : ٤٨ ، ونور القبس ص : ٢٣١ ، وبغية الوعاة ص : ٢٦١ .

(١٦٨) الفهرست ص : ١١٢ .

(١٦٩) انظر مقدمة الدكتور عزت حسن لديوان الطرماح بن حكيم ص : ٣٧ .

(١٧٠) الأغانى ١٧ : ١ ، ٢ ، والموشح ص : ٣٠٢ ، والكميت بن زيد حياته وشعره ص : ٢٧٦ .

(١٧١) ذو الرمة شاعر الحب والصحراء ص : ٣٦٤ ، ومقدمة الدكتور عبد القدوس صالح لديوان ذى الرمة ١ : ٧٦ .

(١٧٢) البرصان والعرجان ص : ٨٣ .

٤ – اتجاهات ثقافته

قامت ثقافة الوليد فى مرحلة التَّلْقِينِ والتَّكْوِينِ على ثلاث قواعد أساسية : الأولى دينية ، والثانية تاريخية ، والثالثة أدبية . وهى قواعد رسخت فى مرحلة النُّضْجِ والاستقلال ، حين أخذ يبحث عن المعلومات بنفسه ، ويسعى لِتَنْمِيةِ ثقافته وتعميقها ، وظلت اهتماماته الثقافية تنبثق منها فى أيام ولايته للعهد ، وفى أثناء خلافته (١٧٣) .

أما القاعدة الدينية فَتَتَمَثَّلُ فى محافظته على توسيع معرفته بالقرآن وعلومه ، وقراءاته ، وبالفقه وأحكامه ، وبالحديث ورواته ، لينتفع بها فى حياته الذاتية والرسمية ، ويسترشد بها فيما يعرض له من مشكلات . ففى أخباره أنه أرسل إلى البصرة يسأل عَمَّن بها من القُرَّاء ، فقدم عليه منهم الهيثم ، وعبد الله بن عمر ، فاستقرأ الهيثم ، فقرأ له (١٧٤) وكتب يستدعى الفقهاء من المدينة ، فوفد عليه منهم جماعة ، فيهم عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، فاسْتَفْتَاهم فى بعض المسائل منها الطلاق قبل النكاح (١٧٥) . وكان يُقَدِّرُ المُحَدِّثين ، ويُجالِسُهم ، ويأخذ عنهم ، فَعُدَّ من رواة الحديث (١٧٦) .

وأما القاعدة التاريخية فتتضح فى عنايته عنايةً بالغةً بجمع التراث العربى ، ليستفيد منه فى سياسته الداخلية الإدارية والمالية . وقد ندب لهذه الغاية عوانة بن الحكم الكلبى الكوفى المتوفى سنة ثمان وخمسين ومائة (١٧٧) . وهو من العلماء بالأخبار والفتوح والشعر ، وكان من المقربين إلى بنى أمية ، ومن المشتغلين بتاريخهم ، إذ وضع كتاباً فى « سيرة معاوية وبنى أمية » (١٧٨) . فاستعان عوانة بما كان عند معاصريه من علماء الكوفة من مؤلفات وروايات ، واعتمد أكثر ما اعتمد على نسخة من ديوان العرب كان عند حَمَّادٍ وجنادٍ (١٧٩) الكوفيين ، واستخرج منها ما كَلَّفهُ الوليد به ، وقَدَّمه إليه مُنَظَّماً

---

(١٧٣) عيون الأخبار ٢ : ١٢٠ .

(١٧٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣٢٣ .

(١٧٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣١٩ ، ومعجم البلدان ٣ : ٨٥٩ .

(١٧٦) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٧٩ و .

(١٧٧) ترجمته فى الفهرست ص : ٩١ ، وإنباه الرواه ٢ : ٣٦١ ، ومعجم الأدباء ٦ : ٩٣ ، ولسان الميزان ٤ : ٣٨٦ ، ونور القبس ص : ٢٦٣ .

(١٧٨) الفهرست ص : ٩١ .

(١٧٩) ترجمة جناد فى معجم الأدباء ٢ : ٤٢٥ ، ونور القبس ص : ٢٧٢ .

مُنَسَّقاً فى كتابٍ شاملٍ . إذ يروى أبو العباس ثَعْلَبٍ أن عوانة جَمَع ديوانَ العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها للوليد بن يزيد بن عبد الملك . وردَّ الديوان إلى حماد وجناد »(١٨٠).

ويظهر أن الوليد كان مهتماً اهتماما شديداً بكل ما أُلِّف من الكتب فى هذه العلوم وغيرها . إذ كانت له مكتبة كبيرةٌ غَنِيَّةٌ بالمصادر والمُصَنَّفات المختلفة تفوق فى سَعَتِها وكثرة ما فيها من المؤلفات مكتباتِ العلماء المتخصصين فى أيامه . إذ يقول ابن سعد : « أُخْبِرْتُ عن عبد الرزاق . قال : سمعتُ معمراً . قال : كُنَّا نرى أنَّا قد أكثَرْنا عن الزُّهرى حتى قُتِلَ الوليد بن يزيد . فإذا الدفاتر قد حُمِلَتْ على الدَّواب من خزائنه »(١٨١) .

وتَنْشَعِبُ القاعدة الأدبية لثقافته شُعْبَتين : الأولى عامة . والثانية خاصة . أما الشُّعْبَةُ العامة فَتَتَبَدَّى فى كَلَفِهِ بالشعر ورغبته فى سماع بعض قصائده السائرة وفى معرفة بعض أشعار القبائل النادرة . مما تُبْرِزُه الأخبار التى تتحدث عن استقدامه لحمادٍ الراوية من الكوفة . وتُحَدِّدُ بعض ما كان يسأله عنه فى المجالس العديدة التى التقى به فيها . فهى تشير إلى أنه استَنْشَدهُ قصيدة أبى ذؤيب الهذلى العينية فى رثاء أبنائه . فأنشدها له حتى أتى على آخرها(١٨٢) . وتشير إلى أنه سأله عن أشعار بَلِيٍّ . فأنْشَدَهُ منها ما استَحْسَنَه(١٨٣) . وفى أخبار الوليد أنه كان مَعْنِيًّا ببعض ما مُدِحَ به بنو أمية من الشعر الرائع . فكان لا يَمَلُّ سماعه . وبلغ من تَعَلُّقه به أنه كان يطلب إلى المغنين أن يُغَنُّوه فيه(١٨٤) .

وتَتَبَدَّى فى مراجعته لرواة الشعر . واستفساره عن منازلهم . وأسباب استِحْقَاقِهم لألقابهم . ومناقشته إياهم . واختباره لهم . مما يدل عليه قوله لحمادٍ الراوية : « بم استَحْقَقْتَ هذا اللَّقبَ فَقِيلَ لك الراوية ؟ فقال : بأنى أَرْوِى لكلِ شاعرٍ تَعْرِفُه يا أمير المؤمنين أو سمعتَ به . ثم أَرْوِى لأكثر منهم مِمَّن تعرفُ أنك لم تعرفه ولم تسمع به . ثم لا أُنْشِدُ شعراً قديماً ولا مُحْدَثاً إلاَّ مَيَّزْتُ القديمَ منه من المُحْدَث . فقال : إنَّ هذا لَعِلْمٌ وأبيك كثير ! فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثيراً . ولكنى أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المُقَطَّعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام . قال : سأمتحنك فى هذا . وأمره بالإنشاد . فأنشد الوليد حتى ضَجِرَ . ثم وكَلَ به من استَحْلَفَهُ أن يَصْدُقَهُ عنه ويَسْتَوْفِى عليه فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين .

---

(١٨٠) الفهرست ص : ٩١ .

(١٨١) الطبقات الكبرى ٢ : ٣٨٩ .

(١٨٢) الأغانى ٢ : ٢١٠ ، ٦ : ٧٨ ، ٧ : ٤٥ .

(١٨٣) الأغانى ٦ : ٩٤ .

(١٨٤) الأغانى ٢ : ٢١٠ ، ٦ : ٧٩ .

وأخبر الوليد بذلك ، فأمر له بمائة ألف درهم »[١٨٥].

ويتبدَّى أيضاً فى عَقْدِهِ المجالسَ الأدبية التى كان يحضرها الشعراء الوافدون من البلاد ، ويشهدها الرواة النقاد ، فكان الشعراء يمدحونه ، والنقاد يُبَصِّرونه بمواطن التقليد والاتباع ، و بمواطن التجديد والإبداع . وفى ذلك يقول مروان بن أبى حفصة : « دخلت أنا وطريح بن إسماعيل الثقفى والحسين بن مطير الأسدى فى جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد ، وهو فى فُرُشٍ قد غاب فيها ، وإذا رجل عنده ، كلما أنشد شاعرٌ شعراً وقَفَ الوليد بن يزيد على بيتٍ بيتٍ من شعره وقال : هذا أخذه من موضع كذا وكذا ، وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان ، حتى أتى على أكثر الشعر . فقلت : من هذا ؟ فقالوا : حماد الراوية »[١٨٦].

وأما الشعبة الخاصة فَيُصَوِّرها إقبالُه على الشعر الغزلى الذى يَنْصَبُّ على معانى اللهفة واللوعة بالمحبوبة والوفاء لها ، مما يُبيِّنُهُ سَماعُهُ لشعر الشعراء الغزلين الكبار من الأمويين كعمر بن أبى ربيعة[١٨٧] ، ومن مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية كبشار بن برد[١٨٨] ، واستنشادُه ما طار واشتهر من شعر الشعراء الأمويين التقليديين فى الغزل كسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت[١٨٩] ، وإسماعيل بن يسار النسائى[١٩٠] ، وجرير بن عطية[١٩١] . ويَرْتَبِطُ طَلَبُهُ لهذا النوع من الشعر الغزلى العفيف الحزين بحالته النفسية ، وما كان يَمَازِجُها من الإحساس بالعذاب فى حبه لسلمى بنت سعيد بن خالد ، قبل أن يَبْنِى بها ، وبعد أن تزوجها واغتالتْها المنية وحرمته منها .

ويُظْهِرُها أيضاً غَرَامُهُ بالشعر الخَمْرِىِّ والهَزْلِىِّ الحيرىِّ والكوفى . وتَتَضارَبُ رواياتُ القدماء فى تفسير اتصاله بهذا الشعر ، أما الهيثم بن عدى الطائى فيزعم أن الوليد كان يحب دخول الكوفة ، فخرج كالمُتَبَدِّى ، فأتى الكوفة فنادم شراعة بن الزَّنْدَبُود ، ومطيع بن إياس ، وحماداً الراوية ، وحماد عجرد ، وبعض آل أبى مُعَيْط »[١٩٢] . وهى رواية لم يَقْبَلْها البلاذرى ، إذ عَقَّب عليها بقوله :

---

(١٨٥) الأغانى ٦ : ٧١ ، ٩٣ ، ومعجم الأدباء ٤ : ١٣٧ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢٠٦ ، ولسان الميزان ٢ : ٣٥٢ ، وخزانة الأدب ٤ : ١٢٩ .

(١٨٦) الأغانى ٦ : ٧١ ، ١٦ : ١٧ .

(١٨٧) الأغانى ١ : ١٣٥ ، ٢ : ٢١٠ ، ٦ : ٧٩ .

(١٨٨) الأغانى ٣ : ١٨٨ .

(١٨٩) الأغانى ٨ : ٢٦٩ .

(١٩٠) الأغانى ٤ : ٤١٦ .

(١٩١) الأغانى ٢ : ٢١١ ، ٦ : ٧٩ .

(١٩٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٠ .

« ويقال : إنه لم يخرج إلى الكوفة ، ولكنه أشخص ظرفاءها إليه ، وكان فيهم شراعة بن الزندبود »(١٩٣) .

ويروى أبو الفرج عن عيسى بن الحسين الوراق أن الوليد أمر شراعة بن الزّندبود أن يُسَمِّى له جماعة ينادمهم من ظرفاء أهل الكوفة ، فسمَّى له مطيع بن إياس ، وحماد عجرد ، والمطيعى المغنى ، فكتب فى إشخاصهم إليه ، فأُشْخِصُوا ، فلم يزالوا من ندمائه إلى أن قُتِلَ ، ثم عادوا إلى أوطانهم »(١٩٤) . ولا تُوَضِّح هذه الرواية التّاريخ الذى قدم فيه شراعة إلى دمشق ، أو الطريقة التى جاء بها إليها ، أو سَبَبَ سبقه لرفاقه من شعراء الكوفة فى الوفود عليها .

ويروى أبو الفرج عن الحسن بن على أن حَكَماً الوادى المغنى ذكر أنه غَنَّى الوليد بن يزيد ذات ليلة **وهو غلامٌ حديثُ السنِّ** ، فقال :

إكْلِيلُها ألوانُ   وَوَجْهُها فَتّانُ

فطرب حتى زَحفَ عن مجلسه إلى ، وقال : أَعِدْ فَدَيْتُكُ بحياتى ، فأَعَدْتُه حتى صَحِلَ صوتى وَبُحَّ ، فقال لى : ويحك ، من يقول هذا الشعر ؟ فقلت : **عبدٌ لك يا أميرَ المؤمنين** أرضاه لخدمتك . فقال : ومن هو فَدَيْتُك ؟ فقلت : مطيع بن إياس الكنانى ، فقال : وأين مَحَلُّه ؟ قلت : الكوفة . فأمر أن يُحْمَلَ إليه على البريد ، فحمل إليه ، فما أشعر يوماً إلاّ برسوله قد جاءنى ، فدخلت إليه ومطيع بن إياس واقفٌ بين يديه »(١٩٥) .

وفى نَصِّ الرواية تناقُضٌ ظاهر يكشف عن تداعيها ، وأن حاملها بل مؤَلِّفُها وهو الحسن بن على مولى عبد الصمد بن على العباسى لم يُحْسِنْ تَلْفِيقها ، فهو يَصِفُ الوليد بأنه كان غلاماً حَدِيثَ السنِّ حين غَنَّاه حَكَمٌ بشعر مطيع ، ثم لا يَلْبَثُ أن يقول : إنه كان خليفةً ، وإنه كان يُلَقَّب بأمير المؤمنين ! ويَنْقُضُها خبرٌ آخر أورده أبو الفرج عن محمد بن خلف المرزبان يقول فيه إن مطيعاً مدح الغمر بن يزيد بن عبد الملك بقصيدةٍ ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فكانت أول قصيدة أخذ بها جائزة سَنِيَّةً ، وحرَّكته ، وَرَفَعَتْ من ذكره ، ثم وصله بأخيه الوليد فكان من نُدَمائه(١٩٦) .

والغالب أن حمّاداً الراوية هو الذى نَقَل للوليد نُتَفاً من الشعر الخمرى الحيرى الجاهلى ، ومن الشعر الخمرى والهزلى الكوفى الإسلامى ، وقَصَّ عليه أطرافاً من أخبار الشعراء الكوفيين الخلعاء الظرفاء .

---

(١٩٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢١ .
(١٩٤) الأغانى ١٤ : ٣٣٥ .
(١٩٥) الأغانى ١٣ : ٢٧٧ .
(١٩٦) الأغانى ١٣ : ٢٩٧ .

فقد كان حماد بدمشق فى عهد يزيد بن عبد الملك ، وكان أثيراً عنده ، ثم رجع إلى دمشق فى أيام هشام بن عبد الملك[١٩٧]. وكان حمادٌ صديقاً لحماد عجرد ، وحماد بن الزبرقان ، وكانوا يتنادمون بالكوفة على الشراب ، ويتناشدون الأشعار ، ويتعاشرون معاشرة جميلة ، وكانوا يتواصلون كأنهم نفس واحدة[١٩٨]. وكان رفيقاً لمطيع بن إياس ، وعمار ذى كناز ، وكانوا يتنادمون ويجتمعون على شأنهم لا يفترقون[١٩٩]. والمظنون أن حماداً عرف الوليد فى خلافة أبيه يزيد ، وفى أثناء ولايته للعهد ، عندما قدم إلى دمشق فى زمن هشام . ولكن المحقق أن الوليد استدعاه فى خلافته . وفى أخبار الوليد أنه سأله فى مجلسٍ من مجالسه عن وصف عدى بن زيد للخمر فروى له منه شيئاً[٢٠٠] ، وأنشده فى مجلسٍ ثان بعض شعر عمار ذى كناز الهمدانى فى المجون واللهو[٢٠١] ، مما يُؤيِّد أن حماداً الراوية كان أول من عرض على الوليد بعض الشعر الخمرى الحيرى الجاهلى . ويفترض أيضاً أنه هو الذى دلَّه على القاسم بن الطويل العبادى الكوفى الذى كان يحفظ شعر عدى بن زيد العبادى ، فاستقدمه الوليد ، واستمع منه إلى ما غاب من شعر عدى عن حماد وكان القاسم شاعراً ظريفاً . فَضَمَّه الوليد إليه ، وجعله من خاصته وندمائه[٢٠٢] . ولما كان حمادٌ صديقاً للشعراء الكوفيين الخلعاء الظرفاء ، وكان روى للوليد بعض أشعارهم وأخبارهم فالراجح أنه هو الذى سَمَّاهم له ، فاستوفدهم من الكوفة ، فتتابع إليه منهم مطيع بن إياس[٢٠٣] ، وحماد عجرد[٢٠٤] ، وشراعة بن الزندبود[٢٠٥] ، والمطيعى المغنى[٢٠٦] . أما عمار ذو كناز مع شهوة الناس لشعره ، واستطابتهم له ، فلم يرحل إليه . لأنه لم يَنْتَجِعْ أحداً ، ولا كان يبرح الكوفة لعشاء بصره ، وضعف نظره[٢٠٧] .

---

(١٩٧) الأغانى ٦ : ٧٤ ، ونزهة الألبا ص : ٣٥ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٤٢٧ ، ومعجم الأدباء ٤ : ١٣٧ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢٠٧ ، وخزانة الأدب ٤ : ١٢٩ .

(١٩٨) الحيوان ٤ : ٤٤٧ ، وطبقات ابن المعتز ص : ٦٩ ، والأغانى ٦ : ٧٤ ، ١٤ : ٣٢٢ ، وأمالى الشريف المرتضى ١ : ١٣١ .

(١٩٩) الأغانى ٢٤ : ٢٢٠ .

(٢٠٠) الأغانى ٧ : ٤٥ .

(٢٠١) الأغانى ٦ : ٢٤ : ٢٢٠ .

(٢٠٢) الأغانى ٧ : ٦٥ ، وتاريخ الأدب العربى ، لكارل بروكلمان ١ : ١٢٥ .

(٢٠٣) الأغانى ١٣ : ٢٧٤ ، وتاريخ بغداد ١٣ : ٢٢٦ ، وخزانة الأدب ٤ : ٢٨٦ .

(٢٠٤) الأغانى ١٤ : ٣٢١ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٤٢٤ ، ومعجم الأدباء ٤ : ١٣٣ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢١٠ .

(٢٠٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٢٩٧ .

(٢٠٦) الأغانى ١٤ : ٣٣٥ .

(٢٠٧) الأغانى ٢٤ : ٢٢٠ .

وكان الوليد ظَرِيفاً مُحِبًّا لِلْمَرح والمُلَح(٢٠٨) ، فأوى إليه هؤلاء الظرفاء من الرواة والشعراء والمغنين الكوفيين ، وأنس بهم ، وأنسوا به ، إذ جمع الظَّرْفُ بينهم وألَّف بين قلوبهم ، ولم يزل أكثرهم يحُفُّون به ، ويحضرون مجالسه ويسامرونه راوين له القصائد والمقطوعات الخمرية والهزلية ، أو مُنْشِئين لها ، أو مُغَنِّين فيها ، وهو مسرورٌ بهم ، حتى قتل ففارقوا الشام إلى الكوفة(٢٠٩) .

وكان لهم دورٌ قويٌّ فى وصله بالشعر الخمرى والهزلى الذى كان يَتَعَشَّقُهُ لانسجامه مع طبيعته ومزاجه ، كما كان يستكثر من الاستماع إليه لِيُرَوِّح به عن نفسه المُرْهَقة ، ويَدْفع عنها الهموم التى أطبقت عليها ، وكادت تُضْنِيها وتُذِيبها حسراتٍ لطول ما عانى من ضغط هشام وتَسلُّطه ، ولفرط ما تأَذَّى من سعيه لعزله من ولاية العهد . وكان لهم تأثيرٌ واسعٌ فى أسلوب شعره الخمرى الذى نظمه فى السنة الأخيرة من حياته ، وما أحدث فيه من تجديداتٍ وإبداعاتٍ لفظية وموسيقية وتصويرية .

ولم تَسْلَم الأخبار التى تكشفُ عن ولع الوليد بالشعر الخمرى والهزلى من التشويه والإفساد والتوجيه ، فقد خضعت لها كما خضعت لها بقية أخباره ، إذ عَدَا عليها الرواة من أصحاب النزعات اليمنية والشيعية والعباسية ، وعبثوا بها عبثاً واضحاً . وتَتَبُّع لبعض أخبار وَلَع الوليد بهذا النوع من الشعر يُبَيِّن عَبَثَهم بها . وهو عَبَثٌ يَتَمثَّلُ فى وَجْهٍ من وجوهه فى الخلط بين أخباره وأخبار هشام اللاهية ، وهذان خبران متميزان : أحدهما يتعلق باستقدام هشام لحماد الراوية ، والثانى يتعلق باستدعاء الوليد له ، خَلَط الرواة بينهما ، وغيَّروا فيهما ، واستَغَلُّوا ما ولَّدُوه منهما للتشهير بالوليد . أما الخبر الأول فأورده أبو الفرج عن سلسلتين من الرواة مرفوعاً إلى حماد الراوية ، وهو يقول فيه : كان انقطاعى إلى يزيد بن عبد الملك ، فكان هشام يجفونى لذلك دون سائر أهله من بنى أمية فى أيام يزيد . فلما مات يزيد وأفضت الخلافة إلى هشام خِفْتُه ، فمكثت فى بيتى سنةً لا أخرج إلاَّ لمن أثق به من إخوانى سِرًّا . فلما لم أسمع أحداً يذكرنى سنةً أمنت فخرجت فَصَلَّيْتُ الجمعة ، ثم جلست عند باب الفيل ، فإذا شرطيان قد وقفَا علىَّ فقالا : يا حماد أجب الأمير يوسف بن عمر ، فقلت فى نفسى : من هذا كنت أحذر . . . فاستسلمت فى أيديهما ، وصرت إلى يوسف بن عمر ، فسلمت عليه ، فردَّ على السلام ، ورمى إلىَّ كتاباً فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر ، أما بعد ، فإذا قرأت كتابى هذا فابعث إلى حمَّادٍ الراوية مَنْ يأتيك به

---

(٢٠٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٩ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة ٢٦ ظ ، والأغانى ٧ : ١٨ ، والمختصر فى أخبار البشر ١ : ٢٠٦ ، ومآثر الإنافة فى معالم الخلافة – للقلقشندى ١ : ١٥ .

(٢٠٩) الأغانى ١٤ : ٣٣٥ .

غير مَرَوَّعٍ ولا مُتَعْتَعٍ ، وادفع إليه خمسمائة دينار وَجَملاً مَهْرِيًّا يسير عليه إلى دمشق » ، فأخذت الخمسمائة الدينار ، ونظرت فإذا جَمَلٌ مَرْحُولٌ ، فوضعت رجلى فى الغَرْزِ ، وسرت اثنتى عشرة ليلة حتى وافيت باب هشام ، فاستأذنتُ فأُذِن لى ، فدخلت عليه . . . فسلمت فَرَدَّ عَلَىَّ ، واستَدْنانى فدنوت حتى قَبَّلْتُ رجله ، وإذا جاريتان لم أر قَبْلَها مِثْلَهُا ، فقال لى : كيف أنت يا حماد ، وكيف حالك ؟ فقلت بخير يا أمير المؤمنين . قال : أتدرى فيم بعثت إليك ؟ قلت : لا ، قال : بعثت إليك لِبَيْتٍ خطر ببالى لم أَدْرِ مَنْ قاله ، قلت : وما هو؟ فقال :

فَدَعَوْا بالصَّبُوحِ يوماً فَجاءتْ قَيْنةٌ فى يَمِينِها إبْرِيقُ

قلت : هذا يقوله عدى بن زيد فى قصيدة له ، قال : فأنشدنيها ، فانشدته :

بَكَرَ العاذِلونَ فى وَضَحِ الصُّبْـــــــحِ يقولونَ لى أَلا تَسْتَفِيقُ

قال : فطرب ، ثم قال : أحسنت والله يا حماد ، يا جارية اسقيه ، فسقتنى شربة ذهبت بثلث عقلى ، وقال : أعد ، فأعدت ، فاستَخَفَّهُ الطرب حتى نزل عن فرشه ، ثم قال للجارية الأخرى : اسقيه ، فسقتنى شربة ذهبت بثلث عقلى . فقلت : إن سقتنى الثالثة افتضحت ، فقال : سَلْ حوائجك . فقلت : كائنةً ما كانت ؟ قال : نعم ، قلت : إحدى الجاريتين . فقال : هما جميعاً لك بما عليهما ومالها »(٢١٠) .

وحَمَلَ الخَبرَ بنصه دون حذفٍ منه أو اختصارٍ له ابن الأنبارى(٢١١) ، وياقوت الحموى(٢١٢) ، وابن خلكان(٢١٣) ، وعبد القادر البغدادى(٢١٤) .

وأما الخبر الثانى فرواه أبو الفرج فقال : « أخبرنى إسماعيل بن يونس ، قال : حدثنى عمر بن شبة ، قال : حَدَّثنا إسحاق ، وأخبرنى به محمد بن مزيد والحسين بن يحيى قالا : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدى ، عن حماد الراوية قال : « كتب الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر : أما بعد ، فإذا قرأت كتابى هذا فَسَرِّحْ إلىَّ حماداً الراوية على ما أَحَبَّ من دَوابِّ البريد ، وأعطه عشرة آلاف درهم يَتَهَيَّأُ بها . قال : فأتاه الكتاب وأنا عنده ، فَنَبَذَهُ إلى ، فقلت : السمع والطاعة . . . فخرجت حتى انتهيت إلى الوليد وهو بالبَخْراء . فاستأذنت عليه ، فَأَذِنَ لى ، وإذا عنده

(٢١٠) الأغانى ٦ : ٧٤ .
(٢١١) نزهة الألباء ص : ٣٥ .
(٢١٢) معجم الأدباء ٤ : ١٣٧ .
(٢١٣) وفيات الأعيان ٢ : ٢٠٧ .
(٢١٤) خزانة الأدب ٤ : ١٢٩ .

معبد ومالك بن أبي السَّمْحِ وأبو كامل مولاه ، فتركني حتى سَكَنَ جَأْشي ، ثم قال : أنشدني :

أَمِنَ المَنونِ وَرَيْبِها تَتَوَجَّع

فأنشدته حتى أتيت على آخرها . فقال لساقيه : ياسبرة ، اسقه فسقاني ثلاث أكؤس خَثَّرْنَ ما بين الذُّؤابةِ والنَّعْل ، ثم قال : يامالك . غَنِّني :

أَلاَ هَـلْ هَـاجَك الأظـعا ـنُ إِذْ جَـاوَزتَ مُـطَّـلَحـا

ففعل . ثم قال له غَنِّني :

جَلا أُمَيَّةُ عَنِّي كُلَّ مَظْلَمةٍ سَهْلُ الحجابِ وأَوْفَى بالذى وَعَدَا

ففعل . ثم قال له : غَنِّني :

أَتَنْسَى أَنْ تُوَدِّعَنَا سليمى بِفَرْعِ بَشَامةٍ سُقِيَ البَشَامُ

ففعل . ثم قال : ياسبرة ، اسقني ، فأتاه بقَدحٍ مُعْوَجٌ فسقاه به عشرين ، ثم أتاه الحاجب فقال : أصلح الله أمير الموامنين ، الرجل الذى طلبت بالباب ، قال : أَدْخِلْهُ ، فدخل شاب لم أَرَ شاباً أحسنَ وَجْهاً منه ، فقال : ياسبرة ، اسقه ، فسقاه كأساً ، ثم قال له : غَنِّني :

وهيَ إذْ ذَاكَ عليها مِئْزر ولها بَيْتُ جَوارٍ مِنْ لُعَبْ

فغناه ، ثم قال له : غَنِّني :

طَـافَ الخيَـالُ فَـمَـرْحَـبـاً أَلْـفـاً بـرُؤْيـةِ زَيْـنَـبَـا

فغضب معبد ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إنا مقبلون عليك بأَقْدَارِنَا وأَسْنَانِنا ، وإنك تركتنا بمزجر الكلب ، وأقبلت على هذا الصبي ! فقال : والله يا أبا عباد ، ما جهلتُ قَدْرَكَ ولا سِنَّكَ ، ولكن هذا الغلام طرحني في مثل الطياجن من حرارة غنائه . قال حماد الراوية : فسألت عن الغلام ، فقيل لي : هو ابن عائشة »(٢١٥).

وساق أبو الفرج خبر استدعاء الوليد لحماد بسند يرقى إلى الأصمعي(٢١٦) ولا تختلف رواية الأصمعي للخبر عن رواية عمر بن شبة ، ورواية الهيثم بن عدى له ، مما يدل على صحة الخبر ، وأن الهيثم بن عدى رواه بِنَصِّه دون تحريفٍ له أو تحويرٍ فيه . وإجماع الرواة والعلماء على خبر استزارة هشام لحماد ، وخبر استزارة الوليد له دليل آخر يُوَثِّق الخبرين .

ولكن الهيثم بن عدى لم يلبث أنْ مَزَجَ بين خبر استقدام هشام لحماد ، وخبرا استقدام الوليد له ، وأخبار الوليد الأخرى ، وأَلَّفَ منها خبراً ثالثاً يدمغ الوليد بالاستهتار ، ويصف هشاماً بالوقار . وحمل

---

(٢١٥) الأغاني ٢ : ٢٠٩ .

(٢١٦) الأغاني ٦ : ٧٨ .

الخبر الذى ألّفه الهيثمُ بن عدى رواة اليمنية ، وتلاميذهم ، وكانوا جميعاً ممالئين للعباسيين . وأخذ أبو الفرج الخبر عنهم فقال : « أخبرنى محمد بن مزيد قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه ، عن الهيثم ابن عدى عن حماد الراوية ، وأخبرنى به محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثنا أحمد بن الهيثم الفراسى قال : حدثنا العمرى عن الهيثم بن عدى عن حماد الراوية ، ولفظ الرجلين كالمتقارب ، قال : استقدمنى هشام بن عبد الملك فى خلافته ، وأمر لى بِصلةٍ سَنِيةٍ وحُمْلان ، فلما دخلت عليه استنشدنى قصيدة الأفوه الأودى :

لنا مَعاشِرُ لم يَبْنُوا لِقَوْمِهِمُ وإنْ بَنَى قَوْمُهُمْ ما أَفْسَدُوا عَادُوا

قال : فأنشدته إياها . ثم استنشدنى قول أبى ذؤيب الهذلى :

أَمِنَ المَنُونِ وَرَيْبِها تَتَوَجَّعُ

فأنشدته إياها . ثم استنشدنى قول عدى بن زيد :

أَرَواح مُـوَدِّع أم بُكُـورُ

فأنشدته إياها . فأمر لى بمنزلٍ وجراية ، وأقمت عنده شهراً ، فسألنى عن أشعار العرب وأيامها ومآثرها ومحاسن أخلاقها ، وأنا أخبره وأنشده . ثم أمر لى بجائزة وخِلْعَة وحُمْلان ، وردنى إلى الكوفة . **فَعلمْتُ أَنَّ أَمْرَهُ مُقْبِل** » .

ثم استقدمنى الوليد بن يزيد بعده ، فما سألنى عن شىء من الجدِّ إلاَّ مرةً واحدة . ثم جعلت أنشده بعدها فى ذلك النحو ، فلا يلتفت إليه ، ولا يَهَشُّ إلى شىء منه ، حتى جرى ذكر عمار ذى كناز ، فَتَشوَّقهُ . وسأل عنه ، وما ظننتُ أن شعر عمار شىء يُراد أو يُعبأ به ، ثم قال لى : هل عندك شىء من شعره ؟ فقلت : نعم ، أنا أحفظ قصيدةً له ، وكنت لكثرة عَبَثِى به قد حفظتها . فأنشدته قصيدته التى يقول فيها :

حَـبَّـذا أنتِ يَـا سَلاَّ مَـةُ أُلْـفَـيْـنِ حَـبَّـذَا

قال : فضحك الوليد حتى سقط على قفاه ، وَصَفَّقَ بِيَدَيْه وَرِجْلَيْهِ ! وأمر بالشراب فَأُحْضِرَ ، وأمرنى بالإنشاد ، فجعلت أنشده هذه الأبيات ، وأكررها عليه ، وهو يشرب ، ويُصَفِّق حتى سكر ، وأمر لى بِحُلَّتَيْن وثلاثين ألف درهم ، فَقَبَضْتُها »[٢١٧] .

فالهيثم بن عدى الطائى الذى اتُّهمه بعض من ترجموا له بقلة التدقيق فى روايته للأخبار[٢١٨]

(٢١٧) الأغانى ٢٤ : ٢٢٠ .

(٢١٨) نشأة علم التاريخ عند العرب ص : ٤٢ .

واتهمه بعضهم بالتدليس والدس(٢١٩) ينفرد بهذه الرواية للخبر ، إذ لم يشركه فى نقلها عن حماد الراوية أحد من الإخباريين . وتَلَقَّفَها منه محمد بن مزيد الخزاعى الذى وصفه العلماء بأنه وَضَّاعٌ غير ثقة(٢٢٠) ومحمد ابن خلف بن المرزبان رَبِيبُ اليمنيين والعباسيين(٢٢١).

وتُغَايِرُ روايةُ الهيثم بن عدى للخبر روايةَ الخبرين السابقين مغايرة واضحة ، فقد نقل الهيثم من خبر استيفاد الوليد لحماد استنشادَ الوليد له بَعْضَ الشعر الصالح ، وأقحمه فى خبر استدعاء هشام لحماد ، وحذف منه مراجعة هشام لحماد فى وصف عدى بن زيد للخمر ، إذ نسب سؤال الوليد لحماد عن عينية أبى ذؤيب الهذلى إلى هشام . واختار من بعض أخبار الوليد وحماد الأخرى المقاطع التى تُصَوِّرُ لجاجة الوليد فى جلب الشعر الخمرى والهزلى البذىء ، وضمها إلى الخبر الذى لَفَّقه ، وأسقط منها المقاطع التى تشير إلى استنشاده لحماد ضُرُوباً من الشعر الجيد . وقد اقتبس الهيثم سؤال الوليد لحماد عن شىء من شعر عَمَّار ذى كناز من هذا الخبر الذى رواه أبو الفرج عن شيوخه فقال : أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال : حدثنى الحسين بن محمد بن أبى طالب الديناري قال : حدثنى إسحاق الموصلى قال : قال حماد الراوية : أرسل الوليد بن يزيد إلى بمائتى دينار ، وأمر يوسف بن عمر بحمْلى إليه على البريد . قال : فقلت : لا يسألنى إلا عن طَرَفَيْه : قريش وثقيف ، فنظرت فى كِتَابَىْ قريش وثقيف . فلما قدمت عليه سألنى عن أشعار بَلِىٍّ ، فأنشدته منها ما استحسنه ، ثم قال : أنشدنى فى الشراب ، فأنشدته :

اِصْبحِ الْقَومَ قَهْوَةً فى أباريقَ تُحْتَذَى

فقال : أَعِدْهَا ، فأَعَدْتُها »(٢٢٢).

ونَسَبَ الرواة من موالى العباسيين إلى المدائنى رواية رابعة لخبر استقدام الوليد لحمادٍ الراوية ، ليس فيها إلاّ أن الوليد سأل حماداً عن قصيدة عدى بن زيد القافية فى وصف الخبر ، وأخذ أبو الفرج الرواية عنهم فقال : « أخبرنى الحسن بن على عن أحمد بن الحارث عن المدائنى ، قال : قال حماد الراوية : استدعانى الوليد بن يزيد ، وأَمَرَ لى بألفين لِنَفَقتى ، وألفين لِعِيالى. فقدمت عليه ، فلما دخلت داره قال لى الخدم ، أمير المؤمنين من خلف الستارة الحمراء ، فَسَلَّمْتُ بالخلافة ، فقال لى : ياحماد ! قلت : لَبَّيْكَ يا أمير المؤمنين ، قال : « ثم ثَارُوا » . فلم أَدْرِ ما يعنى . فقال : ويحك

(٢١٩) ضحى الإسلام ٢ : ٣٥٧ .

(٢٢٠) تاريخ بغداد ٣ : ٢٨٨ ، وميزان الاعتدال ٤ : ٣٤ ، والمغنى فى الضعفاء ١ : ٦٣٢ ، ولسان الميزان ٥ : ٣٧٧ .

(٢٢١) تاريخ بغداد ٥ : ٢٣٧ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٥٣٨ ، ولسان الميزان ٥ : ١٥٧ .

(٢٢٢) الأغانى ٦ : ٩٤ .

ياحماد ! « ثم ثاروا » فقلت فى نفسى : راوية أهل العراق لا يدرى عَمَّا يُسأل ! ثم تَنَبَّهتُ فقلت :

ثُمَّ ثَارُوا إلى الصَّبُوحِ فَقامَتْ قَيْنَةٌ فِى يَمِينِهَا إبْرِيقُ(٢٢٣)

فالحسن بن علىٍ مولى عبد الصمد الهاشمى ، ينقل عن أحمد بن الحارث الخزاز ، مولى أبى جعفر المنصور(٢٢٤) أنه أخذ هذه الرواية للخبر عن شيخه المدائنى البصرى . وهى تناقض خبر استحضار الوليد لحماد الذى ذكره عمر بن شبَّة والأصمعى ، البصريان المعاصران للمدائنى ، وتشبه أن تكون اختصاراً وتلخيصاً لخبر استيفاء هشام لحماد .

ذلك وَجْهٌ من وُجُوهِ الإفساد والتشْوِيه والتَّوْجِيه لبعض أخبار الوليد التى تدل على غرامه بالشعر الخمرى والهزلى ، كان المراد منه القدح فى الوليد ، ونسبة أخبار غيره من الخلفاء إليه ، مع التحريف فيها لتضخيم مجانته . وثمة وَجْه آخر يَتَمَثَّلُ فى استغلال حب استقدام الوليد لحماد الراوية استغلالاً جديداً ، كان المقصود به تجريح بنى أمية ، ومديح قادة العباسيين وأوليائهم ، ثم تطور ، واستغل للثناء على العباسيين وخلفائهم .

وهذه الصورة الخامسة للخبر التى رَوَّجَها الرواة من موالى العباسيين ، كالحسن بن على ، ومن اليمنية الذين كانوا يجاملون العباسيين ، كهشام بن محمد بن السائب الكلبى ، تُوَضِّح عَبَثَهم به ، وتَوْجيههم له . وهى صورة يتفق القدماء على أن ابن الكلبى هو الذى لَفقها وأذاعها . فقد حملها البلاذرى عنه ، ونَصَّ على أنه صاحبها(٢٢٥) ، وأسندها إليه أبو الفرج وشيوخه ، إذ يقول : « أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثنا عبد الله ابن أبى سعد عن ابن الصباح عن ابن الكلبى عن حماد الراوية قال : دخلت يوماً على الوليد ، وكان آخر يوم لقيته فيه ، فاستنشدنى ، فأنشدته كلَّ ضَرْبٍ من شعر أهل الجاهلية والإسلام فما هَشَّ لشئ منه ، حتى أخذتُ فى السُّخْفِ ، فأنشدته لعمَّار ذى كناز :

أشْتَهِى مِنْكِ مِنْكِ مِنْـــــكِ مَكَاناً مُجَنْبَذَا(٢٢٦)

فضحك حتى استلق وطرب . ودعا بالشراب فشرب ، وجعل يستعيدنى الأبيات ، فأعيدها حتى سكر ، وأَمَرَ لى بجائزةٍ ، **فَعَلِمْتُ أَنَّ أَمْرَهُ قد أَدْبَرَ** .

ثم دخلت على أبى مسلم ، فاستنشدنى ، فأنشدته قول الأفوه :

لَنَا مَعَاشِرُ لم يَبْنُوا لِقَوْمِهِمُ

---

(٢٢٣) الأغانى ٧ : ٤٥ .

(٢٢٤) تاريخ بغداد ٤ : ١٢٢ .

(٢٢٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣٢٣ ، ٣٥٢ .

(٢٢٦) المجنبذ : المرتفع .

فلما بلغت إلى قوله :

تُهْدَى الأمورُ بأهلِ الرُّشْدِ ما فَلَحَتْ فإنْ تَوَلَّتْ فبالأشْرارِ تَنْقَادُ

قال : أنا ذاك الذى تنقاد به الناس . **فأيْقَنْتُ أَنَّ أَمْرَهُ مُقْبِلٌ** »[٢٢٧] .

وتقترب هذه الرواية للخبر من رواية الهيثم بن عدى له ، التى استَقَلَّ بها[٢٢٨] ولكن ابن الكلبى عَدَّلَ فيها ، إذ حذف منها اسم هشام بن عبد الملك ، أو أَحَلَّ مَحَلَّهُ اسم أبى مسلم الخراسانى . ولم يَعُدْ الخبر عنده آيةً على مجانةِ الوليد ، بل استحالَ شاهداً على انهيار الدولة الأموية ، وقيام الدولة العباسية ، ولم يعُدْ هشامٌ هو الذى يسأل حماداً عن شعر الأفوه الأودى ، بل أصبح أبو مسلم هو الذى يسأله عنه . ولم يعد أمر هشام هو المُقْبِل ، بل أصبح أمر أبى مسلم هو المُقْبِل !

ولم يكن لابن الكلبى وغيره من الرواة الوضاعين غاية من توليد هذه الأخبار سوى تأييد العباسيين وكانوا يتسرعون فيما يولِّدون ، وينسون حقائق التاريخ التى تكشف عن ضَعْفه ، **وتَقْطَعُ بتَزْييفه** . فابن الكلبى ينسب إلى حماد الراوية فى الخبر أنه بَشَّرَ بانتهاء الدولة الأموية ، وابتداء الدولة العباسية ، ويُسْتَبْعَدُ أن يُبشِّرَ حمادٌ بذلك ، لأنه كان راوية بنى أمية وعالمهم[٢٢٩] ، وقد تَحَسَّرَ طويلاً على عهودهم وما أصابه فيها من نباهةٍ وسعةٍ ، وذَمَّ العباسيين وما آل إليه حاله فى أيامهم من خمول وضعة ، إذ يروى عنه أنه كان يقول : « إن دولتى كانت مع بنى أمية ، ومالى عند هؤلاء (العباسيين) من خير »[٢٣٠] وهو يُصَوِّرُ فيه أبا مسلم شخصيةً ظاهرةً بالكوفة لها دَوْرُها العَلَنِىُّ ، وأنه لم يكن يَتَسَتَّرُ على تَحَرُّكاته واتِّصالاته فى سنة خمس وعشرين ومائة ، مما يَنْقُضُهُ ما التزم به العباسيون فى المرحلة السرية لثورتهم من تكتُّمٍ شديد على دُعاتِهم وقادتهم وأهدافهم حتى سنة تسع وعشرين ومائة[٢٣١] .

وَلَفَّقَ رواة العباسيين المجهولون من رواية ابن الكلبى للخبر خبراً سادساً . أسقطوا منه اسم أبى مسلم ، واستعاضوا عنه باسم المهدى . إذ يقول ابن النديم : « قال حماد : كنت أنشد الوليد الشعر الجيد ، فيطلب منى السَّفْساف ، فأنشده فيطرب ، **فأعلم أنَّ الأمر مُدْبِرٌ** . ثم أنشد المهدى السفساف ، فيطلب منى الجَيِّدَ الفَحْلَ ، **فأعلم أنَّ أمرهم مقبل** »[٢٣٢] .

---

(٢٢٧) الأغانى ٧ : ٥٧ .

(٢٢٨) الأغانى ٢٤ : ٢٢٠ .

(٢٢٩) معجم الأدباء ٤ : ١٣٧ ، وخزانة الأدب ٤ : ١٢٩ .

(٢٣٠) الأغانى ٦ : ٨٢ .

(٢٣١) العصر العباسى الأول ، للدكتور عبد العزيز الدورى ص : ٢٥ ، وأنظر الأخبار الطوال ص : ٣٣٥ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٥٣ .

(٢٣٢) الفهرست ص : ٩١ .

فأمر الوليد وبنى أمية فى هذه الصورة المحرفة من الخبر هو الذى كان مُدْبراً ، وأمر المهدى وبنى العباس هو الذى غدا مُقْبلاً ! وليس مُهماً عن مُحرِّف الخبر أن يُحْكمَ تأليفه وتلفيقه ، فينتخب شخصاً عباسيا معاصراً للوليد بن يزيد ، حتى يخْفِيَ ما صَنَعَ ، ولايُشَكّ فيما وَضَع ، بل المهم فى الخبر المخترع أن يدل على إقبال أمر العباسيين ، وأنْ يكون المهدى رَمْزاً لهذا الإقبال ، وإن لم تطابق أحداث الخبر وشخصياته وقائع التاريخ ! ومعروف أن المهدى لم يكن ولدَ سنة خمس وعشرين ومائة ، وأنه كان طفلاً صغيراً لم يجاوز العام الأول من عمره حين قتل الوليد سنة ست وعشرين ومائة ، فإن المهدى مات سنة تسع وستين ومائة وله ثلاث وأربعون سنة(٢٣٣).

تلك هى العلوم الإسلامية والتاريخية والأدبية التى جَدَّ الوليد فى طلبها واستيعابها فى مرحلة شبابه وولايته للعهد ، وفى أيام خلافته ، وواضح أن عنايته بالمعارف الإسلامية والتاريخية كانت بمنجاة من المَسْخِ والاستغلال ، لأن أخبارها لم تكن تحتمل التعديل والتوليد ، ولكن اهتمامه بالمباحث الأدبية هو الذى انهال الرواة المتحيزون على أخباره التى تُبيّنُ شَغَفَ الوليد بالشعر الخمرى والهزلى تشويهاً وتحريفاً وتوجيهاً لأنها كانت تستجيب لذلك ، فأفسدوها ، واتخذوا ما اخترعوه منها سبباً لِتَنَقُّصه وتهويل خلاعته ، ثم اتخذوه وسيلة للإزراء بالأمويين والثناء على العباسيين !

---

(٢٣٣) تاريخ الطبرى ٨ : ١٧١ .

الفصل الثالث

ترفه وملاهيه

١ - أحوال الوليد العامة والخاصة

لعل من الخطأ فى بحث ترف الوليد وملاهيه إغفالَ تيار التطور الحضارى الذى شاع فى البيئات المدنية الأموية ، وفشا فيها ، وإهمال الوضع الاجتماعى للطبقة العليا التى كان الوليد ينتمى إليها ، وما أصابت فى حياتها من النعيم والبذخ ، كما أن من الخطأ الإعراض عن ظروفه الخاصة وما صاحب نشأته فى قصر أبيه من دلالٍ وزينةٍ وفرحة ونشوة ، وما تمتع به فى مستهل ولايته للعهد من رغد العيش ، وما فطر عليه من مَرَحِ المزاج ، وما تَعَمَّقه من الشعور بالاضطهاد والظلم فى نهاية ولايته للعهد ، لطول تضييق هشام عليه ، ومحاصرته له ، وافتنانه فى محاربته والنكاية به ، وما هَيَّأَله قيامه بالخلافة من استقلالٍ وحرية فى التَّصَرُّف ، وما انتابه بعد أن ملك أمره ، ولم يَعُد لأحد سلطان عليه من إحساسٍ بقدرته على تعويض ما فاته من مباهج الحياة .

فنسيانُ هذه الأوضاع والملابسات أو التقليلُ من شأنها وأهميتها ، مع عدم الالتفات إلى دور الرواة والإخباريين المُتَعَصِّبين فى تضخيم ترفه وملاهيه تؤدى إلى الجهل بالدوافع القوية التى حملته على الإسراف فى طلب الملذات ، والمغالاة فى الاستمتاع بالمسرات ، وتُفْضى إلى التَّعَسُّف فى الحكم عليه ، والتقصير عن إدراك ما شارك فيه غيره من الخلفاء والأمراء من ألوان الترف واللهو ، وما تفوق فيه عليهم ، وَتَبَيُّنها ومراعاتُها والأخذُ بها ، مع نَقْدِ الأخبار وتَمْحيصها وتَدْقيقها تُمكِّن من استظهار آثارها فى ترفه وملاهيه ، وتتيح الفرصة لدراستها فى سياقها الحضارى التاريخى ، وفى إطارها الاجتماعى الذاتى درساً صحيحاً ، كما تُعدُّ لرسم حدودها ومظاهرها وصورها رسماً دقيقاً .

فقد ارتقت حياة العرب فى مكة والمدينة والكوفة والبصرة ودمشق ارتقاءً تدريجياً خلال القرن الأول[1] ، بحيث لم يبدأ القرن الثانى حتى بلغ ارتقاؤهم أَوْجَهُ ، وتحضروا فى أنحاء حياتهم تَحَضُّراً شاملاً . وتميز خلفاؤهم وأمراؤهم وأشرافهم وأثرياؤهم وأولو اليسار منهم بالتَّأَنُّق فى قصورهم ودورهم ومساكنهم وحدائقهم وبساتينهم ومراكبهم ومآكلهم ومطاعمهم ومشاربهم وملابسهم وزينتهم وعطورهم وطبائعهم وأذواقهم . وتَحَرَّر عامة الناس وخاصتهم فى معازفهم ومقاصفهم تحرراً يتفاوت من بيئةٍ إلى أخرى تفاوتاً يعود إلى العوامل السكانية والاقتصادية والثقافية والسياسية التى تأثرت بها كل بيئة من بيئاتهم .

---

(١) العصر الإسلامى ، للدكتور شوقى ضيف ص ١٩٣ .

ففى مدن الحجاز[٢] أقبل الناس على أسباب الترف ، وعكفوا على وسائل اللهو عكوفاً موصولاً ، بجانب اهتمامهم بالحياة الدينية ، واشتغالهم بالعلوم الإسلامية[٣] وتطورت حياتهم المادية والاجتماعية لاختلاطهم بالموالى ، وتكدُّس أموال الفتوح فى حجورهم ، وقيام الرقيق الفارسى وغير الفارسى بخدمتهم ، ولعزلتهم السياسية ، ومنع الأمويين لهم من المشاركة فى السياسة بعد معارضة عبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ، والحسين بن على . وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير لمعاوية ، ورفضهم المبايعة لابنه يزيد بولاية العهد[٤] ومخالفة ابن الزبير ليزيد بن معاوية ، وخروجه على عبد الملك بن مروان ومقتله ، فتهافت أهل المدينة ومكة على الترف واللهو ، وأباح لهم فقهاؤهم سماع الغناء ، ففتنوا به ، وانهمكوا فيه .

وفى الكوفة انْصَبَّتْ أجناس بشرية كثيرة عربية وفارسية ونبطية[٥] وهى أجناس كان لها معتقداتها وثقافاتها وتطلعاتها ومطامحها المختلفة . فلم تنسجم ولم تلتحم فى مجتمعها ، بل تصارعت وتصادمت ، فَتَوَلَّدَ عن تصارعها وتصادمها موجة من التحرر والإباحة . وقمع عمال الأمويين أهل الكوفة قمعا عنيفا لميولهم الشيعية ، وانتفاضاتهم التى لم تنقطع على امتداد العصر الأموى[٦] ، كما نكلوا بمن تَمَرَّدَ عليهم من سادة أهل الكوفة وأشرافها ، كعبد الرحمن بن الأشعث الكندى ، وساموه وساموا من أيَّده أشد العقاب[٧] فأحس أهل الكوفة بالاضطهاد وضاقت الحياة بهم ، فتعلقوا بالمتعة واللذة تَعَلُّقاً قوياً ، هَرباً من واقعهم المرير ، وما فيه من كَبْتٍ وإرهابٍ ، وانتهوا إلى ضَرْبٍ من التَّصَدع الاجتماعى ، والانحلال الخلقى ، تفردوا به من سائر البيئات الأموية تَفَرُّداً واضحاً[٨] .

وجَنَحَ العرب والموالى من الفرس والهنود والأفارقة فى البصرة إلى السلم ، لِعَمَلِهِمْ فى التجارة والزراعة ، ورغبتهم فى تنمية مواردهم ، وتثمير أموالهم . ومع أن القبائل العربية فى البصرة كانت موزعة بين حِلْفَيْن كانت قبائل كل منهما تتسابق فى السيادة والسلطان ، إذ كانت بكر والأزد وعبد القيس فى حلف ، وتميم وقيس فى حلف آخر[٩] فإن تضارب مواقفها ومصالحها السياسية لم

---

(٢) العصر الإسلامى ص : ١٣٩ ، وحديث الأربعاء ١ : ١٨٨ .

(٣) فجر الإسلام ص : ١٧١ .

(٤) تاريخ الطبرى ٥ : ٣٠٣ ، ٣٢٣ .

(٥) حياة الشعر فى الكوفة ص : ٢١٤ .

(٦) حياة الشعر فى الكوفة ص : ١٢٣ .

(٧) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٣٦٢ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٣٣٤ .

(٨) حركات الشيعة المتطرفين ص : ١٠ .

(٩) نقائض جرير والفرزدق ١ : ١١٢ ، وأنساب الأشراف ٤ : ٩٧ ، وتاريخ الطبرى ٥ : ٥١٦ .

يُضْعِفْ نزعتها إلى الاستقرار ، ولم يَحُلْ دون استمرارها ورسوخها ، فقد كان زعماء تلك القبائل يعرفون فوائد السلام ، ويأخذون أنفسهم وقبائلهم بمبدأ الْمُواطنةِ ، ويَسْعَوْنَ إلى تقويته ، لأنهم كانوا يرون أنَّهُ أَجْدى من الروابط الدموية التى تجمع بين عشائر القبيلة الواحدة المتناثرة فى الأمصار المتباعدة ، إذ يؤثر عن الأحنف بن قيس سيد تميم أنه قال للأزد بعد قتل رئيسهم عمرو بن مسعود ، واتهام تميم بقتله ، واشتعال الحرب بين القبيلتين : « يا معشر الأزد ، أنتم جِيرانُنا فى الدَّار . . . ولأنتم أحب إلينا من تميمِ الكوفة »(١٠).

وظل البصريون ينشدون الأمن ، ويميلون إلى الحياد ، رَغْمَ هَواهُم الأموى(١١) ، حتى قيل عنهم : « وأما البصرة فعثمانية تَدِينُ بالكَفِّ ، وتقول : كن عبد الله المقتول ، ولا تكن عبد الله القاتل »(١٢) وكان ظهور فرقة المرجئة فى بلدهم تعبيراً عن نزوعهم إلى السلم(١٣) ونفورهم من التورط فى السياسة ، حتى لا يُمْنَعوا من التَّفَرُّغ لحياتهم المادية ، ولا تَتَعطَّل مرافقهم الاقتصادية فازدهرت تجاراتهم وزراعتهم واستقرت حياتهم ، فأثروا وتَحَضَّروا وتَنَعَّموا(١٤).

ولم يكن حَظُّ دمشق من التحضر أقل من حظ غيرها من البيئات السابقة ، فهى وريثة الحضارة البيزنطية والغسانية ، وقد غدت بعد غلبة معاوية ونهوضه بالحكم حاضرة الدولة ، فسالت عليها الأموال ، وكانت تزخر بالأمراء والأشراف من بنى أمية ، فأغرقوا فى النعيم ، وكان كل شىء حولهم يؤهلهم له ، فتنعموا بحياة مترفة غاية فى الترف ، وعاشوا فى قصور باذخة ، وأحاطوا أنفسهم بكل ما يستطيعون من مظاهر الفخامة(١٥) وحذا حذوهم أكثر من استظلوا بهم ، وعملوا لهم ، وشاركوهم فى تَنَعُّمهم ، وجاراهم الأغنياء والموسرون من أهل دمشق .

فموجة التحضر والترف واللهو أخذت تنتشر انتشاراً سريعاً فى المجتمعات المدنية الأموية ، وكان لكل مجتمع منها أوضاعه وظروفه وكان فيه من الدوافع ما يُغْرى أهله بالتحضر والترف واللهو .

وقد تَنَامى ترف الخلفاء الأمويينِ على توالى عهودهم وتراميها ، وتَطَوَّر من البساطة والسذاجة إلى الاعتدال والتوسُّط ، ثم بَلَغ حد الغلو والإفراط . فقد كان معاوية قليل العناية بملابسه وعطوره ،

(١٠) أنساب الأشراف ٤ : ٩٩ .

(١١) الجاحظ فى البصرة ص : ٢٦٤ ، والحياة الأدبية فى البصرة ص : ٨٢ ، والعصر الإسلامى ص : ١٥٩ .

(١٢) عيون الأخبار ١ : ٢٠٤ .

(١٣) الفرق الإسلامية فى الشعر الأموى ص : ٢٦٣ .

(١٤) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصرة ص : ٢٢٣ ، وحركات الشيعة المتطرفين ص : ١٧٨ ، والحياة الأدبية فى البصرة ص : ٧٥ .

(١٥) التطور والتجديد فى الشعر الأموى ص : ٤٨ .

لأنه كان منهمكاً فى تأسيس قواعد ملكه ، فكان يلبس القميص مراراً ، ويُغْسَلُ له غَسَلاتٍ . وكان لا يَمَسُّ الطيبَ مادام يَجِدُ عَبَق الطِّيب فى ثيابه[١٦] . وكان إذا تَأَمَّل بعض ما اصطنع من مظاهر الزينة يراجع نفسه ويلومها ، موازناً بين حاله وحال من سبقه من الخلفاء الراشدين ، ومردداً : رحم الله أبا بكر لم يُرد الدنيا ولم تُرِدْهُ ، وأما عمر فأرادَتْهُ الدنيا ولم يُرِدْها ، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصابت منه ، وأما نحن فتمرغنا فيها »[١٧] .

وسار يزيد بن معاوية أشواطاً فى الترف واللهو ، فقد نشأ فى بادية تَدْمُر بين أخواله الكلبيين نشأة أقرب إلى حياة فتيان العرب ، فَتَعَلَّم الفروسية والصيد ، وأحب الغناء وانغمس فى الشراب والبهجة انغماساً شديداً أخذه عليه زعماء العلويين كالحسين بن على[١٨] وَعَابَهُ به بعض الأمويين كزياد بن أبى سفيان ، فيما تصوره الروايات الشيعية ، إذ كتب زيادٌ إلى معاوية حين أمره بالدعوة لبيعة يزيد : « ما يقول الناس إنْ دَعَوْنَا إلى بيعة يزيد وهو يَلْعَبُ بالكلاب والقرود . وَيَلْبَسُ الْمصَبَّغ ، ويُدْمِنُ الشراب ، ويَمْشى على الدفوف ! »[١٩] ويقال إنه كان يحتفل بأناقته احتفالاً عظيماً ، فكان يلبس القميص لبسة واحدة إلاّ أن يكون الثوب نادراً مُعْجِباً غريباً[٢٠] .

ولكن معاوية بن يزيد خالف أخلاق أبيه . وانْتَقَدَ سلوكه الشخصى والرسمى ، لِتَشَبُّهِهِ بعمر بن الخطاب ، وتَأَسِّيه به فى عَدْله وتَقَشُّفِه[٢١] .

وأمضى عبد الملك بن مروان نِصْفَ خلافته فى تَثْبِيتِ عَرْشه ، ومُقارعة المتمردين عليه ، والمنازعين له فى الحكم من الشيعة والخوارج والزبيريين ، حتى إذا كسر شوكتهم اعتنى بتوطيد أركان الدولة ، وبِحَلِّ مشاكلها المالية والسياسية . وهو من أبناء المدينة موطن التراث الإسلامى ، فيها وُلِدَ وَشَبَّ وبها تَعَلَّم ، ولم يغادرها إلّا قبل أن تأتيه الخلافة بوقت قصير ، وكان فى صباه عابداً ناسكاً يجالس الفقهاء والعلماء ، ويحفظ عنهم ، وكان من أشد شباب المدينة اجتهاداً ، وأطلبهم للعلم ، فروى عن عثمان بن عفان ، وسمع من أبى هريرة ، وأبى سعيد الخُدْرى ، وجابر بن عبد الله ، وغيرهم من أصحاب رسول الله[٢٢] وإن كان تَغَيَّر بَعْضَ التَّغَيُّر بعد أن قام بالخلافة ، فإنه لم يفارق

---

(١٦) التاج فى أخلاق الملوك ص : ١٥٥ .

(١٧) تاريخ الطبرى ٥ : ٣٣٤ .

(١٨) الإمامة والسياسة ١ : ١٨١ .

(١٩) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٢٢٠ ، وتاريخ الطبرى ٥ : ٣٠٢ .

(٢٠) التاج فى أخلاق الملوك ص : ١٥٤ .

(٢١) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٢٥٤ .

(٢٢) الطبقات الكبرى ٥ : ٢٣٤ ، وفوات الوفيات ٢ : ٣١ .

أخلاقه الإسلامية ، وكان فى مشاغله السياسية والعسكرية والإدارية ما استنفد أكثر وقته وعمره ، فلم يَفْرُغ للترف واللهو إلاّ نادراً ، واقتصد فى التَّنَعُّم اقتصاداً بعيدا[٢٣].

وَخَلَفَهُ ابنه الوليد ، وقد رسخ حكم بنى أمية ، ودانت لهم الأمصار ، وتَجَدَّدت حركة الفتوح وانتعشت انتعاشاً قَوِياً[٢٤] فانهالت عليه الأموال من المشرق والمغرب ،وجاءته حمول الذهب والفضة من خراسان والأندلس[٢٥] وكان يَجِدُ لَذَّته فى العمران ، فكان صاحب بناء واتخاذ للمصانع والضياع ، وكان الناس يلتقون فى زمانه فإنما يسأل بعضهم بعضاً عن البناء والمصانع[٢٦] وفى تشييده الجامع الأموى بدمشق ، وتزيينه له بالرخام والفسيفساء والزجاج الملون[٢٧] وفى توسيعه المسجد النبوى بالمدينة ، وزخرفته له بالفسيفساء زخرفةً بديعة[٢٨] ما يشهد على شغفه بالبناء.

وهو بِحَقٍّ أولُ من اهتم بمظاهر الأُبَّهة والعَظمة فى حياته الخاصة ، بحيث يُعَدُّ أكبر من فتح للخلفاء المروانيين باب الترف ، لما امتاز به عهده من الاستقرار والازدهار . وكان عماله يعرفون ذوقه المرهف ، ورغبته فى اقتناء طرائف التحف والأثاث ، وامتلاك الجوارى والخدم ممن فيهم رقة . فحملوا إليه أنفس الدر والياقوت والزبرجد والوشى والوصائف والوصفاء[٢٩] ويبدو أنه تَنَعَّم فى كل جوانب حياته تنعماً بالغاً ، حتى ليروى أنه كان يَتَوضّأ فى طُشْتٍ من الذهب[٣٠].

وَوَلِىَ بعده أخوه سليمان ، وكان فيه نَهَمٌ وحب للمتاع والمأكل والملبس ، إذ يوصف بأنه صاحبُ نكاحٍ وطعامٍ . وسرت طبائعه وعاداته واهتماماته فى رعيته ، فكان الناس فى خلافته إنما يسأل بعضهم بعضاً عن التزويج والجوارى[٣١] وكان بعض ولاته من خاصته يعلمون تَفَتِّيه وتَصَابِيه وولعه بالملابس الجميلة الرائقة[٣٢] فأهداه يزيد بن المهلب الثياب الحريرية المزركشة السوسية ، فكان يلبسها فى مركز قيادته العسكرى بدابق ، ويعجب بها ويستخفه الطرب ، فيحسر عن ذراعيه . ويقول : أنا

---

(٢٣) التاج فى أخلاق الملوك حى : ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٢٤) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٢٩ ، ٤٣٦ ، ٤٣٩ ، ٤٤٢ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٥٤ ، ٤٧٢ ، ٤٧٢ ، ٤٨٣ ، ٤٩٢ ، ٥٠٠ .

(٢٥) الإمامة والسياسه ٢ : ٧٢ ، ٨٣ .

(٢٦) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٩٧ .

(٢٧) الحيوان ١ : ٥٦ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٤٩٦ .

(٢٨) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٣٦ .

(٢٩) الإمامة والسياسة ٢ : ٨٤ .

(٣٠) الإمامة والسياسة ٢ : ٧٢ .

(٣١) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٩٧ .

(٣٢) مروج الذهب ٣ : ١٨٦ ، والبداية والنهاية ٩ : ١٧٧ .

الملك الفَتِيّ(٣٣) وفى أخباره أنه «كان يلبس الثياب الرقاق ، وثياب الوشى . وكان لا يَدْخُلُ عليه رجلٌ من أهله إلاَّ فى الوشى ، وكذلك عماله وأصحابه ومن فى داره وكان لِباسَهُ فى ركوبه وجلوسه على المنبر .

وكان لا يدخل عليه أَحَدٌ من خُدَّامه إلاَّ فى الوشى ، حتى الطَّبَّاخُ فإنه كان يدخل إليه فى صدْرِه وشى وعلى رأسه طويلة وشىٍ ، وأَمَر أنْ يُكفَّن فى الوشى »(٣٤) .

ويورد صاحب الإمامة والسياسة خبراً طريفاً يكشف عما أغرق فيه سليمان من البذخ ، حتى كأنما غدت حياته نعيماً صافياً لا فى قَصْرِه(٣٥) ومقره الحربى ، بل أيضاً فى حَجِّه ، إذ يقول : « حج سليمان ابن عبد الملك سنة ثمان وتسعين ، فلما انتهى إلى عقبة عُسْفان نظر إلى السرادقات قد ضُرِبَتْ له بين أحمر وأخضر وأصفر ، وكان يوسف بن عمر قد عمل له باليمن ثلاثة سرادقات ، فكانت تُضْرَبُ له ، وكان الذى منها للناس من خزٍّ أخضر ، والذى يليه من خزٍّ أصفر ، ثم الذى يكون هو فيه من خزٍّ أحمر مُحبَّرٍ من حَبراتِ اليمن مُزَرَّر بالذهب والفضة وفى داخله فسطاط فيه أربعة أفرشة من خزٍّ أحمر ، مرافقها من وشى أصفر ، وضُرِبَتْ حُجُبُ نسائه من وراء فسطاطه ، وحُجَرُ بَنِيهِ وكُتَّابِهِ وحَشَمِهِ قربِ ذلك »(٣٦) .

وهكذا بالغ سُليمان بن عبد الملك فى التَّنعُّمِ مبالغةً ملحوظة استمرت تتزايد وتَتَعَقَّد . وكان عمر ابن عبد العزيز مترفاً فى حياته قبل استخلافه مُتَمَيِّزًا بكثرة تَطَيُّبه(٣٧) ولا يُمَثِّلُ زهده إلا تَوَقُّفاً محدوداً فى تيار الترف والبذخ الذى ماجت به حياة الخلفاء الذين سبقوه ، أو لحقوا به ، وإذا كان عزف عن أسباب البهجة ، وأقنع الناس بالانصراف عنها ، حتى كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل : ما وِرْدُك الليلة ؟ وكم تحفظ من القرآن ؟ ومتى تختم ؟ ومتى ختمت ؟ ومتى تصوم الشهر ؟(٣٨) فإن يزيد بن عبد الملك أخذ نصيبه من زينة الحياة ، فبنى القصور الرائعة ، وفُتِنَ باللهو ، وكان له ذوق مترف ، فاعتنى بعطوره وثيابه عناية زائدة ، إذ كان يتطيب كل يوم(٣٩) وكان لا يرتدى القميص إلاَّ مرة

---

(٣٣) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٤٧ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٧ ، وفوات الوفيات ١ : ٣٦١ .

(٣٤) مروج الذهب ٣ : ١٨٤ ، وانظر البداية والنهاية ٩ : ١٨١ .

(٣٥) البداية والنهاية ٩ : ١٧٧ .

(٣٦) الإمامة والسياسة ٢ : ١٠٤ .

(٣٧) الأغانى ٩ : ٢٦٢ .

(٣٨) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٩٧ .

(٣٩) التاج فى أخلاق الملوك ص : ١٥٥ .

واحدة[٤٠] وكان يشترى الثوب بخمسمائة دينار ، وألف دينار[٤١] ويقال إنه ابتاع حلة بخمسة آلاف دينار[٤٢] .

وعلى ما يُضَافُ إلى يزيد بن عبد الملك من الإيغال فى الترف ، والغلو فى البحث عن المسرات والمباهج ، فإن أخاه هشاماً فاقه فى تقصِّيها والتنقيب عنها ، ولكن يزيد جهر بترفه وأظهره ، ثم ضَخَّم الرواة أخباره وهَوَّلُوها ، أما هشام فَتَستَّرَ على ترفه ، وأعفاه تستره من انتقاد العلماء والفقهاء له ، وعصمه من تنديد الخاصة والعامة به ، إذ ابتعد عن دمشق ، وسكن الرصافة ، وأقام بها قصرين زخرفها بماء الذهب ، وأثَّثها بفاخر الرياش ، وحر المتاع ، وقد وصف حماد الراوية أحد قصريه حين وفد عليه ، وما رأى فيه من مظاهر النعمة والزينة فقال : «وَافَيْتُ باب هشام ، فاستأذنت ، فأذن لى ، فدخلت عليه فى دارٍ قوراء مفروشة بالرخام ، وهو فى مجلس مفروش بالرخام ، وبين كل رخامتين قضيب ذهب ، وحيطانه كذلك ، وهشام جالس على طِنْفِسَةٍ حمراء ، وعليه ثياب خَزٍّ حمر ، وقد تَضَمَّخَ بالمسك والعنبر ، وبين يديه مسكٌ مَفْتوتٌ فى أوانى ذهبٍ يُقَلِّبُهُ بيده ، فَتَفُوحُ رَوَائِحُه »[٤٣] .

وكان عماله يقدمون له الهدايا الثمينة من الياقوت والدُّرِّ المُصَادَر ، وفى ذلك يقول المدائنى مصوراً قبوله الهدايا النفيسة ، وماكان يأخذ به نفسه فى مجالسه من النعيم : «قال قَحْذَم كاتب يوسف : بعثنى يوسف بن عمر إلى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كَفِّى ، وحَبَّةِ لؤلؤ أعظم ما يكون من الحَبِّ ، فدخلت عليه ، فدنوت منه ، فلم أَرَ وَجْهَهُ من طول السرير وكثرة الفرش ، فتناول الحجر والحبة ، فقال : اكتب معك بوزنهما ، قلت : يا أمير المؤمنين ، هما أجل من أن يكتب بوزنهما ، ومن أين يوجد مثلهما ! قال : صدقت . وكانت الياقوتة لرائقة جارية خالد بن عبد الله ، اشترتها بثلاثة وسبعين ألف دينار »[٤٤] .

ويقول صاحب الإمامة والسياسة كاشفاً عن ترفه وإفراطه فى أناقته : كان قد حُبِّبَ إلى هشام

---

(٤٠) التاج فى أخلاق الملوك ص : ١٥٤ .

(٤١) البيان والتبيين ٢ : ١٠٢ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى : ص : ١٨٠ ، ٣٧٦ ، والعقد الفريد ٤ : ١٤٧ .

(٤٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨٠ .

(٤٣) الأغانى ٦ : ٧٦ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٤٢٨ ، ومعجم الأدباء ٤ : ١٣٨ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢٠٨ ، وخزانة الأدب ٤ : ١٢٩ .

(٤٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٧ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٢٤١ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٥٢ .

التكاثر من الدنيا ، والاستمتاع بالكساء ، لم يَلْبسْ ثَوْبا قط ، فعاد إليه ، حتى لقد كان كساء ظهره وثياب مهنته لا يَسْتَقِلُّ بها ولا يَحْمِلُها إلاَّ سبعمائة بعير من أَجْلَدِ ما يكون من الإبل ، وأعظم ما يُحْمَلُ عليه من الجمال ، وكان مع ذلك يَتَقَلَّلها »(٤٥).

ويروى الأصمعى عن أبى الزناد أحد الفقهاء المقربين إلى هشام أنه أُحْصِىَ فى خزائن هشام بعد موته اثنا عشر ألف قميص(٤٦).

وكانت مُخَيَّماتُ هشام فى بَوادى الرصافة تُمَاثِلُ بَذَخَ قصره فى الرصافة ، وفى وصفها يقول صاحب الإمامة والسياسة : «خرج هشام مُتَبَدِّياً فى قرابته وأهله وحشمه وحاشيته إلى بعض بوادى الرصافة ، فنزل بقاعٍ صَحْصَحٍ ، فَضُرِبَتْ له سرادقات من حبرات اليمن مزرورة بالفضة والذهب ، وضُرِبَ له فسطاطه فى وسطه ، فيه أربعة أفرشة من خَزٍّ أحمر ، مثلها مَرافقها ، وعليه دُرَّاعة خَزٍّ أحمر ، وعمامة مثلها ، وضربت حجر نسائه من وراء سرادقه ، وعنده أشراف قريش ، وقد ضُرِبَت حُجَرُ بَنيه وكُتَّابه وحَشَمِه بقرب فسطاطه »(٤٧).

ويقول القلقشندى مُوَضِّحاً إغراب هشام فى الزينة ، وحرصه على التَّمَيُّز فيها من الخلفاء السابقين ، ورغبته فى أن تكون ثيابه وفرش مجالسه وستائرها نادرة فى أشكالها وألوانها ، قد أبْتُدِعَتْ له ، وصُمِّمَتْ من أجله تصميماً جديداً فريداً ، ليس له نظير : «كان لهشام من السُّتُور والكسوة والطُّراز ما لم يكن لمن قبله من الخلفاء »(٤٨). وورث الخلفاء العباسيون بعض سرادقاته وفرشه العجيبة ، وفيها يقول مالك بن أنس : «دخلت على أبى جعفر المنصور فى السرادق وهو قاعد على فراش قد نظم بالدُّرِّ الأبيض ، والياقوت الأحمر ، والزمرد الأخضر. وكان من فرش هشام بن عبد الملك ، أهداه إليه صاحب القسطنطينية ، لا يُعْلَمُ ثَمَنُهُ ، ولا يُدْرَى ما قِيمتُه »(٤٩).

ذلك تَنَعُّم هشام وبذخه . ولكنه كان يُقَتِّرُ على إخوته(٥٠) ومواليه(٥١) والفَعَلَة الذين كانوا يعملون فى ضياعه ومزارعه(٥٢) ، كما كان يُشْرِفُ على أمور الدولة إشرافاً دقيقاً ، مما يَتَّفِقُ الإخباريون والمؤرخون عليه ، إذ يقول المدائنى : «لم يكن أحد من بنى مروان أشد نظراً فى أمر أصحابه

(٤٥) الإمامة والسياسة ٢ : ١٣٠ .
(٤٦) البداية والنهاية ٩ : ٢٥٣ .
(٤٧) الإمامة والسياسة ٢ : ١٢٦ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٥٤ .
(٤٨) مآثر الإنافة فى معالم الخلافة ١ : ١٥١ .
(٤٩) الإمامة والسياسة ٢ : ١٧٣ .
(٥٠) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٤ .
(٥١) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٤ .
(٥٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٣ .

ودواوينه ، ولا أشدَّ مبالغة فى الفحص عنهم من هشام »(٥٣) ، ويقول المسعودى : «كان هشام حسن الجانب ، شَكِسَ الأخلاق ، دقيق النظر ، جامعاً للأموال قليل البذل للنوال ، متيقظا فى سلطانه ، سائساً لرعيته ، مباشراً للأمور بنفسه ، لا يغيب عنه شيء من أمر مملكته »(٥٤) ، ويقول ابن كثير : «كان هشام فى خلافته حازم الرأى ، جماعاً للأموال ، يَبْخَلُ بها ، وكان ذكياً مدبراً له بَصَرٌ بالأمور جليلها وحقيرها ، وكان فيه حلم وأناة »(٥٥) . ويروى المدائنى عن جعفر بن سليمان عن عبد الله ابن على أنه قال : « جمعت دواوين بنى مروان ، فلم أَرَ ديواناً أصح ولا أصلح للعامة والسلطان من ديوان هشام »(٥٦) ، ويذكر المدائنى والهيثم بن عدى وغيرهما «أن السُّوّاسَ من بنى أمية ثلاثة : معاوية ، وعبد الملك ، وهشام ، خُتِمَتْ به أبواب السياسة ، وحسن السيرة ، وأن المنصور كان فى أكثر أموره وتدبيره وسياسته مُتَّبِعاً لهشام فى أفعاله لكثرةِ ماكَشَفَهُ من أخبارِ هشام وسِيَره »(٥٧).

فهشام فى حياته الرسمية العامة غيره فى حياته الذاتية الخاصة ، والفرق بين الحياتين عظيم ! فهو رجل سياسى ماهر لجلاله وحَزْمِه ، وتَنَبُّهه وتَيَقُّظِهِ وتدبيره وتقديره ومحافظته على أموال الدولة ، ولكنه فى شئونه الشخصية كان يسعى إلى تحقيق البهجة والمسرة لنفسه ، ويجهد للإحساس بالأُبَّهة والعظمة فى مجالسه ، فكان ينفق من أمواله للوقوع على طرائف الأثاث وعجائب الثياب ، لِيَجد فيها لَذَّته وفرحته ، ويرضى نزعاته ورغباته ، وكان لا يريد لأحد أن يشاركه فى غناه ووجاهته ، أو أن يُشَابِهَهُ فى ترفه ، فكان يحسد الناس ، ويَتَمَنَّى أن يَصِيرَ ما بأيديهم له(٥٨) !

فترف الخلفاء الأمويين كان عادياً بسيطاً فى مطلع حكمهم ، ثم تصاعد فى أواخر القرن الأول لعهد الوليد بن عبد الملك ، وأَخَوَيْه سليمانَ ويزيد ، ولم يزل يتصاعد وَيَتَّسع حتى غدا سمةً من سماتِ التَّحضُّر والرُّقيِّ ، ثم تَعقَّد أشد التَّعقيد فى أيام هشام ، فبلغ أقصى درجاته واستحال آيةً من آيات الضخامة والجلال والتميز من الآخرين .

وطبيعى أن نشأة الوليد فى الفترة التى تنامى فيها التَّحضُّر وتَعَقَّد ، ومعاصرته لأعلى ما وصل إليه النعيم والبذخ فى مجتمعه وفى قصور بنى أمية يستتبعان أن يكون ترفه مماثلاً لترف الفترة التى عاش فيها ،

---

(٥٣) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٣ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٥٣ .

(٥٤) التنبيه والإشراف ص : ٢٧٩ ، ومروج الذهب ٣ : ٢١٧ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٢٨ .

(٥٥) البداية والنهاية ٩ : ٣٥١ .

(٥٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٣ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٥٣ .

(٥٧) مروج الذهب ٣ : ٢٢٣ .

(٥٨) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٥ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٢٢ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٠ .

ومشاكلاً لترف الطبقة الشريفة الثرية الحاكمة التى ينتسب إليها . وكان كل شىء فى حياته الخاصة يغريه بالترف ، ويدفعه إلى الإيغال فيه ، فقد رَبَى فى أحضان أمه الثقفية ، وجَدَّته السفيانية ، وكانتا تُسْبِغان عليه كل ما تستطيعان من العناية والدلال ، وتحوطانه بكل ما تقدران عليه من العطف والحنان ، لأنه كان أكبر إخوته لأبيه وأمه ، وكان بعد أن شَبَّ جميلَ المنظر ، حَسَنَ الصورة ، إذ كان رَبْعَةَ القَدِّ ، وسيطَ القامة ، أبيضَ اللون ، مُشْرَباً حُمْرةً[٥٩] ، وَضَّاءَ الوَجْه ، سَاحِرَ المُحَيَّا ، مُتَفَرِّداً فى وَسَامته[٦٠] ، مما كان يَرُوعُ أمه وجَدَّته وَيفْتِنُهما به ، ويَزِيدُ من رعايتهما له ، وَحَدَبهما عليه . ونَشَأَ فى قصر أبيه على الدَّعة والسَّعَة[٦١] ، ورأى أباه مُغْرماً بالمسرة من كل نوع ، وقضى قسماً كبيراً من صباه فارغاً لاهياً متقلباً فى حياة رغيدة سعيدة ، وغارقاً فى رؤى وأحلامٍ من النعمة والبهجة ، ثم جفاه عمه هشام ، وتَنَكَّرَ له فى السنوات الأخيرة من خلافته ، ومضى يتحامل عليه ، ويَعْنُفُ به ، حتى نَفَاه أو اضطره إلى أن يَنْفِىَ نفسه ، ويَنْتَبِذَ بالأزرق جنوبى عمان من الأردن ، ومنع عنه أسباب العيش[٦٢] ، فَتَعَسَّرت حياته ، وكاد يختنق من الأسى والحزن ، والشعور بالضيم والهوان[٦٣] ، فوخَط الشيب رأسه وهو فى ريعان الشباب[٦٤] . ثم صفا له الجو ، وأصبح صاحب الأمرِ والنَّهْى ، فانقشعت عنه المعاناة والآلام التى كانت تطبق عليه ، وانزاحت عنه الهُموم والغُموم التى كانت تُبَرِّحُ به ، وتُعَكِّرُ عليه صفو حياته ، فعكف على الترف ، وكلف بالنعيم ، وأسرف فى اللهو ، ليُعَوِّضَ ما افتقده من ألوان المسرة والمتعة ، ويَمْحُوَ من نفسه كل أثر من آثار الاضطهاد والحرمان ، فاختار لقصوره ومجالسه أَرْقَى الفُرُشِ وأفخرها ، ولنفسه أجود الثياب وأجملها ، وأطيبَ العطور والبخور وأغلاها ، وأَنْدَرَ الخواتم والعقود وأغْرَبها . وما أكثر ما يروى عن ترفه فى مجالسه وملابسه ، إذ يقول حماد الراوية يصف بذخَ دارٍ له وفد عليه بها : «قدمت على الوليد بن يزيد . . . فدخلت عليه وهو فى بيت مُنَجَّدٍ بالأرمنى أرضه وحيطانه»[٦٥] . ويقول خالد صامة المغنى يصور أحد مجالسه : «قدمت

---

(٥٩) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ، رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة ٤٨٤ و ، ومآثر الإنافة فى معالم الخلافة ١ : ١٥٦ .

(٦٠) الأغانى ٧ : ١٨ ، ودول الإسلام ١ : ٦٠ ، والعبر فى خبر من غبر ١ : ١٦١ .

(٦١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٩ .

(٦٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١١ .

(٦٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٣ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٢ .

(٦٤) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة ٤٨٤ و ، ومآثر الإنافة فى معالم الخلافة ١ : ١٥٦ .

(٦٥) الأغانى ٦ : ٩٢ .

على الوليد فدخلت إليه وهو فى مجلس ناهيك به »(٦٦). ويقول مروان بن أبى حفصة يتحدث عما رأى من فرشه الوثيرة : « دخلت على الوليد بن يزيد . . . وهو فى فُرُشٍ قد غاب فيها »(٦٧). ويقول حكم الوادى المغنى يعبر عن دهشته مما أبصر من ملابسه ونعاله الحريرية الرقيقة المزركشة وعقوده الثمينة الرائعة : « أدخلنى عمر الوادى على الوليد بن يزيد . فخرج يوماً إلينا ، وعليه جُبَّةُ وشى ، ورداءُ وشىٍ ، وخُفُّ وشىٍ ، وفى يده عِقْدُ جَوْهرٍ »(٦٨). ويقول حماد الراوية يصف أسِرَّته الناعمة ، وثيابه المزركشة ، وما تعبق به من الطيب : « أتيت الوليد فاستأذنت عليه ، فأُذِنَ فإذا هو على سريرٍ مُمَهَّدٍ ، وعليه ثوبان أصفران إزارٌ ورِدَاءٌ يقيئانِ الزعفران قَيْئاً »(٦٩). ويقول أَحَدُ حُرَّاسه يصور وصائفه وترف ثيابه : « كنت فى حرس الوليد وهو فى معسكره فى البخراء ، فلم أشعر به إلا وقد خرج بين وَصَائِفَ كالدُّمَى ، عليه قُبَاءُ وَشْيٍ ، وسراويلُ وَشْيٍ . وهو معتجر بمعجر »(٧٠). ويقول عُطَرَّدٌ المغنى عَاجباً من زينته : « غنيت الوليد بن يزيد ، فوالله ما أتممت حتى شَقَّ حُلَّةَ وَشْيٍ كانت عليه ، لا أدرى كم ثمنها ، ثم غنيته فَشَقَّ حُلَّةَ وَشْيٍ كانت تَلْتَمِعُ عليه بالذهب الْتِماعاً »(٧١). ويقول المدائنى يصور إحْدَى قلانسه النادرة : « غنى أبو كامل الوليد بن يزيد ذاتَ يوم فطرب ، وخَلَعَ عليه قلنسية وَشْيٍ مُذَهَّبةً كانت على رأسه »(٧٢). ويقول معبد المغنى يصف ما شاهد من بَرَكِ قصوره وملابسه وعطوره وبخوره : « غَنَّيْتُ الوليد صوتاً طَلَبَهُ ، فرفع الستر ، ونَزَعَ مُلاءةً مُطَيَّبةً كانت عليه ، وقذف نفسه فى البركة التى بينى وبينه ، ثم أُتِىَ بأثواب غيرها ، وتَلَقَّوْهُ بالمجامِرِ والطِّيب »(٧٣).

وكان يَتَزَيَّنُ بالخواتم والعقود البديعة ، فكان يضع فى يده عقود الجوهر(٧٤) ، ويَلْبَس خواتم الياقوت ، وفى ذلك يقول عمر الوادى المغنى : « خرج الوليد بن يزيد يوماً وفى يده خاتم ياقوت أحمر قد كاد البيت يَلْتَمِعُ من شُعاعه »(٧٥). ويبالغ العباسيون فى تصوير ولعه بالجوهر مبالغة واضحة ، إذ

---

(٦٦) الأغانى ٧ : ٦٢ ، ١٨ : ٣٣٣ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ١٢١ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٣٩٥ .

(٦٧) الأغانى ٦ : ٧١ ، ١٦ : ١٧ .

(٦٨) الأغانى ٦ : ٢٨١ ، ١٣ : ٢٧٨ .

(٦٩) الأغانى ٢ : ٢١٠ ، ٦ : ٧٨ .

(٧٠) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة ٢٦ و ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٢ . والقباء : نوع من الثياب ، والمعتجر : المعتم ، والمعجر : ثوب من ثياب اليمن .

(٧١) الأغانى ٣ : ٣٠٨ .

(٧٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٣٢٢ ، والأغانى ٧ : ٩١ .

(٧٣) الأغانى ١ : ٥٢ .

(٧٤) الأغانى ٦ : ٢١٨ ، ١٣ : ٢٧٨ .

(٧٥) الأغانى ٧ : ٨٨ ، ٨٩ .

يقول عبد الصمد بن موسى الهاشمى : «إنما أَغْلَى الجوهر بنو أمية . ولقد كان الوليد بن يزيد يلبس منه العقود ، ويُغَيِّرها فى اليوم مراراً كما تُغَيَّرُ الثياب شَغَفاً ، فكان يَجْمَعُهُ من كلِّ وَجْه ويُغَالى به »(٧٦) .

فَتَنَعُّمُ الوليد لا يفوق تَنَعُّمَ غيره من الخلفاء الأمويين الذين أغرقوا فى البذخ ، بل ربما كان تَرَفُّ عَمَّيْهِ سليمان وهشام فى مجالسهما وملابسهما أَعْظَمَ من تَرَفُّه بكثير . وكل ما يفترق فيه عنهما أنه تَحَلَّى بالقلانس والعقود والخواتم ، لظروف نشأته الخاصة فى أسرته ، وما أحسه معها من الدلال الزائد ، وما تَوَلَّدَ فى نفسه من التَّفَتِّى والتَّصابى الشديد .

٢ - الوليد والمغنون والمضحكون

كان الغناء أحب ألوان الملاهى إلى الوليد ، فاعْتَنَى بِجَمْعِ أعلامه ، وبَحَثَ عن أدواته ، واستغرق جزءاً كبيراً من أيامه فى الاستماع إليه ، والاستمتاع به ، دفعه إلى ذلك ازدهار الغناء فى المجتمعات الأموية المدنية ، وإقبال الناس والخلفاء عليه إقبالاً مطردًا ، وأغرته به ظروف حياته الخاصة .

وكان أهل المدينة ومكة هم الذين احتفلوا بالغناء ، وتقدموا فى الاهتمام به أهل الأمصار الأخرى - لِرُقِيِّهِم وَتَحَضُّرِهم وثرائهم وفراغهم(٧٧) . وتحليل فقهائهم له(٧٨) . فنهض لهم الرقيق الأجنبى الفارسى والرومى بتطويره وصَقْلِهِ حتى اكتمل ونما ، فانغمسوا فيه وأغرم به أتقياؤهم وعلماؤهم وقُرَّاؤهم وقضاتهم وعُبَّادهم وزُهَّادهم وأشرافهم ومتوسطو المال والمتواضعون منهم(٧٩) .

وانتقل نَفَرٌ من المُقَيِّنين والمغنين من الحجاز إلى العراق(٨٠) ، وأنشأوا فيه بعض دور الغناء ولم تزل الدور تتزايد ، والنوادى تتعدد ، حتى ذاع الغناء فيه . وكثر رُوَّاد بيوته وزُوَّارها ، وعَمَّ تَرَدُّد الناس عليها ، وتَبَطُّلهم بها(٨١) ووفد كثيرٌ من مُغَنِّى الحجاز إلى الشام ، وغَنَّوا الخلفاء والأمراء الأمويين ،

---

(٧٦) الأغانى ٧ : ٥٩ .

(٧٧) الشعر والغناء فى المدينة ومكة لعهد بنى أمية ص : ٥٠ ، ٢٢٥ .

(٧٨) العقد الفريد ٦ : ٦ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٢٩ ، والمختصر فى أخبار البشر ١ : ١٨٩ .

(٧٩) الأغانى ٣ : ٣٠٣ ، ٤ : ٣٣٠ ، ٦ : ٢١ ، ٨ : ٣٣٤ ، ١٤ : ١٢١ ، ١٥ : ١٤٠ ، ١٨ : ٣٤١ ، والكامل للمبرد ٢ : ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ورسائل الجاحظ ٢ : ١٥٩ ، وتاريخ الطبرى ٥ : ٣٣٧ ، والعقد الفريد ٦ : ١١ ، ١٦ ، وذيل زهر الآداب ص : ٤٠ ، ٤٤ ، ونهاية الأرب ٤ : ١٩٦ ، ٢٢٧ .

(٨٠) الأغانى ١١ : ٣٦٤ .

(٨١) اتجاهات الغزل فى القرن الثانى الهجرى ص : ١١٤ .

ورفَّهوا عنهم . ولا يبدأ القرن الثانى حتى تَغْلِب محبَّةُ الغناء على عِلْيَةِ الناس وعامتهم بالشام[٨٢].

وبذلك أصبح الغناء فى مدن الحجاز والعراق والشام من أبرز الملاهى ، وأوسعها انتشاراً ، وأشدها استقطاباً لطلاب المتعة والمسرة ، مما لفت أنظار الفقهاء إليه ، وجعلهم يحددون موقفهم منه ، أما فقهاء الحجاز فأجازوا سماعه ورخصوا به ، وأما فقهاء العراق فعارضوه وحرَّموه[٨٣]. وأما فقهاء الشام فيبدو أنهم حلَّلوه وسوَّغوه لأن كبارهم والمشهورين منهم كانوا من المدينة ومكة ، ولأن خلفاء بنى أمية كانوا متَّصلين بالمدينتين اتصالاً وثيقاً ، وكانوا يأخذون بآراء الفقهاء فيهما . وقد عرض الجاحظ[٨٤] ، وابن عبد ربه[٨٥] ، والنويرى[٨٦] ، لقضية الغناء بإسهاب ، وساقوا حُجَجِ الفقهاء المؤيدين لسماعه ، والمانعين له ، وجزم الجاحظ بإباحته لأنه لا وَجْه لتخريمه ولا أصل لذلك فى كتاب الله تعالى ولا سنة نبيه عليه السلام »[٨٧].

وقد تعاظم إقبال الخلفاء الأمويين على الغناء مع الأيام ، واشْتَدَّ كلفهم به حين ثَبت حكمهم ، وصَفَتْ حياتهم ، وكثُرَتْ ثرواتُهم ، ورقَّتْ أذواقُهم فقد كان معاوية مزوراً عن الغناء ، كارهاً له ، لائماً لمن يعكف عليه ، ويَجْهَرُ به . ويروى أنه كان ينكر على عبد الله بن جعفر انهماكه فى الغناء ، واشتهاره به ، حتى أَسْمَعَهُ عبد الله غناء بعض مُغَنِّيه كبُدَيح وسائب خاثر فانفعل به ، واستَحْسَنَهُ[٨٨]. أما ابنه يزيد فأولع بالغناء ولعاً قوياً ، انْتَقَصَهُ به أعداؤه[٨٩].

ومع أن عبد الملك بن مروان ولد بالمدينة ، وأدرك ازدهار الغناء بها ، وكان له حِسٌّ فنىٌّ رفيع ، فإنه لم يشغف بالغناء ، لِوَرَعِهِ وتديُّنِهِ وعِظَم مسئولياته ، وفى أخباره أنه كان يكافح الغناء[٩٠] ، وأنه كان يقول عن نفسه لستُ صاحِبَ هَزْل »[٩١]. وظل عازفاً عن الغناء ، مناهضاً للمغنين إلى أن غنَّاه ابن مِسْبح المكى ، وكان أمر بمصادرة أمواله والقبض عليه ، وتسييره إليه بدمشق ، فاهتز طرباً ،

---

(٨٢) مروج الذهب ٣ : ٢٢٦ ، وشذرات الذهب ١ : ١٦٨ .

(٨٣) العقد الفريد ٦ : ٦ ، ١٠ .

(٨٤) رسائل الجاحظ ٢ : ١٥٨ – ١٦١ .

(٨٥) العقد الفريد ٦ : ٣ – ٨١ .

(٨٦) نهاية الأرب ٤ : ١٣٣ – ١٦٧ .

(٨٧) رسائل الجاحظ ٢ : ١٦١ .

(٨٨) تاريخ الطبرى ٥ : ٣٣٧ ، والعقد الفريد ٦ : ١٨ .

(٨٩) الإمامة والسياسة ١ : ١٨١ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٢٢٠ ، وتاريخ الطبرى ٥ : ٣٠٢ ، والعقد الفريد ٦ : ٤٩ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٤ .

(٩٠) العقد الفريد ٦ : ٥٥ .

(٩١) الأغانى ١٥ : ١٧٤ .

وأمَّنَهُ وَوَصَلَهُ ، وكتب إلى عامله بِرَدِّ ماله عليه ، وألَّا يعرض له بسوء ، وعَذَر فتيان قريش فى إنفاق أموالهم على الغناء[٩٢] . واستمع لِبُدَيْح مولى عبد الله بن جعفر ، وسُرَّ به ، واستطرف نوادره[٩٣] .

ولمَّا ذاع الغناء فى المدينة ومكة ، وانغمس فيه أهلها ، وترامت أخبار مُغَنِّيهم إلى دمشق ، أخذ التالون من الخلفاء الأمويين يألفون الغناء ، ويَتَقَبَّلونه ويستمعون إليه ، أثناء حَجِّهم ، كما أخذوا يستدعون بعض المغنين إلى دمشق . ففى أخبار الوليد بن عبد الملك أنه قَدِمَ مكة ، وأراد أن يأتى الطائف ، فصحبه عمر بن أبى ربيعة والغريض المكى ، فَغَنَّاه الغَرِيضُ فى بعض الطريق صوتاً من شعر عمر الغزلى ، فاستطاب الوليد غناءه ، ووصله عليه وكساه وقضى حوائجه[٩٤] . ويقال : إنه فُتِنَ بما نقل إليه من روعة غناء ابن سُرَيْج المكى . وكثرة أدبه ، وجودة اختياره ، وظرف لسانه ، وحلاوة مجلسه ، فكتب إلى عامل مكة أن يُشْخِصَه إليه ، فأشخصه فغناه بشعر الأحوص ، وعدى بن الرقاع فى مديحه ، فأعجب بغنائه ، وأشار إلى بعض الخدم فَغَطَّوْهُ بالخِلَع ، ووضعوا بين يديه كيساً من الدنانير ، وبدراً من الدراهم[٩٥] .

وتَتَضَاربُ الأخبار فى موقف سليمان بن عبد الملك من الغناء والفكاهة ، إذ منها ما يفيد أنه كان مُتَحاشِياً ، شديد الوَطْأة عليهم ، فخَصَى مُغَنِّياً أصغت إليه إحدى جواريه[٩٦] . ويروى ابن كثير أنه هَمَّ بِخَصْى المغنين جميعاً ، فقال له عمر بن عبد العزيز : إنها مُثْلَةٌ ، ولكن انفهم فنفاهم[٩٧] . ويضيف أبو الفرج أنَّ انصراف جارية سليمان عنه ، وإنصاتَها إلى صوت المُغَنِّى فى معسكره هَاجَه ، فسأل عن أصل الغناء ، فقيل له : إنه بالمدينة ، فكتب إلى عامله عليها محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى أن يَخْصِيَ المغنين المخنثين بها ، فخصاهم[٩٨] . وفى بعض الروايات أنه كتب إليه أن يُحْصِيَهُمْ ، فَصَحَّفَ القارئ ، فتتبع ابن حزم المغنين فَخَصَى منهم تسعة[٩٩] .

ويظهر أنَّ كل ما ينسب إليه من تَعَقُّبٍ للمغنين وأمر بنَفْيهم أو خَصْيِهم ، أو إحصائهم مصدره غَيْرَتُهُ على جواريه ، واستياؤه من هيام المَدَنِيات منهن بالغناء ، وظنُّه أنهن كُنَّ يَحْنُنَّ ويَبْذُلْنَ أنفسهن للمغنين فى معسكره ، فقد كان يَسْتَظْرِفُ المغنين والمضحكين ويَسْتَمْلِحُ غناءهم ونوادرهم . ويرسل فى

(٩٢) الأغانى ٣ : ٢٨٢ .

(٩٣) الأغانى ١٥ : ١٧٥ .

(٩٤) الأغانى ٢ : ٣٩٥ .

(٩٥) الأغانى ١ : ٢٩٧ ، ٩ : ٣١٥ .

(٩٦) العقد الفريد ٦ : ٢٤ ، ٥٠ ، والأغانى ٤ : ٢٧٣ ، ٢٧٥ .

(٩٧) البداية والنهاية ٩ : ١٨٠ .

(٩٨) الأغانى ٤ : ٢٧٣ ، والبداية والنهاية ٩ : ١٨٠ .

(٩٩) الأغانى ٤ : ٢٧٤ .

طلبهم ليُرَفِّهوا عنه . ولكنه كان يَتَستَّرُ على مجالس أنسه ولهوه ، ويخفى عن الناس أخبارها ، ويَتكتم على استضافته لمشاهير المغنين والمُضْحِكين . فنى أخباره أنه كان معجباً بالدَّلَّال ظريف المدينة ومُغَنّيها ، فوَجَّه إليه أحد مواليه ، وقال له : جِئْنى به سرًّا ، وحَذَّره أن يعلم بذلك أحد ، فَنَفَذ المولى إليه وأعلمه ما أمره به . وأمره بالكتمان ، وحَذَّره أن يَقِف على مقصده أحد ، ففعل وخرج به إلى الشام فلما قدم أنزله المولى منزله ، وأعلم سليمان بمكانه ، فدَعا به ليلاً ، وسأله أن يُغَنّيه فى بعض شعر العرجى الغزلى ، فَغَنَّاه ، فاستَجاد غناءه وظرفه ، وأمر له بِصلةٍ سَنِيَّةٍ . وأقام عنده شهراً ، ثم سَرَّحه إلى الحجاز مكرماً(١٠٠) . بل إن فى أخباره ما يشير إلى أنه كان يقيم الحفلات للمغنين بالمدينة ، ويفاضل بينهم ، ويكافئ المبدع المتفوق منهم ، إذ يروى أنه قدم المدينة ، فجمع المغنين ، وسَبَّق بينهم بِبَدْرةٍ ، وقال : أيكم كان أحْسَنَ غناءً فهى له . فاجتمعوا ، وبلغ الخبر ابن سريح ، فجاء وقد أغلق الباب ، ولم يأذن له الحاجب بالدخول ، ولكنه سمح له أن يغنى من شقِّ الباب . فسكت حتى فرغ جميع المغنين من الغناء ، ثم اندفع فغنى ، فلما فرغ قال سليمان : هذا والله أحسن منكم غناء ، وأمر أحد غلمانه أن يعطيه البدرة(١٠١) .

وكان عمر بن عبد العزيز يلحن ويغنى أثناء ولايته للحجاز(١٠٢) . ويقول أبو الفرج أنه أوَّلُ مَنْ دُوِّنَتْ له صنعة من الخلفاء الأمويين ، فإنه ذُكِرَ عنه أنه صنع فى أيام إمارته على الحجاز سبعَة ألحان يذكر سعاد فيها كلها(١٠٣) . كما كانت له صلة قوية بمغنى الحجاز ، ولا وجه لإنكار ألحانه وأغانيه ، «لأن الذين أنكروا ذلك لم يأتوا على إنكارهم بحجة أكثر من الظن والدعوى ، ومخالفوهم قد أيدتهم أخبار رويت»(١٠٤) . فلما قام بالخلافة عَفَّ عن الغناء وتَنَسَّك ، وطارَدَ الشعراء الغزلين فى الحجاز ، واستتاب بعضهم ، وحبس غيرهم(١٠٥) .

ومَرَّبنا أن يزيد بن عبد الملك اشتهر بطلبه للغناء ، وحبه للمغنين ، خلال نزوله بالمدينة ، أو زيارته لها ، وأنه سُحِرَ بحبابة وسلامة ، واشتراهما وأكبَّ على سماع الغناء بعد أن استقر له الأمر ، متستراً عليه حيناً ، ومجاهراً به حيناً آخر . ويقال إنه وَضَعَ لحناً لبيتين من الشعر ينسبان إليه قالهما فى

---

(١٠٠) الأغانى ٤ : ٢٨٥ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٩٩ .

(١٠١) الأغانى ٧ : ٦٣ .

(١٠٢) رسائل الجاحظ ٢ : ١٦٠ .

(١٠٣) الأغانى ٩ : ٢٥٠ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٠٠ . وانظر الألحان السبعة فى الأغانى ٩ : ٢٧٢ .

(١٠٤) الأغانى ٩ : ٢٥١ .

(١٠٥) الأغانى ٩ : ٦٤ .

حبابة لما تعلّقها ، ولم يقدر على ابتياعها خوفاً من أخيه سليمان ، فغناه فيهما معبد ، وأخذت حبابة اللحن عنه ، وكانت تُغنّى يزيد فيه(١٠٦).

وتتباين الأخبار فى موقف هشام من المغنين والمضحكين ، إذ منها ما يدل على مكافحته للغناء مكافحة صارمة محافظة على وقاره وجلاله(١٠٧). وكانت نفسه تنازعه فى استيفاد بعض الملهين من المدينة ، ولكنه كان يحجم مخافة الفضيحة ، إذ يروى أنه هم باستدعاء أشعب من المدينة حين رويت له بعض نوادره ومُلَحِه ، وكتب بحمله إليه ، ثم ألقى الكتاب خشية أن يتحدث الناس بأنه أشخص من مدينة الرسول مضحكاً ليلهو به(١٠٨) ! ولم يطل تَرَدُّده وإحجامه وتَصَوُّنه فإنه لم يلبث أن تحول عنها ، وأخذ يلتقى بالمغنين والملهين ، ويستمع إلى غنائهم ودعاباتهم ، ويلاطفهم ويُجيزُهم ، فقد حج ، فوقف له حنين الحيرى بظهر الكوفة . ومعه عُودُه وزامِرٌ له ، فلما مَرَّ به عرض له ، فسأل عنه ، فقيل له : إنه حنين ، فأمر فحمل فى مَحْملٍ على جمل وعَديله زامِرُه ، وسيَر به أمامه ، وهوَ يَتَغَنّى بشعر رقيق للأحوص فى النسيب ، فلم يزل يستعيده ، ثم أمر له بمائتى دينار ، وللزامر بمائة(١٠٩). ويُرْوَى أنه حجَّ فَغَنّى ابن عائشة فى الموسم ، فَحَبَس الناس ، واضطربت المحامل ، ومدّت الإبل أعناقها ، وكادت الفتنة تقع ، فأُتِى به هشامٌ ، فَقَرَّعه ثم أَمْسك عنه وضاحكه ومازحه(١١٠). ويروى المدائنى أن أبا البيضاء سهيل بن أبيض(١١١) كان من مضحكى المدينة ، فكان هشام يستعذب حديثه وشعره(١١٢).

ويتفوق الوليد بن يزيد على الخلفاء الأمويين السابقين فى كلفه بالغناء والفكاهة ، كلفاً ساعدت عليه عوامل عامة وخاصة ، فقد عايش الوليد ازدهار الغناء وانتشاره فى كافة الأمصار ، ورأى شَغَفَ الناس به ، وتهافت أغنيائهم وفقرائهم وعلمائهم وبسطائهم عليه ، وعاصر شيوع الغناء بدمشق ،

---

(١٠٦) الأغانى ٩ : ٢٧٤ .

(١٠٧) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٢ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ جـ ٥ ، الورقة ١٩ و .

(١٠٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٣٩ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٢١ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ، رقم ٤٥ تاريخ ، جـ ٥ ، الورقة ١٩ و ، وشذرات الذهب ١ : ١١٥ .

(١٠٩) الأغانى ٢ : ٣٤٢ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٩٤ .

(١١٠) الأغانى ٢٠ : ٣٦٠ .

(١١١) فى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٣٨ «سهيل بن أبيض أبو البيضاء» . وفى الطبقات الكبرى ١ : ٢٠٤ ، ٣ : ١٤٨ ، ٦٢٣ ، ٤ : ٢١٣ «سهيل بن بيضاء من بنى الحارث بن فهر» . وفى الأغانى ٢٣ : ٢٤٦ «سهيل أبو البيضاء ، مولى زينب بنت الحكم بن العاصى» .

(١١٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٣٨ .

وانغماس خلفاء بنى أمية وأمرائهم فيه ، وشاهد مجاراة رعيتهم لهم فى التهالك عليه دون مبالاة أو اكتراث(١١٣) ، حتى لقد هَالَهُ صَنيعُهم بعد نهوضه بالحكم ، فانبرى ينصح أبناء أسرته ، ويُبَصِّرهم بعواقب إدمان سماع الغناء ، ويحذرهم من مشاركة نسائهم لهم فى حضور مجالسه ، لما ينجم عنها من مشاكل خلقية واجتماعية ، وينهاهم عن ذلك نَهْياً قويًّا إذ يقول : «يا بنى أميَّة ، إياكم والغناء ، فإنه يَنْقُصُ الحياء ، ويزيد فى الشهوة ، ويَهْدِمُ المروءة ، ويُثَوِّر على الخمر ، ويفعل ما يفعل السكر . فإن كنتم لابُدَّ فاعلين ، فَجَنِّبُوه النساء ، فإن الغناء رُقْيَةُ الزنا . وإنى لأقول ذلك فيه على أنه أحب إلى من كل لذة ، وأشهى إلىّ من الماء البارد إلى ذى الغُلَّة ، ولكن الحق أحق أن يقال»(١١٤).

ومع أنه يُقِرّ فى عظته لهم بحبه للغناء ، وقلة صبره عنه ، فإن الذهبى(١١٥) ، وابن كثير(١١٦) نَسَبا العِظَة إلى ابن عمه يزيد بن الوليد ، ولكى يستقيم لهما نحل العظة ليزيد بن الوليد المعروف بالورع والزهد ، فإنهما حذفا منها الفقرة التى أعلن فيها الوليد شغفه بالغناء !

وتأثر فى صغره بأبيه ، إذ كان يشهد الحفلات التى كان يحييها المغنون والمغنيات فى قصوره بدمشق والمُوقَّر جنوبى عمان من الأردن ، فكان يرى تحرر أبيه وانطلاقه ، ومعاشرته للمغنين واختلاطه بهم ، وممازحته لهم ، وطربه بغنائهم(١١٧) ، مما نَمَّى فى نفسه حب الغناء والمرح ، وزَيَّنه له ، إذ تَشَرَّب أخلاق أبيه ، وزاد عليه فى المرح واللهو ، حتى أصبح الإقبال على المسرات جزءاً من فلسفته فى الحياة ، إذكان يعتقد أنَّ من حَقِّه أن يفوز بنصيبه من مباهج الدنيا ومعازفها مادام يفى للناس بواجباتهم ، ويشملهم بخيره ومعروفه ، ومادام إقباله على الغناء وغيره من الملاهى لا يضرهم ولا يمنعهم من القيام بأمورهم(١١٨) . وكان يسعى إلى أن يحيا حياة طبيعية بسيطة خالية من الآلام والأوهام لا يحس فيها بانكسارٍ أو اغترارٍ بل يجبى المال جباية من يعيش الأبد ، ويصرفه فى حقه صرف من يموت الغد(١١٩) .

وكان لقسوة هشامٍ عليه ، وعَنَتِهِ به فى آخر ولايته للعهد دور كبير فى إكبابه على الغناء وإيغاله فى

---

(١١٣) مروج الذهب ٣ : ٢٢٦ ، وشذرات الذهب ١ : ١٦٨ .

(١١٤) الأغانى ٧ : ٧٠ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٠ .

(١١٥) تاريخ الإسلام ٥ : ١٨٩ .

(١١٦) البداية والنهاية ١٠ : ١٦ .

(١١٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٩ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٢٨ .

(١١٨) زهر الآداب ص : ٩٠٤ .

(١١٩) تاريخ الإسلام ٥ : ١٧٥ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق ، رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة ١١١ ظ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥١ .

اللهو ، إيغالاً كان يتوخى منه الترويح عن نفسه ، والترفيه عنها ، وكان يبتغى به إغاظة خصومه ومعاندتهم . وهو يصرح فى بعض شعره أنه إنما أغرق فى طلب الغناء ، وجَهَرَ به وأعْلَنَهُ مكايدةً لأعدائه وتحديًا لهم ، وأنه فاز بحظه من متع الحياة رغماً عنهم ، إذ يقول[١٢٠] :

ولقد قَضَيْتُ وإنْ تَجَلَّلَ لِمَّتِى شَيْبٌ على رَغْمِ العِدَا لذَّاتِى
من كاعباتٍ كالدُّمَى ومناصِفٍ ومراكبٍ للصَّيْدِ والنَّشَواتِ
فى فتيةٍ تأبَى الهوان وجُوهُهُمْ شُمِّ الأنوفِ جَحاجحٍ ساداتِ[١٢١]
إن يَطْلُبوا بِتراتهم يُعْطَوْنها أو يُطلَبُوا لا يُدْرَكُوا بِترات[١٢٢]

فجعلت منه هذه الظروف العامة والخاصة أكبر من أغرم بالغناء والفكاهة من الخلفاء الأمويين ، وأشهر من أجاد التلحين والعزف منهم ، إذ كان يُؤَلِّفُ الألحان لبعض قصائده[١٢٣] ، وكان يضرب على العود ، ويُوَقِّع على الطبل ، ويمشى بالدف على مذهب أهل الحجاز[١٢٤] . وكان خبيراً بآلات العزف ، مُمَيِّزاً للعربى والفارسى منها . عارفاً لطاقاتها وإمكاناتها الموسيقية . مهتماً بالبرابط والطنابير الخراسانية[١٢٥] ، والعراقية[١٢٦] ، مجتهداً فى التنقيب عنها ، راغباً فى الحصول عليها .

ومن أوائل المغنين المكيين الذين التقى الوليد بهم ، وسمع لهم ، وأخذ عنهم ، وهو ولى عهد يحيى مولى العَبلات ، المعروف بفيل . وقد عرفه الوليد مصادفة ، إذ كان معجباً بغناء ابن سريج مغنى مكة الذى نال شهرة مدوية فى الحجاز والشام ، ومات فى مستهل خلافة هشام[١٢٧] . فلما قدم مكة فى موسم الحج سنة ست عشرة ومائة ، سأل عن أحسن الناس غناء وحكاية لابن سريج ، فقيل له : فيل . فدعاه ، وقال له : امش لى بالدف ، ففعل ثم أخذه الوليد منه ، ومشى به ، وطلب إليه أن

---

(١٢٠) أنساب الأشراف مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٣ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٥٩ ، والأغانى ٧ : ١٢ .
(١٢١) الجَحْجَح : السيد السمح الكريم .
(١٢٢) الترة : الثأر .
(١٢٣) الأغانى ٩ : ٢٧٥ .
(١٢٤) الأغانى ٩ : ٢٧٤ .
(١٢٥) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٢٤ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٧٠ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ الورقة ١٧ و ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤ .
(١٢٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٣ .
(١٢٧) الأغانى ١ : ٢٤٨ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٤٩ .

يُقَوِّمه ، فمشى به أحسن مِنْ مِشْيَة فيل(١٢٨) .

ومنهم الأبجر(١٢٩) . ويقال : إنه لم يكن بمكة أحدٌ أظرَف ولا أسْرَى ولا أحسن هيئة منه ، وإنه كان عذب الغناء ساحره ، فكان يقف بالمأزِمَيْن(١٣٠) فيرفع صوته فيقف الناس له يركب بعضهم بعضا(١٣١) ! سمع الوليد به أثناء حَجِّه ، فاستخفه غناؤه ، فحمله معه إلى دمشق ، واتصلت ملازمته لَهُ حتى قتل(١٣٢) .

ويصف أبو الفرج احتفاء الوليد به ، واصطحابه إلى دمشق فيقول : «أخبرنى على بن عبد العزيز الكاتب عن عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة عن إسحاق ، قال : جلس الأبجر فى ليلة اليوم السابع من أيام الحج على قريب من التَّنْعِيم(١٣٣) فإذا عسكر جرَّارٌ قد أقبل فى آخر الليل وفيه دوابٌّ تُجْنَبُ ، وفيها فرس أدهم عليه سَرْج حليته ذهبٌ ، فاندفع فغنى :

عَرَفْتُ ديارَ الحىِّ خاليةَ قفرًا ... كأنَّ بها لمَّا تَوَهَّمْتُها سَطْرًا

فلما سمعه من فى القباب والمحامل أمسكوا ، وصاح صائح : ويحك ! أعد الصوت ، فقال : لا والله ! إلا بالفرس الأدهم بسرجه ولجامه وأربعمائة دينار . فإذا الوليد بن يزيد صاحب الإبل ، فَنُودِىَ : أين منزلك ؟ ومن أنت ؟ فقال : أنا الأبجر ومنزلى على باب زقاق الخَرَّازين ، فغدا عليه رسول الوليد بذلك الفرس وأربعمائة دينار وتخت من ثياب وشى وغير ذلك ، ثم أتى به الوليد ، فأقام عنده ، وراح مع أصحابه عشية التروية(١٣٤) وهو أحسنهم هيئة ، وخرج معه أو بعده إلى الشام »(١٣٥) .

فالخبر يساق بأسلوب قصصى ممتع فيه الخفاء والغموض والتشويق والمبالغة والتَّخْمين مما قد يشير إلى افتتان أبى الفرج أو شيوخه من كتاب العباسيين كعلى بن عبد العزيز فى صياغته . وابن خرداذبة الذى أخذ الخبر عنه على بن عبد العزيز ، كان غير مُدَقِّق فيما ينقل من أخبار الغناء فى الإسلام ، وقد انتقده أبو الفرج انتقاداً شديداً ، وَنَصَّ عَلَى تَصَرُّفه فى الأخبار ، واختراعه لبعضها ، وخاصة حين رآه

---

(١٢٨) الأغانى ٩ : ٢٧٥ .

(١٢٩) الأغانى ٣ : ٣٤٤ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٩٧ .

(١٣٠) المأزمين : موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة .

(١٣١) الأغانى ٣ : ٣٤٥ .

(١٣٢) الأغانى ٣ : ٣٤٦ .

(١٣٣) التنعيم : موضع بمكة بينها وبين سَرِف .

(١٣٤) التروية : اليوم الثامن من ذى الحجة .

(١٣٥) الأغانى ٣ : ٣٤٦ .

ينسب إلى عمر بن الخطاب أنه غنّى ، إذ يقول : «إن المنسوب إلى الخلفاء من الأغانى ، والملصق بهم منها لا أصل لجلّه ولا حقيقة لأكثره ، لاسيا ما حكاه ابن خرداذبة ، فإنه بدأ بعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فذكر أنه تغنّى . . . ثم والى بين جماعة من الخلفاء واحداً بعد واحد حتى كأن ذلك عنده ميراث من مواريث الخلافة أو ركن من أركان الإمامة لابد منه ولا معدل عنه ، يخبط خبْط العشواء ، ويَجْمَعُ جَمْع حاطب الليل »(١٣٦) . ويقول منددا به لما روى من أخبار معبد الموضوعة : « ذكر ابن خرداذبة أنه غنّى فى أول دولة بنى أمية ، وأدرك دولة بنى العباس . وابن خرداذبة قليل التصحيح لما يرويه ويضمنه كتبه . والصحيح أن معبداً مات فى أيام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده . فأما إدراكه دولة بنى العباس فلم يروه أحد سوى ابن خرداذبة ولا قاله ولا رواه عن أحد ، وإنما جاء به مجازفة »(١٣٧) .

وأغلب ما أورده أبو الفرج من أخبار معاشرة الأبجر للوليد فيه شىء كثير من التخليط والاضطراب والتلفيق ، مصدره أن شيوخ أبى الفرج ورواته من موالى العباسيين ، ومن العباسيين أنفسهم لم يكونوا يُدَقِّقون فيما يروون من الأخبار . بل كانوا يتدخلون فيه ، ويعيدون تأليفهُ مما تراكم من أخبار الوليد ، إذ يروى أبو الفرج عن الحسن بن على مولى عبد الصمد بن على الهاشمى ، وعن إبراهيم بن المهدى(١٣٨) أن الأبجر دخل على الوليد مع المغنين فغنوه فى كل فنٍّ ، فلم يتحرك ولا نشط ، فقام الأبجر إلى الخلاء وسأل خادماً للوليد عن سبب انقباض نفسه ، فقال له : بينه وبين امرأته شرٌّ ، لأنه عشق أختها فغضبت عليه ، وقد عزم على طلاقها . فعاد الأبجر وما جلس حتى اندفع فغنّى فى بيتين من الشعر ، فطرب الوليد وارتاح ، وقال : أصبت ما فى نفسى ، وأمر له بعشرة آلاف درهم . فلما انقضى المجلس وثب الأبجر فقال : إن رأيت يا أمير المؤمنين أن تأمر من يضربنى مائةً الساعةَ بحضرتك ! فضحك (١٣٩) ! .

فى الخبر ما يفيد أنَّ أحداثه وقعت فى خلافة الوليد ، إذ يُناديه الأبجر بأمير المؤمنين ، وبعض فقرات الخبر تدحض ذلك ، إذ يعزى فسادُ نفس الوليد إلى توتر علاقته بزوجته سعدى لحبه أختها وميله إليها . ومعروف أنه إنما توترت علاقته بزوجته سعدى ثمَّ طلَّقها أثناء ولايته للعهد ، مما رواه أبو الفرج فى موضعٍ آخر من كتاب الأغانى(١٤٠) .

---

(١٣٦) الأغانى ٩ : ٢٥٠ .

(١٣٧) الأغانى ١ : ٣٦ .

(١٣٨) ترجمته بالأغانى ١٠ : ٦٩ .

(١٣٩) الأغانى ٣ : ٣٤٨ .

(١٤٠) الأغانى ٧ : ٢٦ .

ومن المغنيين المكيين الذين استقدمهم الوليد أو وفدوا عليه فى آخر خلافته الهُذَلِيُّ وكان من ألمع المغنين بمكة (١٤١) ، ولم يحفظ أبو الفرج من أخباره ما يوضح صلته بالوليد ومنزلته عنده ، وإنما أشار فى أخبار غيره من المغنين أنهم شهدوه فى مجالس الوليد (١٤٢) .

وأكثر المغنين الذين أحاطوا بالوليد فى أيام ولايته للعهد وخلافته هم من المدينة ، منهم يونس بن سليمان المشهور بيونس الكاتب (١٤٣) . وأخذ الغناء عن معبد وابن سريج وابن محرز والغريض . وكان أكثر روايته عن معبد . ولم يكن فى أصحاب معبد أَحْذَقَ ولا أَقْوَمَ بما أخذ عنه منه . وله غناء حسن وصنعة كثيرة ، وشعر جيد . وكتابه فى الأغانى ونسبها إلى من غَنَّى فيها هو الأصل الذى يعمل عليه ويرجع إليه ، وهو أول من دَوَّن الغناء .

وكان يونس خرج من المدينة إلى الشام فى تجارة ، فبلغ الوليد مكانه ، فأرسل إليه من أتاه به ، وهو ولى عهد . فغناه فأعجبه غناؤه . ومكث عنده ثلاثة أيام يغنيه . ثم استأذن فى العودة إلى وطنه ، فأذن له ، ووهبه ثلاثة آلاف دينار . فلما أفضت الخلافة إلى الوليد وفد يونس عليه ، ولم يزل مقيماً عنده حتى قتل .

ويَعْرِضُ أبو الفرج اتِّصالَ يونس بالوليد فى ترجمة مصعب الزبيرى عرضاً عادياً (١٤٤) ، ويعرضه فى ترجمة يونس عرضاً آخر فيه تَصَرُّفٌ وَتَزَيُّدٌ وسخرية (١٤٥) . فهو فى الرواية الأولى يزعم أن الوليد كان يعرفه ، وأن يونس هو الذى قصده فى خلافته . وهو فى الرواية الثانية يقول : إن يونس انصرف من مجلسه وهو لا يعرف شَخْصَه ، حتى سأل عنه فقيل له : هذا الأمير الوليد بن يزيد ولِيّ عهد أمير المؤمنين هشام ! ويذهب إلى أن الوليد هو الذى بعث إليه بعد أن استخلف ، مما يكشف عن تَحْوِير أبى الفرج فى نَصِّ الخبر مع أنه نقله عن عمه فى الروايتين !

واستَدعى الوليد عُطَرّدًا المدنى (١٤٦) . وكان حسن الغناء ، طيب الصوت ، جيد الصنعة ، أدرك دولة بنى العباس ، وانقطع إلى آل سليمان بن على ، ولم يخدم غيرهم . وتوفى فى خلافة المهدى ، ويقال إنه بقى إلى أيام الرشيد .

(١٤١) الأغانى ٥ : ٦٥ .
(١٤٢) الأغانى ٧ : ٦٢ ، ١٨ : ٣٣٣ .
(١٤٣) الأغانى ٤ : ٣٩٨ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٩٢ .
(١٤٤) الأغانى ١٩ : ١٣٣ .
(١٤٥) الأغانى ٤ : ٤٠٠ .
(١٤٦) الأغانى ٣ : ٣٠٣ ، ونهاية الأرب ٤ : ٣٠٢ .

وينقل أبو الفرج استدعاء الوليد له واحتفاله به عن شيخه محمد بن مزيد الخزاعى اليمنى الوضاع المتهم نقلاً فيه كثير من الخيال ، إذ يقول : إن الوليد كان جالساً على شفير بركةٍ مُرَصَّصة ليست بالكبيرة ، ولكنها يدور فيها الرجل سباحة . فلما غناه عُطَرَّدٌ شق ثيابه ، ورمى نفسه فى البركة ، فَنَهَل منها حتى نقصت نقصاناً بيِّناً . وغناه فى اليوم التالى . فاستخفه الطرب وصنع مثل ما صنع فى اليوم الأول . ثم حذره فى اليوم الثالث أن يُفْشى ما رأى ، وهدده بالقتل إن بلغه أنه تحدث بشىء مما جرى ، وأعطاه ألف دينار وأعاده إلى المدينة(١٤٧) .

فالوليد فى طربه وشربه كما يصفه محمد بن مزيد الخزاعى إنسان غريب عجيب ، إذا أخذ به الطرب مأخذه قطَّع ثيابه ، وإذا شرب فإنه لا يشرب بكأس ، بل يَعُبُّ من بركةِ خمرٍ عبًّا ينخفض معه مستوى الخمر فيها انخفاضاً ظاهراً !

وربما كان وراء تصوير طرب الوليد وشربه هذا التصوير الأسطورى سبب آخر غير هوى أبى الفرج ، وهوى شيخه محمد بن مزيد الخزاعى ، وهو منافقة عطرد للعباسيين . مما كان يغريه بأن يَتَكَثَّر ويأتى بكل خبر طريف نادر فيه تشنيع على الأمويين ، فإن أكثر الشعراء والمغنين من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية تنكروا للأمويين بعد سقوط دولتهم ، وتحولوا يعيبونهم ، ويبالغون فى وصف ظلمهم وطغيانهم وانحرافهم(١٤٨) !

ومعبد هو أكبر مُغَنِّى المدينة الذين استضافهم الوليد فى خلافته(١٤٩) . كان من أحسن الناس غناء ، وأجودهم صنعة ، وأحسنهم حَلْقاً . وهو فحل المغنين ، وإمام أهل المدينة فى الغناء . وكان الوليد مفتوناً به قبل أن يفد عليه . وكان يُرَدِّد أنه لا يقدر على الحج خوفاً من أن يلقاه أهل المدينة بألحانه فينفتح بها طرباً(١٥٠) فكتب يستضيفه ، فقدم إليه ويجرى خَبَرُ استقبال الوليد له ، ونشوته به فى أسلوب يعج بالمبالغة ، مُشابهٍ لأسلوب رواية محمد بن مزيد الخزاعى خبر احتفال الوليد بِعُطَرِّد فقد هُيِّئَت له بركة ، وملئت بالخمر والماء ، وأتى بمعبد فجلس على طرف البركة ، وبينهما سَتْرٌ مُرْخًى ، فغناه معبد صوتاً فرفع الوليد الستر ، ونزع ملاءة مطيبة كانت عليه ، وقذف نفسه فى البركة ، فنهل

---

(١٤٧) الأغانى ٣ : ٣٠٨ ، ونهاية الأرب ٤ : ٣٠٣ .

(١٤٨) البيان والتبيين ٣ : ٢٢١ ، وتاريخ الطبرى ٨ : ١٠١ ، ١٨٣ ، والعقد الفريد ٥ : ٨٩ ، والأغانى ٤ : ٣١٦ ، ٣٢١ ، ٦ : ١١٢ ، ١٧٣ ، ٢٠ : ٣٩٩ ، ومعجم الأدباء ٤ : ١١٥ .

(١٤٩) الأغانى ١ : ٣٧ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٦٢ .

(١٥٠) الأغانى ١ : ٤٠ ، ٩ : ٢٣٦ .

منها نهلةً ، ثم أتى بأثواب غيرها . ثم قال له : غنني ، فغناه صوتاً آخر . فدعا له بخمسة عشر ألف دينار ، قبضها بين يديه ، وقال له : انصرف إلى أهلك واكتم ما رأيت(١٥١).

والمظنون أن ما فى الخبر من تَهْويلٍ هو من صُنْعِ سليمان بن غزوان ، مولى هشام بن عبد الملك ، الذى كان الناس يتقربون إليه بِعَيْبِ الوليد(١٥٢) . فإن مولى هشام هو ثانى رواة الخبر وراويه الأول مجهول . فكأن مولى هشام هو راوى الخبر ، ومخرجه هذا الإخراج الفنى الخيالى ، وإلَّا فإن للخبر صورة أخرى نقلها أبو الفرج . وما فيها من التهويل قليل بالقياس إلى ما فى رواية مولى هشام من تهويل كثير ، فليس فيها أن البركة ملئت خمراً ، بل ماء وَرْدٍ قد خلط بمسك وزعفران(١٥٣).

ويبدو أن معبداً زار الوليد مرات ، ومات فى زيارته الأخيرة له ، فحزن عليه ، وتولّى أمر دفنه ، وأخرجه من داره إلى قبره(١٥٤).

واستقدم الوليد دَحْمَان المدنى(١٥٥) وهو من رواة معبد وغلمانه المتقدمين ، كان على صلاحه يغنى ويعلم الجوارى الغناء ، ويتَّجِرُ بهن ، وامتد به العمر إلى الدولة العباسية ، فاتصل بجعفر بن سليمان والى المدينة ، ودخل على المهدى ، وكان من مغنيه المفضلين ، ويقال : إنه وهبه فى ليلة خمسين ألف دينار .

وقد اشترى منه الوليد جارية حاذقة مجيدة بعشرة آلاف درهم . وعندما علم أنها من جواريه أمر فحمل إليه ، فلم يزل عنده أثيراً(١٥٦).

وَوَفدَ على الوليد من مغنى المدينة عمر الوادى(١٥٧) . وكان طَيِّب الصوت شَجِيَّه مُطْرِبَه . قدم على الوليد فى أيام خلافته ، فعلت مكانته عنده ، وكان يسميه «جامع لذاتى ومحيى طربى» . وكان يجتمع عنده مع معبد ومالك بن أبى السمح وغيرهما من المغنين ، فلا يمنع الوليد حُضُورُهم من تقديمه والإصغاء إليه ، والاختصاص له . وكان يدنيه ويأنس به ويتبسط معه ، حتى لقد نظم مقطوعة فى الثناء عليه والإطراء لطريقته فى الغناء يقول فيها(١٥٨):

---

(١٥١) الأغانى ١ : ٥٢ .

(١٥٢) العقد الفريد ٤ : ٤٥١ .

(١٥٣) الأغانى ١ : ٥٣ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٦٣ .

(١٥٤) الأغانى ١ : ٣٧ .

(١٥٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٢١٦ ، والأغانى ٦ : ٢١ .

(١٥٦) الأغانى ٦ : ٢٧ .

(١٥٧) الأغانى ٧ : ٨٥ ، ونهاية الأرب ٤ : ٣٠٤ .

(١٥٨) الأغانى ٧ : ٨٥ ، ونهاية الأرب ٤ : ٣٠٤ .

إننى فكَّرتُ فى عمرٍ حين قالَ القولَ فاختَلَجا
إنه لِلْمُسْتَنِير به قَمَرٌ قد طَمَّسَ السُّرُجا
ويُغَنِّى الشعرَ يَنْظِمُهُ سَيِّدُ القوم الذى فَلَجا
أكملَ الوادِىُّ صَنْعَتَهُ فى لُبابِ الشعرِ فَانْدَمَجَا

ووهبه الوليد خاتماً نفيساً مكافأة لغنائه فى مقطوعة غزلية نظمها فى سلمى (١٥٩) . ولم يكن الوليد يصبر عنه ، أو يطيق فراقه . فكان سميره ورفيقه بدمشق وبادية الأردن . وقتل الوليد وهو بصحبته (١٦٠) .

وقَصَد الوليد من مغنى المدينة حكم الوادى (١٦١) . وكان واحِدَ دَهْرِه فى الحِذْق ، كان ينقر بالدف ، ويغنى مرتجلاً ، وعُمِّر عمراً طويلاً ، إذ غنى الوليد بن عبد الملك مولاه ، وغنى الرشيد ، ومات فى خلافته . وإنما سعى إلى الوليد ليحظى عنده ، وينال بعض جوائزه ، بعد أن سمع بحبه للغناء ، واحتفاله بالمغنين ، فأوصله إليه عمر الوادى ، وكان سبقه فى القدوم إلى دمشق ، فغنى الوليد بشعر غزلى لمطيع بن إياس ، سرَّه به ، فأعطاه عليه ألف دينار ، وعقداً من الجوهر (١٦٢) .

وأمَّه منهم محمد بن عائشة (١٦٣) ولم يكن بالمدينة بعد طويس أحد أعلم منه ولا أظرف مجلساً . ولا أكثر طيباً . وكان يصلح أن يكون نديم خليفة أو سمير ملك (١٦٤) . وكان من أحسن المغنين ابتداءً ، حتى كان يضرب المثل بابتدائه فى الغناء . فيقال للابتداء الحسن كائناً ما كان من قراءة أو إنشاد شعر أو غناء يبدأ به فيستحسن كأنه ابتداء ابن عائشة (١٦٥) واشتهر بصوته الصافى الشجى ، فاستولى على ألباب فتيان المدينة ، فتتابعوا عليه ، وأطافوا به يستمعون إلى غنائه (١٦٦) .

وفيما ينقله أبو الفرج عن شيخه محمد بن مزيد الخزاعى أن الوليد لَقِى ابن عائشة فى مكة يوم ولى موسم الحج فى خلافة عمه هشام ، وتشاغل باللهو ، وأمر مولاه عيسى بن مقسم أن يصلى بالناس ،

(١٥٩) الأغانى ٧ : ٨٨ .
(١٦٠) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٢ ، والأغانى ٧ : ٨٥ .
(١٦١) الأغانى ٦ : ٢٨٠ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٤٠٧ ، ونهاية الأرب ٤ : ٣٠٥ .
(١٦٢) الأغانى ٦ : ٢٨١ ، ١٣ : ٢٧٨ .
(١٦٣) الأغانى ٢ : ٢٠٣ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٨٠ .
(١٦٤) الأغانى ٢ : ٢٠٥ .
(١٦٥) الأغانى ٢ : ٢٠٤ .
(١٦٦) الأغانى ٢ : ٢٠٣ .

وبعث إلى المغنين ، فأتوه وغنوه . وكان ابن عائشة أحدهم ، فغناه ، فنعر الوليد نعرة سمعها أهل مكة(١٦٧) !

وهو يصوغ خبر لقاء الوليد بابن عائشة ، وطربه لغنائه . مما ينسبه شيوخ محمد بن مزيد الخزاعى إلى المدائنى صِياغةً مثيرةً ساخرةً موسعةً مخالفةً لأصل الخبر كما رواه البلاذرى(١٦٨) والطبرى(١٦٩) عن المدائنى ، فإنهما لم يذكرا إلّا أن الوليد ظهر منه تهاون واستخفاف ، كما أن خليفة بن خياط يرجح أن الوليد هو الذى أقام الحج ، ويُقَدِّمه على ما يقال من أنه أمر مولاه عيسى بن مقسم بإقامته(١٧٠).

واستدعى الوليد ابن عائشة فى خلافته ، فبقى عنده مدة يُغَنِّيه ويُفرِحُه ، وهو يُدْنيه ويُجْزِلُ العطاء له(١٧١). ومات وهو راجع من دمشق إلى المدينة فى خلافة الوليد(١٧٢).

ويُسِفُّ أبو الفرج فى حديثه عن استخفاف غناء ابن عائشة للوليد ، ويَفْحِشُ فى تصوير مُداعبة الوليد له ، وعبثه به(١٧٣) إفحاشاً يشركه فيه المسعودى(١٧٤) ، إذ يرويان أنه غناه بشعرٍ غزلىٍّ فطرب حتى كفر وألحد . وظل يستعيده ، وهو يستجيب له ، ثم قام إليه ، فأكب عليه ، فلم يبق عضو من أعضائه إلاّ قَبَّلَهُ ، وأهوى إلى هَنِهِ ، فَقَبَّل رأسه ، ثم نزع ثيابه فألقاها عليه ، وبقى مجرداً إلى أن أتوه بمثلها .

هذا الإلحاح فى تضخيم خروج الوليد عن طوره فى طربه ، والهَتْكُ له ، والحكم بإلحاده سَبَبُها كُرْهُ أبى الفرج والمسعودى للوليد ، ورغبتهما فى تشويه سيرته تشويهاً كانا يعمدان إليه عمداً دون تعفُّفٍ أو احتيال لَطِيفٍ ، فكانا لا يتورعان عن حمل أخباره المزيفة التى لفقها الرواة ، اليمنيون المتميزون ، وغيرهم من الرواة المتشيعين ، الذين لا ترتضى رواياتهم بل يُحتَرسُ منها ، ويُتَحَوَّطُ عليها لحقد أصحابها على الوليد وبنى أمية ، وثُبُوتِ تحريفهم فى أخبار الوليد ثبوتاً قاطعاً ، بَانَ فى الفصلين السابقين من مقارنة أكثر رواياتهم لأخبار الوليد بروايات غيرهم من العلماء الموثقين لها .

وسلسلة رواة الخبر التى أوردها أبو الفرج(١٧٥) تكشف عن تضافر هذه الجماعات من الرواة

---

(١٦٧) الأغانى ٢ : ٢٣٩ .

(١٦٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص ٣١٠ .

(١٦٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٩ .

(١٧٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥١٢ .

(١٧١) الأغانى ٢ : ٢٢٧ ، ٢٣٦ .

(١٧٢) الأغانى ٢ : ٢٣٥ .

(١٧٣) الأغانى ٢ : ٢٢٦ . وانظر نهاية الأرب ٤ . ٢٨٥ .

(١٧٤) مروج الذهب ٣ : ٢٢٨ .

(١٧٥) الأغانى ٢ : ٢٢٥ .

المتعصبين على التشبث بالخبر وإشاعته ، إذ فيهم من شيوخ أبي الفرج المباشرين من اليمنيين الساخطين محمد بن مزيد الخزاعي ، وحبيب بن نصر المُهَلَّبي ، وفيهم من شيوخه من المتشيعين إسماعيل بن يونس الشيعي ، وفيهم المجهول الذي يسمى محمداً ، والذي يزعم شيوخ أبي الفرج أنه محمد بن سَلَّام ، في حين لم يذكر عمر بن شبه في خبره أنَّ من يسمى محمداً هو ابن سلام(١٧٦) . وأول رواة الخبر مجهول . فهو شيخ من تنوخ لا يعرف اسمه ، ولا يُدْرَى من هو ، وإن كان شيوخ أبي الفرج يَدَّعون أنه كاتم سر الوليد(١٧٧) !

واستوفد الوليد من المدينة مالك بن أبي السَّمْح الطائي(١٧٨) . وهو من المغنين الذين نبغوا في مطلع القرن الثاني ، وعاش حتى أدرك الدولة العباسية ، وانقطع إلى بني سليمان بن علي العباسي . ومات في خلافة المنصور .

وإنما استوفده الوليد لأنه سَئِمَ أساليب كبار المغنين الذين قدموا عليه ، وطال مقامهم عنده ، وأراد أن يسمع غيرهم ، فقد ضجر من وَلْوَلةِ معبد ، وآذاه استهلال ابن عائشة ، فطلب منهما أن يختارا له مُغَنِّياً يكون مذهبه وَسَطًا بين مذهبيهما . فأشارا عليه بمالك ، فكتب في إشخاصه إليه . فلما دخل عليه وغناه لأول مرة لم يعجبه ، فَتَوَسَّل إليه بأخيه الغمر ، فأوصله إليه ثانية ، فغناه فأطربه ، وظل يستمع إلى غنائه أياماً ، ثم كافأه لمَّا استأذنه في العودة إلى موطنه(١٧٩) . ويبدو أن مالكاً تَرَدَّدَ على الوليد مراراً ، ففي خبر مقتل الوليد أنَّ مالكاً كان معه يوم قتل(١٨٠) .

وخَالدٌ صَامةٍ هو آخر مُغَنٍّ استدعاه الوليد من الحجاز(١٨١) . وكان من أحسن الناس غناءً على عود(١٨٢) . فقدم عليه وقصره يَعجُّ بالمغنين من أمثال معبد ومالك بن أبي السمح ، والهذلي ، وعمر الوادي ، وأبي كامل . فغناه بشعر لعروة بن أذينة في رثاء أخيه بكر ، فَنَفَر الوليدُ من معانيه الحزينة ، إذ رآها مُفْسِدَةً لنفسه المنشرحة ، ومُعَكِّرةً للأجواء السعيدة التي كان يعيش فيها غارقاً في المسرة والفرحة(١٨٣) .

---

(١٧٦) الأغاني ٢ : ٢٢٦ .

(١٧٧) الأغاني ٢ : ٢٢٦ .

(١٧٨) الأغاني ٥ : ١٠١ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٨٨ .

(١٧٩) الأغاني ٥ : ١١١ ، ١١ : ٧٠ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٩١ .

(١٨٠) تاريخ الطبري ٧ : ٢٥٢ ، والأغاني ٥ : ١١١ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٩٢ .

(١٨١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ١٢١ .

(١٨٢) الأغاني ٧ : ٦٢ .

(١٨٣) الكامل للمبرد ٢ : ٢٥٣ ، والأغاني ٧ : ٦٢ ، ١٨ : ٣٣٤ ، وذيل زهر الآداب ص : ٢٦٠ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٣٩٥ .

وأبو كامل هو المغنى الدمشقى الوحيد الذى أحاط بالوليد[١٨٤]. وكان مُغَنّياً مُحْسِناً ، وطيباً مُضْحِكاً . ولم يسمع له بخبر بعد أيام بنى أمية ، ولعله مات فى أيامهم ، أوقتل معهم .

ولمَّا كان أبو كامل مَوْلًى للوليد ، وكان فَكِهاً خِفيف الروح ، فقد قرَّبه الوليد إليه ، فكان من خاصته ، وممن يشهدون مجالس لهوه ، ويسمرون معه ، فانعقدت بينهما مودة صافيةٌ ، ومَحَضَ كل منهما صاحِبَهُ أَخْلَصَ المحبة . وعبَّر الوليد فى شعره عن منادمته لأبى كامل ، واسْتِظْرافِهِ له ، واسْتِجادَتِه لِغنائه ، وما غَمَرَهُ به هو ورفاقه من المغنين الظرفاء من الهبات ، وما أثارت مصاحبته لهم من شَغَبِ العاذلين ، وغَضَبِ الجاهلين ، إذ يقول[١٨٥] :

سَقَيْتُ أبـا كامِلٍ ... من الأَصْـفَـرِ البَـابِلِى
وسَـقَّـيْـتُـهـا مَـعْـبَـداً ... وكـلَّ فَـتـىً فاضِـلِ
لى الْمَحضُ مِنْ وُدِّهِمْ ... ويَغْمُرُهُـمْ نـائِـلِـى
ومَا لاَمَـنى فـيهِمُ ... سـوى حاسـدٍ جَـاهِـلِ

ويقول مُصَرِّحاً باختِصاصه به ، ومنادمته له على الشراب ، وأنه لم يكن يعبأ بعيب اللائمين له ، مما كان يُؤَثِّر فى العامة ويَهيجُهم عليه[١٨٦] :

وزِقٌ وافِرِ الجَنْبَيْـ ... ـنِ مِثْلِ الجمل البَازِلْ
به رُحْتُ إلى صحْبِى ... وندمانى أبى كامِلْ
شَـرِبْـنَـاهُ وقـد بِتْنا ... بِأَعْلَى الدَّيْرِ بالسَّاحِلْ
ولم نَقْبَلْ مِنَ الواشى ... قَبُولَ الجاهِلِ الخاطِلْ

ويقول مصوراً تعلقه به ، لما كان يبعث فى نفسه من البهجة والنشوة ، ولما عَرَفَ من حسن معاشرته ، وأنه لم يكن يحتمل غيابه عنه ، إذ كان يتركه بلا أنيس ولا مُسَلٍّ[١٨٧] .

مَنْ مُبْلِغٌ عنى أباكامِلٍ ... أَنِّى إذا ما غَاب كالهامِلِ[١٨٨]
وزَادنى شوقاً إلى قُرْبِهِ ... ما قد مَضَى مِن دَهْرِنا الحائلِ
إنىّ إذا عَاطَيْتُهُ مَزَّةً ... ظَلْتُ بيوم الفَرَحِ الجاذلِ

---

(١٨٤) الأغانى ٧ : ٩١ .

(١٨٥) الأغانى ٧ : ٩٣ .

(١٨٦) الأغانى ٧ : ٩٢ .

(١٨٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٩ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٥٨ ، والأغانى ٦ : ٣٦٠ .

(١٨٨) الهامل : البعير المهمل الذى لا راعى له .

وكان أبو كامل يُغَنِّى الوليد فى أرقِّ أشعارِ الغزلِ على أرشقِ الألحان ، فكان يستعذب غناءه . وكان إذا غناه بشعره الذى نظمه فى سلمى بنت سعيد بن خالد يخلب لُبَّه ويفوز منه بأكبر الجوائز . ويقال : إنه غناه بمقطوعة منه فطرب الوليد وخلع عليه قَلَنْسِيَة وَشْىٍ مذهبة كانت على رأسه . فكان أبو كامل يَصُونها ولا يَلْبَسُها إلّا من عيد إلى عيد ويمْسَحُها بِكُمِّهِ ويَرْفَعُها ويبكى ويقول : إنما أرفعها لأنى أجد منها ريح سَيِّدى ، يعنى الوليد(١٨٩).

وكان عند الوليد من المغنيات عاتكة بنت مولاته شُهْدة المدنية المغنية(١٩٠) ، وسعاد(١٩١) ، وصَدُوف(١٩٢) ، وغيرهن ممن لم تذكر أسماؤهن(١٩٣) . وانقطعت إليه سلامة القس بعد موت أبيه ، فاحتفى بها ، وكان يسألها أن تغنيه بشعرها الذى ناحت به على أبيه ، فكانت تَمتَّنِعُ ، ولا تغنيه إلاّ إذا ألح عليها(١٩٤) .

وتَحلَّق على الوليد عددٌ من المُضْحكين والمُلْهين . منهم أبو البيضاء سهيل بن أبيض . وهو من شعراء المدينة الظرفاء ، ومن أهل الدعابة منهم . ولا يُحدِّدُ ما تناثر من أخباره اليسيرة تاريخ معرفته للوليد أو وقت انضمامه إليه ، ولكنه يشير إشارة عابرة إلى أن الوليد كان يستطيب شعره ونوادره(١٩٥) .

وأحاط بالوليد مضحكٌ ثانٍ يقال له : زُبالة . ويُرْوى أن الوليد كتب بين عَيْنَيْهِ عبارة مُقْذِعةً ، فكَرِه الناس ذلك منه ، وتحدَّثوا به ، وأخذوه عليه(١٩٦) وليس لزبالة ترجمة أو أخبار أخرى غير هذا الخبر الذى حمله البلاذرى عن أستاذه المدائنى .

وأشعب هو أكبر مُضْحكى المدينة الذين جاوروا الوليد ، وطالت مُعَاشرتهم له(١٩٧) . وكان فى أول حياته من قُراء القرآن ومن المُحَدِّثين . ولكنه كان صاحب هَزْلٍ ، فاشتهر به ، وغَطَّى على قراءته للقرآن وروايته للحديث ، حتى كان أطيب أهل زمانه عِشْرَةً ، وأكثرهم نادرة ، وكان من أحسن

---

(١٨٩) الأغانى ٧ : ٩١ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٥٧ .

(١٩٠) الأغانى ٦ : ٢٦٠ .

(١٩١) الأغانى ٧ : ٢٢ .

(١٩٢) الأغانى ٧ : ٤٤ .

(١٩٣) الأغانى ٧ : ٥٢ .

(١٩٤) الأغانى ٨ : ٣٤٨ .

(١٩٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٣٨ .

(١٩٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٥ .

(١٩٧) ترجمته فى الأغانى ١٩ : ١٣٥ ، وتاريخ بغداد ٧ : ٣٧٠ ، وذيل زهر الآداب ص : ٥٤ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٧٥ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٤٧١ ، وميزان الاعتدال ١ : ٢٥٨ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٤ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١١١ .

الناس أداءً لغناء سمعه ، وعاش عمراً مديداً ، فعاصر الدولة الأموية . وشطراً من الدولة العباسية ، وتوفى سنة أربع وخمسين ومائة .

وقد نُقِل للوليد بعض طرائفه ونوادره ، فأعجب بها ، وكتب بإشخاصه إليه فى خلافته ، فَحُمِلَ إليه ، واتصلت مخالطته له . ويروى البلاذرى أنه ألبسه سراويل من جِلْد قِرْدٍ له ذَنب(١٩٨) . ويضيف أبو الفرج أنه أمر أن يُشَدَّ فى رجليه أجراس ، وفى عُنُقِه جلاجل ، فَفُعِل به ذلك ، فدخل عليه وهو عَجبٌ من العَجَب ، فلما رآه ضحك(١٩٩) ، وطلب إليه أن يَرْقُص ويُغَنِّى صوتاً كان يَرُوقه ، فأبى أن يرقص ويغنى ، ولكنه أضْحَكَهُ بجملة من الفكاهات والمُلَح ، فأمر له بألف درهم(٢٠٠) .

ومع أن كل من ترجموا لأشعب أَلَمُّوا باستقدام الوليد له ، وعرضوا لبعض دعاباته اللطيفة التى أضحكه بها ، وكادوا يُحْصُون أكثر ما له من النوادر فإن أبا الفرج ينفرد بِنَقْلِ بعض السخافات التى يزعم أن الوليد مَجَنَ بها مع أشعب ، كقوله : أن يَسْجُد لِمتَاعِهِ ثلاثاً فَسجد ! وهى سخافات تَعلَّق بها مع الرواة من موالى العباسيين ، وحملها أبو الفرج عنهم ، إذ أخذها مرة(٢٠١) عن الحسن بن على مَوْلَى عبد الصمد بن على الهاشمى ، الذى أخذها عن أحمد بن الحارث الخَرّاز ، مَوْلى أبى جعفر المنصور . ويزعم الأخير أنه حملها عن أستاذه المدائنى .

وروى أبو الفرج هذه البذاءات مرة ثانية عن محمد بن العباس عن الخليل بن أسد عن العمرى عن الهيثم بن عدى(٢٠٢) . وآخر رجال السند وأولهم من علماء العباسيين ، فاليزيدى(٢٠٣) من أسرة لاذت بالعباسيين ، وحظيت عندهم ، وكانت متعاطفة معهم تعاطفاً يَدُلُّ عليه أن اليزيدى ألّف كتاباً فى «مناقب بنى العباس»(٢٠٤) . وكان جده أبو محمد يحيى بن المبارك(٢٠٥) يُؤَدِّب أولاد يزيد بن منصور الحميرى ، خال المهدى ، ثم اتَّصل بهارون الرشيد ، فجعل ولده المأمون فى حجره ، فكان

---

(١٩٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٣ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٥٨ .

(١٩٩) الأغانى ١٩ : ١٧١ .

(٢٠٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٣ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٥٨ .

(٢٠١) الأغانى ٧ : ٤٧ . والخبر فى عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة ٢٤ ظ .

(٢٠٢) الأغانى ٧ : ٥٩ .

(٢٠٣) ترجمته فى الفهرست ص : ٥٠ ، وإنباه الرواه ٣ : ١٩٨ ، وتاريخ بغداد ٣ : ١١٣ ، ونزهة الألبا ص : ٢٤٣ ، ووفيات الأعيان ٤ : ٣٣٧ ، وبغية الوعاة ص : ١٢٤ .

(٢٠٤) الفهرست ص : ٥١ ، ووفيات الأعيان ٤ : ٣٣٨ .

(٢٠٥) ترجمته فى نزهة الألبا ص : ٨١ ، وطبقات ابن المعتز ص : ٢٧٣ ، والورقة ص : ٢٨ ، ومعجم الشعراء ص : ٤٨٧ ، والأغانى ٢٠ : ٢١٦ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ١٤٦ ، ونور القبس ص : ٨٠ ، ومرآة الجنان ٢ : ٣ . ومعجم الأدبا ٧ : ٢٨٩ . ووفيات الأعيان ٦ : ١٨٣ ، وبغية الوعاة ص : ٤١٤ ، وخزانة الأدب ٤ : ٤٢٦ . وشذرات الذهب ٢ : ٤ .

يُؤدِّبه[٢٠٦] . ولم يزل أبو محمد وأولاده مُعْتَصِمين بالمأمون وبَنِيه مُدَّة حياتهم ، ولهم فيهم مدائح كثيرة جياد[٢٠٧] .

والهيثم بن عدى يَمَنيُّ الهَوَى ، فهو من طيئ ، وممَّن سَكَن منها الكوفة ، موطن الشَّغب على الأمويين . ومما يكشف عن انحيازه لأهل اليمن ، وتعصبه على الوليد بن يزيد أنه صَنَّف كتاباً فى «مقتل خالد بن عبد الله القسرى»[٢٠٨] . وكان من علماء العباسيين ورواتهم ، إذكان له اختصاص بالمنصور والمهدى والهادى والرشيد[٢٠٩] . فكان يُتْحِفهم بمثل هذه الأخبار المزرية المصنوعة التى تقدح فى الأمويين وخلفائهم ، بعد أن حبسوه عدة سنين لأنه نال من جدهم العباس بن عبد المطلب[٢١٠] . ويتفق كل من ترجموا له[٢١١] على أنه كان دَعِيًّا وضاعاً مولعاً برواية المثالب حتى يَعُرَّ أهل الشرف تَشَفِّياً[٢١٢] منهم . وهو لا يوصف بالضعف فيما كان يروى من الأحاديث فحسب ، بل يوصف به أيضاً فيما كان يروى من الأخبار ، إذ كان غير مُوَثَّق ولا مُدَقِّقٍ فى استعمال السند[٢١٣]

فهؤلاء الرواة من شيوخ أبى الفرج وأساتذتهم من أتباع العباسيين هم مصدر الأخبار المنحطة الملصقة بالوليد ، وهم الذين كانوا يزيفونها ويفتعلونها عليه ، وكان أبو الفرج ينقل عنهم الأخبار الساقطة عن قصد وتصميم ، بل كأنما كان ينقر عنها تنقيراً ، ولا يلتقط إلاَّ القبيح منها . ومما يُرَجِّح دَسَّ شيوخه من أشياع العباسيين فى الخبر الفقرة التى تصمُ الوليد بالتَّعَهُّر فى ممازحته لأشعب أنها لم ترد فى رواية البلاذرى للخبر عن أستاذه المدائنى وغيره من الإخباريين ، وإنما وردت فى رواية أحمد بن الحارث الخَزَّاز للخبر عن المدائنى . فَنَصُّ الخبر عند البلاذرى[٢١٤] لا يُفِيدُ إلاَّ أن الوليد استدعى أشعب وغَيَّر شكله ليضحكه ، ونَصُّهُ عند أبى الفرج كما أخذه عن أحمد بن الحارث الخراز هو الذى يَتَضَمَّنُ الفقرة التى تتهم الوليد بأنه أَمَرَه أنْ يَسْجُدَ لمَتَاعِهِ ثلاثاً فسجد !

---

(٢٠٦) تاريخ بغداد ١٤ : ١٤٧ ، ونزهة الألبا ص : ٨١ ، ومعجم الأدباء ٧ : ٢٨٩ ، ونور القبس ص : ٨٠ .

(٢٠٧) الأغانى ٢٠ : ٢١٦ .

(٢٠٨) الفهرست ص : ١٠٠ ، ومعجم الأدباء ٧ : ٢٦٦ .

(٢٠٩) إنباه الرواه ٣ : ٣٦٥ ، ومعجم الأدباء ٧ : ٢٦١ ، ووفيات الأعيان ٦ : ١٠٧ .

(٢١٠) ضحى الإسلام ٢ : ٣٥٧ .

(٢١١) ترجمته فى الفهرست ص : ٩٩ ، وإنباه الرواه ٣ : ٣٦٥ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ٥٠ ، ومعجم الأدباء ٧ : ٢٦١ ، ووفيات الأعيان ٦ : ١٠٦ ، ولسان الميزان ٥ : ٢٠٩ ، وميزان الإعتدال ٤ : ٣٢٤ ، والمغنى فى الضعفاء ٢ : ٧١٧ ، وسمط اللآلى ص : ٨٠٧ ، وضحى الإسلام ٢ : ٣٥٦ ، ونشأة علم التاريخ عند العرب ص : ٤٢ .

(٢١٢) سمط اللآلى ص : ٨٠٧ .

(٢١٣) نشأة علم التاريخ عند العرب ص : ٤٢ .

(٢١٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٣ .

ويلحق ابن شاكر الكتبي بمضحكي الوليد الثلاثة السابقين مضحكاً رابعاً ، إذ يقول : إن بُدَيْحاً كان من مضحكيه ، وإن الوليد جعله أميراً على القرود التي يلعب بها ، وجعل له سراويل من جلود القرود فيه ذنب طويل يُلْبِسُهُ إياه ، ويأمُرُه بالرَّقْص(٢١٥) . وهو يخلط بلا ريبٍ بين أشعب وبُدَيْح ، فأشعب هو الذي استقدمه الوليد واصطنعه مضحكاً له ، أما بديح(٢١٦) فلم يُدْرِك أيام الوليد ، فهو مولى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب المتوفى سنة ثمانين(٢١٧) ، وتدل أخباره أنه كان مشهوراً فى عهد معاوية(٢١٨) ، وأن مولاه دخل به عليه ، كما امتد به العمر إلى أيام عبد الملك بن مروان ، فوفد به مولاه إليه ، فأطرفه بديح بنوادره ، وسَلَّاه فى مرضه ، فكافأه ، وأسنى جائزته(٢١٩)

ومن مراجعة ما حمله المؤرخون والأدباء من أخبار كلف الوليد بالغناء والمضحكين يتَّضح اختلافهم فى العناية بهذا الجانب من جوانب حياته الخاصة ، وتصويرهم له ، وتقديرهم لأثره فى ثورة معارضيه به ، فخليفة بن خياط(٢٢٠) ، وأبو حنيفة الدينورى(٢٢١) ، والمسعودى فى بعض كتبه(٢٢٢) ، يهملون الحديث عنه ، وَيَرُدُّون امتعاض الرعية منه ، وانتفاض خصومه عليه إلى اشتداد التنافس بين أبناء الأسرة الأموية فى الخلافة ، وإلى استعلاء التيار القبلى ، واحتدام النزاع بين المضرية واليمنية فى الاستئثار بالسلطة .

والطبرى من أوائل المؤرخين الذين بدأوا يتحكَّمون فى عرض أخبار الوليد ، ويُلحُّون على ما يؤكِّد منها ولعه بالمغنين والمضحكين والفاسقين ، وما يُحقِّق رَمْيَهُ بالمجانة والمروق من الدين . فقد انتخب بعض الأخبار التى تُوَضِّح شغفه بالغناء والشراب والهزل توضيحاً قوياً ، ولم يُعلِّق عليها ، بل اقتصر على ذكر أسانيدها ، ونسبَة ما فيها من الصواب والخطأ إلى رُواتها الذين أخذها عنهم(٢٢٣) ، وأورد بعض الأخبار مُركَّزةً مُكثَّفةً حافلة بكل تلك التهم التى قُذِف بها دون إسناد(٢٢٤) !

والمؤرخون من الشيعة هم الذين لَجُّوا فى تهويل عناية الوليد بالمغنين والمضحكين ، وبالغوا فى

---

(٢١٥) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ جـ٥ ، الورقة ٢٣ و .

(٢١٦) ترجمته فى الأغانى ١٥ : ١٧٤ .

(٢١٧) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٣٦١ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٣ .

(٢١٨) تاريخ الطبرى ٥ : ٣٢٦ .

(٢١٩) الأغانى ١٥ : ١٧٥ ، ١٧٦ .

(٢٢٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٨ .

(٢٢١) الأخبار الطوال ص : ٣٤٧ .

(٢٢٢) التنبيه والإشراف ص : ٢٨٠ .

(٢٢٣) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٩ .

(٢٢٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣١ .

تصوير انغماسه فى اللهو ، وأبرزوه ، وجعلوه المحور الذى دارت عليه حياته . وكان اليعقوبى أول من وصفه منهم بأنه صاحبُ مَلاهٍ وقيانٍ »(٢٢٥) . ثم تَوَسَّع المؤرخون والأدباء من الشيعة فى تَتَبُّع أخبار غرامه بالمغنين والمضحكين ، فجمعوها وأظهروها ، وحملوا عن الرواة من اليمنيين وموالى العباسيين وصنائعهم كل ما أضافوه إليها ، وأقحموه فيها من أوصافٍ خُرافيةٍ لطربه وفكاهاته ومعابثاته ، وزادوا عليها حكمهم عليه حكماً قاطعاً بالفسوق والانسلاخ من الدين ، فعل ذلك منهم المسعودى(٢٢٦) ، وأبو الفرج(٢٢٧) ، والشريف المرتضى(٢٢٨) ، وابن الطقطق(٢٢٩) . ولكن أبا الفرج هو الذى عُنِيَ منهم عناية فائقة بأخبار المغنين والمُسَلِّين الذين عرفهم الوليد واستمع إلى غنائهم ودُعَاباتهم خلال ولايته للعهد ، وفى أيام خلافته ، وسردها سردًا مسهباً ، وساق فى ثناياها كثيراً من المجانات والأقوال الفاحشة التى نُسِبَ إليه أنه كان يتبادلها مع مغنيه ومضحكيه ، ولم يتوقَّر عن ذكر السخافات والبذاءات المنحولة عليه . وصحيح أنه ألّف كتاب الأغانى فى الأصوات المشهورة التى كان يُتَغَنَّى بها فى الجاهلية والإسلام ، مما يقضى أن يتميز من غيره من المؤلفين فى استقصاء أخبار المغنين ، ولكنه كان متعصباً على الوليد تعصباً شديداً ، يوضحه قوله فى فاتحة ترجمته له : «كان الوليد فاسقاً خليعاً متهماً فى دينه ، مرمياً بالزندقة . وشاع ذلك من أمره وظهر حتى أنكره الناس فقتل . وله أشعار كثيرة تدل على خُبْثه وكفره . ومن الناس من ينفى ذلك عنه وينكره ، ويقول : إنَّه نُحِلَهُ وأُلصِق إليه . والأغلب الأشهر غير ذلك »(٢٣٠) .

فهو يجزم ببطالته ، وضعف عقيدته ، وزندقته ، وخروجه من الإسلام جزماً ، ويَدْفَع أقوال غيره من العلماء وأحكامهم التى تخالف رأيه فيه . ومن أجل ذلك فإنه روى كل خبر صحيح وَمُحَرَّفٍ وموضوعٍ مما بلغه من أخبار رعاية الوليد للمغنين والمضحكين ، وبالغ فى نقل الأخبار المفتعلة التى تزرى بلهوه ، وتطعن فى دينه ، مما أخذه عن رواة اليمنيين والعباسيين المتحيزين الذين لا تقبل رواياتهم ، ولا يجوز الاعتماد عليها إلاّ إذا ثبت بعد تمحيصها ونقدها ومقارنتها بغيرها من الروايات الموثقة أنها سليمة خالية من التَّحْوير والتغيير . وجاوز ذلك إلى رواية بعض الأخبار المحرفة المفتعلة التى تُضَخِّم عكوف الوليد إلى الغناء والْهَزَل ، وتُصَوِّره منقطعاً إلى اللذات ، مُقَدِّما لها على النظر فى أخطر

(٢٢٥) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٣٣ .
(٢٢٦) مروج الذهب ٣ : ٢٢٥ .
(٢٢٧) الأغانى ٧ : ٢ .
(٢٢٨) أمالى الشريف المرتضى ١ : ١٢٨ .
(٢٢٩) الفخرى فى الآداب السلطانية ص : ١٢١ .
(٢٣٠) الأغانى ٧ : ٢ .

قضايا الدولة ، منها هذا الخبر الذى رَوَاهُ عن شيوخه الوضاعين فقال : « أخبرنى عمى قال : حدثنى الكرانى عن النضر بن عمرو عن العتبى قال : لما ظهرت المُسَوِّدَةُ بخراسان كتب نصر بن سيار إلى الوليد يستمده ، فتشاغل عنه ، فكتب إليه كتاباً ، وكتب فى أسفله يقول :

أرَى خَلَلَ الرمادِ وَميضَ جَمْرٍ ... وأحْرِ بأنْ يكونَ له ضِرامُ
فإنَّ النارَ بالعُودَيْنِ تُذْكَى ... وإنَّ الحربَ مَبْدؤها الكلامُ
فقلتُ من التعجب : ليت شِعْرى ... أأيْقاظٌ أميةُ أمْ نِيامُ

فكتب إليه الوليد : قد أقطعتك خراسان ، فاعمل لنفسك أو دَعْ ، فإنى مشغول عنك بابن سُرَيج ومعبد والغريض »[٢٣١] .

ويَكْشفُ عن اختراع الخبر أن أنصار الدعوة العباسية من المسودة إنما أعلن أبو مسلم الخراسانى أمرهم بمرو الشاهجان عاصمة خراسان سنة تسع وعشرين ومائة ، فى أثناء استعار الفتنة بين اليمنية والمضرية[٢٣٢] ، والوليد قد اغتيل قبل هذا التاريخ سنة ست وعشرين ومائة .

ويكشف عن اختراعه أيضاً أن اثنين من المغنين الذى يشار إلى أن الوليد كان مشغولا بهم ماتا قبل خلافة الوليد كما ذكر ذلك أبو الفرج نفسه فى ترجمته لهما ، فقد توفى الغريض فى أيام سليمان ابن عبد الملك[٢٣٣] ، وتوفى ابن سريج فى أيام هشام بن عبد الملك[٢٣٤] ، أما معبد فمات لعهد الوليد[٢٣٥] .

والخبر بُرمَّته مُوَلَّدٌ مشتق من خبر آخر لا يتصل بأيام الوليد ولا بطلبه للغناء وانغماسه فيه ، بل يتصل بأيام مروان بن محمد – وبداية ظهور دعاة العباسيين بخراسان ، وتأليبهم الناس بها على الأمويين ، واجتذابهم المتذمرين منهم إلى صفوف شيعة العباسيين ، ونَصُّ الخبر كما رواه الطبرى هو : كتب نصر بن سيار إلى مروان بن محمد يعلمه حال أبى مسلم وخروجه وكثرة من معه ومن تَبِعَهُ ، وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد ، وكتب بأبيات شعر :

أرَى بينَ الرَّمادِ وميضَ جَمْرٍ ... فأحْج بأنْ يكونَ له ضِرامُ
فإنَّ النارَ بالعُودَيْن تُذْكَى ... وإنَّ الحربَ مَبْدؤُها الكلامُ
فقلتُ مِنَ التَّعجُّبِ : ليت شِعْرِى ... أأيقاظٌ أمية أمْ نِيامُ !

---

(٢٣١) الأغانى ٧ : ٥٦ .

(٢٣٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٦٩ .

(٢٣٣) الأغانى ٢ : ٣٩٩ .

(٢٣٤) الأغانى ١ : ٢٥٤ .

(٢٣٥) الأغانى ١ : ٣٦ .

فكتب إليه : الشاهد يرى مالا يرى الغائب ، فاحْسِم الثُّؤْلولَ قِبَلك »[٢٣٦]. وروى الخبر بنصه . أو بمعناه دون لفظه أبو حنيفة الدينورى[٢٣٧] ، وابن عبد ربه[٢٣٨] ، والمسعودى[٢٣٩] ، وابن الأثير[٢٤٠] ، وابن كثير[٢٤١].

وكان العلماء والمؤرخون اللاحقون الآخذون بمناهج المحدثين هم أكثر من اغْتَرَّ بالأباطيل التى افْتَعَلها على الوليد رُواة اليمينيين وموالى العباسيين وأنصارهم ، ومؤرخو الشيعة وأذباؤهم ، وأقوى من تابعهم فى حملتهم عليه ، فقد ارتضوا كل ما وصل إليهم من أخبار تقطع بِتَهَتُّكِ الوليد وتَعَهُّره . ويزندقته وكفره . وكان المعاف بن زكريا الجريرى الفقيه القاضِى المتوفى سنة تسعين وثلاثمائة[٢٤٢] أشهر من قبل ذلك منهم ، فَنَقَّب عنه فى كتبهم ، واستخرجه منها ، وصَنَّفه فى كتاب نقل بعض نصوصه الخبيثة ، وأحكامه المتعسفة ابن عساكر[٢٤٣] ، والذهبى[٢٤٤] ، وابن كثير[٢٤٥] . والسيوطى[٢٤٦] . وانخدع بها وبغيرها من الأخبار الموضوعة السابقة سائر المؤرخين المتأخرين مثل المقدسى[٢٤٧] ، وابن الأثير[٢٤٨] ، وابن شاكر الكتبى[٢٤٩] ، وابن العماد الحنبلى[٢٥٠] . ولم يشك فيها ولا نجا من التَّأَثُّر بها إلاَّ أبو الفداء[٢٥١] ، والقلقشندى[٢٥٢] ، واليافعى[٢٥٣] ، فإنهم جميعاً أعرضوا

---

(٢٣٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٦٩ .

(٢٣٧) الأخبار الطوال ص : ٣٥٧ .

(٢٣٨) العقد الفريد ٤ : ٤٧٧ .

(٢٣٩) مروج الذهب ٣ : ٢٥٥ .

(٢٤٠) الكامل فى التاريخ ٥ : ٣٦٥ .

(٢٤١) البداية والنهاية ١٠ : ٣٢ .

(٢٤٢) ترجمته فى تاريخ بغداد ١٣ : ٢٣٠ ، وطبقات الفقهاء للشيرازى ص : ٩٣ ، وإنباه الرواه ٣ : ٢٩٦ ، والكامل فى التاريخ ٩ : ١٦٣ ، ومعجم الأدباء ٧ : ١٦٢ ، ووفيات الأعيان ٥ : ٢٢١ ، ومرآة الجنان ٢ : ٤٤٣ ، والبداية والنهاية ١١ : ٣٢٨ ، وشذرات الذهب ٣ : ١٣٤ ، وبغية الوعاة ص : ٣٩٤ .

(٢٤٣) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة ٤٨١ ظ .

(٢٤٤) تاريخ الإسلام ٥ : ١٧٣ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق ، رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس . الورقة : ١١١ ظ .

(٢٤٥) البداية والنهاية ١٠ : ٧ .

(٢٤٦) تاريخ الخلفاء ص : ٢٥١ .

(٢٤٧) البدء والتاريخ ٥ : ٥٣ .

(٢٤٨) الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٩ .

(٢٤٩) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ١٩ ظ .

(٢٥٠) شذرات الذهب ١ : ١٦٨ .

(٢٥١) المختصر فى أخبار البشر ١ : ٢٠٥ .

(٢٥٢) مآثر الإنافة فى معالم الخلافة ١ : ١٥٦ .

(٢٥٣) مرآة الجنان ١ : ٢٦٤ .

عن ذكر أكثر ما نُحِل عَليه من الأخبار الفاحشة إعراضاً ، ورفضوا أغلب ما أطلق عليه من الأحكام الفاسدة رفضاً .

والبلاذرى هو أهم من أشار من مؤرخى القرن الثالث عشر المحايدين إلى إقبال الوليد على المغنين والمضحكين ، وروى كثيراً من أخبار احتفائه بهم . ولما يتصف به البلاذرى من الدقة والموضوعية ، فإن رواياته الصحيحة غير المحرفة التى أخذها عن أستاذه المدائنى ، وعن غيره من الإخباريين تصلح لأن تكون أساساً لتقويم اهتمام الوليد بالمغنين والمضحكين ، ومقياساً لاختبار روايات سواه من المؤرخين والأدباء المتميزين ، وتَبَيُّن ما داخلها بتعاقب الرواة عليها من توليد وتزييف وتزيدَ .

ويستشف من جملة الأخبار التى حملها البلاذرى أن عكوف الوليد على المطربين والمُلْهِينَ يبدو طبيعياً ملائماً لما أحرزته المجتمعات الأموية المدنية فى مطلع القرن الثانى من التحرر الاجتماعى ، والتطور الحضارى .

ويستشف منها أيضاً سَبْقُ الوليد لغيره من الخلفاء والأمراء الأمويين المتقدمين فى فتنته بالغناء والهزل واللهو ، وانهماكه فيها ، وَتَطرُّفِهِ فى التَّعَلُّق بها . وهو تطرف يُسَوّغه ازدهار الغناء فى مدن الحجاز والعراق والشام لعصره ، وتسوغه ظروف حياته الخاصة ، بما طوى فيها من رخاءٍ وشدةٍ ، ودعةٍ وحرمانٍ ، وأملٍ ويأسٍ ، وكيدٍ وتحدٍّ للكيد .

وأهم ما تؤكده الأخبار التى حملها البلاذرى أن الوليد كان كغيره من الخلفاء الأمويين يَتَسَتَّرُ على طلبه للغناء فى خلافته ، صيانة لنفسه ، وحماية لمنصبه ، وَمُداراةً للعامة ، وتسكيناً لمشاعرهم ، ومراعاة لما يفترضونه فى الخليفة من وقار وجلالٍ ، كما تؤكد أنه كان يعاقب من يأتيه من المغنين فى وضح النهار ، مخالفاً لإرادته فى التكتم على لهوه ، يدل على ذلك قول البلاذرى : « بعث الوليد إلى المدينة ، فحمل إليه المغنون ، فلما قربوا منه أمر أن يدخلوا المعسكر ليلاً كراهة أن يراهم الناس . فأقاموا حتى أمسوا غير محمد بن عائشة ، فإنه دخل نهاراً ، فغضب الوليد عليه ، وأمر بحبسه »[٢٥٤] .

وفى تضاعيف الأخبار المحرفة التى نقلها أبو الفرج[٢٥٥] وغيره من المؤرخين إشارات عديدة تدعم ما ذكره البلاذرى من حرص الوليد على إخفاء صلاته بالمغنين ، وتشدده فى تحذيرهم وإنذارهم وتهديدهم بأليم العذاب والإعدام إذا هم باحو بأسراره ، وأذاعوا ما رأوا من أمره[٢٥٦] .

---

(٢٥٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٢ .

(٢٥٥) الأغانى ١ : ٥٥ ، ٣ : ٣٠٩ ، ٩ : ٢٧٥ .

(٢٥٦) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ جـ ٥ ، الورقة : ٢٢ ظ .

٣ – الوليد والخمر والمجون

كان شرب الخمر فى الجاهلية مَظْهرًا من مظاهر الفتوة والفروسية . ولما جاء الإسلام نهى عنه على مراحل ، ثم حَرَّمه تَحْريماً . واستجاب كثير من العرب والمسلمين لعهد الرسول والخلفاء الراشدين لتحريم الخمر . ولكن ظل نفر منهم يتعاطونها سِرًّا . لغلبة الروح الجاهلية عليهم ، وضعف الوازع الدينى عندهم ، وتحررهم فى حياتهم الاجتماعية ، واختلاف الصحابة والتابعين فى تحليل الأنبذة وتحريمها(٢٥٧) . وكان من يعاقر الخمر جهراً يعاقب عقاباً صارماً . وقد أورد بعض القدماء إحصاء بمن حُدُّوا فى الخمر من أبناء الخلفاء والأمراء والأشراف والشعراء(٢٥٨) .

ولا تنقضى فترة صدر الإسلام ، ويبدأ العصر الأموى ، ويتطاول حتى يستقر العرب فى البيئات التى فتحوها ونزلوا بها ، وتتطور حياتهم ، وتنفسح أمامهم مجالات اللهو ، وتتنوع أسباب المتعة ، لامتزاجهم بالعناصر الأجنبية ، ووفرة ما أحرزوا من الثروة ، فَيَنْدَفِعُ بعضهم فى الاستمتاع بالملذات ، ويتعاطون الأنبذة ، ويعاقر نَفَرٌ منهم الخمر . وكان مما أغراهم بها بجانب تحضرهم وثرائهم واختلاطهم بالأمم الأخرى استمرار اختلاف الفقهاء فى منع شرب الأنبذة(٢٥٩) . إذ كان المتشددون من الفقهاء يحرمون كافة الأنبذة ، أيًّا كانت أصنافها وأوصافها ، وكان المعتدلون منهم فى الحجاز والعراق يُحَلِّلون بعض الأنبذة(٢٦٠) . وكان أبو حنيفة فَقِيهُ أهل الكوفة ممن رَخَّصوا بشرب النبيذ(٢٦١) ، واستند فى ترخيصه به إلى رأى ابن مسعود أستاذ مدرسة الكوفة فى الفقه(٢٦٢) ، الذى اتخذه عامة التابعين من الكوفيين حُجَّةً لهم(٢٦٣) ، والذى وجَدَ فيه عُشَّاق الأنبذة مخرجاً من الحرج والإثم ، فعكفوا على الأنبذة فى البيئات الأموية المتعددة ، فى مدن الحجاز وبوادى نجد أدمن النبيذ كثيرون ، وتقدم أهل المدينة(٢٦٤) فى إدمانه أهل مكة(٢٦٥) ، إذ أقيمت فى بلدهم بيوت القيان ،

(٢٥٧) ضحى الإسلام ١ : ١١٩ .

(٢٥٨) كتاب الأشربة ص : ٣١ ، ٤٥ ، والعقد الفريد ٦ : ٣٤٨ ، ونهاية الأدب ٤ : ٩٠ .

(٢٥٩) كتاب الأشربة ص : ٢٢ ، والعقد الفريد ٦ : ٣٥١ ، ٣٦٠ ، ٣٦٦ ، ونهاية الأدب ٤ : ٨٢ .

(٢٦٠) كتاب الأشربة ص : ٨٩ ، ٩٥ .

(٢٦١) كتاب الأشربة ص : ٥٥ .

(٢٦٢) ضحى الإسلام ١ : ١١٩ ، وحياة الشعر فى الكوفة ص : ٢٢٠ ، والعقيدة والشريعة ص : ٦١ .

(٢٦٣) كتاب الأشربة ص : ٢١ ، والعقد الفريد ٦ : ٣٦٨ .

(٢٦٤) الشعر والغناء فى المدينة ومكة لعهد بنى أمية ص : ٥٣ .

(٢٦٥) العصر الإسلامى ص : ٣٧٧ .

وحانات الشراب . وشاعت بأخرة من العصر الأموى شيوعاً واسعاً . فكان بالمدينة نبّاذون مثل ابن حَوْنَك[٢٦٦] . ومقينون مثل يحيى بن نُفَيْس[٢٦٧] وحماد بن عمران الطُّلَيْحى[٢٦٨] وغيرهما[٢٦٩] . يشترون الإماء ويؤدبونهن ويعرضونهن للشباب فى ملاهيهم ونواديهم . فكن يطفن عليهم يسقينهم ويغازلنهم .

وأدمن الشراب من أهل المدينة عبد الرحمن بن أرطاة ، وحُدَّ فيه مراراً[٢٧٠] وأدمنه عبد الرحمن بن الحكم[٢٧١] ، والوليد بن عثمان[٢٧٢] ، والوليد بن عتبة بن أبى سفيان[٢٧٣] والسرى ابن عبد الرحمن الأنصارى ، وكان أحد الغزلين والفتيان والمنادمين على الشراب ، كان هو وعُتَيْر بن سهل ، وجُبَيْر بن أَيْمَن . وخالد بن أيوب الأنصارى يتنادمون[٢٧٤] . وعاقره من شعراء المدينة من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية إبراهيم بن هرمة[٢٧٥] . وابن الخياط[٢٧٦] . وابن أبى الزوائد[٢٧٧] وآدم ابن عبد العزيز[٢٧٨] . وباراهم فى معاقرته من شعراء نجد البدويين ابن ميّادة[٢٧٩] . وجعفر بن عُلْبَة الحارثى[٢٨٠] .

وانتشرت حانات الشراب بالبصرة[٢٨١] . وأمَّها الناس على تفاوت طبقاتهم[٢٨٢] . وأسرف فى

---

(٢٦٦) الأغانى ٤ : ٣٧٣ .

(٢٦٧) الأغانى ١٥ : ٢٧ .

(٢٦٨) الأغانى ١٤ : ١٢٣ .

(٢٦٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٢ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ١٩ و .

(٢٧٠) الأغانى ٢ : ٢٤٣ .

(٢٧١) الأغانى ٢ : ٢٥١ .

(٢٧٢) الأغانى ٢ : ٢٤٧ .

(٢٧٣) الأغانى ٢ : ٢٤٨ .

(٢٧٤) الأغانى ٢٠ : ١٩٨ .

(٢٧٥) كتاب الأشربة ص : ٢٨ ، والأغانى ٤ : ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٩٧ ، وقطب السرور فى أوصاف الخمور ص : ١١٨ .

(٢٧٦) الأغانى ٢٠ : ٧ ، ومعجم الأدباء ٧ : ٣١٢ .

(٢٧٧) الأغانى ١٤ : ١٢٧ .

(٢٧٨) الأغانى ١٥ : ٢٨٧ .

(٢٧٩) البيان والتبين ٣ : ٢٠٨ ، والحيوان ٢ : ٣٣٧ ، وكتاب الأشربة ص : ٦٨ ، والأغانى ٢ : ٣٢١ .

(٢٨٠) الأغانى ١٣ : ٤٥ .

(٢٨١) الأغانى ١٤ : ١٧ .

(٢٨٢) الجاحظ فى البصرة ص : ٣٤٢ ، وحركات الشيعة المتطرفين ص : ١٨٧ .

الشراب من شعراء البصرة الأمويين الفرزدق(٢٨٣) ، وسُحَيْمُ بن وِثَيلٍ الرياحى(٢٨٤) ، وحارثة بن بدر الغدانِى(٢٨٥) ، والسُّرادقُ الذهلى(٢٨٦) ، وانهمك فيه من شعراء البصرة من مخضرمى الدولتين أبو حية النُّمَيْرى(٢٨٧) وبشار بن برد(٢٨٨) .

وكان الإقبال على الشراب فى الكوفة أشد ، إذ عمت بها بيوت القيان واللهو(٢٨٩) ، كبيت أبى الأصبغ(٢٩٠) ، وبيت ابن رامين(٢٩١) ، وبيت عبد الله بن هلال الهجرى الحميرى المعروف بصديق إبليس(٢٩٢) ، وهى بيوت كان يتردد عليها الفتيان والظرفاء والأدباء ، يَمْجُنون ويَشْرَبُون ، ولم يكن أحد من الكوفيين يُحَرِّمُ النبيذ غير عبد الله بن إدريس ، وهو من خيار أهل الكوفة ، وكان معيباً بذلك(٢٩٣) . وشط فى العبث والقصف ، وأفرط فى الشراب من شعراء الكوفة الأمويين الأقيشر الأسدى(٢٩٤) وعمار ذو كناز(٢٩٥) . وأغرق فيه من شعراء الكوفة من مخضرمى الدولتين أبو دلامة(٢٩٦) ، وإسماعيل بن عمار(٢٩٧) ، وحماد عجرد(٢٩٨) ، ومطيع بن إياس(٢٩٩) ، ويحيى بن زياد

---

(٢٨٣) العقد الفريد ٦ : ٣٣٥ ، والأغانى ٢١ : ٣٦٠ ، وقطب السرور فى أوصاف الخمور ص : ١١٧ .

(٢٨٤) طبقات فحول الشعراء ص : ٤٨٩ .

(٢٨٥) كتاب الأشربة ص : ٢٨ ، وأمالى الشريف المرتضى ١ : ٣٨٠ ، ومعجم البلدان ٢ : ٦٣٩ .

(٢٨٦) الشعر والشعراء ص : ٦٩٠ .

(٢٨٧) الأغانى ١٦ : ٣١٠ .

(٢٨٨) الأغانى ٣ : ٢٣٥ ، وديوانه ٢ : ١٣٠ .

(٢٨٩) حياة الشعر فى الكوفة ص : ٢١٩ ، وحركات الشيعة المتطرفين ص : ١٠٢ ، واتجاهات الغزل فى القرن الثانى الهجرى ص : ١١٥ .

(٢٩٠) الأغانى ١٣ : ٣٢٧ ، والديارات ص : ٢٥٤ ، وقطب السرور فى أوصاف الخمور ص : ٧٣ .

(٢٩١) الأغانى ١٥ : ٦٠ ، وقطب السرور فى أوصاف الخمور ص : ٨٣ .

(٢٩٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢١ ، ٣٢٤ ، والأغانى ١ : ١٥٣ .

(٢٩٣) كتاب الأشربة ص : ٥٣ ، والعقد الفريد ٦ : ٣٧١ .

(٢٩٤) الشعر والشعراء ص : ٥٦٠ ، والأغانى ١١ : ٢٥٣ .

(٢٩٥) الأغانى ٢٤ : ٢٢٠ .

(٢٩٦) الشعر والشعراء ص : ٧٧٦ ، والأغانى ١٠ : ٢٣٥ ، والمؤتلف والمختلف ص : ١٩٢ ، وتاريخ بغداد ٨ : ٤٨٨ ، وطبقات ابن المعتز ص : ٥٤ ، ومعجم الأدباء ٤ : ٢٢٠ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٣٢٠ ، ومرآة الجنان ١ : ٣٤١ ، وشذرات الذهب ١ : ٢٤٩ .

(٢٩٧) الأغانى ١٤ : ٣٦٦ .

(٢٩٨) الأغانى ١٤ : ٣٢١ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٤٢٤ ، ومعجم الأدباء ٤ : ١٣٣ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢١٠ .

(٢٩٩) طبقات ابن المعتز ص : ٩٤ ، والأغانى ١٣ : ٢٧٦ ، وتاريخ ١٣ : ٢٢٦ ، وأمالى الشريف المرتضى ١ : ١٤٢ ، والديارات ص : ٢٥٠ ، وخزانة الأدب ٤ : ٢٨٦ .

الحارثى[٣٠٠] . وشراعة بن الزندبود[٣٠١] . وغيرهم ممن انتظموا فى عصابات . ولجوا فى التحلل والإباحة حتى رموا بالزندقة[٣٠٢] .

وفشت دور القيان واللهو فى بلدان المشرق كأصبهان وسجستان وخراسان . وكَلِفَ غير قليل من الولاة والمقاتلة بالشراب . فقد تهالك على الأنبذة مالك بن أسماء الفزارى . والى أصبهان للحجاج[٣٠٣] . وعاقرها بسجستان أبو جلدة اليشكرى . وكان يعربد عربدةً شديدةً[٣٠٤] . ولم يسرف الجنود فى بلد من بلدان المشرق فى شرب الأنبذة كإسرافهم فى خراسان . إذ فازوا بالأموال الطائلة . والغنائم الهائلة من غزواتهم فى بلاد الترك . وفتوحاتهم بها[٣٠٥] . وكانوا يعانون آلام التجمير . ومرارة الاغتراب . ووطأة الحروب . فكانوا إذا أصابوا فُسْحةً من الراحة فى حروبهم مع الترك يقبلون على شرب الأنبذة . فيعبثون ويعيثون ويفسدون . مما كان يضطر قادتهم إلى محاسبتهم وكسر آنيتهم[٣٠٦] ، ويبدو أنهم تَطَرَّفوا فى تَحَسِّيها حتى إن وكيع بن أبى سود التميمى حين ولى خراسان بعد مقتل قتيبة بن مسلم الباهلى لم يعاقب السكارى من الجنود بِضَرْبِهم الحَدَّ . بل بِقَتْلِهم بالسَّيْف[٣٠٧] . واشتهر بإدمان الشراب من الشعراء الفرسان بخراسان الشَّمَرْدَلُ بن شُرَيكٍ التميمى . إذ كان مغرماً بالشراب . وكان له نديمان يعاشرانه فى حانات الخمارين بخراسان أحدهما يقال له : دَيْكَلُ . من قومه . والآخر من بنى شيبان يقال له : قبيصة[٣٠٨] . واشتهر به أيضا أبو الهندى التميمى . وهو خير مثال للشاعر المقاتل الذى قطع دهره . وأفنى عمره فى مواخير الخمارين بخراسان وسجستان . واستفرغ شعره فى وصف الخمر[٣٠٩] .

وتندر الأخبار عن موقف أهل الشام من الشراب . ومدى إقبالهم عليه . ويستخلص من بعض

---

(٣٠٠) الأغانى ١٣ : ٢٧٩ ، ١٤ : ٣٣٣ .
(٣٠١) الأغانى ٧ : ٤٩ ، ١٥ : ٧١ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٢٩٧ .
(٣٠٢) الأغانى ٦ : ٧٤ ، ١٣ : ٢٧٩ ، ١٤ : ٣٢٢ .
(٣٠٣) الشعر والشعراء ص : ٧٨٢ ، والأغانى ٢٠ : ٢٣٠ .
(٣٠٤) الأغانى ١١ : ٣١٧ .
(٣٠٥) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٣١ ، ٤٣٢ .
(٣٠٦) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٦٣ .
(٣٠٧) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٠٩ .
(٣٠٨) الأغانى ١٣ : ٣٥٧ .
(٣٠٩) كتاب الأشربة ص : ٦١ ، والشعر والشعراء : ٦٨٢ ، وطبقات ابن المعتز ص : ١٣٦ ، والكامل ، للمبرد ٣ : ٤٢ ، والعقد الفريد ٦ : ٣٤٣ ، والأغانى ٢٠ : ٣٢٩ ، وسمط اللآلى ص : ١٦٨ ، ومسالك الأبصار ١ : ٣٨٩ ، وفوات الوفيات ٢ : ٢٤٠ ، وقطب السرور فى أوصاف الخمور ص : ١٢٣ .

النصوص القليلة أنهم كانوا يشربون نوعاً من النبيذ أباحه لهم خلفاؤهم منذ وقت مبكر ، على نحو ما يتضح فى كتاب معاوية بن أبى سفيان إلى مروان بن الحكم عامله على المدينة ، حين جَلَد عبد الرحمن بن سيحان حليف أبى سفيان ثمانين سوطاً فى الشراب ، فقد كتب إليه : «أما بعد ، فإنك ضربت عبد الرحمن فى نبيذ أهل الشام الذى يستعملونه . وليس بحرام »[٣١٠].

ومن المُرَجَّح أنَّ أهل الشام شربوا النبيذ كما شَرِبَهُ الناس فى البيئات الأخرى . دفعهم إلى ذلك أن أول خلفاء بنى أمية صَرَّح لهم به . وأنهم اغتنوا وتَنَعَّموا . فقد كانت دمشق حاضرة الدولة التى تفيض عليها الأموال من كل قطر . فتوزع فى أهل الشام . ثم فى أهل الأمصار . ودفعهم إليه أن بلاد الشام كانت عامرة بالأديرة[٣١١] . فأغرتهم أجواؤها باللهو والشراب . فكان الناس يخرجون إليها . وَيَتَنَزَّهُون ببساتينها . وكان بعض أبناء الخلفاء الأمويين يزورونها . ويشربون فيها[٣١٢] . وكان الشعراء الظرفاء كمالك بن أسماء الفزارى ينزلونها . ويَمْجُنون بها[٣١٣] .

فَشُرْبُ الأنبذة شاع بين الناس فى البيئات الأموية . وتفاقم فى آخر القرن الأوَّل . ويظهر أنَّ نفراً من الناس فى بعض الأمصار عاقر الأشربة المحرمة . مما حدا بعمر بن عبد العزيز أن يُوَجِّه إلى أهل الأمصار رسالة يحذرهم فيها من تعاطى الخمر الممنوعة . ويُرَخِّصُ لهم بشرب الأنبذة التى أحلها الله من العَسَل والسويق . والنبيذ من الزبيب والتمر[٣١٤] . ولا يوشك العصر الأموى على الانتهاء حتى يستفحل ولع الناس بالأنبذة . ويفرطون فى تعاطيها .

وَيُشَاكِلُ كَلَفُ الخلفاء الأمويين بالأنبذة كلف أهل الأمصار بها . ويسايره فى اطراده وازدياده مسايرةً واضحة . فقد كان متقدموهم يشربون النبيذ بمقدار . ثم استكثر منه خالفوهم . وأدْمَنَهُ بعضُ متأخريهم . فكان معاوية فيما يبدو يشرب نَبِيذَ أهل الشام الذى يستعملونه . والذى أحله لهم[٣١٥] . أما ابنه يزيد فَتُظْهِرُه الرواياتُ الشيعية والعباسية[٣١٦] مُسْرِفاً فى معاقرة الشراب إسرافاً

---

(٣١٠) الأغانى ٢ : ٢٥١ .

(٣١١) معجم البلدان ٢ : ٦٤٣ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٩ ، ٦٥٣ ، ٦٥٥ ، ٦٥٧ ، ٦٦٠ ، ٦٦٤ ، ٦٦٦ ، ٦٧٣ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٨ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٥ .

(٣١٢) معجم البلدان ٢ : ٦٣٩ ، ٦٦٢ ، ٦٩٧ .

(٣١٣) البيان والتبيين ١ : ١٣٥ ، والشعر والشعراء ص : ٦٨٢ ، والأغانى ١٧ : ٢٢٩ ، ٢٣٦ ، ومعجم الشعراء ص : ٢٦٦ ، وسمط اللآلى ص : ١٦ ، ومعجم البلدان ١ : ٨٦٥ .

(٣١٤) كتاب الأشربة ص : ٣٦ ، والعقد الفريد ٦ : ٢٥٩ .

(٣١٥) الأغانى ٢ : ٢٥١ .

(٣١٦) أنساب الأشراف ٤ : ١ . تاريخ اليعقوبى ٢ : ٢٢٠ . وكتاب الأشربة ص : ٣٣ . والإمامة والسياسة ١ : ١٨١ . والعقد الفريد ٦ : ٣٤٨ . والأغانى ١٥ : ٢٩١ . ومروج الذهب ٣ : ٧٧ .

شديداً . وأنشد له الرواة أشعارًا خمرية كثيرةً بعضها مَنْحُولٌ له . لما فيه من صَنْعَةٍ بَديعيَّة تدل على أنه وُضِعَ عليه وأُلْصِقَ به فى أواخر العهد العباسى حين بالغ الناس فى الصنعة اللفظية [٣١٧]. وكان عبد الملك بن مروان يُسَمَّى حمامة المسجد لاجتهاده فى العبادة قبل الخلافة . فلما أفْضَتْ إليه شَربَ الطلاء [٣١٨] وكان الوليد بن عبد الملك يحتسى النبيذ [٣١٩]. واحتساه أيضاً يزيد بن عبد الملك [٣٢٠] . ومع أن أكثر المؤرخين لم ينقلوا أن يزيد غَلا فى شرب الخمر بل أشاروا إلى أنه أفرط فى سماع الغناء . والاستمتاع بالإماء . فإن المسعودى [٣٢١] . وأبا الفرج [٣٢٢] . والمقدسى [٣٢٣]. وابن العماد الحنبلى [٣٢٤] يصفونه بالإغراق فى الشراب . وخلط النواجى [٣٢٥] بين أخباره وأخبار هشام . إذ عَزَا خَبَرَ استقدام هشام لحماد الراوية . واستنشاده له بعض شعر عدى بن زيد الخمرى ! .

وَبَرَّأَ أبو الفرج هشام بن عبد الملك من معاقرة الشراب . ومن السماح لأحَدٍ بمعاقرته فى مجالسه . إذ يقول مُعَقِّباً على خبرِ استزارته لحماد الراوية [٣٢٦] وما جاء فيه من أنه سقاه خمراً : « هذا لفظ حماد ابن إسحق عن أبيه . ولم يقل أحمد بن عبيد فى خبره : إنه سقاه شيئًا . وهذا هو الصحيح . لأن هشاماً لم يكن يشرب . ولا يسقى أحداً بحضرته مسكراً . وكان يُنْكِرُ ذلك . ويعيبه ويعاقب عليه » [٣٢٧] وكان يزيد بن الوليد بن عبد الملك يصيب قسطا من النبيذ [٣٢٨] .

وَحَمَل صاحب كتاب التاج أخباراً كثيرة عن تعاطى الخلفاء الأمويين للشراب . واتَّهمهم جميعاً بمعاقرة الخمر ! فقد وصف يزيد بن معاوية بأنه صاحب خمور لا يُمْسى إلَّا سكران . ولا يُصْبحُ إلاَّ مخمورًا » [٣٢٩] ! وقرف عبد الملك بن مروان بأنه كان يسكر فى كل شهر مرة حتى لا يعقل فى السماء

---

(٣١٧) تطور الخمريات فى الشعر العربى ص : ١٢٣ .

(٣١٨) كتاب الأشربة ص : ٣٣ ، والعقد الفريد ٦ : ٣٥٠ ، ونهاية الأرب ٤ : ٩٢ .

(٣١٩) نهاية الأرب ٤ : ٨٥ .

(٣٢٠) نهاية الأرب ٤ : ٩٢ .

(٣٢١) مروج الذهب ٣ : ٢٠٨ .

(٣٢٢) الأغانى ١٥ : ١٢٨ .

(٣٢٣) البدء والتاريخ ٦ : ٤٨ .

(٣٢٤) شذرات الذهب ١ : ١٢٨ .

(٣٢٥) حلبة الكميت ص : ٦٠ .

(٣٢٦) الخبر فى الأغانى ٦ : ٧٥ ، ونزهة الألبا ص : ٣٨ ، ومعجم الأدباء ٤ : ١٣٨ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢٠٧ ، وخزانة الأدب ٤ : ١٣٠ .

(٣٢٧) الأغانى ٦ : ٧٧ ، وانظر وفيات الأعيان ٢ : ٢٠٧ .

(٣٢٨) العقد الفريد ٦ : ٣٣٨ .

(٣٢٩) التاج فى أخلاق الملوك ص : ١٥١ .

هو أم فى الماء . ويقول إنما أقصد فى هذا إلى إشراق العقل . وتقوية مُنَّةِ الْحِفظِ . وتَصْفِية مَوْضِعِ الفكر(٣٣٠) ! وزعم أن الوليد بن عبد الملك كان يشرب يوماً ويَدَعُ يومًا . وأن سليمان كان يشرب فى كُلِّ ثلاثِ ليالٍ ليلة . وأنَّ عمر بن عبد العزيز لم يشرب منذ أَفَضَتْ إليه الخلافة إلى أنْ فَارَقَ الدنيا(٣٣١) . وادَّعى أن يزيد بن عبد الملك أدْمَنَ الخمر . وأنه لم يكن أحدٌ من الخلفاء الأمويين فى مثل حاله فى المجون والرَّفَث والتَّجَرُّدُ بِحَضْرةِ النُّدماء(٣٣٢) . وأضاف أنه سَوَّى بين الطبقة العُلْيَا والسُّفْلَى من النُّدماء . وأفسد أقسام المراتب . وغلب عليه اللهو . واستخف بآيين المملكة . وأذن للندماء فى الكلام والضحك والهزل فى مجلسه والرد عليه(٣٣٣)

واتَّهَمَ هشاماً بأنه كان يسكر كل جمعة (٣٣٤) ! وقال إن يزيد بن الوليد ابن عبد الملك كان يُدْمِنُ الشراب واللهو ، وكان دَهْرَه بين حالين : بين سُكْرٍ وخُمارٍ ، ولا يوجد إلاَّ ومعه إحدى هاتين(٣٣٥) ! أما مروان بن محمد فذهب إلى أنه كان يشرب ليلة الثلاثاء وليلة السبت(٣٣٦) .

وهى أخبار فيها مبالغةٌ وافتعالٌ كثير . كما أن بعضها يناقض المألوف من أخبار عبد الملك ابن مروان ، وهشام بن عبد الملك . ويزيد بن الوليد بن عبد الملك . وما ذكره المؤرخون من تَدَيُّنهم(٣٣٧) . والغالب أن صاحب كتاب التاج من الشعوبية الذين امتلأت قلوبهم حقدًا على العروبة والإسلام(٣٣٨) . فاتهم الخلفاء الأمويين والعباسيين (٣٣٩) بارتكاب الآثام . وكان من معاصرى الجاحظ الذى تَصدَّى للشعوبية وحاربهم . فنسب كتاب التاج إليه . ليشيع وينتشر . ويكون أكثر تشهيرًا بالعرب المسلمين . وأشد طعْناً فى خلفائهم ودولتهم !

وينفرد الوليد بن يزيد من سائر الخلفاء الأمويين بِشُرْبِ الخمر وإدْمانِها إدماناً اعْتَرفَ به فى

---

(٣٣٠) التاج فى أخلاق الملوك ص : ١٥١ .
(٣٣١) التاج فى أخلاق الملوك ص : ١٥٢ .
(٣٣٢) التاج فى أخلاق الملوك ص : ٣٢ .
(٣٣٣) التاج فى أخلاق الملوك ص : ٣٠ .
(٣٣٤) التاج فى أخلاق الملوك ص : ١٥٢ .
(٣٣٥) التاج فى أخلاق الملوك ص : ١٥٢ .
(٣٣٦) التاج فى أخلاق الملوك ص : ١٥٢ .
(٣٣٧) الطبقات الكبرى ٥ : ٢٣٤ ، وفوات الوفيات ٢ : ٣١ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٣ ، ٢٣٢ .
(٣٣٨) ضحى الإسلام ١ : ٢٧ وما بعدها .
(٣٣٩) التاج فى أخلاق الملوك ص : ٣٣-٤٣ ، ١٥٢-١٥٣ .

سعره[٣٤٠] . وأجمع عليه كل من ترجموا له[٣٤١] . واحتفل بمجالس خمره وأنسه . فكانت تطفح بالوصيفات والوصفاء[٣٤٢] . والندماء الظرفاء من الكوفيين[٣٤٣] والدمشقيين[٣٤٤] . وأغرم بأوعية الخمر النفيسة . فكان يشرب فى كؤوس ذهبية[٣٤٥] . وأخرى بلورية[٣٤٦] . وثالثةٍ غريبة الشكل . نادرة المثال[٣٤٧] .

وإنما أساء إليه أنه صَوَّرَ فى شعره الخمر وتعاطيه لها . ونشوته بها . فحمل عليه الرواة الوضاعون أشعاراً ماجنةً ليست له . ونحلوه أشعاراً أخرى مصنوعة تنطق بالكفر والإلحاد والزندقة !

وأَضَرَّ به أن الرواة المتعصبين عليه من موالى هشام بن عبد الملك . ومن موالى العباسيين وأنصارهم من اليمنيين والزبيريين . ومن العباسيين أنفسهم . ومن الشيعة قد عبثوا بأخبار معاقرته للخمر وشوَّهوها . وزادوا فيها . وَوَلَّدوا منها أخباراً عجيبة هى أقرب إلى الخيال والأسطورة منها إلى الواقع والحقيقة .

وهو يبدو فى الروايات الصحيحة مُنْضَبطاً مُتَحَوِّطاً مُتَّزِناً فى شربه أثناء ولايته للعهد وفى أيام خلافته . مما يُؤَيِّده قول الواقدى[٣٤٨] مؤرخ أهل المدينة الموثق العالم بالمغازى والسير

(٣٤٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣٠٩ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، والأغانى ٧ : ١٩ ، ٢٢ ، ٣٧ ، ٤٦ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٩٢ ، ٩ : ١٣١ ، ٢٧٥ ، ١٦ : ٢٧٨ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨١ ظ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ٢٢ و ، ٢٢ظ ، ٢٤ظ .

(٣٤١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٩ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٣٢ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٣٣ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٣ ، والعقد الفريد ٦ : ٣٥١ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٢٥ ، والأغانى ٧ : ٧٣ ، وتاريخ الموصل ص : ٥١ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٥٣ ، والفخرى فى الآداب السلطانية ص : ١٢١ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨١ ظ ، والكامل فى التاريخ . ٥ : ٢٦٤ ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٩ ، ودول الإسلام ١ : ٦٠ ، والعبر فى خبر من غبر ١ : ١٦١ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة : ١١١ ظ ، والمختصر فى أخبار البشر ١ : ٢٠٥ ، وتاريخ ابن خلدون ، المجلد الثالث ، القسم الأول ص : [÷÷] ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ٥ ، الورقة : ٢٢ظ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٦ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥٠ ، وشذرات الذهب ١ : ١٦٨ ، ومآثر الإنافة فى معالم الخلافة ١ : ١٥٧ ، وخزانة الأدب ١ : ٣٢٨ .

(٣٤٢) الأغانى ٦ : ٨٠ ، ٧ : ٦٧ ، ٢٢ : ١٠١ .

(٣٤٣) الأغانى ١٤ : ٣٣٥ .

(٣٤٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٥ .

(٣٤٥) الأغانى ١٣ : ٢٧٨ .

(٣٤٦) مروج الذهب ٣ : ٢٢٩ ، والأغانى ٧ : ٦١ .

(٣٤٧) الأغانى ٦ : ٨٠ .

(٣٤٨) ترجمته فى الطبقات الكبرى ٥ : ٤٢٥ ، والفهرست ص : ٩٨ ، وتاريخ بغداد ٣ : ٣ ، ومعجم الأدباء ٧ : ٥٥ ، ووفيات الأعيان ٤ : ٣٤٨ ، والمعارف ص : ٥١٨ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٦٦٢ ، ونور القبس ص : ٣١١ ، والبداية والنهاية =

والفتوح : « كان الوليد من أشد الناس كَلَفًا بالشراب . وكان يَتَستَّرُ من هشام »(٣٤٩). وقول مصعب الزبيري قبل أن يُحَرِّفَه أو يَعْبَثَ به أبو الفرج وشيوخه(٣٥٠) : « كان الوليد يجلس للناس يوم الاثنين بعد أن يَتَغَدَّى ويشرب أرطالاً كثيرة . فما تُرَى منه سَقْطَةٌ حتى يقوم »(٣٥١).

ولكنه يبدو في أكثر الأخبار سِكِّيراً مُتَهَوِّراً . بل بطلاً خُرافيًّا من أبطال الخمر وعُشّاقها لا مَثِيلَ لأوعية خَمْرِهِ، ولا نَظِير له في شُرْبِهِ وسُكْره ! وهي أخبار مزيفة فيما يُرَجِّحه نَقْدُ رواتها، وفَحْصُ مضمونها . منها قول أبي الفرج : « أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثني عبيد الله بن عمار . قال حدثني عبيد الله بن أحمد بن الحارث القرشي قال حدثنا العَبّاسُ بن الوليد قال : حَدّثنا ضَمْرة قال : خرج عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام يومًا إلى بعض الديارات فنزل فيه . وهو والٍ على الرملة . فسأل صاحب الدير : هل نزل بك أحد من بني أمية ؟ قال : نعم . نزل بي الوليد بن يزيد ومحمد بن سليمان بن عبد الملك . قال : فأي شيء صنعا ؟ قال : شربا في ذلك الموضع . ولقد رأيتهما شربا في آنيتها . ثم قال أحدهما لصاحبه : هَلُمَّ نشرب بهذا الجرن– وأومأ إلى جرن عظيم من رخام– قال : أفعل . فلم يزالا يتعاطيانه بينهما ويشربان به حتى ثملا . فقال عبد الوهاب لِمَوْلًى له أسود : هاته . قال ضَمْرَة : وقد رأيته وكان يوصف بالشدة . فذهب يحركه فلم يقدر . فقال الراهب : والله لقد رأيتهما يتعاطيانه . وكل واحد منهما يملؤه لصاحبه فيرفعه ويشربه غَيْرَ مُكْتَرِثٍ »(٣٥٢) !.

فسلسلة رواة الخبر فيها كثيرون لا يطمأن إليهم . ولا يوثق برواياتهم . بعضهم من موالي العباسيين مثل الحسن بن علي مولى عبد الصمد الهاشمي . الذي أخذ أبو الفرج عنه كثيراً من الأخبار الملفقة أو المحرفة . وبعضهم من خصوم الوليد . مثل العباس بن الوليد بن عبد الملك . والخبر نفسه إنما سأل عنه فسمعه أو اخترعه وأذاعه عبد الوهاب بن إبراهيم العباسي . ومما يزيد من الشك فيه أنْ ليس في أخبار الوليد أنه زار الرملة . وما في الخبر من تهويل دليل آخر على اختراعه . فقد كان الوليد يشرب في وعاء حجري ضخم ويدفعه إلى محمد بن سليمان بخفة . وهو وعاءٌ لم يكن في وسع غيرِهِ من موالي العباسيين مهما أُوتي من القوة أن يزحزحه عن مكانه لثقله ورسوخه !

---

١٠ : ٢٦١ ، وشذرات الذهب ٢ : ٢١٨ ونشأة علم التاريخ عند العرب ص : ٣٠ ، وضحى الإسلام ٢ : ٣٣٣ .

(٣٤٩) عيون التواريخ . مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ . الورقة : ٢٢ ظ .

(٣٥٠) الأغاني ٧ : ٦٠ .

(٣٥١) عيون التواريخ . مخطوطة المكتبي الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ٢٢ ظ .

(٣٥٢) الأغاني ٧ : ٢٣ .

وشَبيهٌ بالخبر السابق فى تزييفه وتلفيقه خبران رواهما أبو الفرج[٣٥٣] يشيران إلى أن الوليد شيَّد بقصره بركاً أسال الخمر إليها . وكان يَسْبَحُ بها . وكان مستوى الخمر فيها يَهْبِطُ هبوطاً ملحوظاً إذا جَرَع منها !

فالوليد فى هذه الأخبار الْمُفْتَعلة الْمُهَوِّلة ليس من البشر . فإن جَوْفهُ ليس كأجواف غيره من الناس ، بل هو أكبر منها حَجْماً ، وأكثر سعةً . فكأنه جوف جملٍ أو فيل . وهى أخبار حَرَّفها وضَخَّمها شيوخ أبى الفرج من أتباع العباسيين ، ومن اليمنيين تضخيماً شديداً ، فقد أخذ أبو الفرج الخبر الأول عن الحسن بن على مولى عبد الصمد بن على الهاشمى ، وأخذ الخبر الثانى عن محمد بن مزيد الخزاعى ، وهو من الرواة الضعفاء . وللخبر الأول رواية ثانية تَفْضَحُ تحريف الحسن بن على له ، إذ تفيد أن البرك التى بناها الوليد إنما كان يُصَبُّ فيها مَاءَ وَرْدٍ يُمْزَجُ بالمسك والزعفران[٣٥٤] .

ويَمُدُّ النواجى دلالة الخبرين السابقين المُحَرَّفَيْن ويُعَمِّمُها ، إذ يستخلص منها أن دَيْدَنَ الوليد فى شرابه كان أن يَتَعاطى الخمرَ من البرك لا من الأوانى ، فهو يقول : « يحكى عنه أنه كان يَأْمُر بالبركة فتملأ خمراً ، ثم ينزع ثيابه ، وينغمس فيها ، ولا يزال يكرع منها بغيه ، وهى تتناقص إلى أن يذهب منها قدر كبير »[٣٥٥] .

ويُقارِبُ الأخبار الثلاثة السالفة فى توليدها واختراعها ما رواه أبو الفرج[٣٥٦] ، والمسعودى[٣٥٧] من أن الوليد شرب الهَفْتَجة . وهو شُرْبٌ كانت الفرس تشربه سبعة أسابيع ، فشرب الوليد تسعةً وأربعين يوماً مُتتالية !

ويَقْدَحُ فى الخبر علاوةً على ما فيه من تهويل أن رَاوِيَهُ الأَوَّلَ نَكِرَةٌ غير مُسَمًّى ولا معروف ، فقد سمعه مصعبُ الزبيرى عن رجل حَدَّث أباه به فى الكوفة !

وأشد من تلك الأخبار تحريفاً وتشويهاً خبرٌ خامسٌ أورده ابن فضل الله العمرى فقال : « ذكروا أن الوليد بن يزيد خرج مُتَنَزِّهًا فى دير سمعان بنواحى دمشق ، فأقام يَصْطَبِحُ وَيغْتَبِقُ ، معه ندماؤه ومغنوه . فخرج يوماً غِبٌّ سحاب ، فنظر فى صَحْنِ الدير غُدْرانَ ماء ، فاستحسنها فنزل على أكبرها وأكثرها ماء وقال : والله لا أبْرَحُ حتى أشرب هذا كله مزاجاً لكأس ! وشرب حتى نام . فقال بعض أصحابه لبعض : لئن أقام حتى يَفْنَى الغدير طال علينا مقامنا ، فجعلوا يحملون ماءه بالليل ويَصُبُّونه

(٣٥٣) الأغانى ١ : ٥٢ ، ٣ : ٣٠٧ .

(٣٥٤) الأغانى ١ : ٥٣ .

(٣٥٥) حلبة الكميت ص : ٩٨ .

(٣٥٦) الأغانى ٧ : ٦١ .

(٣٥٧) مروج الذهب ٣ : ٢٢٩ .

فى الرمال . فخرج بعد يومين أو ثلاثة ، فنظر إليه وقد فَنِيَ ماؤه ، فقال : أنا أبو العباس ! وأمر بالرحيل إلى دمشق »(٣٥٨) .

والخبر مولد مخترع من خبر آخر رواه البلاذرى عن المدائنى فقال : « وقف الوليد على غدير فأَمَرَ بِضَرْب فسطاط له عليه ، ثم قال : والله لا أبرحه أو يُشْرَبَ جميع مائه ! فجعل الناس ينَقلون ماءه بالروايا والقرب حتى نفد . فلما نظر إليه قال : أنا أبو العباس ! وأمر الناس بالرحيل بعد ثلاثة » (٣٥٩) .

والفرق بين الخبرين بعيد . فالوليد فى الخبر الثانى القديم الصحيح يود أن ينزل هو وخاصته على غدير ، ولا يفارقه حتى يَنْضُبَ ماؤه . وهو فى الخبر الأول المتأخر المُوَلَّد المخترع قد خرج إلى دير سمعان ، ومكث به أياماً يعاقر الخمر ، وحوله مطربوه ورفاقه ، ثم رأى فى ساحة الدير غديراً كبيراً ، فأقسم أن الا يُزايِلهُ ويُغَادِرَه إلا إذا خلط ماء بالخمر ، وجرعه كله ! وإنما أفلح أصحابه فى استخراج ماء الغدير حتى جَفَّ ، لأنه سَهَا عنهم ، إذ شرب فنام !

وإذا كان أكثر تلك الأخبار رجاء مضطرباً محوراً فى أصوله المتقدمة ، وأقلها جاء سليماً لا يمت بصلةٍ إلى المجون ، ثم أفسده المؤرخون المتأخرون ، للتشهير بالوليد ، والتدليل على غُلُوّه وتطرفه فى شربه ، ومخالفته للناس فى طبعه وطاقته ، فثمّة أخبار أخرى وردت سقيمة فى مصادرها الأولى ، تذم الوليد ، وتعيب خلقه ، وتبرهن على خلاعته واستخفافه ، ثم تَوالى عليها المؤرخون والأدباءفزادوها سُقماً على سقم . منها هذا الخبر الذى رواه أبو الفرج فقال : « أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال : حدثنى الزبير بن بكار قال : حدثنى عمى مصعب قال : حدثنى رجل قال : كان الوليد بن يزيد إذا أصبح يوم الاثنين تَغَدَّى وشرب رطلين ثم جلس للناس . قال : فحدثنى عمر الوادى قال : دخلت عليه وعنده أصحابه وقد تغدّى وهو يشرب ، فقال لى : اشرب فشربت ، وطرب وغَنَّى صوتاً واحداً ، وأخذ دَفَافَةً فَدَفَّفَ بها ، فأخذ كل واحد منا دفافة فَدَفَّف بها ، وقام وقمنا حتى بلغنا إلى الحاجب ، فلما رآنا الحاجب صاح بالناس : الحُرَمَ الحُرَم ! اخرجوا . ودخل الحاجب فقال : جعلنى الله فداءك ، اليوم يحضر فيه الناس ، فقال له : اجلس واشرب ، فقال : إنما أنا حاجب فلا تحملنى على الشراب فما شربته قط . قال : اجلس فاشرب ، فامْتَنَعَ ، فما فارقناه حتى صببنا فى حلقه بالقمع وقام وهو سكران »(٣٦٠) .

وما فى الخبر من زراية بالوليد تدعو إلى الاحتراس منه ، وسلسلة رواته تدفع إلى الشك فيه ، فإن

---

(٣٥٨) مسالك الأبصار ١ : ٣٥٢ .

(٣٥٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٣ ، والأغانى ٧ : ٤٧ .

(٣٦٠) الأغانى ٧ : ٦٠ .

شيخ أبى الفرج أخذه عن الزبير بن بكار ، وسمعه الزبير عن عمه مصعب ، وهما من العلماء الذين يحترس مما يروون من أخبار الوليد ، ولا يُرْتَضَى إلا إذا وَثَّقته روايات العلماء والأثبات المحايدين . ومما يُقَوِّى الحذر من الخبر أنَّ راوِيه الأول الذى نقله مصعب عنه مجهول غير معلوم ، كما أن رِوايَتَهُ لم تتواتر ، إذ لم يحمله أحدٌ من الإخباريين أو المؤرخين إلا المسعودى (٣٦١) ، فإنه أورده موجزاً مختلطاً بخبر آخر .

ومع ما فى الخبر من تهويل وسخرية وغمز لا توافق ما ترجحه الروايات الصحيحة من هدوء الوليد وقلة خروجه عن طوره فى شربه فإن ابن فضل الله العمرى لم يقبل به ، بل أعاد بناءه وتشكيله ، فألَّفه تأليفًا غاية فى الاضطراب والسوء ، إذ يقول : « حكى أن الوليد بن يزيد كان كثير المقام فى دير صليبا بدمشق ، كان يخرج إليه ومعه حُرَمُه استحساناً له ، وأنه كان يجلس فى أيام مقامه فى صَحْنِهِ كل يوم ساعة من النهار ، ثم يأكل ويشرب فى مواضع منه طيبة حسنة . وحَكَى الخالدى عن أحد من كان ينادمه أنه دعا يوما بطعامه ، ودعانى بالغداء معه ، وحضر نُدَماؤُه ، وكان فيهم حنين المغنى . فنحن على المائدة إذ قال له : يا حنين ، غَنَّيْتَنِى البارحة فى آخر المجلس ، وقد أخذ الشراب منى ، بشعر صاحبكم عيسى بن زيد ، فلم أستكمل الطرب لأجل سكرى ، فأعِدْهُ علىَّ الساعة . فأخذ حنين رقاعه وَوَقَّع عليها وغنى . . فطرب طرباً عظيماً ، وأخذ رقاعه وقام وترك الغداء ، وجعل ينقر عليها مع حنين ، وأخذ كل من على المائدة رقاعه وجعلوا ينقرون عليها مثله ، ومضى يطلب باب الدهليز وحنين والندماء حوله ، والحاجب قد جلس ينتظر جلوسه ، وقد حضر وجوه العرب . فلما رآه الحاجب على تلك الحال صاح بالناس : الحُرَم الحُرَم ! انصرفوا ، فخرجوا ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، وفود العرب تنتظر جلوسك ، وأنت تخرج إليهم على تلك الحال ! فقال : ثكلتك أمك ! ادخل ، ودعا له برطل فَحلَفَ أنه ماذاقه قط فقال : والله لَتَشْرَبَنَّ معى حتى أسكر ، ولم يزل يسقيه حتى مات سُكْراً ، وانصرف محمولاً » (٣٦٢) .

والبَوْنُ شاسعٌ بين الخبرين . فقد حَرَّف ابن فضل الله العمرى الخبر تحريفاً شديداً ، وملأه بالأخطاء والمبالغات ، فهو يذكر أن الوليد لم يكن يشرب بقصره ، بل بدير صليبا ، وأنَّ وفود العرب كانت تقصده به ! ويقول إن المغنى الذى غنى الوليد لم يكن عمر الوادى ، بل حنين الحيرى ، الذى لم يستقدمه الوليد إلى دمشق فيمن استقدم من المغنين ! ويَتَوَهَّمُ أنه غناه بشعر عيسى بن زيد ، يريد عدى بن زيد ! ويَدَّعى أنه لم يُسْكِرْ حاجبه ، بل قَتَلَهُ سُكْراً ! .

---

(٣٦١) مروج الذهب ٣ : ٢٢٩ .

(٣٦٢) مسالك الأبصار ١ : ٣٤٩ .

ومنها خبر ثانٍ أثبته البلاذرى مُسْنَداً إلى الهيثم بن عدى الطائى الكوفى الوضاع ، فقال : قال الوليد يوماً لشراعة : أسألك عن الأشربة ؟ فقال : سل يا أمير المؤمنين . قال : ما تقول فى الماء ؟ قال : الحياة . ويشركنى فيه البقر والحمير والكلاب . قال : فاللبن ؟ قال : ما رأيته قط إلّا ذكرت ثَدْىَ أمى . قال : فنبيذ التمر ؟ قال : نبيذ الباعة والمجان ومن لا أخلاق له . قال : فنبيذ السكر ؟ قال : الخمر المُنْتِنَة . قال : فنبيذ الزبيب والعَسَل ؟ قال : مَرْعى ولا كالسَّعْدان قال : فالخمر ؟ قال : صديقة روحى ، وحياة نفسى . قال : فعلى أى الوجوه تحب أن تشربها ؟ قال : على وجه السماء »[٣٦٣] .

فالخبر حافلٌ بالهزء المقذع بالوليد . والتحقير اللاذع له . ومع ما فيه من التشنيع عليه ، فإن المؤرخين والأدباء اللاحقين لم يقنعوا به ، بل وَسَّعوه وحَوَّروه ، ودَسُّوا فيه فقراتٍ فاحشة زيادةً فى النيل منه ! فقد رواه ابن عبد ربه[٣٦٤] عن على بن عياش ، ولعله عبد الله بن عياش الهمدانى الكوفى[٣٦٥] ربيب أبى جعفر المنصور ، وشيخ الهيثم بن عدى ، وهو أحد رواة الخبر . ونسخة أبو الفرج[٣٦٦] من كتاب الحسين بن فهم المتوفى سنة تسع وثمانين ومائتين[٣٦٧] ، وكان أول رواته فى سلسلة السند التى نقلها أبو الفرج من الكتاب هو عمرو بن واقد الدمشقى ، وهو ليس بشىء ، وروايته للحديث والأخبار ضعيفة منكرة متروكة لأنه كان يكذب ، وكذبه مروان بن محمد[٣٦٨] وأورده المسعودى[٣٦٩] ، والنويرى[٣٧٠] والنواجى[٣٧١] دون إسناد ، فقالوا جميعا مع اختلاف يسير فى ألفاظهم : « بعث الوليد بن يزيد إلى شراعة بن الزندبود ، فلما قدم عليه قال : **يا شراعة إنى لم أستحضرك لأسألك عن العلم ، ولا لأَسْتَفْتِيكَ فى الفقه ، ولا لتُحَدِّثنى ، ولا لِتُقرِئنى القرآن ! قال : لو سألتنى عن هذا لوجدتنى فيه حماراً !** قال : فكيف علمك بالفُتُوَّة ؟ قال : أنا ابن بجدتها ، وعلى الخبير بها سقطت ، فَسَلْ عما شئت . قال : فكيف علمك بالأشربة ؟ قال : ليسألنى أمير المؤمنين عما

---

(٣٦٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣٢٠ .

(٣٦٤) العقد الفريد ٤ : ٤٥٧ ، ٦ : ٣٣٦ .

(٣٦٥) تاريخ بغداد ١٠ : ١٤ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٤٧٠ .

(٣٦٦) الأغانى ٧ : ٤٨ .

(٣٦٧) تاريخ بغداد ٨ : ٩٢ ، ولسان الميزان ٢ : ٣٠٨ ، وميزان الاعتدال ١ : ٥٤٦ .

(٣٦٨) ميزان الاعتدال ٣ : ٢٩١ .

(٣٦٩) مروج الذهب ٣ : ٢٢٦ .

(٣٧٠) نهاية الأدب ٤ : ٩٣ .

(٣٧١) حلبة الكميت ص : ٢٣ .

أحب . قال : ما قولك فى الماء؟ قال : هو الحياة ، ويشركنى فيه الحمار . قال : فاللبن؟ قال : ما رأيته قط إلّا ذكرت أمى فاستحييت . قال : فالخمر؟ قال : تلك السادة البارة ، وشراب أهل الجنة . قال : لله درك ! فأى شىء أحسن ما يشرب عليه ؟ قال : عجبت لمن قدر أن يشرب على وجه السماء ، فى كِنٍّ من الحَرِّ والقُرِّ ، كيف يختار عليها شيئاً ؟»(٣٧٢) .

والإضافة فى مطلع الخبر واضحةٌ ، والغرض منها اللجاجة فى رمى الوليد بالانحلال والمجون والاستهانة بالعلم والدين ! وهى من صنع الرواة الذين استقى منهم المؤرخون والأدباء المتأخرون .

ولا ينحصر العبث بأخبار معاقرة الوليد للخمر فى تحريفها أو تضخيمها أو التوليد منها ، أو الاختراع على شاكلتها ، بل يتعداها إلى نَحْلِهِ أخبارَ غيره من الخلفاء والشعراء ، مما ألصقه به الرواة من موالى العباسيين ، ومن اليمنيين أيضاً تهويلاً لبطالته وخلاعته ، وإلحاحاً على اتهامه بالانهماك فى الضلالة ، والانتهاك لحدود الإسلام .

ومن الأخبار التى نسبت إليه ، وهى ليست له هذا الخبر الذى ساقه أبو الفرج فقال : «أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثنا عبد الله بن عمرو قال : قال الهيثم بن عدى : حدثنى ابن عياش قال : دخل أبو الأقرع (عبد الله بن الحجاج) على الوليد بن يزيد فقال له : أنشدنى قولك فى الخمر ، فأنشده قوله :

كميتٌ إذا شُجَّتْ وفى الكأس وَرْدَةٌ ... لها فى عظام الشَّاربين دَبِيبُ
تُرِيكَ القَذَى من دُونِها وهىَ دُونَهُ ... لِوَجْهِ أخيها فى الإناء قُطوبُ

فقال الوليد : شربتها يا أيها الأقرع وربِّ الكعبة ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لئن كان نَعْتى لها رَابَكَ لقد رَابَنى مَعْرِفَتُكَ بها »(٣٧٣) .

وروى الشريف المرتضى الخبر بنصه عن أبىالفرج لأن أحداً غيره لم يحمله ، ولكنه غيَّر اسم الشاعر ، إذ جعله عدى بن الرقاع العاملى(٣٧٤) .

والصحيح أن الخليفة الذى سأل أحد الشاعرين عن وصفه للخمر هو الوليد بن عبد الملك . لأنهما كانا يعاصرانه ، ولم يُدْرِكَا أيام الوليد بن يزيد فيما يُؤكد ما رواه أبو الفرج وغيره من أخبارهما . أما عبد الله بن الحجاج ، فوفد على الوليد بن عبد الملك مراراً ، وله معه أخبار كثيرة(٣٧٥) وأما عدى

---

(٣٧٢) هذه رواية أبى الفرج للخبر.
(٣٧٣) الأغانى ٧ : ٥٤ .
(٣٧٤) أمالى الشريف المرتضى ١ : ٢٧٧ .
(٣٧٥) الأغانى ١٣ : ١٦٤ ، ١٧٣ .

ابن الرقاع العاملي[٣٧٦]. فكان مقدماً عند بني أمية مَدَّاحاً لهم، خاصاً بالوليد بن عبدالملك»[٣٧٧].

ومنها خبرٌ آخر أخذه البلاذري عن الهيثم بن عدي، فقال: «كان مما سمع الوليد بن يزيد بالكوفة أو ممَّن أشخص إليه من أهل الكوفة فأعجبه غناء قينتين لعبد الله بن هلال الهجري، المعروف بصديق إبليس . . . فقال:

يا أهل بابل ما نَفِسْتُ عليكمُ ... من عَيْشِكُمْ إلَّا ثلاثَ خلال

خَمْرَ العراقِ وليلَ قيظٍ باردٍ ... وسماعَ مُسْمِعَتَيْن لابنِ هِلالِ»[٣٧٨]

والصواب أن الخبر والشعر لعمر بن أبي ربيعة، يدل على ذلك أن أبا الفرج رواها له، فهو يقول: «قدم عمر بن أبي ربيعة الكوفة، فنزل على عبد الله بن هلال الذي يقال له صاحب إبليس. وكان له قينتان حاذقتان، وكان عمر يأتيهما فيسمع منهما، فقال في ذلك:

يا أهلَ بابلَ ما نَفِسْتُ عليكمُ ... من عيشكمْ إلَّا ثلاثَ خِلالِ

ماءَ الفراتِ وطيبَ ليلٍ باردٍ ... وغناءَ مُسْمِعَتينِ لابنِ هلالِ»[٣٧٩]

ويؤكده أن الشعر صحيح النسبة إلى عمر، فهو من شعره المُوَثَّق الذي يتضمنه ديوانه[٣٨٠].

فالأخبار التي تَصِفُ عكوف الوليد على الخمر ضربان: ضربٌ سليمٌ جاء من طريق الرواة والمؤرخين الصادقين المعتدلين الذين لم يكن في نفوسهم إحنٌ أو ضغائن، ولم يكن لهم هوًى أو غاية. وهو على قِلَّته ونُدْرَته يمكن الاعتماد عليه في رسم إقبال الوليد على الخمر، وأهم ما يستنتج منه أن الوليد أسرف في شرب الخمر، ولكنه لم يكن متعهراً متهتكا، بل كان سوياً عاديًا متماسكاً رزيناً، متحفظاً في شربه، مُخْفِياً لِلَهْوِه.

وضَرْبٌ مُهَوَّلٌ أو مفتعلٌ أو مَنْحولٌ، جاء من طريق الإخباريين والعلماء المنحازين المتحاملين، الذين طويت نفوس بعضهم على حقد وسخط على الأمويين، وكان بعضهم من أنصار العباسيين. وهو يُشَكِّلُ أكثر ما وصل من أخبار كلفه بالخمر، ويُظْهِرُه في صورة خرافية مزرية، تنأى به عن قُدْرَة الإنسان واستطاعته، وتصمه بالفجور والتهاون، وتقطع بإلحاده ومروقه من الدين.

ويمكن أن يُوَزَّع شعره في الخمر والمجون على ثلاثة أقسام: أما القسم الأول فصحيحٌ لا خلافَ

---

(٣٧٦) ترجمته في طبقات فحول الشعراء ص: ٣٢٤، ٤٣٥، والشعر والشعراء ص: ٦١٨، والأغاني ١: ٢٩٨، ٩: ٣٠٧، ومعجم الشعراء ص ٨٦، وخزانة الأدب ١: ٩٨.

(٣٧٧) الأغاني ٩: ٣٠٧.

(٣٧٨) أنساب الأشراف، مصورة الجامعة الأردنية، المجلد الثاني ص: ٣٢١، ٣٢٤.

(٣٧٩) الأغاني ١: ١٥٣.

(٣٨٠) ديوان عمر بن أبي ربيعة ص: ٣٧٦.

عَلَيْهِ . وشخصيته فيه تنسجم أشدَّ الانسجام مع شخصيته المستخلصة من أخباره الموثقة .

وهو يَرُدُّ فى بعضه على أعدائه ، ويحاربهم بخبث ودهاء ، إذ يمكر بهم كما مكروا به ، ويكيد لهم كما كادوا له ، ويُشَنِّع عليهم كما شنعوا عليه . ومن أشهر ماله فى ذلك البيتان اللذان هتف فيهما بأبى شاكر مسلمة بن هشام بن عبد الملك ، تحدياً لهشام الذى عابه بمعاقرة الخمر ، وشكَّك فى إسلامه ، ليصرف الناس عنه ، ويحملهم على المطالبة بتنحيته عن ولاية العهد ، إذ صَرَّح فيهما بأنه على مذهب أبى شاكر وملته ، وأنه يتعاطى الخمر على طريقته وسُنَّته ، فآذى هشاماً ، ووَضَعَ من قدر ابنه الذى كان يُقَدِّمُهُ للخلافة ، وشغل الناس به ، ودفعهم إلى التَّهَكُّم منه ، فجرَّحُوه بنوادرهم ، واحْتَجُّوا على ترشيحه للخلافة(٣٨١) . .

وله قطعة ثانية هاجم فيها هشاماً من جهة زوجه أم حكيم (٣٨٢) ، وكان ابنها يزيد بن هشام يقدح فى الوليد ، ويُعَرِّضُ به ، ويُحَرِّضُ عليه(٣٨٣) ، فَشَهَّرَ الوليد بهشام وزوجه وولده ، إذ أعلن أنه يحتسى الخمر كما تحتسيها أم حكيم ، وأنه يتمنى أن يشرب بكأسها الكبيرة ، وزهد معاشرتهم ، لسوء خلقهم ، وكثرة عذلهم فى حبه لسلمى بنت سعيد بن خالد ، يقول(٣٨٤) :

عَلِّلانِى بِعَاتِقَاتِ الكُرُومِ ... واسْقِيانى بِكَأْسِ أُمِّ حكيمِ
إنَّها تَشْرَبُ المُدامةَ صِرْفاً ... فِى إناءٍ مِن الزُّجاجِ عظيمِ
جَنِّبُونى أذاةَ كُلِّ لَئيمٍ ... إنهُ ما علمتُ شَرُّ نديمِ
ثم إنْ كانَ فى النَّدامَى كريمٌ ... فأَذِيقُوهُ مَنَّ بَعْضِ النَّعيمِ
ليتَ حظِّى من النساءِ سُلَيْمى ... إنَّ سَلْمَاىَ جَنَّتى ونَعِيمى
فَدَعونى مِنَ المَلامَةِ فيها ... إنَّ مَنْ لامَنى لَغَيْرُ حليمِ

ونظم قطعة أخرى فى الوزن نفسه ، وعقدها . بالقافية ذاتها ، كرر فيها بعض المعانى السابقة ، ولكنه طَوَّرها وأخرجها إخراجاً فنيًّا راقياً غنيًّا بالإيحاءات الساخرة التى تثير الضحك من أم حكيم وكأسها وابنها ، فقد وصف أم حكيم بأنها عجوز شمطاء خرقاء ، تدمن الخمر ، وتَجَرَّعُهَا صافيةً غير ممزوجة بالماء ، فلا تُـؤَثِّر فيها ، ولو شرب الجمل أو الفيل مقدار ما تشرب من الخمر لَدَوَّخَهُمَا وَصَرعهما . ورمى ولدها بالحُمْقِ والهَوَجِ ، لأن أمه حملته ، ووضعته وهى مخمورة فاقدة للوعى ، فجاء مُعْتَلّ

(٣٨١) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٠ ، والأغانى ٧ : ٤ ، ١٦ : ٢٧٩ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٥ .

(٣٨٢) انظر ترجمتها فى الأغانى ١٦ : ٢٧٤ .

(٣٨٣) الأغانى ١٦ : ٢٧٧ .

(٣٨٤) الأغانى ١٦ : ٢٧٨ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ الورقة : ٢٤ ظ .

النفس ، مُختَلَّ العقل ، يقول(٣٨٥) :

إنَّ كأْسَ العَجُوزِ كأْسٌ رَواءٌ ليسَ كأْسٌ ككأْسِ أمِّ حكيمِ(٣٨٦)
إنَّها تَشرُبُ الرَّساطُونَ صِرْفاً في إناءٍ مِن الزُّجاجِ عَظِيمِ(٣٨٧)
لَوْ بهِ يَشرَبُ البَعيرُ أو الفِيـ ـلُ لَظَلاًّ في سَكْرةٍ وغُمومِ
وَلَدتْهُ سَكْرَى فلم تُحْسِنِ الطَّلْـ ـقَ فوافى لذاكَ غَيْرَ حَليمِ

ويدخل فى شعر الخمر والمجون الكيدى مقطوعات أخرى أنشأها الوليد عقب مبايعته بالخلافة مُعاندةً ومُغايظةً لأهله الذين ظلوا يعاتبونه وينهونه عن اللهو وشرب الخمر . ومنها هذه الأبيات التى أنشدها أشرافَ بنى أمية ووجوههم الذين وفدوا عليه من المدينة ولاموه ونصحوه ، فهو يعلن فيها أنه مَفْتُونٌ بالغناء والحسان الساحرات والخمر والندماء المؤدبين ، والأصدقاء المرحين ، والسقاة الحاذقين ، وأنه لن يُقْلِعَ عما فُتِنَ به مهما راجعه أهلُهُ وعذلوه ، يقول(٣٨٨) :

أُشْهِدُ اللهَ والملائكةَ الأبْـ ـرارَ والعابِدينَ أهلَ الصَّلاحِ
أنَّني أشْتَهِي السَّماعَ وشُرْبَ الـ ـرَّاحِ والعَضَّ للخُدُودِ المِلاحِ
والنَّدِيمَ الكريمَ والخَادِمَ الْـ ـفَارِهَ يَسْعَى عَلَيَّ بالأقْدَاحِ
يَفْهَمُ الوَحْيَ والإشارةَ بالْـ ـكَفِّ ويَصْبُو إلى هُبوبِ الرِّياحِ
وظَرِيفَ الحديثِ وَالْكاعِبَ الطِّفْـ ـلَةَ تَختالُ في سُموطِ الوِشاحِ(٣٨٩)

ومنها هذه الأبيات التى تَخَطَّى فيها الاعتراف لـلائميه بمعاقرة الخمر وأنه لن يتركها إلى السخرية منهم والاستهزاء بتقواهم ، والتَّسْفِيهِ لأحلامهم ، والتَّهكُّم مِن امتناعهم عن شرب الخمر انتظاراً لما يوعدون به من أنهار الخَمرِ المُحَلَّلة فى الجنة ، وأمعن فِي استفزازهِم ، إذ جعل يُصَرِّحُ أنه سيأخذ الناس بالرِّفْق واللِّين حتى يُقْنِعَهم بِمذهَبه ويحملهم على الإيمان به ، وَبثَّ فى تضاعيف ذلك شكاً فى البعث والنشور ، يقول(٣٩٠) :

---

(٣٨٥) الأغانى ١٦ : ٢٧٩

(٣٨٦) الرواء : الكثير المروى .

(٣٨٧) الرَّساطون : قال الأزهرى : «أهل الشام يسمون الخمر الرساطون ، وسائر العرب لا يعرفونه . قال : وأراها رومية دخلت فى كلام من جاورهم من أهل الشام ، ومنهم من يقلب السين شينا ، فيقول رشاطون» . (لسان العرب : رسط) .

(٣٨٨) الأغانى ٧ : ٢٢ ، وتاريخ الموصل ص : ١٢٥ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٥١ ، وحلبة الكميت ص : ٩٨ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ٢٥ ظ .

(٣٨٩) الكاعب : التى نَهَد ثَدْيُها . والطفلة : الناعمة .

(٣٩٠) كتاب الأشربة ص : ٤٢ ، والأغانى ٧ : ٤٦ ، وأمالى الشريف المرتضى ١ : ١٢٩ ، ورسالة الغفران ص : ٤٤٤ ، والحور العين ص : ١٩٠ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ٢٢ ظ .

أدِرِ الكأْسَ يَميناً لا تُدِرْهَا لِيَسَار
اِسْقِ هذا ثُمَّ هذا صاحِبَ العُودِ النُّضَار (٣٩١)
مِنْ كُمَيْتٍ عَتَّقُوها مُنْذُ دَهْرٍ فى جرارِ
خَتَمُوها بالأفاوِيهِ وكافورٍ وقار
فلقد أيْقَنْتُ أنِّى غَيرُ مَبْعُوثٍ لنارِ
سأرُوضُ النَّاسَ حتى يَرْكَبُوا دِينَ الحمارِ
وذَرُوا مَنْ يَطْلُبُ الجَنَّةَ يَسْعَى لِتَبارِ

وقدَ جزَم الشريف المرتضى بأنَّ الأبيات دليلٌ ساطِعٌ لا يُدْفَعُ على إنكار الوليد ليوم الحساب وشريعة الإسلام (٣٩٢) ، وجاراه فِى ذلك إيليا حاوى ، وأكَّدهُ بِبَقِيَّة ما أضيف إلى الوليد مِن شعر خمرى بِمنحول أو مُفْتَعَل فيه إلحادٌ شديدٌ وكُفْرٌ بَيِّنٌ (٣٩٣) . والغالبُ أنَّ الوليد لمْ يُرِدْ بالأبيات الإلحادَ والكفرَ وإنما أراد بها التعابث والتماجن (٣٩٤) ، واستثارة النَّاصحين العاتبين ، وصدم الأعداء المُكَاشِحين ، مما استظهره العلماء القدماء المحايدون ، ونصوا عليه نصاً صريحاً ، إذ يقول ابن قتيبة مُعَقِّباً على الأبيات وقد استشهد بها : « وربما كفروا بالله مُجوناً . وكذبوا الرسل ، وجحدوا بالنشور والبعث فى حال السكر» (٣٩٥) .

وأغلب ما للوليد من شعر الخمر والمجون الصحيح فى وصف غرامه بالخمر وغاياته من إدمانها ، وأوقات شربه لها ، وألوانها وأنواعها ومجالسها وسقاتها ونشوته بها . ومنه قوله الذى يصرح فيه بإقباله على الخمر فى الصباح الباكر ، وأنه كان يتعاطى خمراً صفراء مصنوعة ببيروت حادة ، تفعل الأعاجيب فى أجسام رفاقه إذا شربوها ، إذ يُصَابُون بالخمول ويَفْقِدون النشاط ، فلا يستطيعون الحركة إلَّا بجُهْدٍ وبُطْءٍ (٣٩٦) :

قُمْ فاسْقِنى قَبلَ أصوات العصافير إنِّى أرَى الصُّبْحَ قد نادَى بِتَبْشير
صفراء من خمرِ بيروتٍ مُعَتَّقةً تَرْمى النَّدامَى بِتَخْثير وتَفْتِير (٣٩٧)

(٣٩١) النضار : الخالص من كل شىء .
(٣٩٢) أمالى الشريف المرتضى ١ : ١٣٠ ، ١٣١ .
(٣٩٣) فن الشعر الخمرى وتطوره عند العرب ص : ١٢٤ .
(٣٩٤) التطور والتجديد فى الشعر الأموى ص : ٣٠٥ .
(٣٩٥) كتاب الأشربة ص : ٤٢ .
(٣٩٦) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨١ ظ .
(٣٩٧) التخير كالتفتير ، يقال خثرت الخمر مفاصله إذا فَتَّرتها وَجَمَّدتها .

عن اليمين أَدِرْهَا حينَ نَشْرُبُها كشاهدٍ عندَ قاضٍ قامَ بالزُّور

وقوله يصور الخمر التي كان يدمنها ولونها وفقاقيعها ، فقد كان يحتسى أجود أنواع الخمر وأغلاها مما جلب من عسقلان بفلسطين ، وهى خمر راقية كان يستكثر من شربها ولا يقتصد فيه (٣٩٨) :

وصفراءَ فى الكأْسِ كالزَّعفرانْ سَبَاهَا التُّجيبىُّ من عسقلانْ
تُرِيكَ القَذاةَ وعَرْضُ الإناء سِتْرٌ لها دوَن لَمْس البَنانْ
لها حَـبَبٌ كـلّما صُـفِّـقَتْ تَـراها كَلَمْعَـةِ بَـرْقٍ يَمَانْ

وأكثر المعانى والصور التى طرقها أو رسمها فى القطعتين مستمد من معانى الجاهليين وصورهم البدوية . فهو يحاكيهم فى حديثه عن وقت شُرْبِه للخمر ، أو عن أثر الخمر فى شاربيها وأفاعيلها فى أجسامهم ، ويُقَلِّدهم فى تشبيه لون الخمر الأصفر بالزعفران ، وفى تشبيه الفقاقيع المتوهجة التى كانت تطفو على سطح الإناء وقد ملئ خمراً بلمع البرق ، ويكاد يعبر عن هذه المعانى والصور بألفاظهم وأساليبهم (٣٩٩) ، دون أن يعمد إلى اللغة المتناولة الدارجة والتراكيب الدائرة المستعملة . ولا يزيد عليهم إلّا فى أشياء يسيرة بعضها كالتوضيح لمعانى القدماء وصورهم والتعميق لها ، كوصفه لصفاء لون الخمر ، فقد ذكر الجاهليون أن الخمر لشدة صفائها لا تحجب ما فيها وأن قعر الإناء يُرَى منها (٤٠٠) . ولكنه تأنق فى عرض المعنى والصورة تأنقاً هداه إليه ذوقه المترف وخياله المرهف ، إذ أشار إلى أن لون الخمر صفا صفاءً شديداً ، ورقَّ رِقَّةً بالغة بحيث يظن الناظر إلى الخمر أنها مُعَلَّقة فى الفضاء . ولا يدرك أنها محفوظة فى إناءٍ إلّا إذا اقترب منه ، ومَسَّه بأصابعه .

ويَفْتَرِق عنهم فى رسمه لبعض الصور الجديدة التى استوحاها من مظاهر الحياة الإسلامية ، كتشبيهه للساقى الذى كان يدور عليه وعلى رفاقه بكؤوس الخمر متيامناً مضطرباً أو مدهوشاً ، بشاهد الزور الذى وقف أمام القاضى .

ويظهر أن القطعتين السابقتين من شعر الوليد الذى نَظَمَهُ متأثراً بشعر الجاهليين الخمرى ، وخاصة شعر عدى بن زيد العبادى الذى رواه له وأطلعه عليه القاسم بن الطويل العبادى ، وحماد الراوية وهما لا تشكلان خمرية طويلة متكاملة ، بل رقعة صغيرة موجزة بسيطة أَلَمَّ فى كل منهما ببعض المعانى والصور القديمة أو المحورة المُوَسَّعة .

فلما اتَّصل بشعراء الكوفة الخلعاء الظرفاء ، وخالطهم مخالطة قوية ، وسمع شعرهم الخمرى الذى

(٣٩٨) العقد الفريد ٤ : ٤٥٩ ، والأغانى ٩ : ٢٧٥ .
(٣٩٩) تطور الخمريات فى الشعر العربى ص ٤٤ . ٥٨ .
(٤٠٠) تطور الخمريات فى الشعر العربى ص : ٤٢ ، ٤٣ .

جَدَّدوا فيه تجديداً متنوعاً ، إذ طَوَّروا لغته وأساليبه وصوره تطويراً بعيداً(٤٠١) ، تَفَوَّقوا به على أبى الهندِيِ التميمى أشهر شعراء الخمر من مخضرمى الدولتين ، رَقِيَتْ خَمْرِيَّتُهُ ألواناً من الرقى ، فقد طَوَّلها ، وأسهب فى تصوير مسرته بالخمر ، وإن ظل ينظم فيها البيتين أو الثلاثة ، وابتدع بعض المعانى والصور الطريفة الدقيقة ، وصَبَّها فى لغة سهلة سهولةً متناهية ، وسكبها فى أقصر الأوزان وأرشقها ، وجَزَّأ الأوزان القصيرة نفسها طلباً للخفة والسرعة ، وساعده على الرقى بها نُضْجُ موهبته ، واستقرارُ مَذْهَبِهِ ، وفراغُ حياته ، ورهَافَة حِسِّه وخياله ، ومعرفتهُ بالموسيقى ، ونَظْمُهُ لخمريته حتى يُلَحِّنَها المغنون ويُغَنُّوه فيها ، وتَلْحِينُهُ أحياناً لها ، وتَرَنُّمه بها . فغدت خَمْرِيَّتُهُ نغماً ينساب فى يسر ونعُومةٍ ، ويتدفق حيويةً وحركةً ، واستحالت صورةً من صور معيشته الزاخرة بالنعمة الخالصة ، ومظهراً من مظاهر حياته التى كانت تضجُّ بالأجواء الموسيقية الراقصة .

ومن بقايا خمرياته السهلة المشرقة ، التى أفصح فيها عن عشقه للخمر ، ورغبته فى إغراق همومه فيها ، وتجْديد أنسه بها ، وصاغها فى أسلوب رقيق ، ولحن رشيق قوله(٤٠٢) :

إسْقِنَا يا زَيْـدُ بِالقَرْقَارَهْ ... قَـدْ طَرِبْنَا وحَنَّتِ الزَّمَّارَهْ(٤٠٣)
إسْقِـنى إسْقِـنى فإنَّ ذُنُـوبى ... قـد أَحاطتْ فما لها كَفَّارهْ

وقوله(٤٠٤) :

إسْقِـنى يا زَيْـدُ صِرْفاً ... إسْقِـنى بالطَّـرْجَـهـارَهْ
إسْقِـنيها مُـزَّةً تَـأْ ... خُـذُنى منها اسْتِـدَارَهْ
إسْقنيها كى تُسَـلِّى ... ما بِقَـلْبى مِنْ حَـرارَهْ

ومن أطرف خمرياته التى طالت بعض الطول ، وحفلت بتجديداته الموضوعية واللغوية والتصويرية والموسيقية قوله(٤٠٥) :

عَـلِّلانى واسْـقِـيانى ... مـن شرابٍ أصبهـانى
من شرابِ الشيخِ كِسْرى ... أو شرابِ الـقَيْـروانِ
إنَّ فى الكأْسِ لمسكاً ... أو بِكَفَّىْ مَنْ سَقَانى

---

(٤٠١) الشعراء من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ص : ٣١٨ .

(٤٠٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢١ ، وشذرات الذهب ١ : ١٦٨ .

(٤٠٣) القرقارة : كوب من زجاج طويل العنق . الزمارة : القصبة التى يزمر بها .

(٤٠٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢١ .

(٤٠٥) الأغانى ٩ : ١٣١ ، والعقد الفريد ٤ : ٥٤٨ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢١ .

أو لَقَدْ غُودِرَ فيها حينَ صُبَّتْ فِى الدِّنانِ
كِـــلَّلانى تَوِّجــانِى وبِشِــعْــرِى غَـنِّـيـانِى
أَطْــلِــقَــانى بوثـــاقٍ واشْـــدُدانى بِــعــنـــانى
إنَّما الــكــأْسِ رَبِــيعٌ يُــتَــعــاطَى بِالــبَــنانِ
وحُمَياَّ الكأْسِ دَبَّتْ بَـيْـنَ رجْلى ولِسانى

فهو مفهوم بالخمر الفارسية أو التونسية فهماً شديداً كان يَتَوَخَّى به التَّسَلِّى والتَّلَهِّى . وهو يرى أن إقباله على الخمر ، بل فناؤه فيها هو الذى يبعث فى نفسه المسرة والفرحة ، ويُغْرِيه بحب الحياة ، والاستمتاع بملذاتها ، ويَقَوِّى إحساسه بالانطلاق والحرية .

وهو يبنى معانيه السهلة فى تراكيب سلسلة عادية خالية من رواسب اللغة النابية أو المهجورة ، وأساليبها الضخمة الوعرة ، ويَسْتَقِلُّ بخياله عن خيال القدماء المرتبط بواقعهم المادى الصحراوى ، ويجنح به ويُحَلِّق ، إذ يتصور أن للخمر تاجاً يرمز إلى النشوة والسعادة يريد من سقاته وندمائه أن يعقدوه على مفرقه ! ويبعد بخياله فيجعل الخمر ربيع الحياة الذى يمسك باليد ويُحْتَسَى فيَسْرى فى عروقه وأوصاله وفؤاده زينةً وبهجةً .

وهو يشدو بخمريته على نغمات مجزوء الرمل ودقاته السريعة المتلاحقة لأنها الأقدر على نَقْلِ عاطفته الملتهبة المتفجرة ، وتَمْثيلِ رعونته وطيشه فى طربه ، وحَمْلِ معانيه المتدفقة التى يسابق بَعْضُها بعضاً .

وخمريته البائية هى أروع ما سَلِمَ من شعره الخمرى الصحيح وأكمله . وهى تنطق بفلسفته فى معاقرة الخمر وعبادتها ، وتزخر بالمعانى الدقيقة الجديدة ، والصور النادرة المبتدعة ، وتترقرق فى أسلوب سهل ناصع ، وموسيقى ناعمة رقيقة . وفيها يقول(٤٠٦) :

إصْدَعْ نَجِىَّ الهُمومِ بِالطَّرَبِ وانْعَمْ على الدَّهر بابْنَة العِنَب
واسْتَقْبِلِ العيش فى غَضارَتِهِ لا تقفُ منهُ آثارَ مُعْتقبِ
من قَهْوَةٍ زانها تَقَادمُها فهى عَجُوزٌ تَعْلُو على الحِقَبِ
أَشْهَى إلى الشَّرْبِ يومَ جَلْوتها مِن الفتاة الكريمة النَّسَبِ
فقد تَجَلَّت وَرَقَّ جَوْهَرُها حتى تَبَدَّتْ فى منظرٍ عجبِ
فهىَ بِغَيْر المِزَاج مِن شَرَرٍ وهى لدى المَزْجِ سائلُ الذهبِ
كأنَّها فى زجاجِها قَبَسٌ تَذْكُو ضِياءً فى عَيْنِ مُرْتَقبِ
فى فتيةٍ من بنى أمية أهْـ ـلِ المجدِ والمأْثُراتِ وَالحَسبِ

(٤٠٦) الأغانى ٧ : ١٩ .

ما في الـوَرَى مثلُهم ولا فيهمُ مِثلى ولا مُنْتَمِ لمثـل أبى

فالخمر هى التى أنقذته من الماضى المظلم ، وهى التى وصلته بالحاضر الباسم ، بل هى السحر الذى جعله يستأنف حياته ، وينعم بها ، وهى التى حلت عُقْدته ، وأنهت عُزْلَته ، فاندمج فى أمراء قومه العظماء ، وأحس ذاته بينهم ، وفَضْلَه فيهم ، وتَفَوُّقَه عليهم .

وهو يختار لخمريته أصفى الألفاظ وأعذبها ، ويركبها فى جُملٍ مشرقة مألوفة تعبر عن معانيه وتُؤَدِّيها أداءً واضحاً مكشوفاً ، لا غموض فيه ولا التواء ، وتقوم بصوره وترسمها رسما دقيقاً بارعاً ، لا تعقيد فيه ولا خفاء .

والخمرية غنية بالصور الرائعة ، التى لم يسبقه إليها أحد من الشعراء الجاهليين المتحضرين أو الإسلاميين . فالخمر وليدة العنب ، بل ابنَتُه . وهى فى قِدَمها وكثرة ما تراخى عليها من الأعوام أثناء خزنها وتَعْتِيقها عجوزٌ طاعنة فى السن . تُعايِشُ الزمن ، وتمتدُّ معه وتتجاوزه . وهى حين تسكب فى الأقداح فتتكسر وتتوهج عروسٌ شريفة حسناء ذاتُ دلالٍ تروع المتأمل وتُغْويه بها لفرط جمالها يومَ جلوتها . وهى لرقة جوهرها ، وصفائها فى أوانيها تَتَمَثَّل فى شكل خَلَّاب ، ومَنْظرٍ أخّاذ . وهى حين تُصَبُّ فى الأقداح فَتَغْلى وتتطايَرُ ذُراتٌ منها كأنها شررٌ متطايرٌ ، فإذا خُلِطت بالماء وهدأت وسكنت وصفت أشبهت سائل الذَّهب . وهى فى زجاجاتها قَبسٌ يَشِعُّ نوراً يخترق عين الناظر إليها .

وقد صَدَحَ بهذه المعانى والصور التى استلهم بعضها من عالم المرأة على إيقاع وزن المنسرح ، لما فيه من نغمات فيها لُيونةٌ ونعومةٌ وتأنُّثٌ وتَكَسُّر (٤٠٧) !

وكان أبو الفرج معجباً بهذه الخمرية إعجاباً عبّر عنه حيناً بقوله : إنها من أحسن أشعار الوليد فى صفة الخمر ، ومما برز فيه وجَوَّده وتبعه الناس جميعا فيه ، وأخذوه منه (٤٠٨) ، وحيناً بقوله : « هذا من بديع الكلام ونادره . وقد جَوَّد فيه منذ ابتدأ إلى أن ختم . وقد نقلها أبو نواس والحسين بن الضحاك فى أشعارهما » (٤٠٩) .

ذلك هو معظم شعر الوليد المُوَثّقِ فى الخمر والمجون . وبجانبه مقطوعات تَتَدَفَّق نُعُومةً وحيوية صَوَّر فيها مجالس لهوه الطافحة بالطيوب والورود والمغنين ، ومشاطرة مُغَنِّيه له فى شُرْب الخمر ،

---

(٤٠٧) المرشد إلى فهم أشعار العرب ١ : ٢٠٠ .

(٤٠٨) الأغانى ٧ : ١٨ .

(٤٠٩) الأغانى ٧ : ٢٠ .

وإحياءهم الحفلات الغنائية بعد ثَمَلِهِمْ وانْتِشائهم ، مَرَّبعضها فى الحديث عن احتفاله بالمغنين والمضحكين ، ومنها قوله (٤١٠) :

عَلِّلِ القَوْمَ قليلاً يا ابنَ بِنْتِ الفارسِيَّهْ
غَنِّهِمْ أنتَ وبِشْرٌ وابنُ بِنْتِ الهُذَلِيَّهْ
إنَّهمْ قد عاقروا اليَوْ مَ عُقاراً مَقَدِيَّهْ (٤١١)
عِنْدَنا مِسْكٌ وريحا نٌ وعُودُ المَنْدَلِيَّهْ (٤١٢)

وَوَصْفُ الوليد انفعاله بالخمر ومسرتَه بها ، وتيْسيره للغة خمرياته وتَرْقيقُه لها ، واخْتِيَارُه لأَقْصَرِ الأوزان وأخفها ، وابتكارُه فى صورها ، ترفعه إلى مرتبة عالية بين شعراء الخمر ، وتجعلهُ واحداً من شعراء الطليعة الإسلاميين الذين أسهموا فى تطوير الخمرية .

ولكن بعض القدماء يبالغون فى الحديث عن وَفْرَة شعره الخمرى وغزارته ، وتقدير دوره فى النهوض بالخمرية ، وأثره فى شعراء الخمر العباسيين المشهورين ، وأبو الفرج هو أول من بالغ منهم فى ذلك ، إذ يقول : « للوليد فى ذكر الخمر وصفتها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء ، فأدخلوها فى أشعارهم ، سلخوا معانيها ، وأبو نواس خاصَّةً فإنه سَلَخ معانيه كلها وجعلها فى شعره ، فكررها فى عدة مواضع منه . ولولا كراهة التطويل لذكرتها ها هنا ، على أنها قد تنبئ عن نفسها (٤١٣) .

وأخذ برأى أبى الفرج وما ذهب إليه من شعر الوليد الخمرى أضخم مما رواه وتَمَثَّل به ، وأنَّ أبا نواس أغَار على معانيه وسرقها وادعاها لنفسه ابن الطقطقى (٤١٤) وابن الأثير (٤١٥) .

وأبو الفرج يغالى فى الأحكام التى أطلقها وقَرَّرها ، ويظهر أنه إنما حكم باستفاضة شعر الوليد الخمرى واستبحاره اعتماداً على ما وُضِعَ عليه أوْ ما أُلْصِقَ به من الشعر الخمرى . فشعر الوليد الخمرى الصحيح ليس كثيراً كثرة مفرطة ، وإنما هو أقل من شعر غيره من شعراء الخمر الذين اشتهروا فى آخر العصر الأموى ، كأبى الهندى التميمى .

---

(٤١٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢١ ، ولسان العرب ٤ : ٤١٦ ، وتاج العروس ٢ : ٥١٤ .

(٤١١) العقار : الخمر سميت بذلك لأنها تعقر العقل أى تذهب به . مقدية : قرية بالشام من عمل الأردن ، ينسب إليها الشراب .

(٤١٢) مندل : بلد بالهند يجلب منها العود .

(٤١٣) الأغانى ٧ : ٢٠ .

(٤١٤) الفخرى فى الآداب السلطانية ص : ١٢١ .

(٤١٥) الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٩ .

وإذا كان مَنْهجُ أبى الفرج قام على الاستشهاد ببعض شعر الوليد الخمرى ، وإهمال سائره كراهة التَّطْويل ، مما قد يوحى بأن شعراً كثيراً للوليد سقط وضاع ، فإن غيره من المؤلفين لم يلتزموا بمنهجه ، فقد جنحوا إلى رواية كل ما وصلهم وما كان متداولاً فى زمانهم من شعر الوليد . والبلاذرى هو الذى سَرَد الكثرة المطلقة من شعر الوليد الخمرى وحشدها ، وهى تزيد فى عدد مقطوعاتها وقصائدها عما ذكره أبو الفرج منها . ولكنها لا تُثْبتُ أنَّ الوليد استكثر من وصف الخمر استكثاراً شديداً . ولو أن شعر الوليد الخمرى يفوق فى كميته ما حفظ منه البلاذرى وأبو الفرج ، وكانت مقطوعاته وقصائده شائعة معروفة فى القرن الرابع ، لَسَلِمَ منها شىءٌ مما لم يروه البلاذرى وأبو الفرج ، غير أن أغلب ما ورد منها فى كتب المؤرخين والأدباء المتقدمين والمتأخرين مَنْقولٌ عن كتاب أنساب الأشراف ، وكتاب الأغانى .

وأحكام أبى الفرج عامة تطلق على الوليد وعلى غيره من الشعراء . وهى أحكام ردَّدها قبله ابن المعتز فى تقويمه لدور أبى الهندى فى وصف الخمر ، وأثره فى الشعراء العباسيين ، إذ يقول : «كان جماعة مثل أبى نواس والخليع وطبقتهم إنما اقتدروا على وصف الخمر بما رأوا فى شعر أبى الهندى ، وما استنبطوا من معانى شعره »(٤١٦). وردَّدها أبو الفرج نفسه فى ترجمته لأبى الهندى ، وروى بعض أقوال النقاد التى تتهم أبا نواس بأنه نسخ معانى أبى الهندى ، إذ يقول : «كان جزل الشعر ، حسن الألفاظ ، لطيف المعانى . . . واستفرغ شعره بصفة الخمر ، وهو أول من وصفها من شعراء الإسلام ، فجعل وصفها وُكْدَهُ وقَصْدَه »(٤١٧). ويقول مرة ثانية : «كان إسحاق الموصلى يستحسن شعره فى وصف الخمر ويُقَرِّظه ، ويقول فى أبى نواس : من أين أخذ أبو نواس معانيه إلّا من هذه الطبقة ، وأنا أوجدكم سَلْخَه هذه المعانى كلها فى شعره ، فجعل ينشد بيتاً من شعر أبى الهندى ، ثم يستخرج المعنى والموضع الذى سرقه الحسن فيه حتى أتى على الأبيات كلها »(٤١٨) .

فالوليد بن يزيد وأبو الهندى من أعلام الشعراء الإسلاميين النابهين الذين شغفوا بوصف الخمر ، واستغرقوا أشعارهم فيه . وهما يشتركان فى بعض الخصائص ، ويفترقان فى خصائص أخرى ، فَهُما يتساويان فى الاستهتار بوصف الخمر وصفاً معنوياً عَبَّرا فيه عن صبابتهما بالخمر وعبادتهما لها ، وأذاعا فيه بذور الشك والعبث . ويتقاسمان التجديد فى لغة خمرياتهما وصورها وموسيقاها ، ولكن الوليد يتقدم أبا الهندى فى استعمال الألفاظ السهلة المألوفة والعبارات الدارجة البسيطة ، وفى استخدام

(٤١٦) طبقات ابن المعتز ص : ١٤٢ .
(٤١٧) الأغانى ٢٠ : ٣٢٩ .
(٤١٨) الأغانى ٢٠ : ٣٢٩ .

الأوزان القصيرة والمجزّأة ، أما أبو الهندى فيسبق الوليد فى تشقيق المعانى واستقصائها ، واستنباط دقائقها ، وفى إلحاحه على الصور وتأنقه فيها وتجويده لها ، وفى عنايته بالقِصَّة الخمرية وبَعْثِه لها وإطرافه فى بنائها(٤١٩) ، وكان الأعشى هو الذى رَسَّخَ جذورها ، وأَصَّلَ بواكيرها(٤٢٠) .

وأما القسم الثانى من شعر الخمر والمجون الذى أضيف إلى الوليد فليس له ، وإنما هو مما نُحِلَ عليه من شعر غيره من الشعراء الذين اشتهروا بمعاقرة الخمر ، ووصف عَرْبَدتهم وتَخَرُّقهم فى شربها ، حَمَلَه عليه الرواة الوضاعون ، تشهيراً به ، وتضخيماً لماوجدوا فى شعره الخمرى الصحيح من بذور الشك والتَّعابث الكيدى . ومنه هذا البيتان اللذان نسبا إليه فى بعض المصادر دون إسناد(٤٢١) :

إمْدَح الكَأْس ومَنْ أَعْمَلَهَا ... واهْجُ قَوماً قتَلونَا بِالعَطَشْ
إنَّما الكَأْسُ رَبيعٌ باكِرٌ ... فإذا ما غَابَ عَنَّا لم نَعِشْ

وهما لنابغة بنى شيبان(٤٢٢) .

ومنه مقطوعة ثانية فاحشة فيها تَهتُّك وتماجُنٌ شديد ، كان ياقوت الحموى أول من عزاها إليه دون ذكر لسلسلة الرواة الذين أخذها عنهم(٤٢٣) ، ثم نقلها عنه ابن فضل الله العمرى(٤٢٤) . وهى تجرى على هذا النَّحو :

حَبَّـذا لَـيْلَتى بِـدَيْربَـونَّـا ... حَيْثُ نسْقَى شَرابَنَا ونُغَنَّى
كَيْفَمَا دَارَتِ الزُّجَاجَةُ دُرْنا ... يَحْسِبُ الجَاهِلُونَ أَنَّا جُنِنَّا
وَمَـرَرْنـا بِنِسْوَةٍ عَطِراتٍ ... وغِـنـاءٍ وقَـهْـوَةٍ فَـنَـزَلْـنَـا
وَجعَلْنَا خليفةَ الله فُطْرو ... سَ مُجوناً والمُسْتَشَارَ يُحَنَّا
فأَخذْنَا قُرْبانَهمْ ثُمَّ كُفِّرْ ... نَا لِصُلْبَانِ دَيْرِهمْ فكَفَرْنا
واشْتَهرنا للنَّاس حيثُ يَقُولو ... نَ إذا خُبِّرُوا بما قَدْ فَعَلْنَا

وهى لمالك بن أسماء الفزارى ، وهو من أشراف أهل الكوفة ، ومن الشعراء الأمويين الهواة العشاق ومن مدمنى الخمر ووُصَّافها ، كان الحجاج ولاه بَعْدَ أن تزوج أخته هنداً بأصبهان بعد حبس طويل وخيانة ظهرت عليه ، ثم خَلَّاه ، وطالت أيامه بأصبهان فظهرت عليه خيانة أخرى ، فحبسه

(٤١٩) انظر الشعراء من مخضرى الدولتين الأموية والعباسية ص : ٣٠٧ – ٣١٧ .
(٤٢٠) تطور الخمريات فى الشعر العربى ص : ٦٢ .
(٤٢١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٢ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٥٩ .
(٤٢٢) الأغانى ٧ : ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، وديوان نابغة بنى شيبان ص : ٨٥ .
(٤٢٣) معجم البلدان ٢ : ٦٤٩ .
(٤٢٤) مسالك الأبصار ١ : ٣٥١ .

ونَالَه بكل مكروه . ففر من سجنه إلى الشام . وأخذ يتردد على أدْيرتها . ويَتَبَطَّلْ بها . ومنها دَيْر بَوَنَّا .

والأبيات جزء من قصيدة طويلة له رَوَى أبياتاً منها الجاحظ[٤٢٥] . وابن قتيبه[٤٢٦] . وأبو الفرج[٤٢٧] ، والمرزبانى[٤٢٨] ، وأبو عبيد البكرى[٤٢٩] ، وياقوت الحموى أيضاً[٤٣٠] ! .

ومنه أبيات فى الكفر بالله . وإنكار النبوة . كان المسعودى أول من أضافها إليه . وزعم أن المبرد هو الذى ذكرها له[٤٣١] . وهى ليست من شعر الوليد الذى رواه المبرد فى كتاب الكامل . ثم نسبها إليه الشريف المرتضى[٤٣٢] . وابن القارح[٤٣٣] . ونشوان بن سعيد الحميرى[٤٣٤] . وابن العماد الحنبلى[٤٣٥] .

وألصقها ابن عساكر بيزيد بن عبد الملك . لا بابنه الوليد[٤٣٦] . وساق سلسلة الرواة . وهى تبدأ بعبد الله بن عياش الهموانى . صنيعة أبي جعفر المنصور . فكأن ابن عياش هو الذى نحلها يزيد ابن عبد الملك . ثم حملها المؤرخون والأدباء على ابنه الوليد . لأنه أشهر منه فى الشعر والمجون . والأبيات تنساب على هذا النمط :

تَلَعَّب بالخلافةِ هَاشِمىٌّ بلاوَحْىٍ أتاهُ ولا كتابِ
تُذَكِّرنى الحسابَ ولستُ أَدْرى أحقاً ماتقولُ من الحِسابِ
فَقُلْ لله يَمْنَعُنى طَعامى وقُلْ لله يَمْنَعُنى شَرابى

وهى ليست له . بل لبجير بن عبد الله بن عامر بن سلمة القشيرى . من قصيدة ميمية له فى رثاء هشام بن المغيرة المخزومى . قلب الرواة الوضاعون أبياتها . فجعلوا عروضها ضرباً . وضَرْبَها عروضاً .

---

(٤٢٥) البيان والتبيين ١ : ١٣٥ .

(٤٢٦) الشعر والشعراء ص : ٧٨٢ .

(٤٢٧) الأغانى ١٧ : ٢٢٩ ، ٢٣٦ .

(٤٢٨) معجم الشعراء ص : ٢٦٦ .

(٤٢٩) سمط اللآلى ص : ١٦ .

(٤٣٠) معجم البلدان ١ : ٨٦٥ .

(٤٣١) مروج الذهب ٣ : ٢٢٩ .

(٤٣٢) أمالى الشريف المرتضى ١ . ١٣٠ .

(٤٣٣) رسالة الغفران ص : ٣٤ .

(٤٣٤) الحور العين ص : ١٩٠ .

(٤٣٥) شذرات الذهب ١ : ١٦٩ .

(٤٣٦) تاريخ دمشق . مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ . المجلد ١٨ . الورقة : ١٦٢ ظ

ومن الغريب أن أكثر من حمَلُوا قصيدة بجير القشيرى ، حذفوا منها تلك الأبيات الخبيثة تَحرُّجاً وتعَفُّفا(٤٣٧) ، ولم ينشدها إلّا نشوان بن سعيد الحميرى ، ومنها :

أَيُوعِدُنا ابنُ كَبْشَةَ أنْ سَنَحْيا وكَيفَ حَياةُ أصداءٍ وهام(٤٣٨)
أَيَعْجزُ أنْ يُرَدَّ الموتَ عنِّى وَيُحْيِينى أذا بَلِيَتْ عِظامى
ألاَ مَنْ مُبْلغُ الرحمَن عنِّى بأنىَ مُفْطِرٌ شَهْرَ الصِّيامِ
فَقُلْ لِلهِ يَمْنَعُنى شَرابِى وقُلْ لله يَمْنَعُنى طَعامِى

ويُمثِّلُ تحريفُ الأبيات مرحلةً من مراحل التَّدْقيق فى الوضع والتزيد فى شعر الوليد ، فقد أنشد ابن شاكر الكتبى أبياتاً من قصيدة بجير القشيرى ، منسوبة إلى الوليد بألفاظها وقافيتها ، إذ يقول : كان الوليد قد استقبل شهر رمضان فى خلافته بالمجون والخمر ، وَوُعِظَ فى ذلك فقال :

ألا منْ مبلغُ الرحمَن عنِّى بأنى تاركٌ شَهْرَ الصِّيام
فقلْ لله يَمْنَعُنى شَرابِى وقُلْ لله يَمْنَعُنى طعامى(٤٣٩)

وإنما أغرى الرواة الوضاعين بتزييف الأبيات والدس عليها أنهم ظفروا فى خطبة يزيد بن الوليد التى ألقاها بعد اغتيال الوليد بجملة يرميه فيها بأنه كان لايُصدِّق بالكتاب ، ولا يُؤْمن بيوم الحساب(٤٤٠) . فعبثوا بأبيات بجير القشيرى ، واختلقوا من التهمة بيتين ضموهما إليها ، وَبَدَّلوا قافية الأبيات فأصبحت بائية لاميمية ! واستخدموا كلمة الكتاب ، وكلمة الحساب فى القافية ، إذ ختموا بهما البيتين المخترعين ، ليطابق مضمون الأبيات المزورة وقافيتها مضمون التهمة المفتعلة وبعض ألفاظها ، ويُوثِّق كل منهما الآخر ويؤكده ، إخفاءً لعبثهم ، وتغطيةً لتلفيقهم !

وأما القسم الثالث من شعر الخمر والمجون المنسوب إلى الوليد فتَرَجِّحُ ميولُ مُرَوِّجيه ورواته وتاريخ نشرهم له أنه مما أُلِّف وأُضيفَ إليه فى القرن الرابع ومابعده ومنه قطعةٌ غزليةٌ صحيحةٌ لاصلة

---

(٤٣٧) المؤتلف والمختلف ص : ٧٦ ، ونسب قريش ص : ٣٠١ ، والاشتقاق ص : ١٠١ ، وخزانة الأدب ٣ : ٢٢٧ ، ٤ : ١٤ .

(٤٣٨) يكنى جد النبى لأمه بأبى كبشة ، فأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وأم وهب بن عبد مناف بن زهرة هى كبشة بنت أبى كبشة الخزاعى . وكان المشركون يسمون النبى ابن كبشة ، وابن أبى كبشة ، وكان أبو كبشة الخزاعى مخالفاً لقريش فى عبادة الأوثان ، كان يعبد الشعرى العبور . (انظر الحور العين ص : ١٩٢) .

(٤٣٩) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ٢٠ حـ .

(٤٤٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١٣ .

لها بشعر الخمــر والمجون ، فهو يتحدث فيها عن حبه لسلمى بنت سعيد بن خالد ، وما لاقى فيه من عذاب وعناء ، رواه له المبرد(٤٤١) ، وأبوالفرج(٤٤٢) ، وهو يقول فيها :

أنا الوليدُ الإمامُ مُفتخراً أَنْعِمُ بالى وأَتْبَعُ الغَزَلا
أَهْوَى سليمَى وهِيَ تَصْرِمُنِى وليسَ حقًّا جفاءُ من وَصَلا
غَرَّاءُ فرعاءُ يستضاءُ بها تَمْشِى الهُوَيْنَى إذا مَشَتْ فُضُلاَ
أَنْقُل رِجْلِى إلى مَجَالِسِها ولا أُبالى مَقالَ مَنْ عَذَلا

ثم أنشد أبو العلاء المعرى(٤٤٣) البيتين الأول والرابع منها ، وعَدّل فيهما وزاد عليهما ثلاثة أبيات أخرى فى الفجور والكفر لم يذكرها له أحدٌ غيره . وهى تتوالى جميعاً على هذه الشاكلة :

أنا الإمامُ الوليدُ مُفْتَخراً أُجَرِّ بُرْدِى وأَسمعُ الغَزَلا
أَسْحَبُ ذَيْلِى إلى مَنَازِلها ولا أُبالى مَنْ لاَمَ أوعَذَلا
ما العَيْشُ إلاَّ سماعُ مُحْسِنةٍ وقَهْوَةٌ تَتْرُكُ الفَتَى ثَمِلاً
لا أَرْتَجِى الحُورَ فى الخُلودِ وهَلْ يَأْمَلُ حُورَ الجِنانِ مَنْ عقَلا
إذا حَبَتْكَ الوِصَالَ غانِيَةٌ فَجازِهَا بَذْلَها كَمَنْ وَصَلاَ

وانفراد أبى العلاء المعرى برواية الأبيات الثلاثة الأخيرة ، قد يدل على أنه هو الذى صَنَعَها وأَلْحَقَها بالقطعة الغزلية الصحيحة ، ولم يستبعد ياقوت الحموى أنه نظم بعض الشعر المُلْحِد ، ونَحَلَهُ غيره من الشعراء(٤٤٤) . والأبيات الثلاثة الأخيرة أقرب إلى أسلوب أبى العلاء المعرى الذى يظهر فيه أَثَر التَّكلّف والجهد منها إلى أسلوب الوليد الذى يَتَّصف بالبساطة والسهولة واللين فى الغزل ، إذ يَتَمثَّلُ فيها تَمكُّنُ أبى العلاء من اللغة وتصرفه فيها ، وقُدْرَتُهُ على رَصْفِها واسْتِكْراهِ ألفاظها ، وإنزالها فى المواضع القلقة من الأبيات حتى تتم بها ، وتَسْتَقِيم قوافيها.

ومنه البيتان المشهوران :

تُـهَـدِّدنى بِـجَبَّارٍ عَنِيـدٍ فها أَنَا ذَاكَ جَبَّارٌ عَنِيدُ
إذا ماجِئْتَ رَبَّكَ يَوْمَ حَشْرٍ فَقُلْ يارَبِّ مَزَّقَنى الوَلِيدُ

وهما حكايةٌ أو ترجمةٌ شعرية لِخَبَر قَدَّمَ به لهما كل من حمَلُوهما . وهو يجرى على هذا النحو :

(٤٤١) الكامل ٢ : ٢٨٩ .
(٤٤٢) الأغانى ٧ : ٤٤ .
(٤٤٣) رسالة الغفران ص : ٤٤٤ .
(٤٤٤) معجم الأدباء ١ : ١٩٠ ، وانظر الغفران لأبى العلاء المعرى ص : ١٦٤ .

« دعا الوليد بن يزيد ذات ليلة بمصحفٍ ، فلما فَتحهُ ، وافَقَ وَرَقَةً فيها : « واسْتَفْتَحُوا وخَابَ كل جبار عَنِيدٍ . مِنْ وَرائِهِ جَهَنَّمُ ويُسْقَى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ » ، فقال : أَسَجْعاً سَجْعاً ! عَلِّقُوه ! ثم أخذ القَوْسَ والنَّبْلَ فَرماهُ حتَّى مَزَّقَهُ » .

وأبو الفرج هو أول من نَقَلُوا الشعر والخبر وعَزوهما إلى الوليد ، إذ يقول : نسخت من كتاب الحسين بن فهم . . . قال : وأخبرنا عمرو عن أبيه عن يحيى بن سليم »(٤٤٥) ثم رواهما الشريف المرتضى ، ونسبهما إلى الوليد بِسَنَدٍ ضعيف مُنْقَطع يختلف عن السَّنَدِ الذى نسخه أبوالفرج من كتاب الحسين بن فهم ، فهو يقول : « أخبرنى أبوعبيد الله المرزبانى قال : حدثنى أحمد بن كامل »(٤٤٦). ثم أخذهما ابن شاكر الكتبى من مَصْدَرٍ مجهولٍ ، وأضافهما إلى الوليد بِسَنَدٍ ثالثٍ ضَعِيفٍ مُنْقَطعٍ ، إذ يقول : « روى ابنُ المرزبان قال : حدثتنى امرأة قالت »(٤٤٧).

وألصق الشعر والخبر بالوليد دون إسناد المسعودى(٤٤٨) . والمقدسى(٤٤٩). وابن القارح(٤٥٠) . وابن الطقطقى(٤٥١). ونشوان بن سعيد الحميرى(٤٥٢) . وابن الأثير(٤٥٣) . وابن تغرى بردى(٤٥٤) . والسيوطى(٤٥٥) . وابن العماد الحنبلى(٤٥٦) . وعبد القادر البغدادى(٤٥٧) .

والغالب أن الشعر والخبر مما وَضَعَهُ رواة الشيعة على الوليد فى القرن الرابع ، أو فى آخر القرن الثالث ، يؤيد ذلك ثلاثة أدلة : أولها أن علماء الشيعة وأدباءهم ومؤرخيهم فى القرن الرابع هم الذين تَعَلَّقُوا بالشعر والخبر وأشاعوهما ، إذ نسبهمـا إلى الوليد المسعودى وأبو الفرج ، ثم أخذهما عنهما المؤرخون والأدباء المتأخرون من الشيعة وغيرهم .

وثانى الأدلة ضعف السند وانقطاعه ، فهو لا يمتد عند الشريف المرتضى وابن شاكر الكتبى إلى

---

(٤٤٥) الأغانى ٧ : ٤٩ .

(٤٤٦) أمالى الشريف المرتضى ١ : ١٣٠ .

(٤٤٧) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ١٩ ظ .

(٤٤٨) مروج الذهب ٣ : ٢٢٨ .

(٤٤٩) البدء والتاريخ ٦ : ٥١ .

(٤٥٠) رسالة الغفران ص : ٣٣ .

(٤٥١) الفخرى فى الآداب السلطانية ص : ١٢١ .

(٤٥٢) الحور العين ص : ١٩٠ .

(٤٥٣) الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٠ .

(٤٥٤) النجوم الزاهرة ١ : ١٢٦ .

(٤٥٥) تاريخ الخلفاء (الطبقة الأوربية) ص : ١٦٧ .

(٤٥٦) شذرات الذهب ١ : ١٦٨ .

(٤٥٧) خزانة الأدب ١ : ٣٢٨ .

القرن الثالث ، بل يقف عند القرن الرابع ، ولكن سلسلة الرواة التى نقلها أبوالفرج من كتاب الحسين ابن فهم المتوفى سنة تسع وثمانين ومائتين[٤٥٨] ، هى التى توهم بأنَّ الشعر والخبر كانا متداولين فى القرن الثالث ، بل فى القرن الثانى ! فهى تشتمل على ثلاثة رواة ، ويبدو أنها مخترعة قصد منها إلى تأكيد الشعر والخبر ، فإن رواتها من المغمورين أوممن لم يعرفوا برواية الأشعار والأخبار ، وممن لاتتضح الروابط العلمية بينهم ، فعمرو شيخ الحسين بن فهم الذى روى عنه الشعر والخبر نكرة مجهول ، وكذلك أبوه ، ويحيى بن سليم أول رجال السند من علماء القرن الثانى الذى تنقطع صلات الأَخْذِ والتَّحَمُّلِ بينهم وبين عمرو وأبيه ، وليس فى ترجمته أنه كان مُهْتماً بالرواية الأدبية أوالتاريخية ، وروايته للحديث مختلف فى قيمتها ، فبعض العلماء يوثقونها ، وبعضهم يقدحون فيها ، ويتهمونه بالتخليط[٤٥٩] .

وسلسلة رواة الشعر والخبر عند الشريف المرتضى ضعيفة ، وهى تُرَجِّحُ أن الشيعة هم الذين زيفوهما ، فأبو عبيدالله المرزبانى الذى أخذ عنه الشريف المرتضى الشعر والخبر كان يَتَشَيَّعُ فى المذهب[٤٦٠] ، وأحمد بن كامل المتوفى سنة خمسين وثلاثمائة[٤٦١] من شيوخ المرزبانى ، وقد ولى قضاء الكوفة . وأتهمه المُحَدِّثُون بأنه «كان مُتَسَاهلاً ، وربما حدث من حفظه بماليس عنده فى كتابه ، وأهلكه العجب فإنه كان يختار ، ولايَضَعُ لأحد من العلماء والأئمة أصلا »[٤٦٢]. ويمكن أن يكون سمع الشعر والخبر من أحد رواة الشيعة بالكوفة .

ويقدح فى سلسلة الرواة التى ساقها ابن شاكر الكتبى — فضلاً عن ضَعْفها وانقِطاعها — أن محمد ابن خلف ابن المرزبان[٤٦٣] «إخباريٌ لَيِّنٌ»[٤٦٤] وأنه أخذ الشعر والخبر عن امرأة مجهولة !

وثالث الأدلة أن الشعر والخبر لم يكونا متداولين بين مؤرخى القرن الثالث ومطلع القرن الرابع ، إذ لم يعرفها خليفة بن خياط ، والبلاذرى وأبوحنيفة الدنيورى ، واليعقوبى ، والطبرى ومعلوم أن البلاذرى حشد أخبار الوليد وأشعاره الصحيحة والمنحولة بروايتها المدنية والعراقية التى تراكمت فى القرن الثالث ، ولم يهمل شيئاً منها . ولو كان الشعر والخبر مذكورين فى القرن الثالث ، لنقلها

---

(٤٥٨) ترجمته فى تاريخ بغداد ٨ : ٩٢ ، وميزان الاعتدال ١ : ٥٤٦ ، ولسان الميزان ٢ : ٣٠٨ .

(٤٥٩) ميزان الاعتدال ٤ : ٣٨٤ . .

(٤٦٠) وفيات الأعيان ٤ : ٣٥٤ .

(٤٦١) ترجمته فى الفهرست ص : ٣٢ ، ومعجم الأدباء ٢ : ١٦ ، وميزان الاعتدال ١ : ١٢٩ .

(٤٦٢) تاريخ بغداد ٤ : ٣٥٨ .

(٤٦٣) ترجمته فى تاريخ بغداد ٥ : ٢٣٧ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٥٨٣ ، ولسان الميزان ٥ : ١٥٧ .

(٤٦٤) ميزان الاعتدال ٣ : ٥٨٣ ، ولسان الميزان ٥ : ١٥٧ .

البلاذرى ، ولما غفل عنهما .

ومن شعر الوليد فى الخمر والمجون الذى يرجح أنه حُمِلَ عليه بيتان رواهما النواجى ، وهما :

قــد جعلنـا طَوَافَنَا بالدِّنان حينَ طافَ الوَرَى بِرُكْنٍ يمانى
سَجَدَ السَّاجِدون لله حقًّا وَجَعَلْنَا سُجُودَنا للقَنَانى (٤٦٥)

ولم ينشدهما له ، ولانسبهما إليه أحد غير النواجى . وبعض ألفاظهما المولدة كالقنانى التى لم يستعلمها الوليد فى شعره الخمرى تُسَوِّغ أنهما مما وضع عليه فى زمن متأخر .

فصورة إدمان الوليد للخمر فى أشعاره الصحيحة وأخباره الموثقة واحدة لا اختلاف فيها ولاتعارض بينها ، فهى تقطع بانهماكه فى الشراب ، وتكتمه بعض التكتم عليه ، وصورته فى أشعاره المنحولة ، وأخباره المفتعلة واحدة أيضاً فهى تُهَوِّلُ إغراقه فى الشراب ، وجهره به تهويلاً خياليًّا خرافيًّا .

ويستفاد من أشعاره الصحيحة أنه لم تكن له غاية من معاقرة الخمر سوي الترفيه عن نفسه ، والانفصَال من ماضيه ، والهرب من أحزانه ، فقد وصف فيها تهافته على الخمر ومتعته بها ، وماكانت تبعثه فى نفسه من حيوية ونشاط وتفاؤل . ولم يَتَمَاجَن إلَّا فى قطعة واحدة من شعره الخمرى الصحيح ، وهو تماجن لم يقصد منه إلى مهاجمة الدين وإنكاره ، أو رفض الإسلام وجحده ، وإنما أراد به العبث بخصومه ، والاستخفاف بناصحيه ، وقاده تطرفه فى الرد عليهم إلى التشكيك فى يوم القيامة والحساب تشكيكاً خفيفاً إغاظةً لهم ، ونكايةً بهم .

٤ – الوليد والعشق والغزل

تطورت المفاهيم والقيم الاجتماعية فى البيئات الأموية المدنية تطوراً كبيراً ، لامتزاج العرب فيها بالأمم الأخرى ، وكثرة ماجلب إليهم من الرقيق ، ووفرة ماحازوا من الجوارى . وهو تطور نجم عنه انفساح العلاقة بين الرجل والمرأة وتحررها من الأعراف والقيود البدوية القبلية كما نجم عنه ازدهار فن الغزل وارتقاء أسلوبه ومضمونه ارتقاءً شديداً إذ تخصص فيه شعراء كبار عاشوا له ، ومازالوا يُنَمُّونه حتى فصلوه عن القصائد التقليدية التى كان شعراء الجاهلية يُقَدِّمون به لها ، إذ صاغوه فى قصائد ومقطوعات مستقلة ، فيها رشاقة ورقة ، وعبروا فيه عن حُبِّهم للجمال ، وعشقهم للحسان ، ولقائهم بهن ، وفرحتهم بمواصلتهن ، وماكن يبادلهم من عواطف الود والشوق والإعجاب . وكان عمر بن

(٤٦٥) حلبة الكميت ص : ٩٨ .

أبى ربيعة ، وابن قيس الرقيات ، والأحوص ، والعرجى هم الذين نهضوا بالغزل فى المدينة ومكة(٤٦٦) .

وتجاوز شعراء العراق فى الكوفة والبصرة حدود الحرية والوقار التى رعاها جمهور شعراء مدن الحجاز الغزلين ، إذ استحال الغزل عندهم ضرباً من الإباحة ، فصوروا فيه شهوتهم للنساء ، وتهافتهم على الإماء ، ومعابثتهم لهن ، وإفضاءهم إليهن ، لما شاع فى الكوفة خاصة من تيارات الشك والمجون والانحلال والتَّفَسُّخ ، بسبب أوضاعها السكانية والثقافية والسياسية المعقده(٤٦٧) . وهى تيارات لم تلبث أن انتقلت إلى البصرة وغزتها ، فَقَلَّد بعض شعرائها شعراء الكوفة فى غزلهم الفاحش البذىء(٤٦٨) .

وعلى نحو ماكَلِفَ الناس والشعراء من البيئات المدنية المختلفة بالجوارى ، فقد كلف بهن خلفاء بنى أمية ، وامتلكوا كثيراً منهن ، واتَّخذوهن وصائف ومتاعاً لهم ، وقوى شغفهم بهن وتَنَامَى على امتداد أيامهم . فقد كان لمعاوية نَخَّاسون يأتون له بالإماء(٤٦٩) . وأغرم ابنه يزيد بهن ، وكان إذا أحب إحداهن ممن عند غيره من الأشراف لايَكُفُّ عن طلبها حتى يفوز بها ، وينتزعها من صاحبها(٤٧٠) . وكان لعبد الملك وصائف يَخْدِمْنَهُ ، ويَظْهَرْنَ فى مجالسه ، ويَطَّلِعنَ على كتبه إلى عماله(٤٧١) .

وازداد ولع أبناء عبد الملك بالجوارى ، وأعلنوا ولعهم بهن ، واستكثروا منهن استكثارا شديداً ، إذ يروى المدائنى(٤٧٢) والواقدى(٤٧٣) أن الوليد بن عبد الملك تزوج فى خلافته ثلاثاً وستين امرأة غير الإماء ، وكان يطلق الثلاث والاثنتين والواحدة . وكان سليمان بن عبد الملك صاحب نكاح(٤٧٤) .

---

(٤٦٦) حديث الأربعاء ١ : ١٨٤ ، والعصر الإسلامى ص : ٣٤٧ ، وتاريخ الآداب العربية ص : ١٢٣ ، وتطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ص : ٣٤٩ .

(٤٦٧) حياة الشعر فى الكوفة ص : ٥٥٩ ، وحركات الشيعة المتطرفين ص : ٩٣ ، واتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى ص : ٢٠٤ ، ٥٠٢ ، واتجاهات الغزل فى القرن الثانى الهجرى ص : ١٣٢ .

(٤٦٨) طبقات ابن المعتز ص : ٨٨ ، والحياة الأدبية فى البصرة ص : ٤٨١ ، وحركات الشيعة المتطرفين ص : ٢٦٩ ، والجاحظ فى البصرة ص : ٨٧ .

(٤٦٩) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٨٨ . ورسائل الجاحظ ٢ : ١٥٥ .

(٤٧٠) البداية والنهاية ٩ : ٣٤ .

(٤٧١) رسائل الجاحظ ٢ : ١٥٥ ،١٥٦ .

(٤٧٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٠٥ .

(٤٧٣) البداية والنهاية ٩ : ١٦٥ .

(٤٧٤) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٩٧ .

فهام بالجوارى ، وهام الناس فى عهده بهن . وأحبهن يزيد بن عبد الملك . وأظهر صبابته بحبابة وسلامة منهن . وامتلك هشام بن عبد الملك منهن مالم يمتلكه غيره من إخوانه . إذ كان عنده مائة جارية من حسان النساء [٤٧٥] ، كان بعضهن يلازمنه فى حِلِّهِ وتَرْحَاله ، ويخرجن فى مجالسه ، ويقمن بحوائجه [٤٧٦] .

واغرم بهن يزيد بن الوليد ، ولكنه كان ينتقى أظرفهن وأكثرهن دلاً وأدباً ، وأحسنهن إتقاناً للغناء . وَلَبَّى له المُقَيِّنون ماطلب منهن ، فكانوا يفدون عليه من العراق [٤٧٧] والحجاز [٤٧٨] حاملين إليه جواريهم ، فاجتمع له منهن مغنيات مشهورات مثل جاريته سعاد [٤٧٩] ، وجاريته صَدُوف [٤٨٠] ، وسواهما من المغنيات الحاذقات [٤٨١] ، ويضيف ابن عبد ربه أنه عكف على حب القيان ، ومعاشقة النساء [٤٨٢] ، ويصفه الجاحظ بأنه «كان المُقَدَّم فى اللهو والغزل» [٤٨٣] .

وما من ريب فى أن الوليد شغف بالجوارى والقيان شغفاً قوياً ، إذ تميز من سابقيه من الخلفاء المراونيين بحسٍّ الشاعر المرهف ، المقدر للجمال ، المفتون به ، فكان يعجب به إعجاباً طاغياً كلما رآه أو وقعت عليه عيناه ، وكان يُعَبِّر عن إعجابه البرئ به تعبيراً صريحاً فى شعره ، فقد مرَّ وهو يَتَصَيَّد بنسوة من بنى كلب من بنى المنجاب ، فوقف عليهن ، واستسقاهن وحدثهن وأَمَر لهنَّ بصلة ، ثم مَضَى وهو يقول مصوراً انفعاله بِحُسْنِ إحداهن [٤٨٤] :

ولقدْ مَرَرْتُ بنسْوَةٍ أَعْشَيْنَنِى ... حُورِ المدامع من بنى المِنْجابِ
فيهنَّ خَزْعَبَةٌ مَليحٌ دَلُّها ... غَرْثَى الوشاحِ دقيقةُ الأنيابِ [٤٨٥]
زَيْنُ الحواضرِ مائَوتْ فى حَضْرِها ... وتَزِينُ بادِيها من الأعراب

(٤٧٥) البداية والنهاية ٩ : ٣٥٣ .
(٤٧٦) الأغانى ٦ : ٧٧ .
(٤٧٧) الأغانى ٧ : ٢٢ .
(٤٧٨) الأغانى ٧ : ٥٠ .
(٤٧٩) الأغانى ٧ : ٢٢ .
(٤٨٠) الأغانى ٧ : ٤٤ .
(٤٨١) الأغانى ٧ : ٥٢ .
(٤٨٢) العقد الفريد ٤ : ٤٥٢ ، ٤٥٤ .
(٤٨٣) رسائل الجاحظ ٢ : ١٦٠ .
(٤٨٤) الأغانى ٧ : ٤٨ .
(٤٨٥) الخزعبة : اللينة الرخصة الحسنة الخلق . غرثى الوشاح : ضامرة البطن ، دقيقة الخصر .

ونظر إلى أم حبيب بنت عبد الرحمن بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف ، وقد مروا بين يديها بالشمع ليلاً ، فلما رآها أعجبته وراعهُ جمالها وحسنها ، فسأل عنها ، فقيل له : إن لها زوجاً فأنشأ يقول واصفاً افتتانه بها وطيب ريقتها[٤٨٦] :

إنما هــاجَ لِـقَــلْبِى شَجْوَهُ بَعْدَ المَشيبِ
نَظْرةٌ قد وَقَرَتْ فى الْقَلْبِ منْ أُمِّ حَبيبِ
فـإذا مـاذُقْتَ فـاهَـا ذُقْتَ عَذْباً ذا غُروبِ[٤٨٧]
خَالَطَ الرَّاحَ بِمِسْكٍ خـالصٍ غيرِ مَشُوبِ

وإنما شهر الوليد بالعشق والغزل شهرة واسعة تطليقه لزوجه سعدة بنت سعيد بن خالد ، بعد حبه لأختها سلمى ، وكثرة مانسب فيها ، وتغنّى بحرمانه منها قبل أن يقترن بها ، وهى شهرة نتج عنها اختلاط شعره الغزلى بشعر غيره من الشعراء اختلاطاً سببه السَّهْوُ وقلة التدقيق ، فكان ورود اسم سعدة أو سلمى فى شعر بعض الشعراء كافياً لأن يَحْمِلَهُ الرواة عليه . ومن العشر الغزلى الذى ينسب إليه وإلى سواه من الشعراء ، ولايُعْرَفُ صاحبه الحقيق قطعة ذكر فيها اسم سعدة وهى تجرى على هذه الشاكلة :

أَسَعْدَةُ هَلْ إليك لنَا سَبيلٌ وهلْ حتَّى القيامةِ من تلاقى
بلَى ولَعَلَّ دَهْراً أن يُوافِى بموتٍ من حليلك أو طلاقِ
فأُصْبِحَ شامتاً وتَقَرَّ عَيْنِى ويُجْمَعَ شَمْلُنا بعدَ افتراقِ
فَطَلِّقْها فلستَ لها بِكُفْءٍ ولو أعطيتَ هِنْداً فى الصَّداقِ

فقد عزاها أبو الفرج إلى الوليد[٤٨٨] . وتابعه فى ذلك ابن خلكان[٤٨٩] ، والنويرى[٤٩٠] ، لأنهما نقلا الخبر والشعر عنه . وعزاها البلاذرى إلى عبد الله بن عمرو بن الوليد بن عقبة[٤٩١] ، وأضافها أبن عساكر إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك[٤٩٢] .

ومنه قطعة ثانية ورد فيها اسم سلمى وهى تتوالى على هذا النمط :

عُوجا خَلِيلىَّ عَلَى الْمَحضَرِ والرَّبْعِ من سَلاَّمَةَ الْمُقفِرِ

---

(٤٨٦) الأغانى ٧ : ٥٥ .

(٤٨٧) الغروب : جمع غرب وهو كثرة ريق الفم وَبَلَلُهُ . وغروب الأسنان : مناقع ريقها .

(٤٨٨) الأغانى ٧ : ٢٧ ، ١٩ : ١٧٠ .

(٤٨٩) وفيات الأعيان ٢ : ٤٧٤ .

(٤٩٠) نهاية الأرب ٤ : ٣١ .

(٤٩١) أنساب الأشراف ٥ : ١٨٢ .

(٤٩٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٧١ .

عُوجا بهِ فاستَنْطِقاهُ فقدْ ذَكَّرنى ماكنت لم أذْكرِ
ذَكَّرنى سَلْمَى وأيَّامَها إذْجَاوَرَتْنَا بِلِوَى عَسْجَرِ
بالرَّبْعِ مِن وَدَّانَ مبدًى لنا ومَحْوراً ناهيكَ مِنْ مَحْورِ
فى مَحْضَرٍ كُنَّا بِهِ نَلْتَقِى ياحَبَّذا ذلك مِنْ مَحْضَرِ
إذْ نَحْنُ والحىُّ به جِيرَةٌ فيما مضَى من سالِفِ الأَعْصُرِ

فقد أنشدها أبو الفرج للوليد . وأشار الى اختلاف الرواة فى صاحبها ، إذ قال : إنها تنسب إلى عمر ابن أبى ربيعة وإلى العرجى(٤٩٣) ، ثم جزم بأنها للوليد دون دليل . وهى ليست فى ديوان عمر بن أبى ربيعة ، ولافى ديوان العرجى برواية ابن جنى . والأرجح أنها ليست للوليد ، لأن المواضع التى ذكرت فيها مثل ودَّان وعَسْجَر ليست بالشام ، بل بمكة والمدينة فودان قرية بين مكة والمدينة (٤٩٤)، وعَسْجَر موضع بمكة (٤٩٥)، والوليد لا يذكر فى غزله أوفى غيره من موضوعات شعره إلا الأماكن الشامية وربما كانت القطعة للعرجى ، فهو يشبب بسلمى فى شعره كثيراً(٤٩٦) .

وبعض الغزل البرىء والذى اختلط بشعره لورود اسم سلمى فيه ليس له على وجه التحقيق وإنما هو لشعراء آخرين معروفين ومنه هذه الأبيات :

أَسَلْمَى تلك فى العِيرِ قِفِى إنْ شِئْتِ أوْسِيرى
فلمَّا أنْ دَنَا الصُّبْحُ وأصواتُ العصافيرِ
خَرَجْنَا نَتَّقِى الشَّمْسَ مطايَا القومِ كالعُورِ
إذا ماأَعْرُضٌ حَالَتْ سَدَدناهَا بِتَصْدِيرَ

فقد رواها له الجاحظ(٤٩٧) ، والبلاذرى (٤٩٨). وهى مقدمة قصيدة طويلة ليزيد بن ضَبَّة مولى ثقيف فى مديح الوليد بن يزيد(٤٩٩) !

وإذا كانت المقطوعات الغزلية العفيفة السابقة قد امتزجت بشعره خطأً ، فإن رواة الشيعة وعلماء أهل السنة من الفقهاء والمحدثين ومن أخذ عنهم من الأدباء والمؤرخين المتأخرين أقحموا فى شعره غير

---

(٤٩٣) الأغانى ٣ : ٣٦٦ .
(٤٩٤) معجم البلدان ٤ : ٩١٠ .
(٤٩٥) معجم البلدان ٣ : ٦٧٢ .
(٤٩٦) ديوان العرجى ص : ٦٣ ، ١٠٠ ، ١١١ ، ١٦٦ .
(٤٩٧) الحيوان ٢ : ٢٩٦ ، ٥ : ٢٢٨ .
(٤٩٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٠ .
(٤٩٩) الأغانى ٧ : ٩٧ .

قليل من الغزل العَاهِر الدَّاعر ، لورود اسم سلمى فى بعضه إفساداً لجميع أخباره وأشعاره ، وترسيخاً لما ألصقوه به من الفسق والتَّهتُّك. فقد أنشد له البلاذرى[٥٠٠] ، وابن عبد ربه[٥٠١] هذه الأبيات :

ألا لَيْتَ الإله يُحينُ سَلْمَى ... فإنَّ الله يَفْعَلُ ما يشاءُ
فَيُخْرِجُها فَيطْرَحُها بأرْضٍ ... ويُرْقِدُها وقد سَقَطَ الرِّداءُ
ويأْتى بى فَيطْرَحُنى عليها ... فأُوقِظُها وقد قُضِىَ القَضاءُ
ويُرْسِلَ ديمةً سَحًّا علينا ... فَيَغْسِلَنا فلا يَبْقَى العَناءُ

وهى تطفح بالمجون والفجور والأحلام السخيفة التى تدل على شخصية معقدة عاجزة ممايخالف مضمون غزل الوليد البرىء والشفاف ، وممالايُسفُّ إليه من هو فى مثل حاله وقدرته . وأبو اليقظان – وهو من غلاة الشيعة وممن جرَّحه العلماء[٥٠٢] هو الذى نحلها له ، لأن البلاذرى حملها عنه . وممايقطع بأن أبا اليقظان هو أول من دَسَّها فى شعره أن الأصمعى[٥٠٣] أنشدها لبدوى عاشق ، أضناه العشق وذهب بعقله .

وأشد من القطعة السابقة تَعهُّراً قطعة أخرى رواها له أبو الفرج فقال : « نسخت من كتاب الحسين ابن فهم ، قال النضر بن حديد : حدثنى ابن أبى جناح قال : أخبرنى عمر بن جَبَلة أن الوليد ابن يزيد بات عند امرأة وَعَدَتْهُ المبيت ، فقال حين انصرف :

قامتْ إلىَّ بتَقْبيلٍ تُعَانِقُنى ... رَيًّا العِظام كأنَّ المِسْكَ فى فِيهَا
أُدْخُلْ فَدَيْتُكَ لا يَشْعُر بنا أحدٌ ... نَفْسى لِنَفْسِكَ مِنْ داءٍ تُفَدِّيها
بِتْنَا كذلكَ لانَوْمٌ على سُرُرٍ ... مِنْ شِدَّةِ الوَجْدِ تُدْنِينى وأُدْنِيها
حتى إذا ما بَدا الخَيْطانِ قلتُ لها : ... حانَ الفِراقُ فكادَ الحُزْنُ يُشْجِيها
ثم انْصَرَفْتُ ولم يَشْعُرْ بنا أَحَدٌ ... والله عَنِّى بِحُسْنِ الفِعْلِ يَجْزِيها[٥٠٤]

وهذا شعر إباحىٌّ يُجَافى روحَ غزل الوليد ، ويُنافى معانيه ومبانيه الساذجة البسيطة ومن كان له سلطانُهُ و سَطْوَتُهُ وكان الجوارى بين يديه ، والحسانُ طوعَ أمره لايَتَعَقَّبُ البغايا الساقطات ولايغامر فى سبيلهن .

(٥٠٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٥ .
(٥٠١) العقد الفريد ٤ : ٤٥٤ .
(٥٠٢) لسان الميزان ٧ : ٤٩٠ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٥٠ .
(٥٠٣) حلبة الكميت ص : ٩٢ .
(٥٠٤) الأغانى ٧ : ٤٧ .

وسلسلة الرواة فيها فجوات ومطاعن تُرَجِّح أن الخبر والشعر مما وُضِعَ عليه فالنضر بن حديد ليس من شيوخ الحسين بن فهم[٥٠٥]، وهو شخصية مجهولة ، وبقية رجال السند الذين أخذ النضر الخبر والشعر عنهم من المطمورين الذين لم يذكرهم أصحاب كتب التراجم على اختلافها .

وأكثر منها فجوراً واستهتاراً بالدين قطعتان أخريان روى الأولى أبو محمد السراج[٥٠٦]، وابن عساكر[٥٠٧] ، والذهبي[٥٠٨] ، وابن شاكر الكتبي[٥٠٩] ، وابن كثير[٥١٠] ، وروى الثانية ابن عساكر[٥١١] ، وابن شاكر الكتبي[٥١٢] ، وابن كثير[٥١٣] وقدَّموا لها بهذا الخبر فقالوا : قال المعافا ابن زكريا عن شيوخه : كان الوليد بن يزيد ينظر إلى جارية نصرانية من حسان النساء ، يقال لها : سَفْرَى ، فَجُنَّ بها ، وجعل يراسلها وتأبىَ عليه حتى بلغه أن عيداً للنصارى قد قَرُب وأنها ستخرج فيه ، وكان فى موضع العيد بستان حسن ، وكان النساء يدخلنه ، فصانع الوليد صاحب البستان أن يُدْخِلَه فينظر إليها ، فتابعه . وحضر الوليد وقد تَقَشَّفَ وغَيَّر حُلَّته ودخلت سفرى البستان ، فجعلت تمشى حتى انتهت إليه ، فقالت لصاحب البستان : من هذا ؟ فقال لها : رجل مصاب . فجعلت تمازحه وتضاحكه حتى اشتفى من النظر إليها ومن حديثها . فقيل لها : ويلك ! أتدرين من ذلك الرَّجُل ؟ قالت : لا ، فقيل لها : الوليد بن يزيد . وإنما تقشف حتى ينظر إليك ، فَحَنَّتْ إليه بعد ذلك وكانت عليه أحْرَصَ منه عليها فقال الوليد فى ذلك :

أَضْحَى فُؤادُك ياوليدُ عَميدا ... صَبًّا قديماً للحسان صَيُودَا
من حُبِّ واضحة العَوارِض طَفْلَةٍ ... بَرَزَتْ لنا نَحْوَ الكنيسة عِيدَا
مازلتُ أَرْمُقُها بِعينَىْ وَامِقٍ ... حتَّى بَصُرْتُ بها تُقَبِّلُ عُودَا
عُودَ الصَّلِيب فَوَيْحَ نفسى مَنْ رأَى ... منكمْ صَلِيباً مِثْلَهُ مَعْبُودَا
فسألتُ ربِّى أنْ أكونَ مكانَهُ ... وأكونَ فى لَهَبِ الجحيم وَقُودَا

---

(٥٠٥) انظر شيوخه فى تاريخ بغداد ٨ : ٩٢ ، ولسان الميزان ٢ : ٣٠٨ ، وميزان الاعتدال ١ : ٥٤٥ .
(٥٠٦) مصارع العشاق ٢ : ١٦٨ .
(٥٠٧) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨١ ظ .
(٥٠٨) تاريخ الإسلام ٥ : ١٧٥ .
(٥٠٩) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ١٩ ظ .
(٥١٠) البداية والنهاية ١٠ : ٧ .
(٥١١) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨١ ظ .
(٥١٢) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ١٩ ظ .
(٥١٣) البداية والنهاية ١٠ : ٧ .

وقال فيها لما ظهر أمرُه وعَلِمَه النَّاسُ :

أَلاَ حبَّذا سَفْرِى وإنْ قِيلَ إننى كَلِفْتُ بِنَصرانيَّة تَشْرَبُ الَخمرا
يَهُونُ علينا أَنْ نَظَلَّ نهارَنا إلىَ الليلِ لاظُهْراً نُصَلِّى ولا عَصْراَ

وأسلوب القصص ظاهر فى الخبر والشعر ، والشعر حكاية للخبر ، وربما كانا مما افتعله عليه المتأخرون وَوَلَّدوه من قصة طوافه بقصر سعيد بن خالد مُتَنكِّراً بزىٍّ زيات ليرى صاحبته سلمى ، ومانظم فى الحادثة من شعر ، فإن أحداً من الرواة والإخباريين والمؤرخين لم يذكرهما حتى العقد التاسع من القرن الرابع ، مع أن البلاذرى وأبا الفرج حَفِظا السَّليم والسَّقيم من شعر الوليد الغزلى .

والمُعَافَا بن زكريا المتوفى سنة تسعين وثلاثمائة هو أول من ساق الخبر والشعر ، ثم نقلها عنه العلماء فى القرون التالية . وهو من الفقهاء الذين أخذتهم الغَيْرَةُ على الخلفاء ، والعصبية للإسلام حين سمع بأخبار الوليد وأشعاره المزيفة التى تَعُجُّ بالانحلال والإباحة والانسلاخ من الدين ، وكان فيه تعسف واندفاع وتحامل شديد على الوليد ، فجعل هَمَّه أن يُؤَكِّد كلَّ ماوُضِعَ عليه ، وأن يُحقِّق كل مَارُمِى به ، فاختار من أخباره وأشعاره المصنوعة أوالمنحولة أَرْدَأها وأسْوأها وأدلَّها على الخلاعة والفسق والإشراك بالله ، وهو نفسه يفصح عن ذلك فى تضاعيف كتابه الذى صَنَّفَهُ فى سيرة الوليد ، إذ يقول : « جمَعت فى كتابى من أخبار الوليد وأشعاره ماضَمَّنَهُ مافَجَرَ به من خُرْقِه وسخافته وخسارته وحُمْقِه وماصَرَّح به من الإلحاد فى القرآن والكفر بالله »(٥١٤) .

فهو ليس بمنصفٍ ولا معتدلٍ ولا مأمونٍ ، إذ يُعْلِنُ أن غايته من كتابه التشهيرُ بالوليد ، والتنديد به ، وسَرْدُ كلِّ ماشُنِّعَ به عليه ، فقبل لذلك كل ماحُمِل عليه من خبيث الأشعار ، وفاسد الأخبار ، وكان له دورٌ كبيرٌ ، وتأثيرٌ واسعٌ فيمن جاء بعده من المؤلفين ، فقد اقتبسوا من كتابه الأشعار والأخبار المخترعة أوالمدسوسة على الوليد ، ونقلوا منه أحكامه المُجْحِفَةَ المُتَعَسِّفة ، ورددوها دون فَحْصٍ أوتمحيص .

فأشعار الوليد الغزلية الصحيحة عفيفة بسيطة فى دلالاتها وظلالها وتراكيبها وأسلوبها وأشعاره الغزلية العاهرة تشاكل أخباره الغزلية الفاجرة ، وهى جميعاً مما افتراه عليه ، أونحله له رواة الشيعة ، وغيرهم من الأدباء والمؤرخين المُتَحَيِّزين أوغير المدققين .

---

(٥١٤) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨١ ظ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة : ١١١ ظ ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٥ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥١ .

٥ – الوليد وسباق الخيل

كان سباق الخيل رياضة من رياضات أشراف العرب وفرسانهم فى الجاهلية ، وظلوا مشغوفين به فى صدر الإسلام(٥١٥) ، وفى كتب الخيل أخبار وفيرة تصور عناية أهل الأمصار بالخيول ، فى أيام بنى أمية ، وفراسة بعضهم بها ، وحِرْصَ عِلْيَتهم وَسَرَوَاتهم على امتلاك أَعْتَقها ، وصيانَتِهم لها ، ومفاخَرَتِهم بأنسابها ، وتمجُّدَهم باقتناء أعرقها(٥١٦) ، وماكانوا يَعْقِدُون من مُسَابقات بينها ، ومراهنات عليها فى البصرة(٥١٧) ، والكوفة(٥١٨) ، والمدينة(٥١٩) ، واليمامة(٥٢٠) ، ودمشق(٥٢١) ، وخراسان(٥٢٢) .

ويتقدم الخلفاء والأمراء الأمويون سادة العرب فى الاهتمام بالخيول والسباق تقدماً كبيراً ، فقد كان معاوية عارفاً بالخيول وأنواعها وسلالاتها(٥٢٣) ، وكان ابنه يزيد فارساً معدوداً ومسابقاً مذكوراً(٥٢٤) .

واحتفل الخلفاء المروانيون بالخيول احتفالاً شديدًا ، فسِيقَتْ لهم من كافة البلدان ، وجمعوا لأنفسهم أكرمها وأجودها ، وأنفقوا عليها الأموال الطائلة ، إذ خصصوا لها ساسة ، ومُدَرِّبين ، وأنشأوا لها الحلبات الواسعة ، وأقاموا بينها المسابقات الضخمة .

وفى أخبار عبد الملك بن مروان أن الخيل كانت تُهْدَى إليه(٥٢٥) ، فكان يَهَبُها لأَبنائه ، فيسابقون بها(٥٢٦) ، وآثر ابنه الوليد بآصلها ، وكان محبا للخيل حبًّا عظيماً ، فانهمك فى السباق فى أثناء ولايته

---

(٥١٥) نسب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها ، لابن الكلبى ص : ٢ ، وكتاب الخيل ، لأبى عبيدة ص : ٢ ، وحلبة الفرسان وشفار الشجعان ص : ١٤١ .

(٥١٦) نسب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها ص : ٩ ، وكتاب الخيل ، للأصمعى ص : ٣٧٩ ، وأسماء خيل العرب وفرسانها ، لابن الأعرابى ص : ٥١ .

(٥١٧) كتاب الخيل ، للأصمعى ص : ٣٨٤ ، ونسب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها ص : ٤٢ ، ٤٣ .

(٥١٨) نسب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها ص : ٤٧ .

(٥١٩) المصدر نفسه ص : ٤٥ .

(٥٢٠) المصدر نفسه ص : ٤٥ .

(٥٢١) المصدر نفسه ص : ٤٥ ، ٤٦ .

(٥٢٢) المصدر نفسه ص : ٤٤ .

(٥٢٣) مروج الذهب ٤ : ٣٤٧ .

(٥٢٤) نسب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها ص : ٤٣ ، وتاريخ الطبرى ٥ : ٣٠٢ .

(٥٢٥) نسب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها ص : ٤٧ .

(٥٢٦) المصدر نفسه ص : ٤٤ .

للعهد انتهاكاً مُتصلاً ، وكان يُجْرى الخيل مع أترابه من الأمراء السفيانيين ، كعبد الله بن يزيد ابن معاوية(٥٢٧) ، فلما استخلف زاد غرامه بالخيل فامتلك أشرفها وأقام السباق بينها فى مناسبات عديدة ، كانَ يَؤُمُّها الهواة والمحترفون من فرسان العرب بنجد(٥٢٨) ، والحجاز(٥٢٩) ، والعراق(٥٣٠) ، ويشاركون فيها .

وباراه هشام فى الاحتفاء بالخيل والسباق ، وتفوق فيه عليه ، فكان يستجيد الخيل العتاق ويشتريها(٥٣١) ، ولكنه لم يكن فارساً رشيقاً خفيفاً ، فقد كان فيه ثقل ، فكان مُغَلَّباً لا يكاد يَتَقَدَّمُ منافسيه فى السباق إلا نَّادراً وكان إذا فاز يُسَر ويَبْتهج ابتهاجا شديداً ، ويسأل الشعراء أن يُخَلِّدوا فَوْزَه بقصائدهم ، ويمدحوه ويمدحوا خيله ، وفى ذلك يقول ابن قتيبة : كان هشام بن عبد الملك مُسَبَّقاً لا يكاد يَسْبِقُ فَسَبَقَ ذات يوم على فرس له أنثى ، وصَلَّى على ابنها ، ففرح وقال : عَلَىَّ بالشعراء ، قال أبو النجم : فدعينا ، فقيل لنا : قولوا فى هذه الفرس السابقة وفى ابنها ، فقال أصحاب القصيد : أَنْظِرنا حتى نقول ، وقلت فى مقامى ذلك : هل لك فى رجل يَنْقُدُكَ إذا استَنْشَئُوك ؟ قال : هاته فقلت من ساعتى :

أشاع لِلْغَرَّاء فينا ذِكْرَها ... قوائمٌ عُوجٌ أَطَعْنَ أَمْرَها
وما نَسِينَا بالطريق مُهْرَها ... حين نَقِيسُ قَدْرَهُ وقَدْرَها
وضَبْرَهُ إذْ أَوْعَثَا وضَبْرَهَا ... والماءُ يَعْلو نَحْرَهُ ونَحْرَهَا(٥٣٢)
مَلْبُونَةً شَدَّ المليكُ أَسْرَهَا ... أسفلَها وبَطْنَها وظَهْرَها(٥٣٣)
قد كادَ هَاديها يكونُ شَطْرَهَا ... لا تَأْخُذُ الحَلْبَةُ إلاَّ سُؤرها(٥٣٤)

وكان إذا سَبَقَتْ خَيْلَهُ خَيْلُ غيره يَحْتَدُّ ويثور ، وفى ذلك يقول البلاذرى : «كان خالد القسرى حَبَس عمر بن هبيرة لما عزله هشام وَوَلَّى خالداً على العراق . ثم هرب ابن هبيرة فلما قدم على هشام

(٥٢٧) معجم الأدباء ٤ : ١٦٦ .

(٥٢٨) كتاب الخيل ، للأصمعى ص : ٣٨٥

(٥٢٩) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ١١٤ .

(٥٣٠) معجم الأدباء ٤ : ١٩٨ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٢٤٧ .

(٥٣١) نسب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها ص : ٤٥ ، ٤٦ ، ومروج الذهب ٣ : ٢١٧ ، وشذرات الذهب ١ : ١٦٣ .

(٥٣٢) الضبر : وثب الفرس جامعا قوائمه . أوعثا : جريا فى الوعث والسهل تغيب فيه الأقدام .

(٥٣٣) ملبونة : سقيت اللبن وربيت عليه .

(٥٣٤) الشعر والشعراء ص : ٦٠٥ .

وأَمَّنَهُ كادَهُ الأَبْرَشُ الكلبي وأصحاب خالد بن عبد الله ، فأَعَدُّوا مائة من خيل المضمار بساستها وقُوامها ، فَقَدَّموها وأَضْمروها ، وأمروا مُجْريها أَنْ يعرضوا بها هشاماً إذا رَكِبَ يَوْماً . فَعُورضَ بها ، فسأل عنها ، ورأى خيلاً لا يعرفها لنفسه ، فقالوا : هذه لابن هبيرة ، فاسْتَشَاطَ غَضَباً ، وقال : واعجباً ! اختان ما اختان ، ثم قدم ! فوا الله مارضيت عنه بعد »(٥٣٥) .

وفى أخباره أنه وَسَّعَ الحَلْبَةَ ، ومَدَّ الغَايَة ، وسابَقَ بين آلاف الخيول من كافة الأمصار ، إذ يقول هشام بن محمد بن السائب الكلبي : « قال هشامٌ يوماً لِقُوّامِهِ على خيله : كم أكثرُ ما ضَمَّتْ حَلْبَةٌ من الخيل فى الجاهلية والإسلام ؟ قالوا : ألف فرس ، وقيل ألفان . فأمر أن يُؤَذَّنَ بالناس بِحَلْبَة تضُمُّ أربعة آلاف فرس . فقيل له : يا أمير المؤمنين ، يَحْطُم بَعْضُها بَعْضاً . فلا يَتَّسعُ لها طريق . فقال : نُطْلِقُها ونَتَوَكَّل على الله ، والله الصَّانع ، فجعل الغاية خمسين ومائتى غَلْوَة والقَصَب مائة ، والمقوس ستة أسهم . وقاد إليه الناس من كل أوب ، ثم برز هشام إلى دهناء الرصافة قُبَيْل الحلبة بأيام ، فأصلح طريقا واسعاً لايضيق بها ، فأرسلت يوم الحلبة بين يديه ، وهو ينظر إليها تدور حتى ترجع ، وجعل الناس يَتَراؤونها حتى أقبل الزائد كأنه ريحٌ لايَتَعَلَّقُ به شىء حتى دخل سابقا ، وأخذ القصبة ، ثم جاءت الخيل بعد ذلك أَفْذَاذاً وأفواجاً ووثب الرجاز يرتجزون منهم المادح للزائد ، ومنهم المادح لفرسه ، ومنهم المادح لخيل قومه ، فوثب حفص الأموى مولاهم وقام مُرْتَجزاً يقول :

إنَّ الجوادَ السَّابقَ الإمامُ ... خليفةُ الله الرِّضَى الهُمَامُ
إنَّ هشاماً جَدهُ هشامُ ... مـقـابَـلٌ مُـدابـرٌ هَضَّامُ
جَرَى بِهِ الأخوال والأعمامُ ... نَجْلٌ كنجلٍ كُلُّهُمْ قدامُ
سَنُّوا لهُ السَّبْقَ وما استَقَامُوا ... حتى استَقامَ حيثُما استَقَاموا
وأَحْرَزَ المجدَ الذى أقامُوا ... أَطْلَقَ وهو يَفعٌ غُلامُ
فى حَلْبَةٍ تَمَّ لها التمامُ ... من آل فِهْرٍ وهُم السَّنامُ
فَـبَـذَّهـا سَبْـقـاً ومـا أَلامُـوا ... كذلك الزائدُ يومَ قامُوا
أتى بَبْدءِ الخيْلِ مايُرامُ ... مُـجَـلِّـيـاً كـأنَّـهُ حُسَامُ
سَبَّاقُ غاياتٍ لها ضِرامُ ... لايَـقْـبَـلُ الـعَـفْـوَ ولايُضَامُ
وَيْلُ الجيادِ منهُ ماذا رامُوا ... سَهْمٌ تَفِرُّ دونَهُ السِّهامُ

فأعطاه هشام يومئذ ثلاثة آلاف درهم ، وخَلَعَ عليه ثلاث حُللٍ من جَيِّدِ وَشْى اليمن وحمله على

(٥٣٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٦٩ .

فرس من خيله السوابق ، وانصرف معه ينشده هذا الرجز حتى قعد فى مجلسه ، وأمر بملازمته فكان أثيراً عنده »(٥٣٦) .

وفُتن الوليد بن يزيد بركوب الخيل والسباق بها ، وكان فيه قوة وفتوة ، وكان بصيراً ، بالخيل ، فانتقى لنفسه أعتقها وأكرمها ، إذ يروى المدائنى « أن رجلاً أهدى إلى هشام بن عبد الملك خيلاً . وكان فيها فرس مربوع ، قريب الركاب ، فعرف الوليد منه ما لم يعرف هشام ، فَنَهَر الرجل وشتَمه وقال : أتجيء بمثل هذا إلى أمير المؤمنين ! رُدُّوه عليه ، فَرَدُّوه فلما خرج وَجَّه إليه بثلاثين ألف درهم وأخذه منه ، فهو فرسه الذى يسميه السّندى »(٥٣٧) .

وهو يتحدث فى شعره عن عشقه للخيل ، ومعرفته بها ، وتدريبه لها ، وادخاره إياها للسباق ، إذ يقول فى فرسه السّندى وتمرينه له ، مفاخراً به هشاماً(٥٣٨) :

قد أغتَدى بذى سَبيب هَيْكل ‏ ‏ مُشَرَّب مثل الغُراب أَرْجَلِ(٥٣٩)
أعْدَدْتُهُ لِحَلبات الأحول ‏ ‏ وكلِّ نفعٍ ثائرٍ لِجَحْفَلِ
وكلِّ خَطْبٍ ذى شُئونٍ مُعْضلِ

فقال هشام : لكنَّا أعْدَدْنَا له ما يَسُوؤه ، نَخْلَعُه ونُقْصِيه ، فيكون مُهاناً مدْحوراً مُطَّرَحاً .

وحمل المسعودى أطرافاً من أخبار عناية الوليد بالخيل والسباق ، ومَنْ كان يَفِدُ على حَلَباته من أشراف قريش ، وهى تشير إلى أنه قلَّد هشاماً فى العناية بالخيل والسباق ، ولكنه لم يبلغ مبلغه ، إذ يقول المسعودى : « كان الوليد مُغْرًى بالخيل وحبها وجمعها ، وإقامة الحلبة . وكان السِّندىُّ فَرَسُهُ جَوادَ زمانه . وكان يسابق به فى أيام هشام ، وكان يُقَصِّرُ عن فرس هشام المعروف بالزائد ، وربما ضَامَّهُ ، وربما جاء مُصَلِّياً(٥٤٠) » وأجرى الوليد الخيل بالرصافة وأقام الحلبة ، وهى يومئذ ألف قارح ، ووقف بها ينتظر الذائد(٥٤١) ومعه سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص ، وكان له فيها جواد يقال له : المصباح ، فلما طلعت الخيل قال الوليد :

---

(٥٣٦) معجم الأدباء ، ٤ : ١١٦ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٣٨٨ .
(٥٣٧) الأغانى ٧ : ٦٤ .
(٥٣٨) الأغانى ٧ : ٦٥ .
(٥٣٩) الهيكل من الخيل : الكثيف العَبْلُ اللين ، والطويل عُلُوًّا وعَدْواً . والمشرب : الممزوج لونه بحمرة . والأرجل من الخيل : الذى فى إحدى رجليه بياض .
(٥٤٠) مروج الذهب ٣ : ٢٣٠ .
(٥٤١) فى مروج الذهب ٣ : ٢٣٠ : الزائد ، والصحيح الذّائد ، كما فى نسب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها ص ٤٤ ، ولسان العرب ٤ : ١٤٨ . والزائد فرس هشام .

خيْلى وَرَبِّ الكَعْبَةِ المُحَرَّمَهْ سَبَقْنَ أفْراسَ الرِّجالِ الْلُّوَمَهْ
كما سَبَقْنَاهُمْ وحُزْنَا المكْرُمَهْ
كذاك كُنَّا فى الدُّهور المُقَدَّمَهْ أهلَ العُلاَ والرُّتَبِ المُعَظَّمَهْ

فاقبل فرس ابن الوليد – ويقال له : الوضاح – أمام الخيل ، فلما دنا صرع فارسه ، وأقبل المصباح فرس سعيد يتلوه وعليه فارسه ، وهو فيما يرى سعيد يُعَدُّ سابقاً ، فقال سعيد ، والوليد يسمع :

نَحْنُ سَبَقْنَا اليومَ خَيْلَ اللُّومَه وصَرَفَ الله إلينَا المكْرُمه

فضحك الوليد لما سمعه ، وخَشِيَ أن تَسْبق فرس سعيد ، فركض فرسه حتى سَاوَى الوضاح ، فقذف بنفسه عليه ، ودخل سابقا ، فكان الوليد أول من فعل ذلك ، وَسَنَّهُ فى الحَلْبَة»(٥٤٢) .

ويظهر أن الوليد كان شديد الاهتمام بالخيل ، وأنه كان يقيم السباق كثيراً ، مما يدل عليه قول المسعودى : « للوليد بن يزيد أخبار حسان فى جمعه الخيول فى الحلبة ، فإنه اجتمع له فى الحَلْبَة ألف قارح ، وجمع بين الفرس المعروف بالذائد والفرس المعروف بالسندى ، وكانا قد برزا فى الجرى على خيول زمانهما . وقد ذكر ذلك جماعة من الإخباريين وأصحاب التواريخ مثل ابن عفير ، والأصمعى ، وأبى عبيدة ، وجعفر بن سليمان . وقد أتينا على الغُرَرِ من أخباره فى أخبار الخيل والحلبات ، وخبر الفرس المعروف بالذائد ، والسندى ، وأشقر مروان ، وغير ذلك من أخبار من سلف من الأمويين ، ومن تأخر فى كتابنا المترجم بالأوسط »(٥٤٣) .

فالخلفاء الأمويون كلفوا بالخيل والسباق ، ولكن المروانيين منهم عشقوا الخيل واستكثروا منها ، وأفاضوا فى إقامة الحلبات لها ، لاستقرار حكمهم ، وكثرة ماأصابوا من الدعة ، وماأحرزوا من الثروة .

ولم يتخلف الوليد بن يزيد عنهم فى الاحتفال بالخيل والسباق ، فقد شابههم فيه ، فهو ابن عصرهم وطبقتهم ، وكان فيه فروسية بينة لم تتوفر لأحد منهم ، فهوى الخيل ، وكان ركوبها والسباق بها من رياضاته العنيفة المحببة ، إذ كان يدل بهما على قوته ، وتميزه من غيره فى فُتُوَّته .

---

(٥٤٢) مروج الذهب ٣ : ٢٣٠ .
(٥٤٣) مروج الذهب ٣ : ٢٣١ .

٦ - الوليد والصيد والتّبدى

كان الصيد فى الجاهلية معاش الطبقة الفقيرة البائسة (٥٤٤). واتخذه أبناء الطبقة الغنية وفتيان القبائل العربية وسيلة من وسائل المتعة والتسلية (٥٤٥). واستمر الموسرون من الفرسان يميلون إليه، ويقطعون أوقات فراغهم به فى عصر بنى أمية، فكانوا يخرجون فى جماعات إلى الصحارى القريبة من مدنهم وقراهم لاصطياد الحيوانات الوحشية (٥٤٦).

وقد شغف الخلفاء الأمويون بالتّبدّى، وهَوى بعضهم الصيد، وتَعَلّق به أكثر أبناء الأشراف والسادة. إذ كانت لديهم الأموال التى يَسّرتْ لهم أسبابَ الصيد وسُبُلَه. وقصور البرارى والأرياف فى الشام وجنوبى الأردن خير شاهد على فرارهم من المدن الوبيئة الوخيمة (٥٤٧)، ونفورهم من حياتها الراكدة، وحبهم للبوادى، وإيثارهم لطبيعتها، ففيها كانوا يَشْتُون أو يَصيفون، وينالون حظوظهم من اللهو بعيداً عن الأعين والرقباء، وبها كانوا يمارسون هواياتهم ورياضاتهم المفضلة.

ففى أخبار معاوية أنه كان يشتو بِقَصْرٍ له بالصِّنَّبْرَة (٥٤٨)، على ثلاثة أميال إلى الجنوب الغربى من طبرية (٥٤٩)، وهى منطقة كانت صالحة للصيد (٥٥٠). وكان ابنه يزيد مولعاً بالصيد ولعاً شديداً (٥٥١). ونسب إليه مؤرخو الشيعة أخباراً عجيبة تُضَخِّم اقتناءه لكلاب الصيد، وتأنُّقَهُ فى رعايتها، حتى كان فيما يزعمون يُلْبِسُها الجِلاَلَ الثمينة، ويُقَلِّدُها الأطواق الذهبية، ويُقيمُ على كل واحد منها عبداً يتعهده (٥٥٢)! وكان مروان بن الحكم يتردد على الصِّنَّبرة (٥٥٣)، وفى بعض الروايات

---

(٥٤٤) العصر الجاهلى ص: ٧٩.

(٥٤٥) انظر ديوان امرئ القيس ص: ٣٦، ٤٦، ٧٥، ١٦٠، ١٧٢، ٢٦٨، وشرح ديوان زهير بن أبى سلمى ص: ١٣٠.

(٥٤٦) الأغانى ١٣: ٣٦١، والشعر والشعراء ص: ٦٠٦، والعصر الإسلامى ص: ١٩٧.

(٥٤٧) تاريخ الطبرى ٧: ٢٠٧، والكامل فى التاريخ ٥: ٢٦٣، ومآثر الإنافة فى معالم الخلافة ١: ١٥٠، والمختصر فى أخبار البشر ١: ٢٠٥.

(٥٤٨) معجم البلدان ٣: ٤١٩.

(٥٤٩) الآثار الإسلامية فى فلسطين والأردن ص: ٤٤.

(٥٥٠) الحائر فى العمارة الأموية، مقالة للدكتور فواز طوقان بكتاب المؤتمر الدولى لتاريخ بلاد الشام ص: ١١٧.

(٥٥١) تاريخ الطبرى ٥: ٣٠٢.

(٥٥٢) يزيد بن معاوية، الملك الشاعر، مقالة لجبرائيل جبور، بالجزء الثالث من مجلة الأبحاث بالجامعة الأمريكية ببيروت، عام ١٩٦٥ ص: ٣٧٤.

(٥٥٣) أنساب الأشراف ٥: ١٤٩.

أنه مات بها(٥٥٤). وكان عبد الملك بن مروان يتطوف فى بوادى الشام(٥٥٥).

وشيد الوليد بن عبد الملك قصر المُنْيَةِ على أنقاض بناء قديم فى الشمال الغربى من طبرية(٥٥٦). وكان سليمان بن عبد الملك ينزل بدابق من أرض قنسرين . وبها توفى(٥٥٧) . وكان عمر بن عبد العزيز يرتاد خُنَاصِرة شرقىَّ المَعَرَّة على تخوم البادية(٥٥٨) . وفيها مات(٥٥٩) . .

ورمم يزيد بن عبد الملك قصرين من قصور الغساسنة فى بادية الأردن جنوبى عمان هما : قصر القَسْطَل(٥٦٠) وقصر المُوَقَّر(٥٦١) ، وكان يقيم فيهما طويلا ، ويصطاد بالمناطق المحيطة بهما . وأنفق هشام أموالاً كثيرة على القصور الصحراوية ، إذ أنشأ قصراً ضخماً بخربة المُفَجَّر شمالىَّ أريحا(٥٦٢) ، كان يَشْتُو به ، ويصطاد فى الأغوار الممتدة على جانبيه . وشيّد بالرصافة فى أيام ولايته للعهد قصر الزَّيتُونة على بعد خمسة وثلاثين ميلاً غربى تدمر(٥٦٣) . وبنى بها فى خلافته قصر الرصافة ، على بعد ستين ميلاً شرقى تَدْمُر(٥٦٤) .

وليس المهم فى القصرين فخامتها وتعدد مبانيها وروعة ما بهما من الزخارف والتصاوير ، وإنما المهم أنه ألحق بكل منهما حائراً جمع فيه الحيوانات الوحشية محافظة عليها ، وتوفيراً لها ، حتى تكون متيسرةً له حين يريد الصيد ، فلا يكلف نفسه مشقة البحث عنها ومطاردتها فى الصحراء(٥٦٥) ، إذ ضَمَّ إلى قصر الزيتونة رقعة مستطيلة الشكل مساحتها خمسمائة دونم ، وسَوَّرها بجدار من الطوب وأجرى إليها الماء ، وحشر فيها الحيوانات ، وجعل لها حراساً يراقبونها ويُعْنَوْنَ بها(٥٦٦) . وألحق بقصر الرصافة أرضاً واسعةً مساحتها خمسمائة وثمانية آلاف دونم ، وأحاطها بسور من الحجر يرتفع أكثر من

---

(٥٥٤) البداية والنهاية ٨ : ٢٦٠ .

(٥٥٥) الإمامة والسياسة ٢ : ١٢٥ .

(٥٥٦) الآثار الإسلامية فى فلسطين والأردن ص : ٤٦ ، والحائر فى العمارة الأموية ص : ١١٦ .

(٥٥٧) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٤٦ .

(٥٥٨) معجم البلدان ٢ : ٤٧٣ .

(٥٥٩) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٦٥ .

(٥٦٠) تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ص : ١٠٠ ، والحائر فى العمارة الأموية ص : ١٢٠ .

(٥٦١) معجم البدان ٤ : ٦٨٧ ، وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين ٢ : ١٢٥ ، والآثار الإسلامية فى فلسطين والأردن ص : ٢١٧ . والحائر فى العمارة الأموية ص : ١١٩ .

(٥٦٢) الآثار الإسلامية فى فلسطين والأردن ص : ٤٩ ، والحائر فى العمارة الأموية ص : ١١٦ .

(٥٦٣) معجم البلدان ٢ : ٩٦٥ ، والحائر فى العمارة الأموية ص : ٧٦ .

(٥٦٤) معجم البلدان ٢ : ٧٨٥ ، وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين ٢ : ١٢٧ .

(٥٦٥) مرآة الجنان ١ : ٢٦١ ، وشذرات الذهب ١ : ١٦٥

(٥٦٦) الحائر فى العمارة الأموية ص : ٧٧ .

أربعة أمتار ، وسَيَّر إليها الماء ، وحشد فيها غير قليل من الحيوانات ، وخَصَّص لها قوَّامين يشرفون عليها(٥٦٧) .

وكان الوليد بن يزيد فَتِيًّا فُتُوَّةً ظاهرة ، فارساً فروسيةً نادرة ، كان طويل أصابع اليدين والرجلين ، كان يوتد له سكة حديد فيها خيط ، ويُشَدُّ الخيط فى رجله ، ويُؤْتَى بالدابة ، فَيَثِبُ عليها ، فينتزع السكة . ويركبُ ما يَمَسُّ الدابة بيده(٥٦٨) . وكان إذا جمع جَراميزَه (نفسه) ، ووثب من الأرض على ظهر فرسه كأنه لم يزل فوقه(٥٦٩) ! فأغرته إجادته لركوب الخيل ، وقوته البدنية بالصيد ، فأكثر التجوال فى بوادى الأردن ، وأنشأ بها بجانب ما ورثه من قصور أبيه كالقَسْطَل والمُوَقَّر قصوراً عديدةً منها ما هو موغل فى أعماق الصحراء كقصر أَبايِر(٥٧٠) الذى كان يخرج إليه أيام الربيع ، وقصر الطوبة (٥٧١). فى وادى الأغدف شمالىَّ العقبة ، ومنها ما يقع جنوبىَّ عمان كقصر المُثَنَّى(٥٧٢) على بعد ثلاثة أميال شرقى قرية زيزيا الحالية التى تعرف عند القدماء بِزيزاء(٥٧٣) وكان يتبدّى به أثناء ولايته للعهد ، وقصر عَمْرَة الذى يرجح أنه هو الذى بناه(٥٧٤) لا الوليد بن عبد الملك(٥٧٥) ، وهو على مقربة من وادى البُطُم . وكان الوليدينزل بمنطقة الأزرق(٥٧٦) جنوبى عمان ، وبها آثار قلعة رومانية تعرف اليوم بقصر الحلاَّبات(٥٧٧) .

فى هذه البوادى الشاسعة المترامية من عمان إلى العقبة جنوباً ، وإلى حدود العراق والشام شمالاً أمضى الوليد كثيراً من أيام حياته فى ريعان شبابه ، وتأبَّد بها فى آخر ولايته للعهد ، ولم يُفارِقْها إلا بعد

---

(٥٦٧) الحائر فى العمارة الأموية ص : ٨١ .

(٥٦٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٥ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٣ . والبرصان والعرجان ص : ٢١٩ ، ودول الإسلام ١ : ٦٠ ، والعبر فى خبر من غبر ١ : ١٦١ .

(٥٦٩) البرصان والعرجان ص : ٢١٩ .

(٥٧٠) معجم البلدان ١ : ٤١٥ ، والحائر فى العمارة الأموية ص : ١١٥ . وقد حَرَّف المحققون رسمه فى كتاب الأغانى ٢ : ٣٠٩ ، إذ سموه أباين ، وتصويبه من معجم البلدان ، فقد ضبطه ياقوتضم الهمزة ، وكسر الياء الثانية .

(٥٧١) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١١ ، والحائر فى العمارة الأموية ص : ١١٥ ، والآثار الإسلامية فى فلسطين والأردن ص : ٢٠٥ .

(٥٧٢) تاريخ سورية ولبنان فلسطين ٢ : ١٢٤ ، والآثار الإسلامية فى فلسطين والأردن ص : ٢٠٢ ، والحائر فى العمارة الأموية ص : ١١٨ .

(٥٧٣) معجم البلدان ٢ : ٩٦٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٧ ، والعامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٨ .

(٥٧٤) الحائر فى العمارة الأموية ص : ١١٨ .

(٥٧٥) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ٢ : ١٢٣ .

(٥٧٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٢ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١١ ، والأغانى ٢ : ٢٣٩ ، ٧ : ٨ . والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٥ .

(٥٧٧) الآثار الإسلامية فى فلسطين والأردن ص : ٢٠٨ . والحائر فى العمارة الأموية ص : ١٢٢ .

أن جاءه البشير بموت هشام ، ثم تَرَدَّدَ عليها مراراً بعد استخلافه وهى بوادٍ تجرى فيها الأودية والمياه فى فصل الشتاء والربيع ، فتتكاثف بها الأشجار والأعشاب وتمتلئ بالحيوانات الوحشية والطيور كالقطا والحَجل وغيرهما .

وفيها اشتغل الوليد بالصيد ، فكان ينطلق له من أحد قصوره الصحراوية ومعه رفاقه وخاصته من الشعراء والظرفاء والفرسان(٥٧٨) ، فكان يقضى اليوم فى تتبع الصيد ، وقد تمتد رحلته أياماً فتقصده الوفود فلاتجده(٥٧٩)

ويبدو أنه كان محباً صيد حمر الوحش ، لما كان يبعث فى نفسه من متعة ولذة ، فهو رياضته الشاقة المفضلة التى كان يَحْتَمل قسوتها وأخطارها لما أوتى من شدة وبأس وشجاعة ، ولما تحقق له من حسن التدريب والتمرين . ففى أخباره أنه سُمِّى البيطار لأنه كان يصيد الحمر الوحشية ، فَيَسِمُها بالوليد ثم يُخَلِّيها ، فَوُجِدَت فى أيام أبى العباس السفاح والمنصور حمر موسومة باسمه »(٥٨٠)

ومما يصور صبره وتقشفه وبداوته فى رحلاته البرية للصيد هذا الخبر الذى رواه المدائنى فقال : « خرج الوليد يَتَصَيد ومعه حسين بن عبيد بن برهمة الكلبى ، فانفردا عن الناس حتى انقطعا عنهم ، وتَعَالَى النهار ، وجاع الوليد ، فانتهى إلى قرية فرأى بها رجلاً جالساً فقال له : أعندك شىء نأكله ؟ قال : نعم ، وجاء بخبز شعير وزبيب أو زيت ، وكُرّاثٍ ، فأكل الوليد ، وحسين بن عبيد الكلبى ، فقال الكلبى :

إنَّ مَنْ يُطعِمُ الزَّبيبَ مَعَ الزَّيْـ ـتِ بخبزِ الشَّعيرِ والكُرّاثِ
لَحَقِيقٌ بلَطْمةٍ أو بِثِنْتَيْـ ـنِ لقُبْحِ الصَّنيعِ أو بثلاثِ

فقال الوليد : ويحك ! إنما ينبغى أن تقول :

لحقيقٌ ببَدْرَةٍ أو بِثِنْتَيْـ ـنِ لِحُسْنِ الصَّنيعِ أو بِثَلاثِ

وأقاما حتى لحقهما الناس »(٥٨١) .

وفى أحيان أخرى كان يسأل بعض الشعراء الفرسان ممن كانوا يصاحبونه فى الصيد أن يصف فرسه وما صاد به من حمر الوحش ، إذ يقول عبد العظيم بن عبد الله بن يزيد بن ضبة مولى ثقيف : « خرج الوليد إلى الصيد ومعه جدى يزيد بن ضبة ، فاصطاد على فرسه السندى صيداً حسناً ، ولحق

---

(٥٧٨) الأغانى ٧ : ٦٩ .

(٥٧٩) الأغانى ٦ : ٩١ .

(٥٨٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٩ ، ٣٢٠

(٥٨١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٥ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٣٠٨ .

عليه حماراً فصَرَعه ، فقال لجدى : صف فرسى هذا ، وصيدنا اليوم ، فقال فى ذلك :

وأحْوَى سَلِسُ المَرْسِنِ مِثْلُ الصَّدَعِ الشَّعْبِ (٥٨٢)
إذا ما حَثَّه حَاثٌ يُبارى الرِّيحَ فى غَرْبِ (٥٨٣)
وَقَفَّاهُنَّ كالأجْدَل لمّا انْضَمَّ لِلضَّرْبِ (٥٨٤)
وَوَالى الطَّعْنَ يَختارُ جَواشِنَ بُدَّنٍ قُبِّ (٥٨٥)
تَرَى كُلَّ مُدِلٌّ قَا ئماً يَلْهَثُ كالكَلْبِ (٥٨٦)
كأنَّ الدَّمَ فِى النَّحْرِ قَدالٌ عُلَّ بالخَضْبِ
يَزِينُ الدَّارَ مَوْقُوفاً ويَشْفِى قَرَمَ الرَّكْبِ

فقال له الوليد : أحسنت يايزيد الوصف وأجَدْتَه ، فاجعل لقصيدتك تَشْبيباً وأَعْطِه الْغُزَيِّلَ وعمر الوادى حتى يُغَنِّيا فيه » (٥٨٧)

وكان للوليد كلاب صَيْدٍ مُدَرَّبة ، كان يخرج بها للصيد ، ويُرْسِلُها على الظباء ، فتطاردها وتُقَيِّدُها ، وتعود إليه بها . وخرج يتصيد ذات يوم ، فصادت كلابه غزالاً فأُتِى به ، فقال : خَلُّوه ، فما رأيت أَشْبه منه جيداً وعَيْنَيْنِ بسلمى ، ثم أنشأ يقول (٥٨٨) :

ولقد صِدْنا غزالاً سَانحاً قد أَرَدْنا ذَبْحَهُ لمَّا سَنَحْ
فإذا شِبْهُكِ مانُنْكِرُهُ حينَ أَرْخَى طَرْفَهُ ثمَّ لَمَحْ
فَتَرَكْنَاهُ ولولا حُبُّكُمْ فاعْلَمِى ذاكَ لقد كانَ ذُبِحْ
أنتَ ياظَبْىُ طليقٌ آمنٌ فاغْدُ فى الغزلانِ مَسْرُوراً وَرُحْ

فأَغلَبَ الخلفاء الأمويين الذين سبقوا الوليد بن يزيد أحبوا البوادى والأرياف ، وقضوا فيها أوقاتاً طويلة ، وأنشأوا بها القصور والمنتجعات ، ولكن خلفاء القرن الأول كانوا أكثر اقتصاداً واعتدالاً ، فآثروا أن يحيوا فى قصورهم الصحراوية القليلة حياة طبيعية وزاولوا الصيد مزاولة بدوية ، أما خلفاء

---

(٥٨٢) المرسن : الانف . الصدع : الفتى الشاب القوى . والشعب : بفتح العين تباعد ما بين القرنين فهو وصف بالمصدر ، وسكن للضرورة .

(٥٨٣) غرب الفرس : حدته ونشاطه .

(٥٨٤) قفّاهن : تبعهن وطاردهن . والأجدل : الصقر .

(٥٨٥) الجواشن : الصدور . والبُدّن : السّمينة . والقب : ضامرات البطون .

(٥٨٦) المُدِلّ : الجرىء .

(٥٨٧) الأغانى ٧ : ١٠٠ .

(٥٨٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٠ ، والأغانى ٧ : ٤٨ .

القرن الثانى كيزيد بن عبد الملك ، وهشام بن عبد الملك . ففارقوا حياة أسلافهم وخاصةً هشاماً فإنه أسرف فى البذخ ، فَمَدَّن وسائل اللَّهْو البدوية ، إذ نقل الصيد من صورته الصحراوية الخشنة إلى صورة حضرية ناعمة ، تُلائِمُ ما عرف من تَكَلُّفِه فى مسراته وهواياته وتَأنُّقِه فى حياته ، وفرق بعيد بينه وبين الوليد ، فقد حبس هشام الحيوانات الوحشية فى حائر قصر الزيتونة والرصافة ، ثم جعل يَقْتَنِصُها بِتَرفٍ كلما طاب له أن يشبع رغبته فى الصيد ، فى حين كان الوليد بسيطاً مع كثرة ما ابْتَنَى من القصور ، فمضى يُلاحِقُ الوَحْشَ فى الصَّحراء ، ويُغْرِى كلابه بالظباء .

٧ - الوليد والملاهى الأخرى

كان للوليد ثلاث هوايات أخرى ، أولاها المصارعة ، وهى لون من ألوان الرياضة الشاقة التى تعتمد على القوة الجسمية والدُّرْبَة الفنية . وقد كَلِفَ الوليد بها لما كان فيه من شدة وصلابة ، ومارسها ممارسةً كثيرةً متكررةً ، وكان يصارع الأبطال المشهورين من موالى الأمويين وأبناء الأشراف . وممن صارعه عمر الأزرق مولى سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان صِرِّيعاً للوليد ، وفى تَحدِّى الوليد لعمر ، ومبارزته له ، وتَغَلُّبه عليه يقول المدائنى : « قال عمر : إنى لجالس يوماً على باب البيت الذى فيه الوليد وهو مصطبح ما عنده أحد إذ قال : يا عمر ، قلت : لَبَّيْكَ يا أميرَ المؤمنين ، قال : ويحك ! ما بَقِى منك ؟ قلت : أغلبُ الأسد ، ولا تُطِيقُنى الرجال ! فضحك وسكت ، ثم وثب عن سريره فاحتملنى على رأسه ، ثم ضرب بى الأرض ، فكاد يقتلنى ، ثم رجع إلى السرير ، واستَلْقَى فضحك . قلت : يا أمير المؤمنين ، اغْتَرَرْتَنى ، أَمَا لو أعلمتنى لعلمت ما أصنع (٥٨٩) » .

ومنهم رياح بن عثمان المرى (٥٩٠) ، لاعب الوليد فضربه بقضيب كان معه ، فقال : أوجعتنى يا أمير المؤمنين . وأخذ رياح القضيب منه فَضَربه ضربةً حَمَّرَتْ خَدَّه . فقال : « أَوْجَعْتَنى ويلك يا رياح (٥٩١) !

ومنهم محمد الحداد أرسل الوليد إليه فصارعه ، فاحتمله محمد فَوَضَعهُ على مَنْكِبَيْهِ ، ثم أتى به إلى

---

(٥٨٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٥ .

(٥٩٠) أنظر ترجمته فى جمهرة أنساب العرب ص : ٢٥٤ .

(٥٩١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٤ .

السرير فوضعه عليه ، فلطمه الوليد وضحك [٥٩٢] .

وأما الهواية الثانية فهي الشَّطْرَنْج . وهي لعبة شاعت بمكة ، وافتتح لها بعض الأغنياء نوادي كان يتردد عليها الهواة والمحترفون [٥٩٣] . وفي إتقان الوليد لها يقول ابن قتيبة : «خرج الوليد بن يزيد حَاجاً ومعه عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، فكانا ببعض الطريق يلعبان بالشطرنج ، فاستأذن عليه رجل من ثقيف ، فأَذِنَ له ، وستر الشطرنج بمنديل ، فلما دخل سَلَّم ، فسأله حاجته ، فقال له الوليد : أَقَرأْت القرآن ؟ قال : لا ، يا أمير المؤمنين ، شغلتني عنه أمور وهَنَات . قال : أفتَعْرِفُ الفقه ؟ قال : لا . قال : أَفَرَوْيت من الشعر شيئاً ؟ قال : لا . قال : أَفَعَلِمْتَ من أيام العرب شيئاً ؟ قال : لا . قال : فكشفَ المنديل عن الشطرنج وقال : شاهك ، فقال له عبد الله بن معاوية : يا أمير المؤمنين ! قال : اسكت ، فما معنا أحد [٥٩٤] ! » .

وأما الهواية الثالثة فهي رياضة الصَّوْلجان ، وهي لعبة فارسية ، فالصَّوْلَج والصَّوْلجَان والصولجانة العود المعوج ، فارسي معرب ، والجمع صَوَالجة ، والصولجان عصا يُعْطَفُ طرفها يضرب بها الكرة [٥٩٥] . ويبدو أن الوليد كان مشغوفاً بها . فأجادها وأنشأ ملعباً لها ، إذ يروى المدائني أنه كان يلعب بالصولجة في ملعب له [٥٩٦] .

تلك هي ملاهي الوليد ، وهي مما شاع في عصره ، وعكف عليه الناس في البيئات المختلفة ، وانغمس فيه الخلفاء الأمويون انغماساً مطرداً . وإقباله عليها لا يخالف إقبال أترابه من الأمراء ، وأنداده من الخلفاء المروانيين المتأخرين عليها إلا قليلا . وأغلب الأخبار التي تميزه منهم ، وتظهره مسرفاً متطرفاً متهوراً عابثاً في لهوه إنما هي محرفة مهولة أو مدسوسة مفتعلة .

---

(٥٩٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثاني ص : ٣٢٥ .

(٥٩٣) الأغاني ٤ : ٢٥٣ .

(٥٩٤) عيون الأخبار ٢ : ١٢٠ . روى ابن قتيبة الخبردون إسناد ، ورواه البلاذر عن العمرى عن الهيثم بن عدى ، ولكنه نسبة إلى هشام بن عبد الملك ، إذ يقول «كان هشام يلاعب الأبرش (الكلبي) الشطرنج ، وقد أشرف هشام على أن يغلب الأبرش ، فاستأذن الحاجب لرجل من بني مخزوم من أخواله ، فأمر بإدخاله ، وغُطِّيت الشطرنج بمنديل ، فلما دخل المخزومي سَلَّم وجَلَس ، فقال له هشام : يا خال ، أتقرأ كتاب الله ؟ قال : ما أقرأ منه إلاّ ما يقيم صلاتي . قال : أفتَرْوِى من الآثار شيئا ؟ قال : لا . قال : أفتعرف من أحاديث العرب وأشعارها وأيامها ما يعرفه مثلك ؟ قال : لا . قال : أفَتَنْسِبُ قريشاً وسائر بني مزار ؟ قال : لا أحسن من النسب شيئاً . قال : يا غلام ، ارفع المنديل ، فليس من خالنا حِشمْة ، وأخذني لعبه» . (أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثاني ص : ٢٤٠) .

والهيثم بن عدى غير مُدَقِّق في رواية الأخبار .

(٥٩٥) لسان العرب ٣ : ١٣٥ .

(٥٩٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثاني ص : ٣١٠ .

الفصل الرّابع

علاقته بهشام بن عبد الملك

١ - فى خلافة يزيد بن عبد الملك

لم يفكر يزيد بن عبد الملك فى ولاية عهده إلاّ بعد أن ثار عليه يزيد بن المهلب بالبصرة سنة إحدى ومائة ، ودعا إلى الرجوع إلى كتاب الله وسُنَّة نبيه[١] ، فوَجَّه إليه جَيْشاً من أهل الشام جعل أخاه مسلمة بن عبد الملك أميراً عليه ، وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك نائباً له ، وقائداً لجند أهل دمشق خاصة .

وكان العباس بن الوليد بن عبد الملك هو أول مَنْ نبَّهوا يزيد إلى ولاية العهد وأهميتها فى هذا الظرف الحَرِج ، إذ أشار عليه أن يعقد البيعة لعبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، ولكن الأمر سار على خلاف ما أحب العباس ، فقد قَدَّمَ مسلمة بن عبد الملك أخاه هشاماً على ابن أخيه عبد العزيز ابن الوليد ، وأقنع أخاه يزيد بالمبايعة له ، فأخذ يزيد بنصحه وحجته ، وبايع لهشام بولاية العهد . وفى ذلك يقول المدائنى : «قال العباس بن الوليد بن عبد الملك ليزيد بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين ، إن أهل العراق أَهْلُ غَدْرٍ وإرجافٍ ، وقد وَجَّهْتَنا مُحَارِبِينَ ، والأحداث تحدث ، ولا آمن أن يرجف أهل العراق ويقولوا : مات أمير المؤمنين ، ولم يعهد ، فَيَفُتَّ ذلك فى أعضاد أهل الشام ، فلو عهدت عهداً لعبد العزيز بن الوليد ! قال : غداً . وبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك ، فأتى يزيد فقال : يا أمير المؤمنين . أَيُّما أَحَبُّ إليك : وَلَدُ عبد الملك أو وَلَدُ الوليد ؟ فقال : بل وَلَدُ عبد الملك . قال أفَأَخُوكَ أحق بالخلافة أم ابن أخيك ؟ قال : إذا لم تكن فى ولدى فأخى أحق بها من ابن أخى . قال : فابنك لم يَبْلُغْ ، فبايع لهشام . ثم لابنك بعد هشام . قال : والوليد يومئذٍ ابن إحدى عشرة سنة ، قال : غداً أبايع له . فلمّا أصبح فعل ذلك ، وبايع لهشام ، وأخذ العهد عليه ألا يخلع الوليد بعده ، ولا يُغيِّر عهده ، ولا يَحتَال عليه»[٢] .

فمسلمة بن عبد الملك إنما نظر إلى ولاية العهد نظرة وراثية عصبية محضة ، أما العباس بن الوليد فكشف عن رغبة أبناء الوليد بن عبد الملك فى عودة الخلافة إليهم ، معتمداً على مكانة أبيه وشهرته .

---

(١) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٨٤ .

(٢) الأغانى ٧ : ٢ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٣٦ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٣ ، ٣٢٧ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٤٢ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٣٠ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٠ حـ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٩١ ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٢ .

وترشيحه لابنه عبد العزيز أن يقوم بأمر المسلمين بَعْدَه ، وتَأتِّيهِ لذلك[٣] ، ولكنه مات قبل أن ينجح في صَرْفِ أخيه سليمان بن عبد الملك عن ولاية عهده ، فظلت الخلافة في أعمامهم ، ثم أخرجها سليمان إلى عمر بن عبد العزيز ، وهو حفيد فرع من فروع الأسرة المروانية لم يكن له شأن في الحكم بالقياس إلى عبد الملك بن مروان وأبنائه ، ثم عادت إلى يزيد بن عبد الملك ، فتخطاهم إذ عهد بها لهشام ، ثم لابنه الوليد بن يزيد ، فخاب أملهم مراراً ، وتَبَرَّمو ، وامتعضوا من عمهم يزيد بن عبد الملك امتعاضاً شديداً أثَّرَ في موقفهم من ابنه الوليد خلال ولايته للعهد ، وأيام خلافته ، فَنَهَشُوهُ بألسنتهم ، ونَاصَبَهُ العداءَ بعضهم ، ولم يزالوا يتربصون به حتى قتلوه وانتزعوا الخلافة منه .

ولم يكن يزيد بن عبد الملك سعيداً بولاية أخيه هشام لعهده ، بعد أن بلغ ابنه الوليد في حياته سنَّ الخامسة عشرة ، فقد ألم لعقده البيعة لهشام ، وندم ، وكان يُرَدِّد كلما رأى الوليد أو مسلمة : « اللهُ بيني و بين من جَعَلَ هشاماً بيني وبينك »[٤] . ولم يقف عند الألم والندم ، وإنما سعى إلى عزل هشام عن ولاية عهده ، إذ يذكر اليعقوبي أنه بعث خالد بن عبد الله القسري إلى هشام يُزَيِّن له خلع نفسه من ولاية العهد على أن الجزيرة طعمة له . قال خالد : فأتيته فذكرت له ذلك فأسرع إلى الإجابة فقلت له : أيها الإنسان ، إن استشرتني وعاهدتني على أنْ تَكْتُمَ عليَّ أشرت عليك . فقال : قد استشرتك ، ولك عهد الله أن أكتم عليك . فقلت : إنما هي أيام قلائل حتى تصير الجزيرة أحد أعمالك . قال : فكيف بالسلامة من يزيد ؟ قلت : عَلَيَّ ! قال : افعل ما بَدَا لك فإنها يدٌ مشكورة لك . فانصرفت إلى يزيد فقلت : يا أمير المؤمنين ، إني أتيت رجلاً صعباً ، فأنشدك أن لا تُوقعَ العداوة والشر بينكم ، وتوجدوا الناس السَّبيل إلى الطعن فيكم ، والاختلاف عليكم ، ولكن تُصَيِّرَ الوليد وَلِيَّ العهد بعد أخيك . فرَكَنَ إلى ذلك وفعله ، فمازال هشام يشكر ذلك لخالد حتى وَلِيَ الخلافة فَوَلَّاه العراق[٥] .

وكان هشام يطمح إلى الخلافة منذ نهاية القرن الأول ، إذ كان يرى أنه أجدر إخوته بها ، وكان يظن أن أخاه سليمان انتخبه لها ، فلمَّا لم يتأكد من ذلك استاء واضطرب ، يتضح من قول رجاء بن حيوة الكندي الفقيه القاضي كاتم أسرار سليمان : لقيني هشام بعد أن كتب سليمان كتاب عهده ، وجمع أهل بيته ، وسألهم أن يبايعوا من وَلَّى عليهم فيه ، فبايعوا له فقال لي : « يا رجاء . إن لي بك

---

(٣) تاريخ الطبري ٦ : ٥٠٦ .

(٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثاني ص : ٢٣٧ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٢٠٩ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٤٢ ، والأغاني ٧ : ٢ ، والكامل في التاريخ ٥ : ٩١ .

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٣١٤ .

حُرْمةً ومَوَدَّةً قديمة ، وعندى شُكْر ، فأعلمنى هذا الأمر ، فإن كان إلىَّ عَلِمْتُ ، وإن كان إلى غيرى تَكلَّمتُ ، فليس مِثْلى قُصِّرَ به ، فأَعْلِمنى فلك الله علىَّ ألّا أذكر من ذلك شيئاً أبداً . قال رجاء : فأَبَيْت فقلت : والله لا أخبرك حَرْفاً واحداً ممَّا أُسِرَّ إلىّ . قال فانصرف هشام وهو قد يئس ، ويضرب بإحدى يديه على الأخرى وهو يقول : فإلى مَنْ إذاً نُحِّيتْ عَنّى ! »[٦] .

وكان هشام ينافس عمر بن عبد العزيز فى الخلافة ، ويعتقد أنه أحق بها منه ، فعارض استخلافه بقوة ثم لم يلبث أن أقَرَّ به بعد أن هُدِّد ، مما يدل عليه قول رجاء بن حيوة : لما مات سليمان « خرجت فأرسلت إلى كعب بن حامد العبسى[٧] فجمع أهل بيت أمير المؤمنين ، فاجتمعوا فى مسجد دابق ، فقلت : بايعُوا ، فقالوا : قد بايعنا مرة ونبايع أخرى ! قلت : هذا عهد أمير المؤمنين ، فبايعوا على ما أمر به ، ومن سَمَّى فى هذا الكتاب المختوم ، فبايعوا الثانية رجلاً رجلاً . قال رجاء : فلما بايعوا بعد موت سليمان رأيت أنى قد أحكمت الأمر ، قلت : قوموا إلى صاحبكم فقد مات ، قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ! وقرأت الكتاب عليهم ، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز نادى هشام بن عبد الملك : لا نبايعه أبداً ، قلت : أضربُ والله عُنُقَك ، قُمْ فبايع ، فقام يَجُرُّ رجليه »[٨] .

وكان هشام ينازع أخاه يزيد فى الخلافة ، ويصرح بأنه أولى منه بها ، وكان عاتباً على أخيه سليمان لأنه قدم يزيد عليه ، وجعله وَلِيًّا للعهد بعد عمر بن عبد العزيز ، إذ يروى أنه كان يقول : « لأَشْكُوَنَّ سليمان أخى إلى الله يوم القيامة لاختياره يزيد بن عبد الملك عَلَىَّ »[٩] .

فكان لاعتداد هاشم بنفسه ، وطَمَعه فى الخلافة ، وتفكير أخيه يزيد فى صَرفِهِ عن ولاية عهده ، واحْتِيالِهِ له دورٌ كبيرٌ فى رسم علاقته به ، وتحديد صلته بابنه الوليد ، فأخذ يشك فى يزيد ، ويَرْتَاب منه ، وينقم على الوليد ، ويضيق به ، ثم عظمت مخاوفه وهواجسه ، فاستطال خلافة يزيد ، واستعجل موته ، وضجر بالوليد ضجرًا مُرًّا ، وسخط عليه سخطاً شديداً ، ولكنه كان داهيةً فأضمر عواطفه ، ولم يجهر بها إلاَّ لخاصته ، وكان يُنْكِرُ ما يبلغ يزيد عنه ، ويعتذر إليه منه كلما راجعه فيه ، ناسباً كل ما يُنْقَلُ إليه عنه إلى أهل السوء والوشاية ، وبالغ فى مداهنته ليزيد ومنافقته له ، إذ يذكر

---

(٦) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٥١ .

(٧) هو قائد الشرطة سليمان . انظر تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٤٣١ ، وتاريخ البطرى ٦ : ٥٥١ .

(٨) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٥٢ .

(٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٢٤٤ .

بعض المؤرخين أنه ارتحل إليه ، ولم يزل فى جواره إلى آخر أيامه مخافة أهل البغى والسعاية(١٠) !

٢ – فى صَدْرِ خلافة هشام

مات يزيد بن عبد الملك ، فاطمأن هشام إلى مستقبله ، إذ فاز بالخلافة ، ولم يَعُدْ أَحَدٌ يُغَالِبُهُ عليها أو يَعْمَلُ لإبعاده عنها . وفيما يروى عن المدائنى أنَّ هشاماً كان فى بَدْءِ أَمْرِهِ مُعَظِّماً للوليد ، مُقَرِّباً له ، مُحْسِناً إليه ، وأنه مكث على ذلك أعواماً ، ثم تَغَيَّر له ، وجَفَاهُ ، ونقم عليه ، لما ظهر من مجونه واستخفافه(١١) .

وقد دَلَّتْ أخبار الوليد وأشعاره على أنه أَسْرَفَ فى طلب الملذات ، وأمضى أيام شبابه يستمتع بكل ما قدر عليه من المباهج والمسرات ، ويعيش بحرية وانطلاق ، دفعه إلى ذلك نشأته المترفة فى قصر أبيه ، وما كان يشعر به من تَفَوُّقٍ على أترابه من الأمراء الأمويين ، إذ كان يعرف أنه وَارِثُ الخلافة بعد حين .

ويبدو أن كَلَفَ الوليد بالملاهى لم يكن السبب الحقيقى فى كُرْهِ هشامٍ له ، وسخطه عليه ، فإن الإقبال على الملاهى كان سمة من سمات الحياة فى مطلع القرن الثانى ، ولم ينفرد الوليد بسماع الغناء ، والخروج للصيد ، ومعاقرة الشراب ، فقد كان هشام نفسه مُنَعَّماً يبذخ فى حياته الخاصة بذخاً غريباً ، وكان ابناه مسلمة(١٢) وسعيد(١٣) ممن أفرطوا فى المجون ، وأدمنوا الشراب . وبان من استقصاء أخبار عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيبانى ونَقْدِها وتَمْحِيصها أنه لم يكن زنديقاً ، وأنه لم يكن له تأثير فى سلوك الوليد ، فإنَّ هشاماً هو الذى لَفَّقَ تُهْمَةَ الزندقة لعبد الصمد ، ورَماه بها ، لِيُشهِّرَ بالوليد وَيَنالَ منه .

ولكن رغبة هشام فى عَزْلِ الوليد عن ولاية العهد ، والمبايعة بها لابنه مسلمة بن هشام هى السبب الحقيقى فى تَنكُّرِ هشامٍ للوليد ومعاداته له ، ويُصَرِّحُ المدائنى بذلك إذ يقول : « لم يزل الوليد مكرماً

---

(١٠) العقد الفريد ٤ : ٤٤٣ ، ومروج الذهب ٣ : ٢١٣ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ ، المجلد ١٨ ، الورقة ١٦٢ ظ ، والبداية والنهاية ٩ : ٢٣٢ .

(١١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٩ ، والأغانى ٧ : ٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٥ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ١٦ ظ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٢ .

(١٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ ، ٣١٦ ، والأغانى ٧ : ٢٥ .

(١٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٥٢ .

عند هشام ، رفيع المنزلة مُدَّةً ، ثم طمع فى خلعه ، وعقد العهد بعده لابنه مسلمة بن هشام ، فجعل يَذْكُر الوليد بن يزيد وتَهتُّكَهُ وإدمانه الشَّرابَ ، ويَذْكُر ذلك فى مجلسه ، ويقُومُ ويَقْعُدُ به»[١٤] .

ولما لهذا الجزء من أخبار الوليد التى رَوَاهَا المدائنى من أهمية فى تفسير بُغْضِ هشام للوليد ، فإن أغلب المؤرخين[١٥] أهملوه ، وتَمَسَّكوا بما فيه طعن على الوليد . وكان رواة اليمنية كمحمد بن مزيد الخزاعى أَشَدَّ الإخباريين افتراءً على الوليد ومؤَدِّبه عبد الصمد[١٦] وأضاف عبد الله بن عياش الهمدانى ، والهيثم بن عدى الطائى أن الوليد كان مُعْلِناً للفسوق واللذات ، مستهتراً بشرب الخمر ، لا يكاد يُصَلِّى[١٧] !

وليس هشام هو أول خليفة أموى سعى إلى تنحية وَلِيِّ عهده من غير وَلده ، فقد سعى إلى ذلك أكثر الخلفاء الذين سبقوه ، إذ حاول عبد الملك بن مروان عزل أخيه عبد العزيز عن ولاية عهده ، وعقد البيعة لابنه الوليد ، وكاد الخلاف بينهما يستفحل لولا موت عبد العزيز[١٨] . واجتهد الوليد بن عبد الملك فى صرف أخيه سليمان عن ولاية عهده ، وأخذ البيعة لابنه عبد العزيز ، وحثَّ الشعراء والولاة على تأييده ، فشايعه جرير بن عطية ، والحجاج بن يوسف ، وقتيبة بن مسلم ، فحال الموت بينه وبين تحقيق ما رَمَى إليه[١٩] . « وكان عبد الملك بن مروان أخذ على الوليد وسليمان أن يُبَايعا لابن عاتكة ، ولمروان بن عبد الملك من بعده ، فمات مروان بن عبد الملك فى خلافة سليمان ومُنْصَرَفَهُ من مكة ، فبايع سليمان حين مات مروان لأيوب ، وأمسك عن يزيد ، وتربص به ، ورجا أنْ يهلك ، فهلك أيوب وهو وَلِىُّ عهده »[٢٠] ، ففكر فى البيعة لابنه داود ، ثم عَدَلَ عنها ، واستخلف وهو يحتضر عمر بن عبد العزيز[٢١] . وأراد يزيد بن عبد الملك أن يخلع أخاه هشاماً عن ولاية عهده ، ويبايع لابنه الوليد ، وتوسل إلى ذلك ، فعاجله الموت قبل أن يُتِمَّ ما أراد[٢٢] .

---

(١٤) الأغانى ٧ : ٣

(١٥) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٩ ، والأغانى ٢ : ٢٣٩ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٥ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ١١٦ ظ

(١٦) الأغانى ٢ : ٢٣٩ .

(١٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٩ .

(١٨) الطبقات الكبرى ٥ : ٢٣٣ ، وأنساب الأشراف ٥ : ١٨٣ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٤١٢ ، والبداية والنهاية ٩ : ٥٩ .

(١٩) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٩٨ ، ٥٠٦ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٢٣ .

(٢٠) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٣١ .

(٢١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١١٩ ، والمعارف ص : ٣٦١ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٢٦ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٢٠٣ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٣٠٢ .

(٢٢) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١٤ .

فولاية العهد أَرَّقتِ الخلفاءَ الأمويين ، وخاصة حين كان تخرج منهم إلى إخوانهم بِعَهْدٍ من الخلفاء الذين سبقوهم ، فكانوا يطيلون التدبير لِرَدِّها إلى أبنائهم . ولكن أكثر الخلفاء إنما كانوا يحتالون فى آخر أيامهم لتحويل ولاية العهد إلى أبنائهم ، مما كان يفسد علاقتهم بإخوانهم ، فكان الموت المفاجئ لِوَلِيِّ العَهْدِ المبايع ، أو لِوَلِيِّ العهد المرشح ، أو للخليفة القائم يَضَعُ حَدًّا لتخاصمهم ، ويَمْنَعُ تَصادُمهم .

وتَعَلَّم هشامٌ من محاولات الخلفاء السابقين ، واستفاد من تجاربهم الفاشلة ، فاهتم فى مطلع خلافته بخلع الوليد بن يزيد ، وعَقْدِ العهد لمسلمة بن هشام ، وعزم على ذلك ، وصمم على تنفيذه فى حياته . فساءت صلته بِوَلِيِّ عهده الشرعى ، وكان أن امتدت بهما الأيام ، فزادت من كُرْهِ أحدهما للثانى ، وضاعفت من كَيْدِ كل منهما للآخر .

ويروى البلاذرى أن الوليد وافق على أن يقوم مسلمة بن هشام بالخلافة بعده ، إذ يقول : « لم يزل عمر بن هبيرة الفزارى يتأتّى لهشام حتى أنس به ، فقال له يوماً : هل لك فى أمر لم يطمع فيه أحد ، ولم يعرضه عليك قبلى أحد؟ قال : وما هو؟ قال : أعمل لك من قبل الوليد بن يزيد فى البيعة لمسلمة ابن أمير المؤمنين . قال : أَوَ تفعل ؟ قال : نعم ، قال : فإن فعلت وَلَّيْتُكِ العراقِ . فأتى ابن هبيرة الوليد فقال له بعد حديث طويل جرى بينهما : أيها الأمير ، لم نزل نَلْقَى مثلما تلقى من هذا الأحول فيك . قد عَلِمَ خُؤُولتنا لك ، ومَيْلَنا إليك ، فهو يُجَرِّعُنا الغَيْظَ بسببك ، لتصغيره إياك مرة ، وتَهَدُّده مرة ، ولست آمنه عليك ، فإن أذنت لى عملت لك فى أمر يُتَعَجَّلُ نَفْعُه ، وتَأْمَنُ به ، ثم الأمر فيه إليك . قال : وما هو؟ قال : تدعو هشاماً إلى أن يعقد الأمر بعدك لابنه أبى شاكر ، ويَتَعجَّل لك منه مالاً رغيباً جليلاً ، فإن حَدَثَ بهشامٍ حَدَثٌ ، نظرت فى أمرك ، فإن شئت خلعت مسلمة ، وعقدت الأمر لمن أحببت ، فقد علمت طاعتى فى قيس ، وهم أخوالك ، فالأمر مُنْتَهٍ إلى ما رأيت وأردت . قال : أفعل . فأتى (عمر) هشاماً فقال : قد أحكمت الأمر ، فهات العهد على العراق ، فإذا بويع لمسلمة مضيت ، فأعطاه عهداً . وكان خالد (بن عبد الله القسرى) يخاف ابن هبيرة خوفاً شديداً ، فيقال : إنه دس رجلاً فضرب مضرباً فى طريق ابن هبيرة إلى هشام ، فلما مر به قام إليه فقال : أنا مولاك ، وقد لَغَبْت(٢٣) ، فهل لك فى شربة عسل تُخَوَّضُ بماء بارد ؟ فشربها ، ثم نهض يريد منزله ، وقَوَّضَ الرجل مضربه ، وانْشَمَرَ(٢٤) ، ومات ابن هبيرة من يومه ، ويقال : إنه فُلِجَ فمات »(٢٥) .

---

(٢٣) لَغَبَ : تَعِبَ وأَعْيَا إعياءً شديداً .

(٢٤) انشمر : مَرَّ جادًّا .

(٢٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٦٩ .

ولو كان الوليد قَبِلَ بأن يكون مسلمة بن هشام ولياً للعهد بعده ، وأجاز ذلك وأقره ، لما ظل يخالف هشاماً فيه مخالفةً قويةً إلى آخر حياته . وربما وضع القيسيةُ الخبَرَ تشهيراً باليمنية وزعيمهم خالد القسرى .

ويبدو أن هشاماً اقتصر فى المرحلة الأولى من تدبيره لعزل الوليد عن ولاية العهد على الإعراب عن الاستياء منه ، والتذمر من قلة اكتراثه بمكانته ، مع التنديد به ، والتجريح به ، لِيُقْنِعَ خاصته بِذَمِّه وعَيْبِه ، ويوحى إليهم بالمطالبة بخلعه . ولما وثق من نجاح دعايته بدمشق ، قرّر أن يبعث أعوانه إلى المدينة ومكة ليهاجموا الوليد بهما ، ويُوغِرُوا صدور أهلها عليه ، ويُحَرِّضُوهم على المطالبة بإعفائه من ولاية العهد ، وأن يَسْتَغِلَّ موقف أهل المدينتين منه استغلالاً سريعاً ، فأرسل الوليد سنة ست عشرة ومائة على رأس بعثة الحج الشامية ، وفى غاية هشام السياسية الكيدية يقول المدائنى : « وَولاَّه الحجَّ لِيَظْهَرَ منه التَّهتكُ وإدمانُ الشراب بالحرمين فيسقط »[٢٦] .

فَشَهَّر أعوان هشام بالوليد فى مكة والمدينة وافتروا عليه ، وربما كانوا مصدر اتِّهامه بإهمال الحج ، والاشتغال باللهو . وآثار تشنيعهم عليه فى رواية المدائِنى التى أخذها عنه تلميذه البلاذرى موجزة ضعيفة ، إذ يقول فيها : « فرأى الناس منه تهاوناً واستخفافاً ، وأمر مولى له يقال له : عيسى بن مقسم فصلى بالناس »[٢٧] . أما عند بقية تلاميذ المدائنى وغيرهم من الإخباريين والمؤرخين والأدباء من أهل الأهواء فموسعة فيها كثير من التزييف والتخليط ، على نحو ما يتضح فى قول محمد بن مزيد الخزاعى الوضاع : « فرأى الناس منه تهاوناً واستخفافاً بدينه ، وأمر مولاه عيسى فصلى بالناس ، وبعث إلى المغنين فغَنَّوه . . . فتكلَّم أهل الحجاز ، وقالوا : أهذا وَلِىُّ عهد المسلمين ! »[٢٨] ، وفى قول أحمد بن زهير : « فحمل معه كلاباً فى صناديق ، فسقط منها صندوق عن البعير وفيه كلب ، فأجالوا على الكرِىِّ السياط ، فأوجعوه ضرباً . وحمل معه قبة عملها على قدر الكعبة ليضعها على الكعبة ، وحمل معه خمراً ، وأراد أن ينصب القبة على الكعبة ويجلس فيها ، فخوفه أصحابه ، وقالوا : لا نأمن الناس عليك وعلينا معك ، فلم يحركها . وظهر للناس منه تهاون بالدين واستخفاف به »[٢٩] .

وعلى ما فى رواية المدائنى التى نقلها عنه البلاذرى من إيجاز واعتدال ، فإن ما ينسب إليه فيها من

---

(٢٦) الأغانى ٧ : ٣ .

(٢٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية . المجلد الثانى ص : ٣١٠ ، وقارن بالأغانى ٧ : ٣ .

(٢٨) الأغانى ٢ : ٢٣٩ .

(٢٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٩ .

أنه أمر مولاه عيسى بن مقسم بالحج والصلاة بالناس ، لم يقطع به خليفة بن خياط ، إذا يؤكد أن الوليد هو الذى أقام الحج[٣٠] ، وينُصُّ على أن أبا اليقظان أحد رواة اليمنية وغلاة الشيعة هو الذى ذكر أن عيسى بن مقسم ناب عن الوليد فى الحج والصلاة بالناس»[٣١] .

وأما ما أشيع من أن الوليد ترك الحج ، وخلا إلى المغنين ففيه تعميم كثير ، فقد انكشف من تتبع أخبار لقائه بالمغنين أثناء حجه أنه إنما سمع ثلاثة منهم هم : يحيى مولى العبلات المعروف بفيل[٣٢] ، والأبجر المكى[٣٣] ، وابن عائشة المدنى[٣٤] . وهو فى اتصاله بهم مصادفة ، أو استدعائه لهم ، وإصغائه لغنائهم ، لا يَنِدُّ عن سائر الخلفاء والأمراء الأمويين ، فقد التقوا بالمغنين فى الحج ، وطربوا لغنائهم ، وأسْنَوا العطاء لهم . وما فى أخبار التقائه بالمغنين من تهويل إنما هو من صُنْعِ رواةِ اليمنية وكُتّابِ العباسيين !

والفرق بين نص رواية المدائنى الذى حمله البلاذرى ، وبين نصها الذى نقله محمد بن مزيد الخزاعى ليس بخافٍ ، إذ أقحم فيه محمد بن مزيد كلمة الدين ، فأصبح استخفاف الوليد عنده استخفافاً بدينه ، وأضاف جملةً جديدةً لم يوردها البلاذرى ، تفيد أن أهل الحرمين أزروا بالوليد ، واحتجوا على اختياره وليًّا لعهد المسلمين !

ولا أصل لما رواه أحمد بن زهير من أن الوليد أخذ معه كلاباً فى صناديق ، أو خمراً ، أو قبةً ليضعها فوق الكعبة ويشرب فيها ، ولا أصداء له عند غيره من تلاميذ البلاذرى . وهو يخلط بين حج الوليد أثناء ولايته للعهد ، وبين تفكيره فى الحج خلال خلافته . وتحذير خالد بن عبد الله القسرى له ، لأن اليمنية من أنصار يزيد بن الوليد أضمروا قتله .

وأول من غمز الوليد بأنه خَطَّطَ لتشييد مقصف له فوق ظهر الكعبة هو اليعقوبى ، إذا اتهمه بذلك فى سياق تقويمه لسياسته وخلافته ، فهو يقول : «كان الوليد مهملاً لأمره قليل العناية بأطرافه . وكان صاحب ملاه وقيان وإظهار للقتلِ والجورِ ، وتشاغل عن أمور الناس ، وشربٍ

(٣٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥١٢ ، وانظر تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٠و .

(٣١) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤١ .

(٣٢) الأغانى ٩ : ٢٧٥ .

(٣٣) الأغانى ٣ : ٣٤٦ .

(٣٤) الأغانى ٢ : ٢٣٩ .

ومجونٍ ، فبلغ من مجونه أنه أراد أن يبنى على الكعبة بيتاً يجلس فيه لِلَّهو ، وَوَجَّه مهندساً لذلك » (٣٥) .

وأحمد بن زهير من القدرية الذين ثار متقدموهم بالوليد مع يزيد بن الوليد ، ومن أتباع العباسيين (٣٦) ، وكأنه مزج فيما سرد من أخبار الوليد بين رواية المدائنى وتشنيع اليعقوبى ! وهو معاصر لليعقوبى ، فقد توفى سنة تسع وسبعين ومائتين .

وكَرَّر اتهام اليعقوبى للوليد الشريف المرتضى ، ودسَّ فيه تفصيلاتٍ أخرى من اختراعه زيادةً فى الطعن على الوليد والتحطيم له ، إذْ ذكَرَ أن المهندس كان مجوسيًا ، وأنه صعد فوق ظهر الكعبة ، وشرع فى تحديد قواعد المقصف ! فهو يقول : « كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك قد عزم على أن يبنى فوق البيت الحرام قبة يشرب عليها الخمور ، ويشرف على الطواف ، فقال بعض الحجبة : لقد رأيت المجوسيَّ البَنَّاءَ فوق الكعبة يُقَدِّرُ مواضع أركان القُبَّة ، فلم تمس تلك الليلة حتَّى وَافَى الخبرُ بقتل الوليد » (٣٧) .

والغالب أن اليعقوبى هو الذى صنع خبر تَوْجيهِ الوليد مهندساً لِيُنْشِئَ له مقصفاً فوق ظهر الكعبة ، ثم أخذه عنه معاصروه من الإخباريين كأحمد بن زهير ، وتشبث به الأدباء من الشيعة كالشريف المرتضى ، ومن غيرهم كابن القارح (٣٨) ، ثم نقله عنهم المؤرخون المتأخرون كابن الأثير (٣٩) ، والذهبى (٤٠) وابن شاكر الكتبى (٤١) ، وابن كثير (٤٢) ، والسيوطى (٤٣) .

وليس ببعيد أن يكون الوليد فكر حين عزم على الحج فى خلافته أن ينظر إلى الحجيج من فوق ظهر الكعبة ، فإن ابن عساكر احتفظ بنص مصدره صالح بن سليمان (٤٤) يشير إلى ذلك ، فهو يقول : « أراد الوليد بن يزيد الحج ، وقال : أُشْرِفُ فوق ظهر الكعبة . فَهَمَّ قوم أن يفتكوا به إذا خرج .

---

(٣٥) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٣٣ .

(٣٦) ترجمته فى الفهرست ص : ٢٣٠ ، وتاريخ بغداد ٤ : ١٦٢ ، ومعجم الأدباء ١ : ١٢٨ .

(٣٧) أمالى الشريف المرتضى ١ : ١٢٦ .

(٣٨) رسالة الغفران ص : ٣٣ .

(٣٩) الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٤ .

(٤٠) تاريخ الإسلام ٥ : ١٧٥ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة ١١١ ظ .

(٤١) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ١٦ و .

(٤٢) البداية والنهاية ١٠ : ٢ .

(٤٣) تاريخ الخلفاء ص : ٢٥٠ .

(٤٤) ترجمته فى لسان الميزان ٣ : ١٧٠ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٢٩٥ .

فجاءوا إلى خالد بن عبد الله القسرى فسألوه أن يكون معهم[٤٥] ، فأبى ، فقالوا له : اكتم علينا . فقال : أما هذا فنعم ، فجاء إلى الوليد فقال له : لا تخرج فإنى أخاف عليك . قال : ومن هم الذين تخافهم على ؟ قال : لا أخبرك بهم»[٤٦] .

فَصَحَّف اليعقوبى فى قراءة كلمة «أُشْرِف» فى الجملة الأولى من النص ، إذ ظَنَّه باءً لا فاءً ، فأصبحت الكلمة «أشرب» ، فتغيرت بها دلالة الجملة تغيراً تاماً ، إذ غدت «وقال أَشْرَبُ فوق ظهر الكعبة» ، فَوَلَّد اليعقوبى منها خبراً جديداً !

ويبدو أن تصحيف الكلمة فى النص الذى حمله ابن عساكر قديم ، فإن الذهبى نقل النص برمته صحيحاً إلا الجملة الأولى منه ، فإنه أثبتها محرفة ، إذ يقول : «قال صالح بن سليمان : أراد الوليد الحج وقال : أشرب فوق ظهر الكعبة»[٤٧] .

وأقوى دليل على أن الجزء الخاص بحج الوليد من رواية المدائنى قد عُبِثَ به ، وزِيدَ عليه ، إن الجزء السابق له ، والجزء اللاحق به منها مما يتعلق بسلوك الوليد وعلاقته بهشام قبل الحج وبعده ليس فى نَصِّها أو مضمونها أى اختلاف أو تحريف ، فهما يتشابهان عند المؤرخين جميعاً .

ويستفاد من بقية رواية المدائنى فى صورتها المفصلة الوافية عند البلاذرى[٤٨] والطبرى[٤٩] ، وأبى الفرج[٥٠] ، وابن الأثير[٥١] ، وفى صورتها المختصرة الملخصة عند ابن شاكر الكتبى[٥٢] ، وابن كثير[٥٣] أن الوليد لم يكد يعود من الحج حتى دعاه هشام إلى خلع نفسه من ولاية العهد ، مُسَوِّغاً دعوته له بما بلغه من استهتاره وخلاعته فى حجه ، فأبى ، فسأله أن يوافق على المبايعة بها بعده

---

(٤٥) انظر تحذير خالد له من الحج أثناء خلافته فى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٧ ، وتاريخ الموصل ص : ٥٢ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨١ ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٥ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة : ١١١ ظ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٨ ، ٢١ .

(٤٦) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٨١ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٦٥ ظ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٢ و ، وتاريخ دمشق ، مصورة المكتبة الظاهرية عن نسخة أحمد الثالث ، ترجمة الوليد بن يزيد .

(٤٧) تاريخ الإسلام ٥ : ١٧٥ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة : ١١١ ظ .

(٤٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ .

(٤٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٩ .

(٥٠) الأغانى ٧ : ٣ .

(٥١) الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٤ .

(٥٢) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ١٦ و .

(٥٣) البداية والنهاية ١٠ : ٢ .

لمسلمة بن هشام ، فرفض ، فتنكّر له هشام ، وأضَرَّ به ، وجعل يَشْتُمهُ ويَتَنَقَّصُه .

وعندما لم يَتَحَقَّقْ لهشام ما تَوَخَّاه من عزل الوليد أو الإبقاء عليه ، وعقد العهد بعده لابنه مسلمة ، عمل سرًّا وجهراً فى خلعه وطلب من أهل الشام أن يؤيدوه فى ذلك(٥٤) ، فأجابه إلى إرادته خلق كثير . وكان ممن أَجَابُوه ابناه يزيد(٥٥) وسليمان(٥٦) ، وأخوه سعيد بن عبد الملك(٥٧) ، وخالاه وعاملاه محمد وإبراهيم ابنا هشام المخزومى(٥٨) . والوليد بن القعقاع بن خليد(٥٩) العبسى ، واليه على قنسرين ، وأخوه عبد الملك واليه على حمص(٦٠) ، ومحمد بن مُسْلِم الزهرى(٦١) ، قاضيه ومعلم ولده ، إذ كان يقدح أبداً عند هشام فى الوليد ، ويعيبُه ويقول : ما يَحِلُّ لك إلاَّ خَلْعُه(٦٢) ، وآزر هشاماً أيضاً كثيرون من بنى أمية ومن خاصته الذين لم يذكَر المؤرخون أسماءهم(٦٣) .

---

(٥٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٥ .

(٥٥) الأغانى ١٦ : ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

(٥٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٨ .

(٥٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٥ .

(٥٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٥ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٠ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ١٢٤ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٢٥ الورقة : ١٨ ظ .

(٥٩) كانت وَلاَّدَة بنت العباس بن جزء بن الحارث العبسى زوجاً لعبد الملك بن مروان ، وهى أم ابنيه الوليد وسليمان . وابن عمها القعقاع بن خليد بن جزء نسبت إليه حِيَارُ بنى القعقاع ، وهى قرية بالشام لبنى عبسى ، وأخوه الحصين بن خليد كان سيداً بالشام . (أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الأول ص : ١١٦٠ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٤١٩ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٢٥١ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ١٠٠) .

وكان من بنى عبسى صاحب شرط هشام ، وهو كعب بن حامد العبسى ، أقره هشام ثلاث عشرة سنة ، ثم وَلاَّه أرمينية ، وولىَّ الشرط يزيد بن يعلى بن ضخم العبسى . (تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٤ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٢٣٦ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٢٨) .

(٦٠) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٧ . ويقول أبو الفرج : إن من أيَّد هشاماً من بنى القعقاع هم : الوليد ، وعبد العزيز ، وخالد . (الأغانى ٧ : ٣) .

(٦١) ترجمته فى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٤٦٨ ، والطبقات الكبرى ٢ : ٣٨٨ ، وطبقات الفقهاء ص : ٦٣ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة ١٣ و ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٤٠ .

(٦٢) الأغانى ٧ : ١١ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٠و ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٤ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق ، رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس الورقة : ١١١ظ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥١ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣ .

(٦٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٥ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٠ ، والأغانى ٧ : ٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٤ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ١٦ ظ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٢ .

أما أبناء الوليد بن عبد الملك ، فمع أنهم كانوا يزاحمون الوليد ، ويحسدونه ، ويُطَاوِلُونه فى وراثة المُلْكِ ، فإنهم لم يساندوا هشاماً فى اجتهاده لإقالة الوليد ، لأنه إنما كان يبتغى من إقالته تنصيب ابنه مسلمة خلفاً له ، مما لم يكن يَرُدُّ عليهم نفعاً عاجلاً ، ولا كان يُقَرِّبهم من الخلافة ، أو يجعل لهم حظّاً فيها ، فاكتفى العباس وعمر(٦٤) ابنا الوليد بن عبد الملك بالهُزْءِ من الوليد والإزراء به(٦٥) . أما أخوهما يزيد فكان يتوقع أن تَسْنَح له الفرصة فينقض على الوليد ويطيح به ، إذا استخلف ويغتصب الخلافة منه اغتصاباً ، إذ يروى أنه شاهد الوليد فى الحج ، فلما رآه يطوف بالبيت قال : « ورَبِّ هذه البِنْيَة إن هذا الذى يَطُوف لَكَافِرٌ بهذه البِنْية ، ولئن وَلِىَ أمْرَ الأمة وأنا حَىٌّ لأُجَاهِدَنَّه »(٦٦) .

ولكن هشاماً أخفق فى إقصاء الوليد عن ولاية العهد ، وفشل فى أخذ البيعة لابنه مسلمة ، بالرَّغْم من سعيه الدائم ، وانتصاره ببعض إخوته وأبنائه وأولاد إخوته وأخواله وعماله وأتباعه . فظل أسيراً لأمله البعيد . مغيظاً من الوليد ، حانقاً عليه ، منتظراً الفرصة التى تُمكِّنُهُ من تنحيته . وكان فى أثناء ذلك لا يتوقف عن مهاجمته والكيد له . واشتط فى التشنيع عليه حتى رماه فى دينه ، إذ يروى أنه قال له : « ويحك يا وليد ! والله ما أَدْرى أعَلَى الإسلام أنت أم لا ؟ ما تدع شيئاً من المُنْكَرِ إلاَّ أَتَيْتَهُ غير مُتَحاشٍ ولا مُسْتَتِرٍ به »(٦٧) . فقَدَّر الوليد أنه أوشك أن يُوقِعَ به . إذ اتهمه بالفسوق والمروق من الدين ، فدافع عن نفسه دفاعاً دقيقاً فيه الذكاء والدهاء ، وفيه الخبث والمكر ، فقد أجابه ببيتين من الشعر أعلن فيهما أنه على مثال ابنه مسلمة ، وأنه يتخذه إماماً له يقتدى به فى حياته ، فهو يؤمن بعقيدته ، ويعاقر الشراب على شاكلته ، يقول(٦٨) :

---

(٦٤) فى تاريخ الطبرى ٦ : ٤٩٦ عمرو . والصواب عمر ، كما فى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٣ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، والأغانى ٧ : ٤ ، جمهرة أنساب العرب ص : ٨٩ .

(٦٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٣ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٥٠ ، والأغانى ٧ : ٤ .

(٦٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٨ .

(٦٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٠ ، والأغانى ٧ : ٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٥ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، والورقة : ١٦ حـ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٢ .

(٦٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ ، وتاريخ البطرى ٧ : ٢١٠ ، والأغانى ٧ : ٤ ، ١٦ : ٢٧٩ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٥ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ح ٥ ، الورقة : ١٦ و ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣ ، والحور العين ص : ١٩٠ .

يا أَيُّها السَّائِلُ عنْ دِينِنَا نَحْنُ عَلَى دينِ أَبِي شاكِرِ (٦٩)
نَشْرَبُها صِرْفاً وممْزُوجةً بالسُّخْن أحيـاناً وبالفَـاتِرِ

فنجح الوليد فى الإيقاع بين هشام وابنه ، إذ غضب هشام على مسلمة ، ووبَّخه بمثل قوله له : « يُعَيِّرُنى الوليد بك ، وأنا أُرَشِّحُكَ للخلافة ! ، فَأَلْزِمْهُ الأَدَبَ وحَضُورَ الصلوات والجماعات » (٧٠) ، واستراح الوليد من هشام وشره وغدره إلى حين ، فقد شغَله بنَفْى تُهْمَةِ الانسلاخ من الدين ، والإغراق فى المجون عن ابنه ، فَشَقِىَ بها ، واهْتَمَّ لها ، وأخذ يَدَبَّر لإلصاقها بالوليد من جديد . فأَعَدَّ ابنه ليقود الحجيج ، وهَيَّأَ له الأموال لِيُفَرِّقَها فى أهل المدينة ومكة ، وأوصاه بإظهار الورع والتقوى والجلال والرحمة ، حتى يبدو فى سَمْتٍ يليق بتزكيته لولاية العهد ، ويَتَمَيَّزَ من الوليد الذى أشاع عليه أعوان هشام أنه استهان بدينه ، وعكف على اللهو فى موسم الحج سنة ست عشرة ومائة . ولا يقترب موسم الحج سنة تسع عشرة ومائة حتى يوليه الحج ، فأظهر النُّسُكَ والوقَارَ واللِّين ، وقَسَمَ بمكة والمدينة أموالاً ، فقال مولى لأهل المدينة (٧١) :

يا أَيُّها السَّائِلُ عن دِينِنَا نَحْنُ عَلَى دِينِ أبى شَاكِرِ
الواهبِ الجُرْدَ بأَرْسَانِها لَيْسَ بزنديقٍ ولا كافرِ (٧٢)

والرَّاجح أن هشاماً كَلَّفَ أَحَدَ شُعرائه بِنَقْضِ بَيْتِى الوليد اللذين شَهَّر فيهما بمسلمة ، فَنَقَضَهُما وأسرف فى رَمْى الوليد بالإلحاد ، إذ دمغه بالزندقة والكفر ، وأمر أحد أعوانه بإذاعة البيتين فى المدينة أثناء موسم الحج ، نكايةً بالوليد ، ومحاربةً له . ومما يُؤَيِّدُ أن البيتين من تأليف أحد شعراء هشام ، وأنهما ليسا لأهل المدينة ، ولا لمواليهم أنَّ صاحبهما مجهول !

وأوْصَى هشامٌ ابنه مسلمة أن يَتَّصِلَ بأهل المدينة وشعرائها ، ويَسْأَلَهم مؤازرته فى خلع الوليد ، وأن يَدْعُوهم إلى زيارة دمشق ، ويُمَنِّيَهُمْ ويَعِدَهُمْ بالمكافآت الكبيرةِ لقاء مؤازرتهم له ، إذ يُرْوَى أن عروة بن أُذَيْنَة (٧٣) خرج إلى هشام فى قومٍ من أهل المدينة كان مسلمة بن هشام سنة حَجَّ أَذِنَ لهم فى

---

(٦٩) كان مسلمة بن هشام يُكَنَّى أبا شاكر ، كُنِّى بذلك لِمَوْلًى كان لمروان يكنَّى أبا شاكر ، كان ذا رأْيٍ وفضل ، وكانوا يُعظِّمونه ويتبرَّكُونَ به . (الأغانى ٧ : ٣) .

(٧٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٠ ، والأغانى ٧ : ٤ .

(٧١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١١ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٠ ، والأغانى ٧ : ٤ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٥ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ حـ٥ ، الورقة : ١٦ ظ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣ .

(٧٢) الأجرد من الخيل والواب كلها : القصير الشعر ، وذلك من علامات العتق والكرم .

(٧٣) ترجمته فى الشعر والشعراء هى : ٥٧٩ ، والأغانى ١٨ : ٣٢٢ ، والمؤتلف والمختلف ص : ٦٩ وسمط اللآلى ص : ١٣٦ .

الوفود عليه . فلما دَخلُوا على هشامٍ انْتَسَبُوا له ، وسَلَّمُوا عليه ، فقال : ما جاء بك يا ابن أذينة ؟ فقال :

أَتَيْنَا نَمُتُّ بِأَرْحَامِنا وجِئْنا بِإِذْنِ أَبي شَاكِرِ
فإنَّ الذى سَار مَعْرُوفُهُ بِنَجْدٍ وغَارَ مَعَ الغَائِرِ
إلى خَيْرِ خِنْدِفَ فى مُلْكِها لِبادٍ مِنَ النَّاسِ أَوْ حَاضِرِ

فناقشه هشام فى بعض شعره ، وما فيه من معانى التَّوَكُّل والقناعة والرضا بالقليل ، فَغَضِبَ ابن أذينة ، ثم خرج فركب راحلته إلى المدينة . فلما أمر لهم هشامٌ بجوائزهم فَقَدَه ، فقال : أين ابن أذينة ؟ فقالوا : غضب من تقريعك له يا أمير المؤمنين ، فانصرف راجعاً إلى المدينة(٧٤) ! فخشى هشام إنْ أَهْمَلَهُ أن يُفْسِدَ الأمرَ على نفسه ، فَنَافَقَهُ واسترضاه ، إذ بعث إليه بجائزته(٧٥) !

ومَضَى هشامٌ يَتَوسَّل إلى إزالة الشُّبْهَةِ عن ابنه مسلمة ، ويحتال إلى إقناع العامة والخاصة بترشيحه للخلافة ، فاستمال بعض الشعراء ، وَزَّين لهم أن يصدروا عن رغبته فى الدعوة لابنه ، وتأكيد حقه فى وراثة العهد ، فانضاف إليه منهم الكميت بن زيد الأسدى ، وجعل يهتف فى شعرِهِ بأنَّ الخلافة لمسلمة بعد الوليد ، يقول(٧٦) :

إنَّ الخِلافَةَ كائنٌ أَوْتَادُها بعدَ الوليدِ إلى ابنِ أُمِّ حكيمِ(٧٧)

ولكن محاولات هشام رَفْعَ التهمة عن ابنه مسلمة ، وَتَحْوِيلَ ولاية العهد إليه لم تُغْنِ عنه شيئاً ، ولا أَجْدَتْ عليه خيراً ، فقد حَطَّ تشهير الوليد من قيمته ، فسقط سقوطاً شنيعاً ، حتى كان أكثر أهل دمشق وبعض سادتها يعارضون المبايعة له بولاية العهد معارضة قوية علنية ، إذ يروى أن خالد بن عبد الله القسرى كان يقول : «أنا بَرِىءٌ من خليفةٍ يُكَنَّى أبا شاكر»(٧٨) .

فعظم ألم هشام بعجزه عن بلوغ أمنيته ، ومما زاد فى ألمه أنه رأى الوليد يَتَصَدَّى لأعوانه ، ويسخر

---

(٧٤) الأغانى ١٦ : ٢٧٩ ، ١٨ : ٣٢٥ .

(٧٥) الأغانى ١٨ : ٣٢٦ .

(٧٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٠ ، وأنساب الأشراف . مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١١ .

(٧٧) أم حكيم بنت يحيى بن الحكم ، وأمها زينب بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام . وكانت هى وأمها من أجمل نساء قريش . وكانت أم حكيم تحت عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، ثم تزوج عليها ميمونة بنت عبد الرحمن بن أبى بكر ، فلكته وأحبها ، وذهبت بعقله كل مذهب ، فلم ترضى منه إلاّ بطلاق أم حكيم ، فطلقها ، فتزوجها هشام بن عبد الملك ، فولدت له يزيد ومسلمة) ترجمتها فى الأغانى ١٦ : ٢٧٤ – ٢٨١) .

(٧٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٢ ، ٢٥١ ، ٢٨٣ ، ٣١٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٠ ، والأغانى ٧ : ٤ .

منهم ، كما رآه يَتحدَّاه ويَستفِزُّه ، لا يَذِلُّ له ولا يتَخاذَلُ أمامه ، بل يَسْتَعْلِى عليه ويُقَرِّعه ويُفْحِمه ، وينتصف لنفسه منه . وما أكثر الأخبار التى تدل على موقفه الصارم من أعوان هشام فى هذه المرحلة ، وهى تشير إلى أنه لم يترك أحداً منه إلّا سَلَقَهُ بلسانه ، أو هدده فى حياته . أما يزيد بن هشام فَعَيَّره الوليد بمجون أمه ، وبشربها الخمر ، ولم يزل يأتيه من جهتها حتى مَزَّقه ومزَّقها(٧٩) . وأما سعيد بن هشام ، ومحمد وإبراهيم ابنا هشام المخزومى فتطاول عليهم ، واستهان بهم ، حتى أنكرهم ، وادّعى أنه لا يعرفهم ، مما يتضح فى هذا الخبر الذى رواه المدائنى فقال : « دخل الوليد يوماً مجلس هشام وفيه سعيد بن هشام بن عبد الملك ، وإبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى ، خال هشام بن عبد الملك ، وأبو الزبير مولى بنى مروان ، ولم يكن هشام بن عبد الملك حاضراً فى المجلس ، فأقبل على سعيد بن هشام فقال : من أنت وهو يعرفه ؟ فقال : سعيد بن أمير المؤمنين . فقال : مرحباً بك ! ثم قال لأبى الزبير : من أنت ؟ قال : أبو الزبير . قال : نسطاس ؟ مرحباً بك ! ثم قال لإبراهيم بن هشام : من أنت ؟ قال : إبراهيم بن هشام . قال : من إبراهيم بن هشام ، وهو يعرفه ؟ قال : إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى . قال : ومن إسماعيل المخزومى ؟ قال : الذى لم يكن أبوك يرى أنه فى شىء حتى زَوَّجَه أبى ! قال : يا ابن اللخناء ! وَاتَّخَذا (تصارعا) . وأقبل هشام ، فقيل : أمير المؤمنين ! فكفا وجلسا ، ودخل هشام فما كاد الوليد يَتَنَحَّى له عن صدر المجلس ، إلّا أنه زَحَل (تَنَحَّى) قليلاً »(٨٠) .

وأما العباس بن الوليد بن عبد الملك فكان الوليد يستصغره ويَخزُه بأنه ابنُ أَمَةٍ ، وأنه ليس من العرب الصرحاء ، بل من الهُجَناء ، إذ يروى المدائنى « أن هشاماً كان يَعيب الوليد ويَتَنَقَّصه ، فدخل عليه يوماً وعنده جماعة من بنى مروان كانوا يعيبون الوليد قبل دخوله ، فيقولون : هو أحمق ! فقال له العباس بن الوليد بن عبد الملك : يا أبا العباس ، كيف حبك للروميات فإن أباك كان معجباً بهن ؟! قال : إنى لأحبهن ، وكيف لا أحب من لا تزال تأتى بمثلك ؟ وأم العباس رومية ، فقال : لستَ بالفحل يجىء عَسْبُه (ماؤه) بمثلى ! فقال له الوليد : يا ابن البَظْراء ! فقال العباس : يا وليد ، أتفخر علىَّ بما قطع من بَظْرِ أمك »(٨١) .

وأما محمد بن مُسْلِم الزهرى فأقسم الوليد إنْ هو بقى حياً إلى خلافته لَيَقْتُلَنَّه(٨٢) ، فأجمع الزهرى

---

(٧٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٩ ، والأغانى ١٦ : ٢٧٨ .

(٨٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١١ ، والأغانى ٧ : ٥ .

(٨١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٣ ، ٣١١ ، والأغانى ٧ : ٤ .

(٨٢) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ، ١٧ الورقة : ٤٨٠و ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٥ ، وسير=

أن يدخل إلى بلاد الروم إن ولى الوليد بن يزيد ، فمات الزهرى قبل ذلك بقليل ! (٨٣) .

وكان رَدُّه على تَهَكُّم هِشام منه ، وتَشْنِيعِهِ عليه أَقْذَع وأَوْجَعَ ، وأكثر تشهيراً به ، وأشد إثارةً له ، فقد «قال هشام للوليد يوماً : ما شرابك ؟ قال : شرابك يا أمير المؤمنين ! وقام مُغْضَباً . فقال هشام : هذا الذى يزعمون أنه أحمق ، ما هو بأحمق ، ولكنى أظنه على غير المِلَّة » (٨٤) . وقال هشام للوليد مرة : « كيف أنت يا وليد ؟ قال : صالح . قال : ما فَعَلَتْ بَرابِطُك ؟ قال : مُعْمَلَة قال : فكيف نُدَماؤُك ؟ قال : لعنهم الله إنْ كانوا شرًّا من جُلَسَائِك ! وقام . فقال هشام : يا ابن اللخناء ! جُؤُوا عُنُقَه . فلم يفعلوا ، ودفعوه دفعاً رفيقاً » (٨٥) .

وشعره الذى نظمه فى الاحتجاج على هشام وسعيه إلى سَلْبه ولاية العهد ألذع من إجاباته السريعة له ، فهو يعتد فيه بنفسه ونسبه اعتداداً مدوياً ، ويُؤَنِّبُ هشاماً تأنيباً جارحاً ، ويصفه بالحمق والضلال وصفاً صريحاً . ومنه قوله يكاثره ويستطيل عليه بِنَسَبه الثاقب ، ومكانته الجليلة ، فهو حفيد بنى أمية ، وأعزُّ من أنجبته قريش وثقيفٍ ، وهو يمت بسبب أُمِّه (٨٦) إلى النَّبى ، مما يجعله متقدماً لا يَلْحقُهُ أَحَدٌ ، ومما يُؤَكِّدُ حَقَّه فى الخلافة ، وهو حق لا يَتَعذَّر على هشام أن يُدافِعَه عنه ، ويَحْرِمَه منه (٨٧) :

أنا ابنُ أبى العاصى وعثمانُ والدى ... ومَرْوانُ جَدِّى ذُو الفعالِ وعَامرُ
أنا ابنُ عَظِيمِ القَرْيَتَيْنِ وعِزُّها ... ثَقِيفٌ وفِهْرٌ والرِّجال الأكابرُ (٨٨)
نَبِىُّ الهُدَى خَالِى ومن يَكُ خالُهُ ... نَبِىَّ الهُدَى يَعْلُو الوَرَى فى المَفاخرِ

وقَوْلُهُ يَتمدَّح بكرم مَحْتِدِه وأصالته ، وبُعْدِ هِمَّته وبسَالته ، فهو ناصع النسب ، اجتمع له شرف آبائه وأجداده الأمويين ، وعِزُّ أخواله الثقفيين ، بل هو صفوة أولاد عبد شمس الأكبر ، أصحابِ

= أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة : ١١ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥١ .

(٨٣) الأغانى ٧ : ١٢

(٨٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١١ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٥٠ ، والأغانى ٧ : ٥ .

(٨٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١١ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١١ ، والأغانى ٧ : ٦ .

(٨٦) أم يزيد بن عبد الملك عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية . وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر . وأم عبد الله بن عامر أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم » . (الأغانى ٧ : ١) .

(٨٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١١ ، والأغانى ٧ : ٦ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٩ .

(٨٨) القريتان : مكة والمدينة .

العزائم القويةِ ، وأهلِ المجدِ الساطع ، وأرباب المنزلةِ العَلِيَّة التى ترتفع إلى عنان السماء ، فلا يُطْمَعُ فى بلوغها ، أو الوصول إليها ، ويَرْتَدُّ البَصَرُ كَلِيلاً عنها(٨٩) :

أنا الوليدُ أبو العباسِ قد عَلِمَتْ ... عُلْيا مَعَدٍّ مَدَى كَرِّى وإقْدَامى
إنِّى لَفِى الذِّرْوَةِ العُلْيَا إذا نُسِبُوا ... مُقَابَلٌ بينَ أخْوَالى وأَعْمَامى
بَنَى لى المَجْدَ بانٍ غَيْرُ مُدَّرَكٍ ... عَلَى مَنارٍ مُضِيئاتٍ وأعلامِ(٩٠)
خُلِقْتُ من جَوْهَرِ الأعياصِ قدْ عَلِمُوا ... فى باذخٍ مُشْمَخِرِ العِزِّ قَمْقَامِ(٩١)
صَعْبِ المَرامِ يُنَاغى النَّجْمَ مَطْلَعُهُ ... يَسْمُو إلى فَرْعِ مَجْدٍ شامخٍ سَامِ

وقوله يُنَدِّدُ بِجفاءِ هشامٍ له ، وسَأَمِهِ منه ، وقلة صبره على رؤيته ، معلناً أنه سيجزيه كُرْهاً بِكُرْهٍ ، وهَجْراً بِهَجْرٍ ، وأنه لن يستكين ولن يَسْتَجْدِيَه العطفَ والمودةَ استجداءً ، ومُقَرِّعاً له تقريعاً شديداً ، لما يرتكب من القبائح . وهى قبائح إذا تأملها بأناةٍ وحكمة ، ووازن بين ضررها عليه ، وخيرها له استَسْخَفَها ، وَرَدَعَ نفسه عنها رَدْعاً ، وعرف يقيناً أنه أساء إلى ابن أخيه إساءة لا تغتفر(٩٢) :

فإنْ تَكُ قَدْ مَلِلْتَ القُرْبَ منى ... فَسَوْفَ تَرَى مُجَانَبتى وبُعْدى
وسوفَ تَلُومُ نَفْسِكِ إنْ بَقِينَا ... وتَبْلُو النَّاس والأحوال بَعْدِى
فَتَنْدَمُ فى الذى فَرَّطْتَ فيهِ ... إذا قَايَسْتَ فى ذَمِّى وحَمْدى

وتكشف القطعتان الأوليان عن أسلوب الوليد فى الفخر والعتاب ، فهو ينزع فيهما منزعاً تقليدياً ، إذ يستوحى معانى الجاهليين ، فيكاثر بالنسب والْحَسَبِ والآباء والأجداد والأخوال ، وإن انتصر لنفسه بقرابته من الرسول ليضفى على شخصيته هالة من القداسة ، وهو يكرر ألفاظ القدماء ويستعير تراكيبهم الفخمة الصعبة ، ويستخدم الأوزان الضخمة كالطويل والبسيط . فيبدو شعره فى الفخر والعتاب قويًّا صاخباً ، قبليًّا فى مضمونه ، بدويًّا فى لغته وقوالبه التعبيرية وموسيقاه . وتظهر فيه بعض العيوب العروضية كالإقواء ، الذى شاع فى مقطوعاته الغزلية ، فهو ثابت فى رواية البلاذرى للبيت الثالث من القطعة الأولى ، وهى أقدم من رواية أبى الفرج(٩٣) التى سلمت منه ، وكأنه أصلح البيت

(٨٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٢ ، والأغانى ٧ : ١٠ .
(٩٠) غير مُدْرَكٍ : لا يلحق .
(٩١) الأعياص من ولد أمية الأكبر بن عبد شمس هم : العاصى وأبو العاصى ، والعيص وأبو العيص ، والعويص ، وأبو عمرو . (جمهرة أنساب العرب ص : ٧٨) . والمشمخر : الجبل العالى . والقمقام الكثير العدد .
(٩٢) الأغانى ٧ : ٢١ .
(٩٣) الأغانى ٧ : ٦ .

وأخلاه من الإقواء .

ولم يزل أمر هشام والوليد على هذه الحال حتى بداية العقد الثالث من القرن الثانى ، هشام وأعوانه يرومون تنحية الوليد ، ويُشَمِّرونَ لها ، ويَجِدُّون فيها ، ويأتمرون بالوليد ، ويفترون عليه ، والوليد يكافحهم ويَذودُهم عن نفسه ذَوْداً جريئاً ، ويُعَنِّفُهم ويُقَطِّعهم بلسانه تقطيعاً .

٣ - فى آخر خلافة هشام

كان يُغْرى الوليد بِتَحَدِّى هشامٍ ومهاجمةِ أنصاره فى المرحلة السابقة مالَهُ من بَيْعَةٍ مُعْلَنةٍ مُوَثَّقة (٩٤) . وكان يُشَجِّعُهُ على التَّصدِّى لهشامٍ ومُكايدته أنَّ بَعْضَ أمراء بنى أمية الأقوياء ونفراً من سادة العرب وقادتهم بدمشق ، وغيرهم من أهل الشام ، وأكثر أهل الأمصار الأخرى لم يؤيدوا هشاماً فى نقل ولاية العهد إلى ابنه مسلمة . فإن مسلمة بن هشام لم يكن أحسن حالاً من الوليد ، ولا كان أشد منه استقامة وجلالاً ، فقد كان فى مسلمة مجون ، وكان يُكْثِرُ الشرابَ ويُدْمِنُه (٩٥) . وكان صديقاً للوليد ، « فكان يكثر أنْ يُكَلِّم أباه فى الرِّفْقِ به ، ويَكُفُّه عنه » (٩٦) .

وكان هشام لا يُقْدِمُ على استلاب ولاية العهد من الوليد ، ولا يَجْرُؤُ عليه ، لأنه كان يخشى عواقبه وأخطاره ، فإن استلاب ولاية العهد يَحُطُّ من قدر هشام ويُزْرِى به ، ويؤذن بِتَصَدُّع بنى أمية وتَفَسُّخهم ، ويَهيجُ الجيش ، ويُؤَدِّى إلى تَمَزُّقه وانقسامه ويُضْعِفُ الخلافة ، ويُقَلِّلُ من هَيْبَتها وسُلْطَتها ، فكان هشام يحجم عن خلع الوليد « خوف الفضيحة من الناس ، ولئلا تَتَنَكَّرَ قلوبُ الأَجْنَادِ عليه » (٩٧) .

وساعد الوليد فى مجابهة هشام ، وحَمَلَهُ على مُعاندته ما كان يَلْقَى من مُسَاندة عمه مسلمة بن عبد الملك ، وكان مسلمة أكبرَ إخوة هشام ، وأَشَدَّهم بأساً وحزماً وأكثرهم اعتدالاً واتِّزاناً ، وأعظمهم مكانة ونُفُوذاً (٩٨) ، وكان يعلم أنه هو الذى اقترح على أخيه يزيد بن عبد الملك أن يَعْهَدَ

---

(٩٤) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ، رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٠و .

(٩٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ ، ٣١٦ ، والأغانى ٧ : ٢٥ .

(٩٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٦ ، والأغانى ٧ : ٢٥ .

(٩٧) البداية والنهاية ١٠ : ٣

(٩٨) ترجمته فى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٧٣٢ ، ونسب قريش ص : ١٦٥ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٢٨٨ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٢٨ .

بالخلافة إلى أخيه هشام ، وأن يُقَدِّمه على ابنه الوليد لِصغَر سِنِّه . فكان يَنبَرى للدفاع عن الوليد ، وينهى هشاماً ويُحَذِّره ، ويُعاتِبُه عتاباً مرًّا ، ويَزْجُرُه زَجْراً قويًّا كلما رآه يَجُور على الوليد ، ويُمْعِنُ فى ظُلْمِه ، ويَتَوَرَّطُ فى السَّعْى لِعَزْله(٩٩) . فكان هشام يخجل منه ، ويتطامن له .

فلما مات مسلمة بن عبد الملك فى مطلع العقد الثالث من القرن الثانى(١٠٠) غُمَّ الوليد ، وضعف جانبه ، إذ فقد أعز أهله وأقربائه ، وأحب أعمامه وأخلصهم له ، وأقوى من كان يمتنع به منهم ، ويشكو إليه ، فَيَصُدُّ هشاماً .

وأفصح الوليد فى شعره عن ألمه لموت عمه مسلمة ، وخوفه من هشام وغيره من أبناء عمومته ، وود لو هلك هشام العنيد الصلف الذى لا يؤمن شره ، أو يزيد بن الوليد بن عبد الملك مريض النفس والقلب الذى لا يرجى صلاحه ، أو مروان بن محمد البعيد المنقطع الذى لا يؤمل خيره ، إذ يقول(١٠١) :

أَهَيْنَمَةٌ كلامُ القومِ أَمْ هُمْ ... سكوتٌ بعدَما مَتَعَ النهارُ(١٠٢)
عزيزٌ كان بَيْنَهُمُ نَبِيًّا ... فقول القوم وَحْيٌ لا يُحَارُ
كأنَّا بَعْدَ مَسْلَمَةَ المُرَجَّى ... شُروبٌ طَوَّحتْ بهمُ عُقارُ
أَوالَّافٌ هِجانٌ فى قيودٍ ... تَلَفَّتُ كلَّما حَنَّتْ ظُؤارُ(١٠٣)
فليتَكَ لم تَمُتْ وفداكَ قومٌ ... تُريحُ غَيِّبَهُمْ عنَّا الدِّيارُ
سَقِيمُ الصَّدْرِ أو شَكِسٌ نكيدٌ ... وآخرُ لا يزورُ ولا يزارُ(١٠٤)

ويقول معرباً عن فداحة رزئه فى عمه مسلمة ، وأنه لم يصدق نبأ وفاته ، فقد كان ملجأه الذى

---

(٩٩) الأغانى ٧ : ٦ .

(١٠٠) يشير خليفة بن خياط ، وابن تغرى بردى ، وابن كثير أن مسلمة بن عبد الملك توفى سنة عشرين ومائة ، (انظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥١٩ ، والنجوم الزاهرة ١ : ٢٨٥ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٢٩) . ولكن خليفة بن خياط يذكر أن مسلمة غزا على الصائفة سنة إحدى وعشرين ومائة . (تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٢٤) . وينقل ابن كثير عن شيوخه أن مسلمة توفى سنة إحدى وعشرين ومائة . (البداية والنهاية ٩ : ٣٢٩) . ويروى ابن تغرى بردى أيضا أن مسلمة توفى سنة اثنتين وعشرين ومائة . (النجوم الزاهرة ١ : ٢٨٨) . والراجح أنه توفى سنة إحدى وعشرين أو سنة اثنتين وعشرين ومائة .

(١٠١) الأغانى ٧ : ٧ .

(١٠٢) الهينمة : الكلام الخفى لا يفهم . ومتع النهار . بلغ غاية لارتفاعه قبل الزوال ، أو امتد وطال .

(١٠٣) الهجان : كرام الإبل . والظؤار : جمع ظئر وهى الناقة العاطفة على غير ولد المرضعة له .

(١٠٤) يعنى بالسقيم الصدر يزيد بن الوليد ، ويعنى بالشكس هشاماً ، والذى لا يزور ولا يزار مروان بن محمد » . (انظر الأغانى ٧ : ٨) .

يَفْزَعُ إليه ، والقبس الوهاج الذى ينير له الحياة ، ويخفف من آلامه ، متمنياً لو بقى حيًّا حتى يعصمه من أذى هشام(١٠٥) :

أتانَا بريدانِ من واسطٍ يَخُبَّانِ بالكُتُبِ المُعْجَمَهْ
أقولُ وما البُعْدُ إلاَّ الرَّدَى أمسلمُ لاَ تَبْعُدَنْ مَسْلَمَهْ
فقد كنتَ نُوراً لنا فى البلادِ تُضِيءُ فقد أصبحتْ مُظْلِمَهْ
كَتَمْنَا نَعِيَّكَ نَخْشَى اليقينَ فَجَلَّى اليقينُ عن الجَمْجَمهْ(١٠٦)
وكمْ مِنْ يتيمٍ تَلافَيْتَهُ بأرضِ العَدُوِّ وكمْ أَيِّمَهْ
وكنتَ إذ الحربُ دَرَّتْ دَماً نَصَبْتَ لها رايةً مُعْلَمَهْ

فانكبَّ هشام على نفسه فى الفترة الماضية ، وأخذ يُرَجِّعُ آماله وآلامه ، ولكنه كَظَمَ غَيْظَه ، وقَبِلَ سخرية الوليد منه ، وإهانته له . فلما توفى مسلمة بن عبد الملك صفا الجو لهشام ، وأُطْلِقَتْ يده المغلولة ، فاضطهد الوليد ، وتَسَلَّط عليه . ويظهر أنه قرر التخلص منه غيلةً ، فَحَضَّ بعض مواليه على قتل الوليد إذا وجده منتحياً بمكان بعيد ، وأصاب منه غفلةً . ففيما يرويه أبو الفرج عن أحد أصحابه « أن الوليد خرج يوماً يتصيَّدُ وحده ، فانْتَدَبَ إليه مولى لهشامٍ يريدُ الفتكَ به . فلما بَصُرَ به الوليد جَاوَلَهُ فَقَهره بفرسه الذى كان تحته فقتله . وقال الوليد فى ذلك :

ألمْ تَرَ أَنِّى بينما أنا آمنٌ يَخُبُّ بِى السِّنْدِىُّ قَفْراً فَيافيَا
تَطَلَّعْتُ من غَوْرٍ فأبصرتُ فارساً فأَوْجَسْتُ منه خيفةً أَنْ يَرانِيَا
ولمَّا بَدَا لى أنما هو فارسٌ وقَفْتُ له حتى أَتَى فَرَمانِيَا
رَمانى ثَلاثاً ثمَّ إنِّى طَعَنْتُهُ فروَّيْتُ مِنْهُ صَعْدَتِى وَسِنَانِيا(١٠٧)

وإذا صَحَّ الخبر والشعر ، لأن أبا الفرج انفرد بروايتهما دون إسناد واضح ، ولأن الشعر حكايةٌ للخبر ، كما أن أسلوب الشعر سهل مصقول يخالف أسلوب الوليد فى الفخر ، وما يتسم به من الصعوبة ، وكثرة الغريب ، وقلة التهذيب ، فإن هشاماً يكون قد خَطَّطَ لاغتيال الوليد وحَاوَلَهُ .

ويستدل من رواية المدائنى لأخبار الوليد بعد موت عمه مسلمة بن عبد الملك أن هشاماً اسْتَذَلَّهُ واسْتَعْبَدَهُ ، وعنف به عنفاً لا يُحْتَمل ، وآذاه أذًى لا يُطاق ، فلم يتمكن الوليد من زيارة الرصافة ، أو الإقامة بها كما كان يفعل من قبل ، ولم يأمن العيش بدمشق ، فرحل إلى بادية الأردن طلباً للنجاة

(١٠٥) الأغانى ٧ : ٦ ، ونسب قريش ص : ١٦٥ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٢٩ .
(١٠٦) الجمجمة : إخفاء الكلام .
(١٠٧) الأغانى ٧ : ٦٤ .

بنفسه ، واجتناباً لكيد هشام وغدره ، إذ يقول المدائنى : « لما كثر عَيْبُ هشام للوليد ، وتَعَبُّثُهُ به وبأصحابه وخاصته ، خرج فى جماعة منهم ، فنزل بالأزرق بين أرض بلقين وفزارة ، على ماء يقال له : الأغدف وخَلَّف بالرصافة كاتبه عَيَّاض بن مسلم مولى عبد الملك ، وأمره أن يكتب إليه بما يحدث قِبَلَه »(١٠٨) .

ولم يتركه هشام حراً طليقاً ينعم بالاستقرار والطمأنينة فى منفاه ، فقد بث عليه الجواسيس ليراقبوه ويرسلوا إليه بأخباره ، لينسج منها تهماً يُسَوِّغ بها انتقامه منه ، وتنكليه به ، ويجبره بها على الخضوع لمشيئته وإرادته .

وكان عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيبانى ممن رحلوا مع الوليد إلى الأزرق . وكان الوليد يأنس به ويركن إليه . فنظم عبد الصمد أبياتاً صور فيها انتظاره لخلافة الوليد ، وتوقعه لها بين حين وآخر ، ليشد أزر الوليد ، ويربط على قلبه ، ويقوى عزيمته ، وينفى عنه ما كان يساوره من الهواجس والظنون فى مصير ولايته للعهد ، مذكراً له ببيعته المؤكدة التى لا يقدر هشام على نقضها ، ومبشراً له بأيام سعيدة ، إذ يقول(١٠٩) :

لعلَّ الوليدَ دَنَا مُلْكُهُ ... فأمسَى إليه قد استَجْمعَا
وكنَّا نُؤَمِّلُ فى مُلْكِهِ ... كتأميلِ ذى الجَدْبِ أنْ يُمْرِعَا
عَقَدْنَا له محكماتِ الأمـ ... ـورِ طَوْعاً وكان لها مَوْضِعَا

ونقل جواسيس هشام الأبيات إليه ، فأحفظته على عبد الصمد ، إذ أيقن أنه يستبطئ حياته ، ويستثقل خلافته ، ويستعجل نهايته ، وأنه لم يزل يحرض الوليد على مقاومة المبايعة لمسلمة بن هشام بولاية العهد ، ولم يتوقف عن حث الوليد على التجلد والتمسك بحقه فى وراثة الملك وحده ، فاستغل هشام الأبيات أسوأ استغلال ، إذ اتخذها حجةً لمهاجمة الوليد وعبد الصمد ، والبطش بهما ، وذريعةً إلى اتهامها فى دينهما ، فرماهما بالكفر ، مع أن الأبيات لا صلة لها بالدين ، وليس فيها ما يشير من قريب أو بعيدٍ إلى الفسوق والانسلاخ من الإسلام ! فكتب إلى الوليد « إنك قد اتخذت عبد الصمد خِدْناً وأليفاً ومُحَدِّثاً ونديماً . وقد صح عندى أنه على غير الإسلام ، فحقق ذلك ما يقال

---

(١٠٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٢ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١١ ، والأغانى ٧ : ٨ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٥ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ‌ حـ٥ ، الورقة : ١٦ ظ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣ .

(١٠٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٢ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١١ ، والأغانى ٧ : ٩ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٧٤ ، المجلد العاشر ، الورقة : ١٦٨ و .

فيك ، ولم أُبَرِّئْكَ من سوء . فاحمل إلى عبد الصمد مع رسولى مذموماً مدحوراً . فلم يجد بدأ من إشخاصه ، فأشخصه إليه ، وأنشأ يقول :

لقد قَذَفُوا أبا وَهْبٍ بأمرٍ كبيرٍ أو يزيدُ على الكبير
وأشهدُ أنهمْ كَذَبُوا عليهِ شهادةَ عالمٍ بهمُ خَبيرِ (١١٠)

فالوليد كان على ثقة من أن هشاماً اتهم عبد الصمد بالزندقة زوراً وبهتاناً ، وأنه إنما اتهمه بها إغاظةً له ، وتشنيعاً عليه .

ودفع هشام عبد الصمد وأخاه عبد الرحمن إلى يوسف بن عمر الثقفى واليه على العراق ، فسجنهما ، ويصف البلاذرى نهايتهما المفجعة فيقول : « بنى لهما يوسف بيتاً ، وجعلهما فيه ، وطيَّن عليهما ، وصير فيه كوة يرمى منها إليهما بالطعام . . . ثم أعطشهما حتى برصا أو برص أحدهما ، وماتاً عطشاً » (١١١) .

« وكتب الوليد إلى هشام يعلمه أنه فارق عبد الصمد ، ويسأله أن يأذن لعبد الله بن سهيل فى القدوم عليه ، فضرب هشام ابن سهيل ونفاه . وأخذ عياض بن مسلم – وبلغه أن يكتب بالأخبار إلى الوليد – فضربه ، وألبسه المسوح وحبسه . فغم ذلك الوليد ، فقال : من يثق بالناس أو يصطنع المعروف ! هذا الأحول المشئوم قَدَّمه أبى ، وولاه الخلافة ، وهو يصنع ما ترون ! »(١١٢) ، « لا يعلم أنَّ لى فى أحدٍ هوًى إلا عَبِثَ به ، كتب إلى أن أخرج عبد الصمد ، فأخرجته إليه ، وكتبت إليه أن يأذن لابن سهيل فى الخروج إلى ، فضربه وسيره . وقد علم رأيى فيه ، وقد علم انقطاع عياض بن مسلم إلى وتَحرُّمه بى ، ومكانه منى ، وأنه كاتبى ، فضربه وحبسه ، يضارُّنى بذلك ، اللهمَّ أَجِرْنى منه ! » (١١٣) .

ولم يقتصر هشام على حبس مؤدب الوليد وإعدامه ، وجلد كاتبه عياض وسجنه ، وتعذيب ابن سهيل ونفيه ، فقد منع أسباب الرزق عن الوليد وخاصته ، وفى ذلك يقول المدائنى : « قطع هشام عن الوليد ما كان يجرى عليه ، وأسقط أسماء أصحابه وحرسه ، وقطع ما كان يجرى عليهم » (١١٤) .

---

(١١٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٢ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١١ ، والأغانى ٧ : ٩ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٧٤ المجلد العاشر ، الورقة : ١٦٨ و .

(١١١) أنساب الأشراف : مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٣١٢ .

(١١٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٣ .

(١١٣) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٢ ، والأغانى ٧ : ٩ .

(١١٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٣ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١١ ، والأغانى ٧ : ٩ .

وكأنما أراد هشام أن يهدد الوليد فى حياته حتى يقهره على التخلى عن ولاية العهد ، فَخَيَّره بين الاحتفاظ بها والموت فى سبيلها ، وبين التنازل عنها والنجاة بنفسه . فاختار الوليد ولاية العهد ، ووطّن نفسه على احتمال المكاره والأهوال . وكتب إلى هشام رسالةً مهمةً ، شرح فيها رأيه فى ضغط هشام عليه ، وعَسْفِهِ به ، وفَصَّل الدوافع التى بَعَثَتْهُ على التَّشبث بولاية العهد ، والتمسك بها ، يقول فيها : « قد بلغنى الذى أَحْدَثَ أمير المؤمنين أصلحه الله فى قطع ما قطع عنى وعن أصحابى وحرسى وأهلى . ولم أكن خائفاً أن يَبْتَلِىَ اللهُ أميرَ المؤمنين بذلك ، ولا يَبْتَلِيَنِى به منه . فإن يكن طلبى ابن سهيل عِلَّةَ ذلك ، فلم يبلغ أمر ابن سهيل وكتابى فيه ما بلغ أمير المؤمنين من قطيعتى ، وإن يكن ذلك لشىء فى نفس أمير المؤمنين على ، فقد سَبَّبَ الله لى من العهد ، وكتب لى من العمر ، وقسم لى من الرزق ما لا يقدر أحدٌ على قطع شىء منه دون مُدَّته ، ولا صرف شىء منه عن مواقعه ، فأقدار الله تجرى بما أحب الناس أو كرهوا ، فلا تأخير لعاجلها ، ولا تعجيل لآجلها ، والناس بين ذلك مقترفون للآثام على أنفسهم »[115] « بما يستوجبون العقوبة عليه . وأمير المؤمنين أحق أمته بالبصر بذلك ، والحفظ له . والله الموفق لأمير المؤمنين بحسن القضاء له فى الأمور »[116] .

فلم يكن يخطر ببال الوليد وخياله أن هشاماً يمكن أن يلجأ إلى حجب ضرورات المعاش عنه . ويعتقد أن هشاماً إنما ضيق عليه تضييقاً شديداً لأنه كان يرمى إلى إكراهه على التنازل عن ولاية العهد ، فإن طلبه لابن سهيل لايستدعى أن يعاقب هشامٌ الوليد بحجز عطائه وعطاء ذويه ورفاقه وحرسه . ويصرح أن أحداً لايستطيع خلعه ، لماله من بيعةٍ مبرمة باركها الله ، فهو الذى اختصه بولاية العهد ، واصطفاه لها ، محتجاً على هشام بمبدأ الجبر فى الخلافة الذى آمن به كما آمن به أسلافه من الخلفاء الأمويين ، وساخراً منه ومن أنصاره الضالعين معه ، فليس لرأيهم ولا لرأى الناس جميعاً أهمية فى ولاية العهد ، وإنما الأهمية فيها لإرادة الله التى سبقت رغبة هشام ، ولا سبيل إلى تبديل إرادة الله ، أو إلى أبطالها وتعطيلها ، محذراً هشاماً من غضب الله وعذابه إن واصل العمل لعزله عن ولاية العهد .

فكتب إليه هشام يقول : « قد فهم أمير المؤمنين كتابك . وأمير المؤمنين يستغفر الله من إجرائه ما كان يجرى عليك ، فإنه للمآثم فى ذلك أخوف منه على نفسه فى قطعه ما قطع لأمرين : أما أحدهما فإيثار أمير المؤمنين إياك بما كان يجريه عليك ، وهو يعلم المواضع التى تضعه فيها ، وإنفاقك

---

(١١٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٣ .

(١١٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٣ والأغانى ٧ : ١٣ . مع أن البلاذرى حذف خاتمة رسالة الوليد إلى هشام ، فإن روايته لها أدق من رواية الطبرى وأبى الفرج ، على كمالها . فأثبتنا ما ورد منها فى أنساب الأشراف ، واستكملنا الخاتمة من تاريخ الطبرى والأغانى .

إياه فى سبل المعصية . وأما الآخر فلأن أمير المؤمنين أثبت صحابتك ، وأدر أرزاقهم ، وليس ينالهم ما ينال المسلمين فى كل عام من المكروه عند قطع البعوث وجهاد العدو ، وإنما هم معك تجول بهم فى سَفِهك وبطلانك وفسوقك . ولأمير المؤمنين إلى التقصير فى التقتير عليك أقرب منه إلى الاعتداء . ولقدْ بَصَّر الله أمير المؤمنين من قطع ما قطع عنك وعن أصحابك المجان ما يرجو أن يكون كفارة لما سلف من إدرار ذلك عليكم ، وبالله الثقة . وأما ابن سهيل فهل زاد – لله أبوك – على أن كان زفاناً مُغَنياً ، قد بلغ فى السفه غايته ! وليس هو فى ذلك بشرٍ ممن تستصحبه ، مع الأمور التى يكرم أمير المؤمنين نفسه عن ذكرها ، مما أنت لعمر الله أهل للتوبيخ بها . فأما ما ذكرت مما سبب الله لك فإن الله قد ابتدأ أمير المؤمنين بذلك ، وأصفاه به ، والله بالغٌ أمره . ولقد أصبح أمير المؤمنين على اليقين من ربه أنه لا يملك لنفسه فيما أعطاه الله من كرامته ضراً ولا نفعاً ، وإن الله ولى ذلك منه ، وإنه أرأف بعباده وأرحم من أن يُوَلِّيَ أمرهم غير الرضا منهم . وإن أمير المؤمنين لِحُسْنِ ظنه بربه على أعظم الرجاء أن ييسر له تسبيب ذلك لمن هو أهله فى الرضا به ، فإن بلاء الله عنده أعظم من أن يُبْلِغَه ذكرُهُ ، ويؤدِّى حَقَّهُ فيه شُكْرُهُ ، إلا بعون منه له . ولئن كان قدر لأمير المؤمنين تعجيل وفاة إن فى الذى هو مُفْضٍ من كرامة ربه إن شاء الله لَخَلَفاً من الدنيا . ولعمر أمير المؤمنين إن كتابك إلى أمير المؤمنين ما كتبت له لغير مستنكر من سَفَهِك وحُمْقِك وسُقوطك ، فارْبَعْ على نفسك وغُلَوائها ، فإن لله سَطَواتٍ وغِيَراً يُصِيبُ بها من يشاء . وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحب الأمور إليه ، وأرضاها له . والسلام »(١١٧) .

فهشام يجعل اتهامه للوليد بالبطالة والضلالة سبب حرمانه وحرمان أصحابه من أعطياتهم ، ليغفر الله له ما تَقَدَّمَ من ذنبه ، لأنه كان يُجْرِيها عليهم من قبل ، فهم قاعدون لا يجاهدون ولا يستبسلون فى النضال ، ولا يصمدون فى مواقع الشهادة ، ولا يَبْلُونَ أهوال القتال ، ولا يقتحمون مواطن الرَّدَى حين تتوقف النجدات عن الجند فى الثغور البعيدة المخوفة ، فيصبرون وينصبون نحورهم وصدورهم للأعداء ، حتى يُبْقِيَ على أرزاقهم ، ولا يُلْغِيَ أعطياتهم . وقد وفَّقَه الله إلى محو أسمائهم من الديوان !

وهو سبب ظاهره معقول ، ففى أيام هشام « لم يكن أحد من بنى مروان يأخذ العطاء إلا عليه الغزو ، فمنهم من يغزو ، ومنهم من يُخْرِجُ بدلاً(١١٨) ، « وكانوا يقيدون أنفسهم فى أعوان الديوان ، وفى بعض ما يجوز لهم المقام به ، ويُوضَعُ به الغزو عنهم »(١١٩) .

(١١٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٣١٣ . أثبتنا رواية البلاذرى لرسالة هشام ، لأنها أصح من رواية الطبرى وأبى الفرج . فنص الرسالة فى تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٣ ، وفى الأغانى ٧ : ١٣ ، فيه خطأ وتعديل كثير .

(١١٨) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٢ .

(١١٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٢ .

ومن الصَّعْبِ التَّحَقُّقُ من أن الوليد لم يُخرِجْ بَدَلاً ، أو أن نهوضَه بأعباء ولاية العهد لم يكن يُعْفِيه من الغزو ، كما أنه من العسير التثبت من أن جميع الأمراء الأمويين كانوا يغزون فى كل سنة ، ولكن الواضح أن بعضهم كانوا ولاة أو قادة مثل مسلمة بن عبد الملك ، أو مروان بن محمد . والعطاء إنما فرض لبنى مروان لأنهم من الأسرة الحاكمة !

وأما قَذْفُهُ ابنَ سهيلٍ بالاستهتار بالغناء والرقص والتَّبَذُّل فمن افتراء هشام عليه ، دفعه إليه أنه كان من خاصة الوليد . وهو فيما يروى المدائنى ليس من أهل المجون والخلاعة ، بل يمنىٌّ دمشقىٌّ من أهل النباهة ، وَلِىَ الولايات ، وَوَلِىَ دمشق أو شرطتها مراراً(١٢٠) .

وأما رفضه احتجاج الوليد عليه ، وتخويفه له من عقاب الله إذا استمر فى السعى لخلعه فتَمَلُّص هشام فيه مما كان يشيعه الخلفاء الأمويون من أن إجماع المسلمين على بيعة الخليفة أو على بيعة ولى العهد يُمَثِّلُ المشيئة الإلهية . وهى مشيئة تحققت يوم بايع المسلمون لهشام وللوليد بولاية عهد يزيد بن عبد الملك ! ولكن هشاماً ذهب إلى أن الله أعدل وأرحم من أن يُوَلِّى أمر الجماعة من لا يرتضونه . وهو يصدر فى ذلك عن طموحه فى إقصاء الوليد ، وما يزال يُصِرُّ على العهد بالخلافة لابنه مسلمة ، راجياً أن يَهْدِيَهُ الله ، ويُسَهِّلَ له ما يطمع فيه .

واعترض الوليد فى شعره على محاصرة هشام له ، وبطشه بموظفيه وخاصته اعتراضاً مدوياً ، وسَفَّهَهُ تَسْفِيهاً عنيفاً ، إذ يقول دامغاً له بالخسة والدناءة ، وبالغش والخداع ، وواصماً له بصغر النفس ، فهو إذا أُجِلَّ واحتُرِمَ استأسد وتَنَفَّخَ ، وإذا ظُلِمَ وأُذِلَّ جَبُنَ ورَضخ . وإنه ليعجب من أمره وسوءِ تَصَرُّفه ، فهو يستهين بالوليد ، ويطغى عليه ، ويستعبده ، ويزيد بن عبد الملك سببُ خلافته ، ورَبُّ نِعْمته ! ويتَوَعَّده الوليد بالانتقام من أبنائه وأعوانه بعد مماته . وما يزال يندد به ويهدده ويحتقره حتى يشبهه بالكلب الذى عُنِىَ صاحبه وأنقذه من الهلاك ، ثم دَرَّبه للصيد ، فلما اشتد عوده ، وَضَرِى بعد ضَعْفٍ وتهالكٍ ، حَدَّثَتْهُ نفسه بافتراس صاحبه ، فلم يتمكن منه ، ولو استطاع لَمَزَّقَهُ إرْباً(١٢١) :

أنا النَّذِيرُ لِمُسْدِى نِعْمةٍ أَبَدًا ... إلى المقاريفِ ما لمْ يَخْبُرِ الدَّخَلاَ(١٢٢) .

---

(١٢٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٣ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٢ ، والأغانى ٧ : ٩ .

(١٢١) تاريخ الطبرى ٧ :٢١٥ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٤ ، والأغانى ٧ : ٨ ، والفخرى فى الآداب السلطانية ص : ١٢١ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٠ و ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٦ ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٤ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة ١١١ ظ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥١ .

(١٢٢) المقاريف :الأنذال . والدخل : العيب والغش والفساد .

إِنْ أنتَ أكرَمْتَهُمْ أَلْفَيْتَهُمْ بُطُراً — وإنْ أَهَنْتَهُمْ أَلْفَيْتَهُمْ ذُلُلاَ
أَتَشْمَخُونَ ومنَّا رَأْسُ نِعْمتِكُمْ — ستعلمونَ إذا كانتْ لنَا دُوَلاَ
أنظرْ فإنْ أَنْتَ لمْ تَقْدِرْ على مَثَلٍ — لَهُ سوى الكَلْبِ فاضْرِبْهُ له مَثَلاَ
بيْنَا يُسَمِّنُهُ لِلصَّيْدِ صَاحِبُهُ — حتى إذا ما قوى من بعدِ ما هَزُلاَ
عَدَا عليهِ فلمْ يَضْرُرْهُ عَدْوَتُهُ — ولو أطاقَ لَهُ أَكْلاً لقدْ أَكَلا

ويقول مستعلياً على هشام بعد أن قطع عنه وعن حرسه وأصحابه الرزق ، واصفاً له باللؤم ، فقد أنكر خير يزيد بن عبد الملك ، وجحد فضله عليه ، وهو الذى اختاره لولاية عهده ، وأتته الخلافة من جهته ، فكان حقاً عليه – لو كان يقدر الجميل – أن يلهج بمعروف يزيد ما عاش ، وأن يرعى أبناءه وَيَبَرَّهُم ، محذراً له تحذيراً قوياً من عاقبة صنيعه ، فإنه يجر على أولاده وَأَهْلِهِ وأنصاره الويل والدمار(١٢٣) :

كَفَرْتَ يداً منْ مُنْعِمٍ لو شَكَرْتَها — جزاكَ بها الرحمنُ ذو الفَضْلِ والمَنِّ
رَأَيْتُكَ تَبْنِى جَاهِداً فى قطيعتى — ولو كنت ذا حَزْمٍ لَهَدَّمْتَ ما تَبْنِى
أَرَاكَ على الباقينَ تَجْنِى ضَغِينَةً — فيا وَيْحَهُمْ إنْ مِتُّ من شرِّ ما تَجْنِى
كأنِّى بهمْ يَوْماً وأكثرُ قَوْلِهِمْ — أَيَا لَيْتَ أَنَّا حينَ يا ليتَ لا تُغْنِى

وواضح ما فى القطعتين من جزالة ونصاعة ، فقد صاغها صياغة متينة مُجَلْجلة ، وسكبها فى الأوزان الضخام كالبسيط والطويل ، وتأثر فيهما الخيال البدوى ، إذ ضرب الكلب الذى حاول الغدر بصاحبه مثلاً لهشام وخيانته لأخيه يزيد وأولاده .

وهذه الخصائص الموسيقية والتصويرية البدوية ، والألفاظ الفصيحة الرصينة الغريبة النادرة حيناً ، والتراكيب التى تَقَلَّق فيها الجملة وتعوج ، ويغمض معناها ويلتوى كما يبدو فى البيت الأول من القطعة الأولى ، لأن الوليد لم يكن يهتم بتنقيح شعره – هى التى تميز شعره فى الفخر والعتاب المَشُوبَيْنِ بالتَّأنيب .

وقطع الرزق عن الوليد هو آخر ما اتخذه هشام لدفعه إلى الاستقالة من ولاية العهد . ولكن الأجل لم يمهل هشاماً ، فقد عاجله وهو لم ينجح فى تحويل ولاية العهد إلى ابنه مسلمة . وإنما حال بينه وبين بلوغ أربه أنه أراد أن يَنْقُضَ عهداً مؤكداً ، ويبطل ميثاقاً معلناً ، فعز عليه ذلك ، فأزعجه وأرقه وأحْنَقَه ، وجعله يشك فى آخر حياته فيما كان يؤمن به من الأحاديث المخترعة التى زعم

(١٢٣) الاغانى ٧ : ١٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٢ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٣١٣ .

واضعوها أن الخلفاء ليس عليهم حساب ولا عقاب ، والتى صنعوها ردًّا على اتهام الخوارج للأمويين بأنهم كافرون(١٢٤) ، إذ يروى أنه كان يقول لأبى الزبير مولى بنى مروان ، وقد أسقط اسم الوليد وأسماء أصحابه من ديوان العطاء ، وعَلَت به السن ، وأشرف على الموت ، وأخذ يترقبه : « يا نِسْطاس ، أترى الناس يرضون بالوليد إن حَدَثَ بى حَدَثٌ ؟ قال : يطيل الله عمرك يا أمير المؤمنين . قال : ويحك ! لابد من الموت ، أفترى الناس يرضون بالوليد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن له فى أعناق الناس بيعة ! فقال هشام : لئن رضى الناس بالوليد ، ما أظن الحديث الذى رواه الناس : « إن من قام بالخلافة ثلاثة أيام لم يدخل النار إلاّ باطلاً »(١٢٥) .

وأما الوليد فبقى متعلقاً بولايته للعهد ، حفيظاً عليها ، متأبداً بالأزرق من الأردن حتى توفى هشام . ويستفاد من شعره الذى نظمه بعد أن امتد حبس هشام لعطائه وعطاء خاصته أنه أصابه شىء من الفتور والانكسار ، إذ أخذ يعاتب هشاماً عتاباً لطيفاً مسترحماً له ومستعطفاً أن يصله ببعض المال . ولكنه كان على يقين من أنه لن يرق له ، فقد كان هشام يغدق على كل من قصده إلاّ الوليد ، فإنه كان يرده دائماً خائباً مخذولاً ، على كثرة ما راسل هشاماً وسأله ، يقول(١٢٦) :

أليس عظيماً أنْ أرَى كلَّ واردٍ   حِيَاضَك يوماً صادِراً بالنَّوافلِ
فأرجَعَ مَحْدُودَ الرَّجاءِ مُصَرَّداً   بتَحْلِئَةٍ عن وِرْدِ تلكَ المناهلِ(١٢٧)
فأصبحتُ مما كنتُ آملُ فِيكُمُ   وليس بلاقٍ ما رَجَا كلُّ آملِ
كذى قَبْضَةٍ يوماً على عَرْضِ هَبْوَةٍ   يَشُدُّ عليها كفَّهُ بالأناملِ(١٢٨) .

ثم ضاق الوليد بالعيش مطارداً محروماً ، وابتأس واكتأب وافتقر ، وكاد يتنازل عن ولاية العهد . وجعل يردد فى شعره أنه يود أن يُمْسِكَ الحياة على نفسه ، ويستخلصها من العذاب والشقاء ، ويفزع للاستمتاع بما بقى من أيامه ، مؤثراً صاحبته سلمى ، وكؤوسه ، وجواريه وحياته الهادئة البسيطة على الملك ، إذ استَقرَّ فى نفسه أنه إلى زوال وفناء ، وأنه قد جلب له الهم والعناء . وإن فاز به فلن يطيل عمره ، ولن يعوضه ما ضاع من شبابه ، راجياً أعداءه أن يتركوه خليًّا مسالماً ،

---

(١٢٤) انظر معاوية فى الأساطير ، مقالة لسعيد الأفغانى ، بكتاب المؤتمر الدولى لتاريخ بلاد الشام ص : ٣٩ .

(١٢٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤١ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٣ .

(١٢٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٤ ، والأغانى ٧ : ١٣ .

(١٢٧) مصرداً : مُقَلَّلاً ، والتصريد فى العطاء : تقليله . والتحلئة : من حَلأَ الإبل والماشية عن الماء تحليئاً وتحلئة طردها أو حبسها عن الورود .

(١٢٨) الهبوة : الغَبَرة . وعرض الهبوة : وسطها .

وأن لا ينفسوا عليه الموت جوعاً ، يقول (١٢٩) :

خُذُوا مُلْكَكُمْ لا ثَبَّتَ اللهُ مُلْكَكُمْ ثباتاً يُساوى ما حَيِيتُ قِبالا (١٣٠)
ذَرُوا لى سَلمى والطِّلاءَ وقَيْنَةً وكأساً ألاَ حَسْبى بذلك مالا
أبِالْمُلْكِ أرجُو أنْ أُعَمَّرَ فيكمُ ألاَ ربَّ مُلْكٍ قد أُزِيلَ فَزالا
ألا ربَّ دارٍ قد تَحَمَّلَ أهلُها فأضحتْ قِفاراً والبقاعُ تِلالا
إذا ما صَفَا عيشى برملةِ عالجٍ وعانَقْتُ سلمَى ما أريدُ بَدالا
وخَلُّوا عِنانى قَبْلَ عَيْرٍ وما جرَى ولا تَحْسُدونى أنْ أَمُوتَ هُزَالا (١٣١)

ويتمثل فى القطعتين الأخيرتين جميع خصائص شعر الوليد الصحيح فى الفخر والعتاب ، إذ حشد فيهما طائفة من الألفاظ الصعبة التى تحتاج إلى الاستخراج ، وبناهما بناء بدوياً تقليدياً ، وصبهما فى وزن الطويل ، واستوحى فيهما صور الجاهليين الصحراوية بتفاصيلها وظلالها ولغتها وتراكيبها ، فهو فى القطعة الأولى يشبه هشاماً فى كثرة أمواله ، وسعة نواله لزواره بالحوض الكبير الذى يؤمه السائلون الظِّماء إلى عطائه فيرتوون منه ، ويشبه نفسه وقد قطع هشام الرزق عنه ، وصده صداً قبيحاً بالبعير الذى قصد الحوض ليشرب منه ، فَطُرِدَ عنه ، ومُنِعَ من وُرُوده ، ويشبه تعلقه بهشام وانخداعه به بمن أمسك بشىء من الغبار ، وأغلق عليه كفه ، وهو فى القطعة الثانية يرى أن ولاية العهد التى يُنَازَعُ فيها لا تَعْدِلُ زمام نَعْلٍ . ويشبه نشوء الممالك واندثارها بعد ازدهارها بالديار التى تكون عامرة بأهلها ، فإذا رحلوا عنها ، أصبحت خاوية عافية . ويستعين فى البيت الأخير بمثل

---

(١٢٩) انظر الأبيات والاستشهاد بها على أن الوليد قالها بعد أن هم هشام بخلعه وأكثر القول فيه ، فى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٩ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٦٠ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ، رقم ٤٥ بتاريخ ، حـ٥ ، الورقة : ٢٢و . فى حين ذهب ابن قتيبة فى كتاب الأشربة ص : ٦١ ، وأبو الفرج فى الأغانى ٧ : ٧٩ ، وأبو العلاء المعرى فى رسالة الغفران ص : ٤٤٥ ، وابن الأثير فى كتاب الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٧ ، والنواجى فى حلبة الكميت ص : ٨ إلى أن الوليد قالها حين حوصر بقصر البخراء . وليس يصحيح ، فإن الوليد حين حوصر بقصر البخراء ، أخذ مصحفاً ، وقال : يوم كيوم عثمان ، أو أقتل كما قتل ابن عمى عثمان ، ونشر المصحف يقرأ . انظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، وتاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٦ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٦٢ ، والأغانى ٧ : ٨٠ ، وتاريخ دمشق مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٢و ، والكامل فى التاريخ ٥ :٢٨٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١١ .

(١٣٠) قِبال النعل : زمامها ، وقيل هو مثل الزمام بين الإصبع الوسطى والتى تليها .

(١٣١) قبل عير وماجرى ، قال الميدانى فى مجمع الأمثال ٢ : ٣٦ : «إذا أخبر الرجل بالخبر من غير استحقاق ولا ذكر ، كان لذلك قيل : فعل كذا وكذا قبل عير وما جرى . قالوا : خص العير لأنه أحذر مايقنص . وإذا كان كذلك كان أسرع جرياً من غيره ، فضرب به المثل فى السرعة» . وقال ابن منظور فى لسان العرب ٦ : ٣٠٠ : العير : إنسان العين وقيل لحظها . وفى المثل : «جاء قبل عير وما جرى» ، أى قبل لحظة العين .

بدوى ، إذ يقول : «وخَلُوا عِنانِى قَبْلَ عَيْرٍ وما جَرَى» ، يريد من أعدائه أن يُسْرِعُوا فى الكفِّ عن مضايقته سرعةً تشبه اندفاعَ حمار الوحش فى العدو إذا أحسَّ الخطر ، أو أَنْ يَتَوَقَّفُوا عن إزعاجه قبل لحظة العين .

فمعاملة هشام للوليد تأثرت بحسده لأخيه يزيد بن عبد الملك ، ومسابقته له فى الخلافة ، واعتقاده بأنه أصلح لها من يزيد ، وأجدر بها منه . فلما أفضى الأمر إلى هشام هفا إلى أن يرث ابنه مسلمة الخلافة عنه ، فَجَدَّ فى خلع الوليد ، ولجَّ فيه ، وألحَّ عليه ، واتبع أساليب مختلفة لقهره على التنازل عن ولاية العهد تراوحت بين الطعن فى الوليد ، والتشهير به ، واستخدام الدين سلاحاً لهتكه وتزهيد الناس فيه ، وحملهم على مناهضته والمناداة بعزله ، إلى قطع الرزق عنه ، وتضييق الخناق عليه .

وكان لسوء معاملته للوليد نتائج عديدة : منها أنه حَطَّم شخصية الوليد ، وشَوَّه سيرته ، حتى لم يبق من أخبار حياة الوليد أثناء ولايته للعهد شىء يدل على حسن سياسته ورعايته للناس إلّا ما ذكره الطبرى من أن الوليد «كان وهو ولى عهد يُطْعِمُ من وفد إليه من أهل الصائفة قافلاً ، ويطعم من صدر عن الحج بمنزل يقال له زيزاء ثلاثة أيام ، ويَعْلِفُ دَوَابَّهم» (١٣٢) .

وثانية النتائج أن هشاماً ساعد على ضياع الشعر الذى مُدِحَ به الوليد خلال ولايته للعهد ، فقد تحامى هشام الشعراء الذين أحاطوا بيزيد بن عبد الملك ، ونَوَّهوا به ، ولاذوا فى حياته بابنه الوليد ، ورفض مديحهم له ، وصَبَّ عليهم سُخْطَه وغَضَبه ، ورَدَّهم أبشعَ رَدٍّ وأفحشه . منهم النابغة الشيبانى ، كان يتردد على يزيد بن عبد الملك ويشيد به ، فلما قُتِلَ يزيد بن المهلب دخل النابغة على يزيد ، فأنشده قصيدة طويلة هنأه فيها بقضائه على ابن المهلب ، فأمر له بمائة ناقة من نَعَمِ كلب ، وأن تُوقَرَ بُرًّا وزبيباً ، وكساه وأجزل صلته (١٣٣) . ثم وفد إلى هشام لمَّا وَلِىَ الخلافة ، فلما رآه قال له : يامَاصَّ ما أَبْقَتِ المواسى من بَظْرِ أُمِّه ؟ ألست القائل ليزيد بن عبد الملك :

هِشَامٌ والوليدُ وكلُّ نَفْسٍ تُرِيدُ لك الفناء لك الفِداءُ

أَخْرِجُوه عنى ، والله لا يُصِيبُ منى شيئاً أبداً ، وحَرَمه . ولم يزل طُولَ أيامه طريداً ، حتى ولى الوليد بن يزيد فوفد إليه ومدحه مدائح كثيرة ، فأجزل صلته (١٣٤) وهى مدائح سقطت كلها ، ولم يحفظ القدماء شيئاً منها ، كما أن ديوان النابغة يخلو من أية قصيدة فى الثناء على الوليد !

ومنهم يزيد بن ضبة مولى ثقيف ، كان منقطعاً إلى الوليد بن يزيد فى حياة أبيه متصلاً به

(١٣٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٧ .

(١٣٣) الأغانى ٧ : ١٠٨ .

(١٣٤) الأغانى ٧ : ١٠٩ .

لا يفارقه . فلما أفضت الخلافة إلى هشام أتاه مهنئاً بالخلافة ، فَمَثَلَ بين السِّماطين ، واستأذن فى الإنشاد ، فلم يأذن له ، وقال : عليك بالوليد فامدحه وأنشده ، وأمر بإخراجه . وبلغ الوليدَ خَبَرُه ، فبعث إليه بخمسمائة دينار ، وقال له : لو أمنت عليك هشاماً لما فارقتنى . ولكن اخرج إلى الطائف ، وعليك بمالى هناك ، فقد سوَّغتك جَمِيعَ غلَّته ، ومهما احتجت إلى شىء بعد ذلك فالتمسه منى (١٣٥) .

وجَفَا هشامٌ الشعراءَ الذين كانوا يَطُوفُون بالوليد أثناء ولايته للعهد ، ويكبرونه ، مثل سعيد ابن عبد الرحمن بن حسان ، فإنه كان إذا وفد إلى الشام نزل على الوليد بن يزيد فأَحْسَنَ نُزُلَه ، وأعطاه ، وكساه ، وشفع له . فلمّا حجَّ الوليدُ لقيه سعيدٌ فى أول من لقيه ، فَحَبَاهُ الوليد وقرَّبَه ، وأمر بإنزاله معه وبَسَطَهُ ، ولم يأْنَسْ بأحدٍ أُنْسَهُ به (١٣٦) ولصلته القوية بالوليد نَبَذَهُ هشامٌ واطَّرحَهُ ، إذ خرج سعيد مع جماعة من قريش إلى الشام فى خلافة هشام ، وسألهم معاونته ، فلم يصادفوا من هشام له نشاطاً (١٣٧) .

بل إنَّ هشاماً جَلَدَ بعض الشعراء الذين مدحوا الوليد وبَشَّرُوه بالخلافة ، كعبد الله بن عمر العبلى ، فإنه وفد على هشام فأجازه بمائتى دينار ، ثم مَرَّ بالوليد وهو ولى عهد هشام فقال له :

يا ابن الخليفة لِلْخَليـ ـفةِ والخليفةُ عنْ قَليلِ

فبلغ هشاماً فغضب ، وأرسل خلفه ، فَرُدَّ من الطريق ، فقال له : مدحتنى فى شعرك فقلت لى :

وَوَقاكَ الحُتوفَ مِنْ وارثٍ وا لٍ وأبقاكَ صالحاً ربُّ هُودِ

ثم مررت بالوليد فنعيتنى له . ثم ضربه مائتى سوط مكان كل دينار سوطاً . (١٣٨)

وقد فُقِدَتْ قصيدة العبلى اللامية فى مديح الوليد كما فُقِدَتْ قصائد النابغة الشيبانى الكثيرة فى مديحه !

ولم يسلم من كل الشعر الذى مُدِحَ به الوليد وهو وَلِيُّ عهدٍ إِلَّا بضعُ قصائد للفرزدق نَوَّه فيها به فى حياة أبيه وبعد مماته تنويهاً رائعاً ، وتغنى بعزته وسماحة أخلاقه العربية والإسلامية . وهو يقول فى إحداها مُقَدِّراً علو منزلته وتقواه وجلاله وأخذه بيد المستجير به ، وتأمينه للخائف ، ودفاعه عن الدين وحراسته له ، وحرصه على وحدة الأمة واجتماع كلمتها (١٣٩) .

---

(١٣٥) الأغانى ٧ : ٩٥ .

(١٣٦) الأغانى ٨ : ٢٧٥ .

(١٣٧) الأغانى ٨ : ٢٦٩ .

(١٣٨) الموشح ص : ٣٣٠ .

(١٣٩) ديوانه ١ : ٧٨ .

إلى خير مأْتى يطلبُ الناسُ خَيْرَهُ إليه من الآفاقِ مُجتمعُ الرَّكْبِ
إلى باب منْ لمْ نَأتِ نطلبُ غَيْرَهُ بشرقٍ من الأرض الفضاءِ ولا غَرْبِ
إلى حيثُ مَدَّ الملكُ أطنابَ بَيْتِهِ على ابن أبى الأعياص فى المنزل الرَّحْبِ
إذا ما رَأَتْهُ الأرضُ ظَلَّتْ كأنها تَزَعْزَعُ تَسْتَحْيى الإمامَ مِنَ الرُّعْبِ
دَعى النَّاسَ إلاَّ ابنَ الخليفة إنَّهُ من الناسِ إنْ بَلَّغْتنى أَرْضَهُ حَسْبى
وليسَ بلاقٍ مثلَه الدَّهْرَ خائفٌ أتاهُ على ماءٍ يسير ولا تُرْبِ
يُشَدُّ بهِ الإسلامُ بَعْدَ وَلِيِّهِ أبيهِ فأَمْسَى الدينُ مُلْتئمَ الشَّعْبِ

ويقول فى قصيدة ثانية مؤكداً حقه فى ولاية العهد ، فهو وارث الخلافة الحقيق عن النبى وراثة جاءته من طريق عثمان بن عفان ، ومشيداً بنسبه الوضاء ، وكرمه الغامر ، وفصاحته المعجبة (١٤٠) :

إنَّ الوليدَ وَلِىُّ عَهْدِ مُحَمدٍ كلَّ المكَارم بالمكارمِ يَشْتَرى
لا تَطْلُبى بى غَيرَهُ مِمَّنْ مَشَى إنْ أنتِ ناقُ لَقِيتِه بالقَرْقَرِ(١٤١)
سِيرى أمامَك إنَّها قدْ مُكِّنَتْ لِيَدَيْهْ راجلةُ الإمام الأكبرِ(١٤٢)
وَرِثَ الخلافة سبْعة آباؤه عَمروا وكلُّهُمُ لأَعْلَى المِنْبرِ
رَبٌّ عليه يَظَلُّ يخطبُ قائماً للناسِ يَشْدَخُهُمْ بِمُلْكٍ قَسْوَرِ(١٤٣)
وَرِثُوا مَشُورتَها لعثمانَ التى كانتْ تُراثَ نَبِيِّنا المتخيَّرِ
من يأْتِ رابية الوليد ودِفْأَهَا مِنْ خائفٍ لجَرِيرةٍ لا يُضْرَرِ
أَلْوَاهِبُ المائة المخاضَ وعَبْدَهَا لِلْمُجْتديهِ وذُو الجنابِ الأخْضَرِ

ويقول فى قصيدة ثالثة مُصَحِحاً قيام الوليد بولاية عهد المسلمين ، ومُعَظِّماً إخلاصه فى الذَّبِّ عن الدين ، واجتهاده فى قمع العصاة المارقين ، مُشَبِّهاً فتكه بهم بفتك النبى باليهود من بنى النَّضِير ، مع إجلاله ليزيد بن عبد الملك ورسوخ سلطانه (١٤٤) .

وَرِثْتَ أَبَا سُفْيَانَ وابْنَيْهِ والذَّى بهِ الحَرْبُ شَالَتْ عَنْ لِقاحٍ حِيَالُها(١٤٥)

---

(١٤٠) ديوانه ١ : ٣٣٦ .
(١٤١) القرقر : الأرض المستوية .
(١٤٢) راحلة الإمام : يريد المنبر .
(١٤٣) شدخ : كسر . القسور : الأسد .
(١٤٤) ديوانه ٢ : ٩٢ .
(١٤٥) ابنا أبى سفيان : معاوية وابنه يزيد . والذى شالت الحرب به : مروان بن الحكم . وشالت : حملت . وحالت الناقة : لم تحمل .

أبوكَ أميرُ المؤمنينَ الذى بهِ رَحىً ثَبَتَتْ ما يُستَطاعُ زِيَالُها
إذا ما رَحىً زَالتْ بِقَوْمٍ ضَرَبْتَها عَلى الدِّينِ حتى يَسْتَقِيمَ ثِقَالُها
بِسَيْفٍ به لاَقَى بِبَدْرٍ مُحَمَّدٌ بَنِى النَّضْرِ فى بيضٍ حَديثٍ صقالها

ويقول فى قصيدة رابعة مُنْكِراً كل ما اتهم به ، ومُسْتَهْجِناً قدح هشام وأعوانه فى سلوك الوليد ودينه ، فهو يصف المُتَخَرِّصِينَ عليه بالجَهْلِ والحُمْقِ ، ويجزم ببراءته من أحاديثهم الملفقة ، لما يعرف من طُهْرِ أَخْلاَقِه ونُبْلِها ، وحُسْنِ عقيدته وسلامتها ، وشِدَّة عَزِيمته ، وكَثْرَةِ مَعْرُوفه(١٤٦) :

إنّى إلَى خَيْرِ البَرِيَّةِ كُلِّها رَحَلْتُ وما ضَاقَتْ علىَّ المَطامِعُ
إلى القائِد الميمونِ والمُهتَدى بِهِ إذا النَّاسُ مَتْبُوعٌ وآخرُ تَابعُ
طُبِعْت على الإسلامِ والحَزْمِ والنَّدى ألاَ إنَّما تُبْدى الأمورَ الطَّبائِعُ
فِداكَ رِجالٌ أَوْقَدُوا ثم أَخْمَدُوا مَنَازِلُهُمْ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ بَلاقِعُ

وثالثة النتائج التى نشأت عن سُوءِ معاملةِ هشام للوليد ، وتَشْنِيعِه عليه أن يزيد بن الوليد ابن عبد الملك اعتَدَّ بالمطاعِنِ التى افْتَعَلها هشامٌ على الوليد وأكَّدَها واستَنَد إليها فى تأليب الناس عليه (١٤٧) ، ثم أخذ الرواة والمؤرخون من أهل الأهواء بالتهم التى أَلْصَقَها به هشام ويزيد بن الوليد ، ونفخوا فيها ، وصنعوا أخباراً تؤيدها ، فغدا الوليد عندهم مِثالاً صارخاً للخليفةِ الفَاجِر الكافر ! بل إن رواة الشيعة واليمنية والعباسيين اخترعوا أخباراً تقطع بزندقة الوليد وإباحته ، وأنه كان يُؤْمِنُ بالمانوية والمجوسية ، ويَعْتَقِدُهما أَشَدَّ اعتقادٍ وأَصَحَّه ، منها هذا الخبر الذى رواه أبو الفرج فقال : «أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنى على بن محمد النوفلى قال : حدثنى أبى عن العلاء البندار قال : كان الوليد زنديقاً ، وكان رجل من كلب يقول بمَقَالَتِه مَقَالةِ الثَّنْوِيَّة ، فدخلت على الوليد يوماً وذلك الكلبى عنده ، وإذا بينهما سَفَطٌ قد رُفِعَ رَأْسُهُ عنه ، فإذا ما يبدو لى منه حريرٌ أخضر ، فقال : أُدْنُ منى يا علاء ، فدنوت ، فَرَفَعَ الحرِيَرة فإذا فى السفط صورة إنسان ، وإذا الزئبق والنُّوشَادَرُ قد جُعِلا فى جَفْنِهِ ، فَجَفْنُهُ يَطْرِفُ كأنه يَتَحَرَّكُ ! فقال : يا علاء ، هذا مانى ، لم يَبْتَعِثِ اللهُ نَبياً قبله ولا يَبْتَعِثُ نَبياً بعده . فقلت : يا أمير المؤمنين ، اتَّقِ الله ، ولا يغرنك هذا الذى ترى عن دينك . فقال له الكلبى : يا أمير المؤمنين ، أَلَمْ أَقُلْ لك : إن العلاء لا يحتمل هذا الحديث : قال العلاء : ومكثْتُ أياماً ، ثم جلستُ مع الوليد على بناء كان بناه فى عَسْكَرِهُ يُشْرِفُ

(١٤٦) ديوانه ١ : ٤١١ .
(١٤٧) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٠ .

به ، والكلبي عنده ، إذ نزل من عنده ، وقد كان الوليد حَمَلَهُ على بِرْذَوْنٍ هِمْلَاجٍ [١٤٨] أشقر من أَفْرَهِ مَا سُخِّرَ ، فخرج على برذونه ذلك ، فمضى به فى الصحراء حتى غاب عن العسكر ، فما شَعَرَ إلا وأعرابٌ قد جاءوا به يحملونه مُنْفَسِخَةً عنقُهُ ميتاً ، وبرذونه يقاد حتى أسلموه . فبلغنى ذلك ، فخرجت متعمداً حتى أتيت أولئك الأعراب ، وقد كانت لهم أبياتٌ بالقرب منه فى أرض البخراء ، لا حَجَرَ فيها ولا مَدَرَ ، فقلت لهم : كيف كانت قصة هذا الرجل ؟ قالوا : أقبل علينا على برذون ، فوالله لكأنه دُهْنٌ يَسِيلُ على صفاةٍ من فَرَاهَتِهِ ، فعجبنا لذلك ، إذ انْقَضَّ رجل من السماء عليه ثياب بيض ، فأخذ بِضَبْعَيْهِ [١٤٩] فاحتمله ثم نَكَسَهُ ، وضرب برأسه الأرض ، فَدَقَّ عُنُقَهُ ، ثم غاب عن عيوننا ، فاحتملناه فجئنا به » [١٥٠] !

ومنها خبرٌ ثانٍ رواه أبو الفرج فقال : « أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثنى يعقوب ابن شريك قال : حدثنى عمى على بن عمرو قرقارة قال : حدثنى أنيف بن هشام بن الكلبى قال : حدثنى أبى قال : خرج الوليد بن يزيد من مَقْصُورةٍ له إلى مقصورة ، فإذا هو ببنتٍ له معها حاضِنَتُها ، فوثب عليها فَافْتَرَعَها ! فقالت له الحاضنة : إنها المجوسية ، قال : اسكتى ، ثم قال :

مَنْ راقَبَ الناسَ ماتَ غَماً وفازَ باللَّذةِ الجَسُورُ [١٥١] » !

والخبر الأول مَصْنُوعٌ ، بل هو أسطورة من الأساطير تناقض الواقع التاريخى ، فالزندقة الدينية المتمثلة فى اعتناق المانوية وغيرها من الديانات الفارسية القديمة إنما ظهرت وانتشرت بين الموالى الفرس فى العصر العباسى [١٥٢] ، والوليد لم تَقْتُلْهُ قُوَّةٌ غيبيةٌ خارقةٌ ، بل قَتَلَهُ أنصارُ يزيد بن الوليد ابن عبد الملك !

والخبر الثانى مَوْضُوعٌ ، يدل على وَضْعِهِ أن البيت الذى ينسب إلى الوليد أنه احتج به لإباحته ومجوسيته المزعومة ، ليس لشاعر أموى عاش فى أيام الوليد أو قبلها حتى يستشهد الوليد بشعره ، وإنما هو لِسَلْمٍ الخاسر ، وهو شاعر عبَّاسى المَوْلِدِ والمَنْشَأ ، مات سنة ست وثمانين ومائة [١٥٣] وهو الخبر الوحيد الذى رَفَضَهُ أبو الفرج ، وأكَّدَ افتعاله ، إذ يقول : « وأحسب أن هذا الخبر باطل ، لأن هذا

---

(١٤٨) الهملاج : الحسن السير فى سرعة وبَخْتَرة .

(١٤٩) الضبع : العضد .

(١٥٠) الأغانى ٧ : ٧٢ ، وانظر رسالة الغفران ص : ٣٣ .

(١٥١) الأغانى ٧ : ٦٠ ، وانظر النجوم الزاهرة ١ : ٢٩٨ .

(١٥٢) ضحى الإسلام ١ : ١٣٩ .

(١٥٣) الأغانى ١٦ : ٢٦١ ، وتاريخ بغداد ٩ : ١٣٦ ، ومعجم الأدباء ٤ : ٢٤٩ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٣٥١ .

الشعر لسلم الخاسر ، ولم يُدْرِكْ زَمَنَ الوليد (١٥٤) » .

والغالب أن أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفى المتوفى سنة أربع عشرة وثلاثمائة (١٥٥) هو الذى صَنَعَ الخبرين ، وَلَفَّقَ سلسلة رُوَاتِها ، للتشهير ببنى أمية ، فهو من كتاب العباسيين الذين كانوا يناضلون عنهم ، ويعيبون الأمويين ، وله مؤلفات فى ذلك منها «كتاب الرسالة فى تفضيل بنى هاشم ومواليهم وذم بنى أمية وأتباعهم» (١٥٦) ، «وكتاب الرسالة فى مثالب معاوية» (١٥٧) ، وكان من رؤوس الشيعة ، وله مصنفات فى المُبَيِّضَةِ من الشيعة وفى مقاتل الطالبيين (١٥٨) .

وكان العباسيون فى أَوَّلِ عَهْدِهم يهاجمون الأمويين ويتهمونهم بالضلال والإلحاد والانسلاخ من الدين ، إتهاماً قَوِيًّا ، يظهر فى خطب أبى العباس السفاح (١٥٩) ، وأبى جعفر المنصور (١٦٠) ، وداود ابن على (١٦١) وسليمان بن على (١٦٢) ، وعيسى بن على (١٦٣) ، ويظهر فى الخطب دعاة العباسيين وقادتهم كأبى مسلم الخراسانى (١٦٤) . وكان الرواة والعلماء يَتَزَلَّفون إلى أبى جعفر المنصور بِسَبِّ الوليد ، واختلاف الأخبار التى تقدح فى دينه ، وكانوا يَلْعَنُون الوليد فى مجلس أبى جعفر المنصور ، وكان يلعنه معهم (١٦٥) . وقد زَيَّفَ رواة العباسيين حديثاً رَمَوْا فيه الوليد بالتَّجبُّر والكُفْر ، وَجَعلوا تَوْلِيَهُ الخلافة نذيراً بانهيار الدولة الأموية ، وبشيراً بقرب قيام الدولة العباسية ، وهو حديث رواه ابن حنبل فقال : حدثنا ابن عباس قال : حدثنى الأوزاعى ، وغيره عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : ولد لأخى أم سلمة زوج النبى ﷺ غلام . فَسَمَّوْهُ الوليد ، فقال النبى : «سَمَّيْتُموه بأسماءِ فَرَاعنتكم ! ليكونَنَّ فى هذه الأمة رجلٌ يقال له :

---

(١٥٤) الأغانى ٧ : ٦١ .

(١٥٥) الفهرست ص : ١٤٨ ، وتاريخ ٤ : ٢٥٢ ، ومعجم الأدباء ١ : ٢٢٣ ، وميزان الاعتدال ١ : ١١٨ ، ولسان الميزان ١ : ٢١٩ .

(١٥٦) الفهرست ص : ١٤٨ ، ومعجم الأدباء ١ : ٢٢٧ .

(١٥٧) معجم الأدباء : ١ : ٢٢٧ ، ولسان الميزان ١ : ٢١٩ .

(١٥٨) الفهرست ص : ١٤٨ ، وتاريخ بغداد ٤ : ٢٥٢ ، ومعجم الأدباء ١ : ٢٢٨ ، ولسان الميزان ١ : ٢١٩ .

(١٥٩) الأخبار الطوال ص : ٣٧٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٤٢٦ ، والعقد الفريد ٤ : ٩٧ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٥٤ .

(١٦٠) تاريخ الطبرى ٧ : ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٨ : ٩١ ، ٩٢ .

(١٦١) تاريخ الطبرى ٧ : ٤٢٧ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٥٥ .

(١٦٢) العقد الفريد ٤ : ٩٩ ، وشرح نهج البلاغة ٧ : ١٤٦ .

(١٦٣) شرح نهج البلاغة ٧ : ١٥٦ .

(١٦٤) شرح نهج البلاغة ٧ : ١٦١ .

(١٦٥) تاريخ الطبرى ٨ : ٩٦ .

الوليد لَهُوَ شرٌّ على هذه الأمة من فرعون لقومه» (١٦٦)

وإسنادُ الحديث ضعيف لانقطاعه ، فَسَعِيدُ بن المُسَيَّب لم يدرك عمر بن الخطاب إلّا صغيراً ، ولم يَرْوِ عنه ، وإنما روى عن غيره من الصحابة الذين ذكرهم ابن سعد (١٦٧) . والراجح أن الحديث موضوع (١٦٨) .

ونَقَل عُلماءُ اليمنية كالأزدى (١٦٩) ، وعلماء الشيعة كالشريف المرتضى (١٧٠) أن الأوزاعى سأل الزهرى : أيُّ الوليدين هو؟ فقال : إن استخلف الوليد بن يزيدَ فهو هو ، وإلّا فهو الوليد بن عبد الملك (١٧١) ! .

فلما استَتَبَّ الأمْر للعباسيين ، وثَبَتَ سلطانُهم ، عزف خلفاؤُهم وأمراؤُهم وَوُلاتهم عن قَذْفِ الأمويين بالخروج على الإسلام ، فَخَلَتْ خُطَبُهم من تَكْفِير الأمويين (١٧٢) ، وصَدَّ المهدى والرشيد الرواة الذين كانوا يُداهِنُونَها عن التَّعْرِيضِ بالأمويين وتَجْرِيحهم ، بل إنهما انتصرا للوليد ، ونَفَيا عنه تُهْمَةَ الزَّنْدَقةِ ، ونَزَّهَاهُ عنها ، إذ يروى المدائنى أن المهدى كان إذا ذُكِرَ الوليدُ فى مجلسه يقول : «رَحِمَهُ اللهُ ، ولا رَحِمَ قاتله ، فإنه كان خليفةً مُجْمعاً عليه . وقيل له : إن الوليد كان زنديقاً ، فقال : إنَّ خِلافةَ الله أعزُّ وأَجَلُّ مِنْ أَنْ يُوَلِّيها مَنْ لا يؤمن» (١٧٣) ، ويروى المدائنى أن ابناً لِلْغَمْرِ بن يزيد بن عبد الملك دخل على الرشيد فقال : مِمَّن أنت ؟ قال : من قُرَيش ! قال : مِنْ أَيِّها ؟ فأَمْسَكَ . قال : قُلْ وأنت آمِنٌ ، ولو أنك مَرْوَانيٌّ ! قال : أنا ابن الغَمْرِ بن يزيد . قال :

(١٦٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل ١ : ١٠٩ ، وانظر الحديث فى تاريخ الموصل ص : ٥٦ ، وأمالى الشريف المرتضى ١ : ١٢٩ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٧٩ ظ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٢٣٠ ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٣ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة : ١١١ ظ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ٢٠ و ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥٢ .

(١٦٧) الطبقات الكبرى ٢ : ٣٨٠ .

(١٦٨) انظر تعليق الشيخ أحمد محمد شاكر على الحديث فى سنة الإمام أحمد بن جنبل ١ : ١٠٩ .

(١٦٩) تاريخ الموصل ص : ٥٦ .

(١٧٠) أمالى الشريف المرتضى ١ : ١٢٩ .

(١٧١) انظر وَضْعَ الأمويين والعباسيين والشيعة فى الأحاديث فى فجر الإسلام ص : ٢٧٥ ، وضحى الإسلام ٢ : ١٢٣ .

(١٧٢) انظر خطبهم فى العقد الفريد ٤ : ١٠١-١٠٧ ، وجمهرة خطب العرب ٣ : ٥٠ ، ٨٠ .

(١٧٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٥ ، وانظر الأغانى ٧ : ٨٣ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ - المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٢ و ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٥ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس . الورقة : ١١٢ ظ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٨ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥٢ .

رَحِمَ الله عَمَّك ، ولَعَنَ يزيدَ النَّاقِصَ وقَتَلَةَ عَمِّكَ جميعاً ، فإنَّهم قَتَلُوا خليفةً مُجْمعاً عليه »(١٧٤) .

وفى آخر خلافة الرشيد وأول خلافة المأمون تعلق أهل السنة والجماعة بمعاوية بن أبى سفيان ، فَعَظَّمُوه وأَشَادُوا بسياسته إعراباً عن ضيقهم بالعباسيين ، ومخالفتهم لهم ، فعاد العباسيون يَطْعَنُونَ فى دين الأمويين ، ويُكَفِّرونَهم ويُجَرِّمُونهم ، وزَيَّنُوا للرواة والإخباريين أنْ يَنْقُدُوهم ويُشَنِّعُوا عليهم ، فَشَوَّهُوا تاريخهم وَمَسَخُوا شخصياتهم ، فلم تبق مأثرة أو حسنة للخلفاء الأمويين إلّا نَقَضُوها ونَسَفُوها نَسْفاً !

وقد تَنَّبه كثير من المؤرخين المتأخرين إلى أن الأخبار التى تَقْدَحُ فى دين الوليد مصنوعة ، فَتَوقَّفَ فريق منهم عندها ، وتحَرَّجُوا من روايتها ، ولم يستطيعوا القَطْعَ بَرأْى فيها ، منهم ابن شاكر فإنه يقول : « ربما اتُّهِمه بعضهم بالزندقة والانحلال ، والله أعلم ! »(١٧٥) واليافعى فإنه يقول : « ذكروا عنه أشياء قبيحةً فى الدين والعِرْضِ أكْرَهُ ذِكْرَها ، واللهُ أعلم بذلك ! »(١٧٦) ونَقَلَ ابنُ كثيرٍ تعليقَ ابن شاكر الكتبى واكتفى به(١٧٧) . ولكن فريقاً آخر منهم رفضوها ، وجَزَموا بوَضْعِها ، وأشار بعضهم إلى أنها أَثَرٌ من آثار السياسة ، منهم ابن الأثير فإنه يقول : « وقد نَزَّه قَوْمٌ الوليد بن يزيد مما قيل فيه ، وأنكروه ونفوه عنه وقالوا : إنه قِيلَ عنه ، وأُلْصِقَ به ، وليس بصحيح »(١٧٨) ، والذَّهبى فإنه يقول : « لم يصح عن الوليد كُفْرٌ ولا زَنْدَقةٌ »(١٧٩) وابن خلدون فإنه يقول : « لقد سَادَت القالة فيه كثيراً ، وكثير من الناس نفوا ذلك عنه وقالوا : إنها من شَنَاعاتِ الأعداء ، ألصقوها به(١٨٠) » ، وابن تغرى بردى فإنه يقول : « ذكَرَ عنه بعضُ أهل التاريخ أموراً أَسْتَبْعِدُ وُقُوعَها »(١٨١) وكرر السيوطى(١٨٢) رأىَ الذَّهبى واقْتَصَر عليه .

---

(١٧٤) الأغانى ٧ : ٨٢ ، وانظر الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩ ، وتاريخ ابن خلدون ، المجلد الثالث ، القسم الأول ص : ٢٢٦ .

(١٧٥) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ، رقم ٤٥ تاريخ حـ ١٢٥ الورقة : ١٩ ظ .

(١٧٦) مرآة الجنان ١ : ٢٦٤ .

(١٧٧) البداية والنهاية ١٠ : ٦ .

(١٧٨) الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٠ .

(١٧٩) تاريخ الإسلام ٥ : ١٧٩ .

(١٨٠) تاريخ ابن خلدون ، المجلد الثالث ، القسم الأول ص : ٢٢٥ .

(١٨١) النجوم الزاهرة ١ : ٢٩٨ .

(١٨٢) تاريخ الخلفاء ص : ٢٥٢ .

الفصل الخامس

خلافته وسياسته

١ – مبايعته بالخلافة

سيطر الحزن على الوليد فى آخر خلافة هشام ، وطال به القلق ، واستبدَّ به الذُّعْر ، وأصابه اليأس ، حتى زهد فى الملك ، فقد أشقاه بغى هشام وظلمه ، وبرَّح به حَجْزُ العطاء عنه وروَّعه وأذلّه ، وكان مُتَأبِّداً بالأزرق جنوبى عمان من الأردن ، بعيداً عن الرصافة ، لا يدرى ما يُرادُ به فيها ، لانقطاع الأخبار عنه ، بعد حَبْس هشامٍ لعياضِ بنِ مسلمٍ كاتبِ الوليد الذى كان يبعث إليه بما يُدبَّرُ لَهُ فى قصر الرصافة ، فكان الوليد مَهِيناً جاهلاً بما يمكن أن تُفَاجئه به الأيام ، مُسْتَسْلِماً لهشامٍ ، عاجزاً عن مقاومته إذا أَقْدَمَ على خلعه ، وبايع لمسلمة بن هشام بالخلافة . ويصور المدائنى اضطراب الوليد وحيرته وانهياره وما خالطه من الأسى والشك قبل وفاة هشام بقليل ، حتى إنه لم يُصَدِّق حين وفد عليه البشير بالخلافة أن القدر أنقذه من هشام ، وأن الأمر صفا له ، فيقول : « لم يزل الوليد مقيماً فى تلك البَرِّيَّةِ حتى مات هشام . فلما كان صبيحة اليوم الذى جاءته فيه الخلافة ، أرسل إلى أبى الزبير المنذر بن أبى عمرو[1] ، فأتاه فقال له : يا أبا الزبير ، ما أَتَتْ عَلَيَّ ليلةٌ منذ عَقَلْتُ عقلى أطول من هذه الليلة ، عرضت لى هموم ، وَحَدَّثْتُ نفسى فيها بأمورٍ من أمر هذا الرجل الذى قد أولع بى – يعنى هشاماً – فاركب بنا نتَنَفَّس . فركبا فسارا ميلين ، ووقف على كثيب ، وجعل يشكو هشاماً إذ نَظَرَ إلى رَهجٍ فقال : هؤلاء رسل هشام ! نسأل الله من خيرهم ، إذ بَدَا رجلان على البريد مُقْبِلان ، أحدهما مولىً لأبى محمد السفيانى ، والآخر جَرْدَبَة . فلما قَرُبَا أتيا الوليد ، فنزلا يَعْدُوان حتى دَنَوا منه ، فسلّما عليه بالخلافة ، فَوَجَم ، وجعل جردبة يُكَرِّرُ عليه السلام بالخلافة فقال : ويحك ! أمات هشام ! قال : نعم ، قال : فمن كتابك ؟ قال : من مولاك سالم بن عبد الرحمن[2] ، صاحب ديوان الرسائل . فقرأ الكتاب وانصرفا »[3] .

---

(١) هو من كتاب الوليد بن يزيد . (انظر الأغانى ٧ : ١٥) .

(٢) يذكر البلاذرى فى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٦ ، وابن عساكر فى تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٥٥ ، أنه سالم بن عبد الله ، ويشير ابن عساكر أن أباه قد يسمى عبد الرحمن . وقلما نص القدماء على اسم أبيه ، فهم ينسبون سالماً إلى هشام بن عبد الملك ، فيقولون : سالم مولى هشام . (انظر البيان والتبيين ١ : ٢٤٨ ، والوزراء والكتاب ص : ٦٢ ، والفهرست ص : ١١٧ ، ١٢٥) .

(٣) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٥ ، وانظر أنساب الأشراف مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٦ ، والأغانى ٧ : ١٥ .

ويختلف القدماء فى مسير الوليد إلى الرصافة وحضوره دفن هشام ، أما اليعقوبى فيروى ما يفيد أنه لم يذهب إلى الرصافة ولم يشارك فى جنازة هشام ، وأن العباس بن الوليد بن عبد الملك أو الأبرش الكلبى صَلَّى عليه(٤) ، فى حين يذكر ابن شاكر الكتبى أن مسلمة بن هشام صَلَّى على أبيه(٥) . وأما خليفة بن خياط ، وهو أقدم من اليعقوبى ، ورواياته أوثق من روايات اليعقوبى وأدق ، فيحمل عن شيوخه أن الوليد بن يزيد صلى على هشام(٦) ، وتابعه فى ذلك ابن كثير(٧) ، وأضاف صاحب الإمامة والسياسة أن الوليد استؤذن فى إقباله ، فلم يُدْفَنْ هشام حتى قدم الوليد فى ثلاثة أيام(٨) .

ولما فَرَغَ الوليد من دفن هشام بالرصافة ، رجع إلى دمشق(٩) ، فتسابق عمال الولايات فى إعلان ولائهم له ، ودخولهم فى طاعته ، وأَمَّتْ قصره وفود الأمصار ، وجاءته البَيْعةُ من الآفاق(١٠) . ومن كتب العمال التى أرسلوها إليه مُهنِّئين ومُؤَيِّدين كتاب مروان بن محمد ، عامل أرمينية ، وفيه يقول : بارك الله لأمير المؤمنين فيما صار إليه من ولاية عباده ، ووراثة بلاده . وقد كانت سَكْرَةُ الولاية غَشِيَتْ هشاماً ، فَصَغَّرَ ما عَظَّمَ الله من حق أمير المؤمنين ، ورام من الأمر المُسْتَصْعب عليه ، الذىَ أجابه إليه المدخولون فى آرائهم وأديانهم ما حال الله بَيْنَه وبينه ، فَزَحَمَتْه الأقدار عنه بأشَدِّ مناكبها ، وكان أمير المؤمنين بمكان من الله حاطه فيه حتى أَلْبَسَهُ أكرمَ لباس الخلافة ، فنهض مُسْتَقِلاًّ بما حمله .

فالحمد لله الذى اختار أمير المؤمنين لخلافته ، وخَصَّهُ بوثائق عُرَى كرامته ، وذَبَّ عنه ما كَادَهُ الظالمون فيه ، فَرَفَعَهُ ووَضَعَهُمْ ، وأَعَزَّهُ وأَذَلَّهُمْ ، فمن أقام منهم على الخطيئة أَوْبَقَ نَفْسَهُ ، وأَسْخَطَ رَبَّهُ ، ومن عَدَلَتْ به التَّوْبَةُ نَازِعاً عن الباطل إلى الحق ، وَجَدَ الله تَوَاباً رحيماً .

وإنى نهضت إلى منبرى ، فأعلمت من قِبَلى من المسلمين بما امْتَنَّ الله به عليهم من ولاية أمير المؤمنين ، فاستَبْشَرُوا بِبَيْعَتِهم ، وقد بَسَطْتُ يدى لِلْبَيْعَةِ ، فَوَكَّدْتُها عليهم بالوثائق والعهود ، وتَغْلِيظِ الأيمان ، فكلُّ الناس حَسُنَتْ إجابَتُهُ وطاعتُهُ ، فَأَثِبْهُم يا أمير المؤمنين بطاعتهم من مال الله الذى آتاك ، فإنك أَجْوَدُ الناس جُوداً ، وأَبْسَطُهم يداً ، فقد انتظروك راجين ، فَنَلْهُمْ بِفَضْلِكَ ، وأَوْسِعْ

---

(٤) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٢٨ .

(٥) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ١٨ ظ .

(٦) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٣٣ .

(٧) البداية والنهاية ٩ : ٣٥٤ .

(٨) الإمامة والسياسة ٢ : ١٣٠ .

(٩) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ١٧و .

(١٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٦ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٨ .

عليهم برِفْدِك ، وعرفهم طَوْلَكَ[١١] على من كان قَبْلَك . وإن رأى أمير المؤمنين أنْ يأذن لى فى القدوم عليه لأُشَافِهَهُ بأمورٍ أكْرَهُ الكتابَ بها ، فعَل إنْ شاء الله »[١٢] .

فمروان بن محمد يصدر فى كتابه عما رَدَّدَه الأمويون من أن الله انتخبهم أولياء على الناس فى الأرض ، وقدَّر لهم الخلافة تقديراً ، إذ يزعم أن الله اصطفى الوليد ليكون وصياً على عباده وبلاده ، ويأخذ على هشام وأعوانه فساد عقائدهم لتنكرهم للوليد ، واحتيالهم لخلعه ، واستهانتهم بإرادة الله وسلطانه . ولكن الله عصم الوليد منهم ، ووقاه شرهم ، وخوَّله أمر الأمة ، فقام به وأداه أداءً حسناً ، ففاز برضوان الله . ويعظ أعداء الوليد وينذرهم ويفتح باب العفو لهم ، فمن بقى منهم مخاصماً للوليد أرْدَى نفسه ، وأغضبَ ربَّه ، ومن رجع عن ضلاله ، وثاب إلى رشده ، صفح الوليد عنه ، وقَبِلَ توبته . ويؤكد فى خاتمة كتابه أن أهل أرمينية بايعوا للوليد راضين فرحين بخلافته ، ويسأله أن يشملهم بخيره ، لتزداد محبتهم فيه ، ويعظم التفافهم عليه ، ويتَّصِلَ تأييدهم له .

ونظم الوليد عدة مقطوعات بعد أن زف إليه خبر قيامه بالخلافة عَبَّر فيها عن سعادته بموت هشام ، ومسرته بإقبال الدنيا عليه ، إذ يقول فى مقطوعة من وزن مجزوء الخفيف مغتبطاً بوفاة هشامٍ ، ومستبشراً بعيش آمن باسم ، بل بربيعٍ ضاحكٍ ، فإن دنياه كانت قاحلةً مجدبةً فانية ، فلما مات هشام دَبَّتْ فيها الحياة ، إذ انهمر المطر ، وأينع الشجر ، وأورق وأزهر[١٣] :

هَلَكَ الأحولُ المَشُو م فقد أُرسِلَ المَطَرْ
وَمَلَكْنَا مِنْ بعد ذا كَ فقد أَوْرَقَ الشَّجَرْ
فاشكُروا اللهَ إنَّهُ زائدٌ كلَّ مَنْ شَكَرْ

ويقول فى مقطوعة من وزن الخفيف يصور انشراحه بنبإ استخلافه ، وما غَمَرَهُ من البهجة والنشوة ، وما أخذه من الطرب والخفة ، إذ جعل يعاقر الخمر ، ويسمع الغناء ، ويمرح ويرقص[١٤] :

---

(١١) الطَّوْلُ : الفضل .

(١٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٨ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٦ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ١٧ و ، والبادية والنهاية ١٠ : ٤ . ونص الكتاب فى أنساب الأشراف أجود من نصه فى المصادر الأخرى وأصح مما فى تاريخ الطبرى .

(١٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص . ٣١٩ ، والأغانى ٧ : ٢٠ . والكامل فى التاريخ ، ٥ : ٢٦٧ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٠ ظ .

(١٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٨ ، والأغانى ٧ : ١٦ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٣٦٩ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ٢٤ ظ .

طابَ عَيْشِي وطابَ شُرْبُ السُّلافَهْ إذ أتانا نَعِيٌّ مَنْ بالرُّصافَهْ
وأتانا البريدُ يَنْعَى هِشاماً وأتانا بخاتَم لِلْخلافَهْ
فَشَرِبْنا مِنْ خَمْرِ عانَةَ صِرْفاً وَلَهَوْنا بِقَيْنَةٍ عَزَّافَهْ

ويقول فى مقطوعة ثالثة من وزن مجزوء الخفيف ، متشفياً بموت هشام ، ومغتبطاً بما أعترى بناته من الألم والهم ، وما أغرقن فيه من البكاء والنواح ، مهدداً لهن بمصير مظلم (١٥) :

إنِّى سَمِعْتُ خَلِيلِى نَحْوَ الرُّصافَة رَنَّهْ
خَرَجْتُ أَسْحَبُ ذَيْلِى أَقُولُ ما شَأْنُهُنَّهْ
إذا بناتُ هشامٍ يَنْدُبْنَ وَالدَهُنَّهْ
يَنْدُبْنَ شيخاً كبيراً قد كانَ يُكْرِمُهُنَّهْ
يَقُلْنَ وَيْلاً وعَوْلاً والوَيْلُ حَلَّ بِهِنَّهْ
أنا الُمخَنَّثُ حَقاً إنْ لمْ أُنَيِّكْهُنَّهْ !

ويقول فى مقطوعة أخرى من وزن المتقاربُ مُتَمَدِّحاً بنفسه ونسبه وفوزه بالخلافة ، مع ترقبه اللحظة التى يستوى فيها على كرسى الملك ، ويصعد المنبر ويخطب الناس ، فإنها لحظة عزيزة عليه ، طالما انتظر أن يفرح بها (١٦) :

أنا ابنُ يزيد بن عبد المَلِكْ وجَدِّى مروانُ لاَ أُمَّ لَكْ
فكيفَ إذا ما مَلَكْتُ البِلادَ وقمتُ خطيباً على مِنْبَرِكْ
فَبخْ بَخْ بخٍ لكَ ما أكرمَكْ وبَخْ بَخْ بَخٍ لكَ ما أفخرك

فمقطوعاته تدل على قوة انفعاله ، وإعجابه بنفسه ، وعدم تحكمه فى خواطره ومشاعره وحركاته ، لأن المفاجأة أذهلته وأدهشته . ومقطوعاته توثق ما رواه المدائنى من أن الوليد كاد لا يصدق أن هشاماً قد مات حين قدم عليه الرسل من الرصافة يحملون إليه نبأ موت هشام . وهِىَ تَنْطِقُ بسهولة أسلوبه وحرارته وحيويته ، ورشاقة ألفاظه وموسيقاه . وهى خصائص يمتاز بها شعره الغزلى ، كما يمتاز بها شعره الخمرى الصحيح الذى نظمه بعد استخلافه ، واتصاله بشعراء الكوفة الظرفاء .

---

(١٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٨ ، والأغانى ٧ : ١٧ . ومروج الذهب ٣ : ٢٢٦ ، وشذرات الذهب ١ : ١٦٨ .

(١٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٦ .

٢ – بطشه بأعدائه

لم يكد الوليد يبايع بالخلافة ، ويصبح صاحب السلطان حتى قرّر محاسبة خصومه والاقتصاص منهم ، والثأر لنفسه من أبناء هشام وأعوانه وموظفيه الذين كانوا يؤازرونه فى خلع الوليد .

وكان العباس بن الوليد بن عبد الملك شَغَبَ على الوليد فى أول الأمر ، ولكنه كان أَرْصَنَ إخوته وأَرْزَنَهم (١٧) ، وأبصرهم بأخطار الطعن فى الوليد ، وما ينتج عنه من تفكك الأسرة الأموية وتمزُّقها وَزَوال مُلْكها ، وكان أشدهم امتناعاً عن مناصرة هشام فى سعيه إلى عزل الوليد من منصبه ، والبيعة لمسلمة بن هشام بولاية العهد ، كما سكت عن السخرية من الوليد ، والهزء به فَحَسُنت الصلة بينهما وقَوِيَتْ وتَوثَّقت . ومن أجل ذلك كلَّفه الوليد بمصادرة ثروة هشام والحجز على أكثر أبنائه وولاته ، وفى ذلك يقول المدائنى : «كتب الوليد إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان أن يأتى الرصافة ، فيحصى ما فيها من أموال هشام وولده ، ويأخذ عُمَّاله وحَشَمه ، إلّا مسلمة بن هشام ، فإنه كتب إليه ألاَّ يَعْرِضَ له ، ولا يَدْخُلَ منزله ، فإنه كان يُكْثِرُ أن يكلم أباه فى الرفق به ، ويكُفّه عنه . فقدم العباس الرصافة فأحكم ما كتب إليه الوليد ، وكتب إلى الوليد بأخذ بنى هشام وحشمه وإحصاء أموال هشام» (١٨) .

وإنما استطاع العباس إنجاز مهمته إنجازاً سريعاً مُتْقَناً ، لأن عيَّاض بن مسلم ، كاتب الوليد كان فى سجن هشام بالرصافة ، ولم يزل محبوساً حتى نزل بهشام أمر الله ، فلما صار فى حَدٍّ لا ترجى الحياة لِمِثْلِه ، أرسل عياض إلى الخُزَّان أن احتفظوا بما فى أيديكم ، فلا يَصِلنَّ أحد منه إلى شىء . وأفاق هشام إفاقةً ، فطلب شيئاً فنعوه ، فقال : أرانا كنا خُزَّانا للوليد ! ومات من ساعته . وخرج عياض من السجن ، فختم أبواب الخزائن ، وأمر بهشام فأُنزل عن فُرُشه ، فما وجدوا له قُمْقُماً يُسَخَّنُ له فيه الماء حتى استعاروه ، ولا وجدوا كفناً من الخزائن ، فكفنه غالب مولى هشام» (١٩) .

---

(١٧) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٧٠ .

(١٨) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٦ ، وانظر الإمامة والسياسة ٢ : ١٣٠ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ٥ : ٢٦٧ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ١٦ ظ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤ .

(١٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٥ ،نر تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٢٨ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٦ ، والأغانى ٧ : ١٥ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٦ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٧٩و ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٥٤ .

وَنكّلَ الوليد ببعض أبناء هشام الذين كانوا يُعَرِّضُونَ به ، وَيحثُّونَ أباهم على عزله ، فقبض على سليمان بن هشام ، وكان يساعد أبان على ذَمِّ الوليد ، ويشير عليه بخلعه وقتله ، وقال له الوليد : ألست أَعْدَى الناس لى ؟ فأغلظ له سليمان ، فضر به الوليد مائة سَوْط ، وحَلَقَ رأسه ولحيته ، وغَرَّبَهُ إلى عَمَّان ، فلم يزل محبوساً بها حتى قتل الوليد[٢٠] : وَسَجَنَ يزيد بن هشام[٢١] ، لأنه كان يهجوه ويُؤَلِّبُ عليه[٢٢] .

وضَيَّقَ على أهل هشام وأصحابه ، فجاء خادم لهشام ، فوقف على قبره وبكى وقال : يا أمير المؤمنين ، لو رأيت ما يصنع الوليد بنا ! فقال بعض من هناك : لو رأيت ما صُنِعَ بهشام ، لعلمت أنك فى نعمة لا تقوم بشكرها[٢٣] !

وأعرب الوليد فى شعره عن فرحته بما ألحقه بأبناء هشام من مصادرة لأموالهم ، وتعذيبٍ لهم ، وشمت بِبَلِيَّتِهِمَ وما آلوا إليه من خزيٍ وهوانٍ ، وأعلن أنه لم يَجُرْ عليهم ، فإنه جَزَاهم بما صنعوا وما قَدَّموا من سيئات ، وانتصف لنفسه منهم ، مسترشداً بتعاليم الإسلام التى تدعو إلى معاقبة الباغين . وَوَدَّ لو بقى هشام حَيًّا حتى يتأكد من أن الحقد لا يُوَلِّدُ غير الحقد ، ويشاهد جنايته على أولاده ، إذ كان البادئ بظلم ذوى القربى والاعتداء عليهم ، يقول[٢٤] :

ليتَ هشاماً عاشَ حَتَّى يَرَى ... مِحْلَبَهُ الأَوْفَرَ قدِ أُتْرِعَا[٢٥]
كلنا لهُ الصَّاعَ إِذْ كَالَها ... وما ظلمناهُ بها أَصْوُعَا
وما أَتَيْنَاَ ذاك عَنْ بِدْعَةٍ ... أَحَلَّهُ القرآنُ لِى أجمعا

ويروى البلاذرى عن عباس[٢٦] بن هشام الكلبى عن أبيه عن جده .أنَّ الوليد بن يزيد أقصى

---

(٢٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٦ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣١ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٦٢ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٠ ، وتاريخ ابن خلدون ، المجلد الثالث ، القسم الأول ص : ٢٢٧ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٨ .

(٢١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٢ ، والعقد الفريد ٤ :٤٦٢ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٠ ، وتاريخ ابن خلدون المجلد الثالث القسم الأول ص : ٢٢٧ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٨ .

(٢٢) الأغانى ١٦ : ٢٧٨ .

(٢٣) الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٧ .

(٢٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٧ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٦ ، والأغانى ١ : ١٨ ، ١٠ ،٨١ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٠ و ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٨ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، والورقة : ١٦ ظ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٣ .

(٢٥) المحلب : الإناء الذى يحلب فيه . وأترع : امتلأ .

(٢٦) انظر ترجمته ومدى الثقة فى روايته للأخبار فى نزهة الألبا ص : ٨٩ ، ووفيات الأعيان ٦ : ٨٢ .

يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وجميع إخوته وأهل بيته ، واستخف بهم ، وحرمهم وأغلظ لهم ، وحبس بعضهم (٢٧)

وهو خبر كرره أكثر المؤرخين المتقدمين والمتأخرين (٢٨) ، على ما فيه من تعميم ، مع تصرفهم فى ألفاظه ، واختصارهم له ، أو زيادتهم عليه ، ولم يذكروا غير يزيد بن الوليد من أبناء الوليد بن عبد الملك الذين زعم عباس بن هشام الكلبي أن الوليد سجنهم وطغى عليهم .

والصحيح أن الوليد لم يَعْسِف بأبناء عمه الوليد بن عبد الملك ، فقد كان يزيد بن الوليد حراً طليقاً فى خلافة الوليد بن يزيد كلها ، مع أنه كان أشدَّ أبناء الوليد بن عبد الملك قولاً فى الوليد ، وكان الناس إلى قوله أميل ، حتى حملهم على الفتك به (٢٩) . وكان العباس بن الوليد بأخرة من خلافة هشام قد لزم الحياد ، وعاد إلى مصادقة الوليد والوفاء له ، كما رفض المشاركة فى الثورة به ، وانتصر له على أخيه يزيد بن الوليد (٣٠)

ويظهر أن أكثر المؤرخين تأثروا فى حديثهم عن ظلم الوليد لأبناء عمه الوليد بن عبد الملك بما انتهى إليه أمر الوليد ويزيد بن الوليد من التباغض والتطاحن والتحارب على الخلافة ، وما رَوَّج يزيد ابن الوليد من الأباطيل والتهم الفاسدة (٣١) ، حينما كان يُعِدُّ للخروج ، ويسأل الناس مظاهرته على الوليد . وتأثروا أيضاً بأخبار المشاكل النِّسْوِيَّة التى ثارت بين أولاد يزيد بن عبد الملك ، وأبناء أخيه الوليد بن عبد الملك ، وتَدَخُّلِ الوليد فيها ، وانحيازه لإخوته ، فقد أخذ الوليد بن يزيد جارية لآل الوليد بن عبد الملك ، فكَلَّمَه عمر بن الوليد فيها . فقال : لا أَرُدُّها . فقال عمر : إذن تكثر الصواهل حول عسكرك (٣٢) ! وكانت ابنة محمد (٣٣) بن عبد الملك عند روح بن الوليد بن عبد الملك ، فأَغْضَبَها ، ففَرَّق الوليد بن يزيد بينهما ، وزوجها أخاه عبد الجبار ، فحقد لذلك بنو

---

(٢٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٦ .

(٢٨) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣١ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٠ ، وتاريخ ابن خلدون ، المجلد الثالث ، القسم الأول ص : ٢٢٧ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٨ .

(٢٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٢ .

(٣٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٨ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٨ ، والأغانى ٧ : ٧٨ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٢ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٩ ، والمختصر فى أخبار البشر ١ : ٢٠٥ .

(٣١) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٢ .

(٣٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٢ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٠ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٨ .

(٣٣) كان لعبد الملك بن مروان ابن يسمى محمداً ، انظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الأول ص : ١١٦٠ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٤٢٠ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٨٩ .

الوليد بن عبد الملك على الوليد بن يزيد[٣٤] . وكان عبد الجبار بن يزيد بن عبد الملك أخو الوليد يُرْمَى بالتأنيث . فتزوج ابنة محمد[٣٥] بن الوليد بن عبد الملك ، فلم يَصِلْ إليها . فَفَرَّق هشام بينهما . فخلف عليها بعده محمد بن روح بن الوليد بن عبد الملك ، فغضب الوليد بن يزيد ، وأساء إلى آل الوليد بن عبد الملك ، وتجنّى على محمد بن روح فحبسه ، وحبس عدة منهم فيهم المؤمل بن العباس بن الوليد[٣٦] . ويبدو أنه أفرج عنه بعد وقت قصير ، ثم استرضاه واستماله إليه ، فقاتل المؤمل معه جند يزيد بن الوليد عندما ثاروا به[٣٧] .

وعَذَّب الوليد أخوال هشام وعماله أنواع العذاب ، وسفك دماءهم ، لأنه وجد فى ديوان هشام كتباً يقومون فيها عزم هشام على خلعه[٣٨] . فدفع الوليد إلى خاله يوسف بن محمد الثقفى واليه على المدينة ومكة والطائف ، إبراهيم ومحمداً ابنى هشام بن إسماعيل المخزومى ، خَالَىْ هشام مُوثَقَيْن فى عباءتين ، فقدم بهما المدينة ، وأقامهما بها للناس ، ثم كتب الوليد إليه بأمره أن يبعث بهما إلى يوسف ابن عمر الثقفى ، وهو يومئذ عامله على العراق . فلما قدما عليه عذّبهما حتى قتلهما ، وقد رفع عليهما عند الوليد أنهما أخذا مالاً كثيراً[٣٩] .

ويُفَصِّلُ أبو الفرج موقفَ الوليد منهما ، وعقابه لهما فيقول : «كان الوليد بن يزيد مُضْطَغِنًا على محمد بن هشام لأشياء كانت تبلغه عنه فى حياة هشام بن عبد الملك ، فلما ولى الخلافة قبض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن هشام ، وأشْخِصَا إليه إلى الشام ، ثم دعا بالسياط ، فقال له محمد : أَسْأَلُكَ بالقرابة . قال : وأى قرابة بينى وبينك ! وهل أنت إلّا من أَشْجَع ! قال : فأسألك بصهر عبد الملك . قال : لم تحفظه . فقال له : يا أمير المؤمنين ، قد نهى رسول الله ﷺ أن يُضْرَبَ قرشى

---

(٣٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٢٩ ، ٢٨٠ ، ٣٢٦ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٠ .

(٣٥) كان للوليد بن عبد الملك ابن يسمى محمداً . انظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٠٥ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٨٩ .

(٣٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٦ .

(٣٧) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٧ .

(٣٨) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٣١ .

(٣٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٢٧ ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٦ ، ونسب قريش ص : ٣٢٩ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٠ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ١٧ ظ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤ .

بالسياط إلاَّ فى حَدٍّ . قال : فنى حَدٍّ أَضْرِبُكَ وَقَوَدٍ ، أنت أول من سَنَّ ذلك على العرجى[٤٠] ، وهو ابن عمى وابن أمير المؤمنين عثمان ، فما رَعَيْتَ حَقَّ جَدِّه ولا نَسَبَه بهشام ، ولا ذكرت حينئذ هذا الخبر ، وأنا وَلِىُّ ثأره ، إضْرِبْ ياغلام ، فضربهما ضَرْباً مُبَرِّحاً ، وأُثْقِلا بالحديد ، ووجه بهما إلى يوسف بن عمر بالكوفة وأمر باسْتِصْفَائهما وتعذيبهما حتى يَتْلَفا ، وكتب إليه : إحبسهما مع ابن النصرانية - يعنى خالداً القسرى - ونَفْسَكَ نَفْسَكَ إن عاش أحد منهم . فعذَّبهم عذاباً شديداً ، وأخذ منهم مالاً عظيماً حتى لم يبق فيهم موضع للضرب . فكان محمد بن هشام مطروحاً ، فإذا أرادوا أن يُقِيمُوه أخذوا بلحيته فجذبوه بها . ولما اشتدت عليهما الحال ، تحامل إبراهيم لينظر فى وجه محمد ، فوقع عليه ، فماتا جميعاً »[٤١] .

ويقول أبو الفرج أيضا : « أمر الوليد بأخذ ابنى هشام بن إسماعيل المخزومى ، فأُخِذَا بعد أن عاذ إبراهيم بن هشام بقبر يزيد بن عبد الملك ، فقال الوليد : ما أراه إلّا قد نجا ، فقال له يحيى بن عروة ابن الزبير ، وأخوه عبد الله[٤٢] : إن الله لم يجعل قبر أبيك معاذاً للظالمين ، فَخُذْه بِرَدِّ ما فى يده من مال الله . فقال : صدقت . وأخذهما فبعث بهما إلى يوسف بن عمر ، وكتب إليه أن يبسط عليهما العذاب حتى يَتْلَفا ، ففعل ذلك بهما ، وماتا جميعاً فى العذاب بعد أن أُقِيمَ إبراهيم بن هشام للناس حتى اقْتَصَوْا منه المظالم »[٤٣] .

وتَشَفَّى الوليد فى شعره من إبراهيم بن هشام ، وسخر منه بعد قبضه عليه ، واتهمه بأنه دَعِىٌّ ملصق بقريش ليس منهم ، بل من أشجع من قيس عيلان . وصوَّر ما أعدَّه له من العقاب ، فقد قرر سجنه ثم صلبه وقتله ، يقول[٤٤] :

قَدْ رَاحَ نَحْوَ العِراقِ مَشْخَلَبَهْ … قُصَارُه السِّجْنُ بَعْدَهُ الخَشَبَهْ[٤٥]
يَرْكَبُها صَاغِراً بلا قَتَبٍ … ولا خِطامٍ وحَوْلَهُ جَلَبَهْ

---

(٤٠) كان العرجى هجا محمد بن هشام حين ولى مكة لهشام بن عبد الملك ، ثم شبَّب بأمه جيداء ، ثم شبَّب بزوجه جَبْرَة . فلم يزل محمد بن هشام مضطغناً عليه من الأشعار التى يقولها فيه ، ومُتَطَلِّباً سبيلا عليه حتى وَجَد فيه ، فأخذه وقيده ، وضربه ، وأقامه للناس . ثم حبسه ، وأقسم : لا يخرج من الحبس مادام لى سلطان . فمكث فى حبسه نحواً من تسع سنين حتى مات فيه . (انظر الأغانى ١ : ٤٠٥-٤٠٩) .

(٤١) الأغانى ١ : ٤١٥ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٠ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٧٣ ، ووفيات الأعيان ٥ : ٤٠١

(٤٢) كان يحيى بن عروه مخاصماً لإبراهيم بن هشام ، وكان يهجوه ويستخف به . (انظر جمهرة أنساب العرب ص : ١٢٤)

(٤٣) الأغانى ٧ : ١٦ .

(٤٤) الأغانى ١ : ٤١٦ .

(٤٥) المشخلبة : كلمة عراقية ليس على بنائها شىء من العربية . وهى تتخذ من الليف والخرز أمثال الحلى . بعده الخشبة : أى الصلب .

فَقُلْ لِدَعْجَاءَ إنْ مَرَرْتَ بها لَنْ يُعْجِزَ اللهَ هاربٌ طَلَبَهْ
قد جَعَلَ اللهُ بَعْدَ غَلَبَتِكُمْ لنا عليكمْ يـادَلْـدُلُ الغَلَبَهْ
لستَ إلى هاشمٍ ولا أَسَدٍ ولا إلى نَوْفَلٍ ولا الحَجَبَهْ(٤٦)
لكنَّما أشجعٌ أبوكَ سَلِ الـ ـكَلْبِىَّ لا ما يُزَوِّقُ الكَذَبَهْ(٤٧)

وعَسَفَ الوليد بالوليد بن القعقاع العبسى وأخيه عبد الملك لأنهما كانا يشجعان هشاماً على خلعه ، فأرسلهما إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى ليحاسبهما ويقتص منهما . وكان الوليد بن القعقاع جلد ابن هبيرة بأمر هشام بن عبد الملك . ويروى المدائنى خبر سجن ابن هبيرة لهما ، وقتله إياهما ، فيقول : «كان هشام بن عبد الملك خطب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة أخته أو ابنته على معاوية بن هشام ، فأبى أن يزوجه إياها ، فجرى بعد ذلك بين يزيد بن عمر وبين الوليد بن القعقاع كلام(٤٨) بلغَ هشاماً ، فبعث به إلى الوليد بن القعقاع ، فضربه مائة سوط ، وحبسه . . . فلما مات هشام كان البشير بموته الوليد بن يزيد (بن عمر بن هبيرة) . فقال له الوليد : احتكم ، فقال : ولاية قنسرين ، والتَّخْلِية بينى وبين الوليد بن القعقاع وأخيه عبد الملك بن القعقاع ، فأجابه إلى ذلك . ويقال : إنه وَّلاه جُنْدَ قنسرين ، فهرب الوليد وعبد الملك ابنا المعقاع ، فاستجارا بقبر مروان(٤٩) ، فلم يُجِرْهُما الوليد ، وبعث بهما إلى يزيد بن عمر ، وكان على حبسه رجل من فزارة يقال له نوفل من بنى سكين ، فدفعهما إليه فحبسهما ، فمات أحدهما فى الحبس فى العذاب ، ويقال : ماتا جميعاً(٥٠)» .

وهكذا لم يترك الوليد أحداً من أعدائه الذين حملوا عليه فى أيام هشام ، وأيدوا عزله من ولاية العهد إّلا جَفَاهُ أو اعتقله وانتقم منه . أما أبناء هشام بن عبد الملك فاكتفى بحبسهم وجَلْدِهم ، وأما

---

(٤٦) يريد حجبة الكعبة . وكانت الحجابة فى بنى قصى ، وبعد الرسول وحجابة البيت فى يد شيبة بن عثمان من بنى عبد الدار بن قصى ، فأبقاها واختص بها أولاده من بعده .

(٤٧) يريد بالكلبى محمد بن السائب النسابة المعروف .

(٤٨) كان ما جرى بينهما أن الوليد بن القعقاع قال ليزيد بن عمر بن هبيرة : يا ابن الفَرَّار ، يعنى أباه حين هرب من سجن خالد القسرى . فقال له يزيد : يا ابن الضَّرَّاط . فقال الوليد : يا ابن اللخناء . فقال يزيد :

بل أنتَ نَزْوَةُ خَوَّارٍ على أَمَةٍ لا يَسْبَقُ الحَلَبَاتِ اللؤمُ والخَوَرُ

فقال : يا ابن الفجواء . قال يزيد : إنما قدمكم أعجاز النساء ، وقدمتنا صدور العوالى ، يعنى أن وَلاَّدة أم الوليد وسليمان ابنا عبد الملك كانت منهم . وكان القعقاع ابن خليد ضَرَطَ عند الوليد بن عبد الملك ، وذلك أن الوليد قال لابن رأس الجالوت : تزعمون أن فى ولد داود علامة يعرفون بها ، وهى أن يمد أحدهم يده فتنال ركبته : فقال القعقاع : فيدى تنال ركبتى ، وقام لينال ركبته بيده فضرط . (انظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٧) .

(٤٩) فى رواية المدائنى التى نقلها الطبرى أنهما عاذا بقبر يزيد بن عبد الملك ، (انظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٧) .

(٥٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٧ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٧ .

أبناء الوليد بن عبد الملك فلم يُؤْذِهم كما آذَى أبناء هشام ، وأما محمد وإبراهيم ابنا هشام المخزومى ، والوليد وعبد الملك ابنا القعقاع العبسى فسجنهم وأذن بقتلهم .

٣ - تغييراته الإدارية

كشفت رسائل عمال هشام التى عثر بها الوليد عن آرائهم فى ولايته للعهد[٥١] ، فبنى عليها موقفه منهم ، واتخذها أساساً لما أحدث من تَعْديلاتٍ فى الوظائف المختلفة . أما العمال الذين دلَّت رسائلهم على تحزبهم لهشام ، وتأييدهم له فى تحويل ولاية العهد إلى ابنه مسلمة فعزلهم الوليد ، وعاقبهم عقاباً صارماً . وأما العمال الذين صَمَتُوا عن الخوض فى ولاية العهد ، أو جهروا فى رسائلهم بمعارضتهم لهشام فَثَبَّتَهم الوليد ، وأبقاهم فى مناصبهم ، وأحسن إليهم .

وكان محمد بن هشام المخزومى ، خال هشام بن عبد الملك أَوَّلَ العمال الذين فصلهم الوليد ، إذْ نَحَّاه عن المدينة ومكة والطائف[٥٢] ، وعين مكانه خاله يوسف بن محمد الثقفى[٥٣] . وأَقْصَى الوليد ابن القعقاع العبسى عن قنسرين ، وأسندها إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى[٥٤] . وأَعْفَى عبد الملك ابن القعقاع العبسى من ولاية حمص ، ووكلها الوليد إلى ابنه عثمان ، وضم إليه ربيعة بن عبد الرحمن[٥٥] ، فقيه أهل المدينة ، المعروف بربيعة الرَّأْى[٥٦] .

---

(٥١) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٣١ .

(٥٢) يروى اليعقوبى أن الوليد عزل إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومى ، خال هشام عن المدينة ومكة والطائف . (انظر تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٣١) . وهو مُخْطِئٌ فيما روى . والصحيح أن إبراهيم بن هشام كان عامل هشام بن عبد الملك على المدينة ومكة والطائف منذ سنة ست ومائة إلى سنة ثلاث عشرة ومائة . (انظر تاريخ الطبرى ٧ : ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٥٣ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٨٧ ، ٨٩) . ثم عزله هشام عنها سنة أربع عشرة ومائة ، واستعمل على المدينة خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن أبى العاصى ، وعلى مكة والطائف محمد بن هشام المخزومى . (انظر تاريخ الطبرى ٧ : ٩١) . فبقى خالد بن عبد الملك على المدينة إلى سنة ثمانى عشرة ومائة ، ثم عُزِلَ عنها ، وجُمِعَتْ لمحمد بن هشام المخزومى . (انظر تاريخ الطبرى ٧ : ١١١) . فأصبح محمد بن هشام واليا على المدينة ومكة والطائف . ولم يزل عليها جميعاً حتى توفى هشام بن عبد الملك سنة خمس وعشرين ومائة . (انظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٠) .

(٥٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٠ ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٢ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٢٦ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٧٣ .

(٥٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٧ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٧ .

(٥٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٠ ،

(٥٦) ترجمته فى تاريخ بغداد ٨ : ٤٢٠ ، وطبقات الفقهاء للشيرازى ص : ٦٥ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢٨٨ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٤٤ .

وأما سائر عُمَّال هشام فلم يَعْرِضِ الوليدُ لهم ، ولم يعزلهم من ولاياتهم ، فاحتفظ يوسف بن عمر الثقفى ، خال الوليد بحكم العراق[٥٧] . لأنه كان أشار على هشام ألا يخلع الوليد من ولاية العهد[٥٨] . وظل القاسم بن محمد بن القاسم الثقفى على البصرة[٥٩] . وتعاقَبَ على الكوفة غَيْرُ عاملٍ خلال ولاية يوسف بن عمر العراق لهشام ، كان آخرهم زياد بن صخر اللخمى[٦٠] . فعزله يوسف عنها فى مُسْتَهَلِّ خلافة الوليد ، واستعمل عليها عبيد الله بن العباس الكندى ، ثم عزله وَوَلَّى أبا أمية ابن المغيرة ابن عبد الله بن أبى عقيل الثقفى ، فأقام جمعة حتى هرب يوسف بن عمر بعد قتل الوليد[٦١] .

وظل مروان بن محمد على أرمينية[٦٢] ، وحرب بن قطن بن قبيصة بن مخارق الهلالى على سجستان[٦٣] ، ونصر بن سيار على خراسان[٦٤] ، وعمرو بن محمد بن القاسم الثقفى على السند[٦٥] .

وكان على اليمن فى نهاية خلافة هشام القاسم بن عمر الثقفى ، أخو يوسف بن عمر ، فلم يزل عليها حتى مات هشام[٦٦] ، ثم وليها الضحاك بن زمل السكسكى حتى قتل الوليد[٦٧] . وولى محمد ابن حسان بن سعيد الأسيدى البحرين لهشام ، ومن بعده للوليد[٦٨] . وبقى المهاجر بن عبد الله الكلابى على اليمامة فى أيام هشام والوليد[٦٩] . وكان على إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبى فى عهد هشام والوليد[٧٠] .

ولم يخلع الوليد من قضاة الأمصار زمن هشام إلا يوسف بن سعد بن إبراهيم ، عزله يوسف بن

(٥٧) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٨ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٧٤ .
(٥٨) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٣١ .
(٥٩) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٢ .
(٦٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٣٦ .
(٦١) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٣ .
(٦٢) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٤ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ١٧٩ ، ٢٣٠ .
(٦٣) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٣٨ ، ٥٥٣ .
(٦٤) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٣ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٢٤ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٢٥ .
(٦٥) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٣٨ ، ٥٥٣ .
(٦٦) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٣٤ .
(٦٧) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٢ .
(٦٨) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٣٨ ، ٥٥٣ .
(٦٩) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٣٩ ، ٥٥٣ .
(٧٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٠ ، ٥٥٣ .

محمد الثقفي عن قضاء المدينة وولى يحيى بن سعيد الأنصارى(٧١) . وأما سائر القضاة فاستمروا فى وظائفهم ، فكان الحارث بن يَمْجُد الأشعرى قاضى دمشق لهشام والوليد(٧٢) ، وولى قضاءها للوليد الحارث بن مخمر أبو حبيب الظهرى الحمصى(٧٣) . وكان على قضاء البصرة يوم قدم يوسف بن عمر سنة عشرين ومائة عبد الله بن بريدة الأسلمى ، فلم يلبث أن مات ، فاستقضى عامر بن عبيدة الباهلى ، فلم يزل قاضياً حتى مات هشام والوليد(٧٤) . وكان محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى قاضى الكوفة لهشام والوليد(٧٥) .

ولكن الوليد استغنى عن أغلب الموظفين الذين ولوا لهشام الشرط والرسائل والخراج والجند والخاتم والخزائن وبيوت الأموال والحرس والخاتم الصغير والخاصة ، فقد كان على شرط هشام يزيد ابن يعلى بن ضخم العبسى(٧٦) ، فأقصاه الوليد ، وعيَّن عبد الرحمن بن حنبل الكلبى(٧٧) ، ثم عزله وَوَلَّى عبد الله بن عامر الكُلاعى(٧٨) .

واستكتب الوليد سالماً مولى هشام ، ثم كتب له ابنه عبد الله بن سالم(٧٩) . وكان أبو الزبير المنذر ابن عمرو من كتابه(٨٠) .

وصَرَفَ سعيد بن عقبة مولى بنى الحارث بن كعب عن ديوان الخراج والجند ، وكان عليه أيام هشام(٨١) ، واستعمل عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف(٨٢) .

وعَزَل عبد الله بن عمرو بن الحارث عن الخاتم والخزائن وبيوت الأموال ، وكان عليها أيام

---

(٧١) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٢٧ ، وتاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٤ .

(٧٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٤٦١ .

(٧٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٤٥٧ .

(٧٤) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٣ ، ٥٥٤ .

(٧٥) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٤ ، ٥٥٤ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنى ، المجلد الثانى ص : ٣٠٤ .

(٧٦) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٤ .

(٧٧) يسميه اليعقوبى عبد الرحمن بن حميد الكلبى .(انظر تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٣٤) .

(٧٨) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٥ . ويقول هشام بن محمد الكلبى : إن صاحب شرط الوليد بن يزيد هو خالد بن عثمان بن بحدل الكلبى ، وخليفته على الشرطة يزيد بن يعلى بن ضخم العبسى .(انظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٤) . وهو مخطئ فى ذلك ، فإن خالد بن عثمان الكلبى ولى الشرطة لهشام . (انظر جمهرة أنساب العرب ص : ٤٥٧) ، كما ولى يزيد بن يعلى العبسى شرطة هشام أيضاً . (انظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٤) .

(٧٩) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٥ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٥٥ .

(٨٠) الأغانى ٧ : ١٥ .

(٨١) تاريخ خلبفة بن خياط ٢ : ٥٤٥ .

(٨٢) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٥ .

هشام(٨٣) ، .وأسندها مع الشرط إلى عبد الرحمن بن حنبل الكلبى(٨٤) .

وكان لربيع بن زياد على حرس هشام(٨٥) ، فأعفاه الوليد ، واختار غيلان ختن أبى معن قائداً لحرسه(٨٦) ، ويزعم اليعقوبى وَحْدَه أنَّ قَطَرِيًّا مَوْلَى الوليد بن يزيد كان قائد حرسه(٨٧) .

وفصل الوليد غالب بن مسعود مَوْلَى هشام وحاجبه(٨٨) ، وَوَظَّف مولاه عيسى بن مقسم حاجباً له(٨٩) .

وكان على الخاتم الصغير والخاصة فى أيام هشام مولاه اصطخر أبو الزبير(٩٠) ، فَنَحَّاه الوليد ، وجعل الخاتم الصغير بيد رباح بن أبى عمارة(٩١) .

وظاهر أن الوليد عزل عمال الولايات الذين تواطأوا على خلعه من ولاية العهد ، أما بقية العمال فتركهم فى مناصبهم ، لأنهم لم يتدخلوا فى ولاية العهد زمن هشام . ولكنه أقصى كل موظفى الدواوين والقصر السابقين ، لأنهم من خاصة هشام ، ولأنهم شاركوا فيما أنزله هشام به من السوء ، ولأن كل خليفة كان يفصل أكثر موظفى الدواوين والقصر السابقين ، ويَسْتَعِيضُ عنهم بموظفين آخرين يثق بهم ويطمئن إليهم .

وكان عمال الوليد وموظفوه من القيسية واليمنية ومن مواليه . وسعى يوسف بن عمر الثقفى إلى أن يوطد نفوذ قيس بالمشرق كما وطَّده بالعراق ، ونجح فى ذلك بعض النجاح ، فكان عاملا سجستان والسند من قيس . ولكنه أخفق فى بسط سلطانه على خراسان ، وكان يطمع فى أن يوليها لرجل من قيس منذ ولى العراق لهشام سنة عشرين ومائة(٩٢) ، فلم يمكنه هشام من ذلك . وفى سنة خمس

---

(٨٣) تاريخ خلبفة بن خياط ٢ : ٥٤٥ .

(٨٤) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٥ .

(٨٥) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٥ .

(٨٦) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٥ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٣٣ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٠ ، وتاريخ البطرى ٧ : ٢٥٩ .

(٨٧) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٣٤ .

(٨٨) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٦ .

(٨٩) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٥ . ويذهب اليعقوبى إلى أن حاجب الوليد هو قَطَنٌ مولاه . (انظر تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٣٤ . وهو مخطئٌ فيما ذهب إليه ، لأن قطنا مولى يزيد بن الوليد بن عبد الملك ومن خاصته . (انظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٢ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٣٢٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٧) .

(٩٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٥ .

(٩١) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٥ .

(٩٢) تاريخ الطبرى ٧ : ١٥٤ ، ١٥٦ .

وعشرين ومائة وَلّى الوليد نصر بن سبار خراسان كلها ، وأَفْرَدهُ بها . وقدم يوسف على الوليد ، فاشترى منه نصراً وعماله ، فَرَدَّ الوليد إليه ولاية خراسان(٩٣) . فكتب يوسف إلى نصر يأمره بالقدوم عليه ، فتباطأ نصر ، فاستحثه يوسف ، وهدَّده بالعزل ، فامتثل نصر له ، وسار إلى العراق ، فأتاه نبأ موت الوليد فى بعض الطريق ، فرجع إلى خراسان(٩٤) .

٤ – عنايته بشئون الدولة

استهل الوليد خلافته بالاهتمام بأحوال رعيته اهتماماً شاملاً ، إذ شرع فى إعداد الخطط وجد فى تنفيذها لتحسين أوضاع المواطنين المعاشية تحسيناً ملحوظاً ، كَسْباً لمودتهم ، وإظهاراً لِفَضْلِهِ على هشام ابن عبد الملك الذى قَتَّرَ عليهم ، وتحقيقاً لرغبته الصادقة فى الإصلاح .

ولبلوغ هذه الأهداف اتخذ الوليد ثلاثة قرارات : أولها رفع مستوى الخدمات التى تقدمها الدولة للمواطنين فى العاصمة ، فواسى البؤساء والضعفاء والعجزة والقاعدين والمكفوفين من أهل الشام ، ووزع المعونات والهدايا على أطفالهم .

وثانيها : زيادة رواتب المواطنين المسجلين فى ديوان العطاء . فرفع رواتب أهل الأمصار جميعاً عشرة دراهم ، ومنح أهل الشام عشرة دراهم أخرى ، وضاعف الأعطيات والهبات لأقربائه الذين قدموا عليه ، وأعلنوا مساندتهم له ، وأكرم كل من قصدوه وسألوه ، وفى ذلك يقول المدائنى : «لما ولى الوليد أجرى على زمْنَى أهل الشام وعميانهم وكساهم ، وأمر لكل إنسان منهم بخادم . وأخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة . وزادهم على ماكان يُخْرِجُ لهم هشام ، وزاد الناس جميعاً فى العطاء عشرةً عشرةً ، ثم زاد أهل الشام بعد زيادة العشرات ، عشرةً عشرةً لأهل الشام خاصة . وزاد من وفد إليه من أهل بيته فى جوائزهم الضِّعْفَ . . . ولم يقل فى شىء يُسْأَلُه : لا ، فقيل له : إن فى قولك : أَنْظُرْ عِدَةً ما يُقِيمُ عليها الطالب . فقال : لا أُعَوِّدُ لسانى شيئاً لم أَعْتَدْه»(٩٥) .

وتَأَلَّفَ أهل المدينة ومكة واسترضاهم ، فأعاد إليهم أرزاقهم وحقوقهم المالية التى سَلَبها هشامُ

---

(٩٣) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٢٤ .

(٩٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٢٦ .

(٩٥) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٧ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣١٨ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٨ ، والمختصر فى أخبار البشر ١ : ٢٠٥ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤ .

وعَطَّلَها حولاً كاملاً ، عقاباً لهم ، لأنهم أعربوا عن تأييدهم لزيد بن على حين خرج عليه بالكوفة[٩٦] .

فأنفقَ الوليد فى هذه الوجوه والسبل الإصلاحية ما حَازَ من ثروة هشام ، وما وَجَدَ فى خزائن الدولة من أموال ، حتى أفلس ، ووقع فى ضائقة خانقة زادها حِدَّةً وخطراً أنَّ يوسف بن عمر الثقفى تباطأ فى إرسال خراج العراق ، وادَّعى أنه نَقَصَ وانخفض . لأنه لم يستطع إنعاش أحوال العراق الاقتصادية التى نسب إلى خالد بن عبد الله القسرى أنه أفسدها ودمَّرها تدميراً شديداً لا تَصِحُّ معه ولا تزدهر إلّا بعد وقت طويل . فعزم الوليد على خَلْعِهِ واستعمال عبد الله بن محمد بن الحجاج بن يوسف على العراق[٩٧] . وإتهم الوليد يوسف بالتَّسْويفِ والمراوغة والغش والكذب ، لأنه كان يسوق إلى هشام أموالاً طائلةً من خراج العراق ، ولأن ستَّ سنواتٍ من ولايته على العراق تكفى لأن تكون حياته الاقتصادية قد رجعت إلى حالتها الطبيعية السليمة ، وأمره بالوفود إليه بدمشق ، وجمع كل ما يقدر على جمعه من خراج العراق ، لحاجته الماسة إليه ، فقد استنفد كل ما فى خزائن الدولة من أموالٍ فى دَفْعِ رواتب أهل الأمصار وعلاواتهم ، وفى برِّ أهل الحرمين ، وفى إكرام ذويه الذين تحاماهم هشام وقطع العطاء عنهم ، فكَتَب إلى يوسف : «إنك كتبت إلى أمير المؤمنين تذكر إخراب ابن النصرانية البلاد ، وكنت مع ذلك تحمل إلى هشام ما تحمل . وقد ينبغى أن يكون قد عمرت البلاد حتى رددتها إلى ما كانت عليه . فأشخص إلى أمير المؤمنين مُصَدِّقاً ظنه بك ، ليعرف أمير المؤمنين فضلك على غيرك ، لكفايتك ولما جعل الله بينك وبينه من القرابة ، فإنك خاله ، وأحق الناس بالتوفير عليه ، ولما قد عَلِمْتَ مما أمر به أمير المؤمنين لأهل الشام وغيرهم من الزيادة فى أعطياتهم ، لطول جفوة هشام لهم ، حتى أَضَرَّ ذلك ببيوت الأموال»[٩٨] .

فَصَدَعَ يوسف بأمره ، وأنقذه من الأزمة ، إذ «استخلف ابن عمه يوسف بن محمد ، وحمل معه الأموال والأمتعة والآنية مالم يُحْمَلْ مثله من العراق قط[٩٩]» .

وَوَضَّح الوليد القَرَارَيْن السَّابقين من خطته الإصلاحية فى قصيدة عينية طويلة له ، ضاع أكثرها ، وسلم أقلُّها ، قالها على المنبر بدمشق لما بويع بالخلافة[١٠٠] ، ثم أمر بكتابة نسخ منها ، لِتُوَزَّع

---

(٩٦) الأغانى ٧ : ٢٢ .

(٩٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٤ .

(٩٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٤ .

(٩٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٤ .

(١٠٠) الأغانى ٧ : ٢١ .

على الأمصار المختلفة[١٠١] ، وأرسل نسخة منها إلى المدينة[١٠٢] . وهو يُحَيِّى فيها أهل الأمصار ، ويَعِدُهم بخير عميم ، ويلتزم رواتبهم فى موعدها المحدد الثابت كل سنة ، دون تأخير أو مماطلة ، ويتعهد بزيادة رواتبهم زيادة مُجْزِيَةً ، ويُمَنِّيهم بحياة رغيدةٍ إنْ عاشَ ، وامتدت خلافته ، فهو يقول فيها[١٠٣] :

أَلاَ أيها الرَّكْبُ الْمُخِبُّونَ أَبْلِغُوا ... سَلامِىَ سُكَّانَ البلادِ فأَسْمِعُوا[١٠٤]
وقُولُوا أتاكُمْ أَشْبَهُ الناسِ سُنَّةً ... بوَالِدِهِ فاستَبْشِرُوا وتَوَقَّعُوا
سَيُوشِكُ إلحاقٌ بكمْ وزيادةٌ ... وأَعْطِيةٌ تأتى تِباعاً فَتُشْفَعُ
مُحَرَّمُكُمْ دِيوانكُمْ وعَطاؤكمْ ... به يكتبُ الكُتَّابُ والكُتْبُ تُطْبَعُ
ضَمِنْتُ لكمْ إنْ لم تُصابُوا بِمُهْجَتى ... بأنَّ سماءَ الضُّرِّ عنكمْ سَتُقْلِعُ

ولما القَرَارُ الثالث الذى اتخذه الوليد لتحسين أوضاع المواطنين بالشام فَيَتَمَثَّلُ فى بناء بعض المنشآت المائية للنهوض بالزراعة ، وتوسيع رقعة الأراضى التى تزرع فى الصيف ، وزيادة محاصيلها ، ورفع دخل العاملين بها . فأقام «جسر الوليد[١٠٥] » على طريق أَذَنَةَ من المَصِّيصة على تسعة أميال . وشَيَّد مشروع أُسَيْس المائى[١٠٦] ، على بعد ثلاثة وثمانين ميلاً شرقى دمشق ، وهو يشتمل على جهاز للرى يستخدم للانتفاع بمياه الأمطار[١٠٧] .

وعُنِىَ الوليد بشئون الدولة العسكرية ، ولم يُفَرِّط فيها ، ولكن حركة الجهاد كانت قد ضعفت منذ نهاية العقد الأخير من القرن الأول ، وتَحَوَّل دور العرب فى حدودهم الشرقية مع الترك ، وحدودهم الشمالية مع الروم من الهجوم والفتح ، إلى الدفاع والحفاظ على البلدان التى نشروا الإسلام فيها ، وبسطوا سلطانهم عليها . ومع ذلك فإنه تَمَّت فى عهد الوليد بعض الفتوح الجديدة ، وأغار بعض إخوته على الروم غارات كثيرة ناجحة ، ففى خلافة الوليد فتحت قبرص ، إذ «أغزى الوليد بن يزيد أخاه الغمرين يزيد بن عبد الملك ، وأَمَّرَ على جيش البحر الأسود بن بلال المحاربى ، وأمره أن يسير

---

(١٠١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٩ ، وتاريخ الموصل ص : ٥١ .
(١٠٢) الأغانى ٧ : ٢٢ .
(١٠٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٨ ، والأغانى ٧ : ٢١ ، وتاريخ الموصل ص : ٥١ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤ .
(١٠٤) المخبون : الذين تَخُبُّ بهم دوابهم ، أى تعدو بهم ، وتسرع فى السير .
(١٠٥) معجم البلدان ٢ : ٨٢ .
(١٠٦) معجم البلدان ١ : ٢٧٢ .
(١٠٧) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ٢ : ١٢٧ .

إلى قبرص ، فيخيرهم بين المسير إلى الشام إن شاءوا ، وإن شاءوا إلى الروم ، فاختارت طائفة منهم جوار المسلمين ، فنقلهم الأسود إلى الشام ، واختار آخرون أرض الروم ، فانتقلوا إليها[١٠٨] » . وَوَلّى أخاه الغمر بن يزيد الصائفة غير مرة ، فغنم مالم يغنمه أحدٌ قط . وكانت آخر صوائفه فى سنة ست وعشرين ومائة[١٠٩] .

وعلى قِصَر خلافة الوليد فإن القَرارات الثلاثة الإصلاحية التى ارتآها وَطَّبقها ، وبعض الفتوحات والغزوات المظفرة التى قادها أخوه الغمر تدل على تفكيره فى مشاكل رعيته المالية والاجتماعية والزراعية ، تفكيراً جاداً خلص منه إلى وضع الحلول السريعة للمشاكل العاجلة ، وتدل على اجتهاده فى بعث حركة الفتوح والجهاد وتقويتها[١١٠] ، وحماية ثغور الدولة وحدودها ، وتنفى عنه ما اتهمه به اليعقوبى من أنه كان مهملاً لأمره ، قليل العناية بأطرافه ، متشاغلاً عن أمور الناس[١١١] .

٥ - مبايعته لولديه بولاية العهد

ابتدع معاوية بن أبى سفيان نظام وراثة الخلافة ، فهو أول خليفة أموى فكر فى البيعة لابنه يزيد بولاية أمر المسلمين . ولما كان نظام وراثة الخلافة يناقض مبدأ السيادة العربى الجاهلى ، الذى يعترف بأن تكون السيادة فى عائلة أو عشيرة من القبيلة ، ويراعى النسب والسن والحنكة والنفوذ والكرم ، فيجيز أن تكون السيادة لأقدر أفراد القبيلة ، وكان يخالف مبدأ الشورى الإسلامى الذى يعتمد على اختيار الأمة للخليفة ، ويعتبر إجماعها عليه ممثلاً للمشيئة الإلهية[١١٢] ، فقد لقى معاوية معارضة قوية من أبناء الصحابة والخلفاء الراشدين وبعض أزواج النبى ، إذ أنكروا عليه سعيه لأخذ البيعة لابنه

(١٠٨) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٢٧ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٤ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٤٧ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٧٤ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٥ .

(١٠٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٢٩ ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٦ .

(١١٠) يقول اليعقوبى : «كان عمرو بن محمد بن القاسم الثقفى ، ويزيد بن عمرار ، لما قتل الحكم بن عوانة (الكلبى) عامل السند ، تنازعا خلافته ، فكتب هشام إلى يوسف بن عمر فى ذلك ، فمال يوسف بالثقفية إلى عمرو بن محمد بن القاسم ، فولاه . فلما ولى الوليد عزل عمرو بن محمد بن القاسم عن السند ، وولى يزيد بن عرار فغزا ثمانى عشرة غزاة» . (انظر تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٣٣) . وهو يخالف فى ذلك ما ذكره خليفة ابن خياط من أن عمرو بن محمد بن القاسم الثقفى ولى السند حتى قتل الوليد . (انظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٣) .

(١١١) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٣٣ .

(١١٢) مقدمة فى تاريخ صدر الإسلام ص : ٦٦ .

يزيد ، واعتدوه خروجاً على الإسلام ، وتَخَطِّياً لهم ، وتقديماً لابنه عليهم ، وهو أقل منهم فضلاً وخبرة ومقدرة ، ولكن معاوية لم يزل يتأتّى لعقد العهد لابنه يزيد ، حتى إذا مات زياد بن أبى سفيان ، وكان ممن ناهضوا معاوية ، ورفضوا الموافقة على جعل ابنه يزيدُ قائماً بأمر المسلمين (١١٣) « دعا معاوية بكتاب فقرأه على الناس باستخلاف يزيد إنْ حَدَثَ به حَدَثُ الموت ، فيزيد ولى عهد . فاستوثق له الناس على البيعة ليزيد غير خمسة نفر»(١١٤) ، هم الحسين بن على ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ، وعبد الله بن عباس ، ومعهم السيدة عائشة(١١٥) .

وبذلك سَنَّ معاوية للخلفاء الأمويين نظام وراثة الخلافة ، وقرر مبدأ ولاية العهد ، « فحول الإمامية إلى ملك كسروى ، والخلافة إلى منصب قيصرى » (١١٦)

واستَخْلَف يزيدُ بن معاوية ابنَه معاوية ، وبويع له بدمشق بعد موت أبيه . وتشير الروايات الشيعية الخالصة ، والروايات الأموية التى نقلها الإخباريون المعروفون بميولهم الشيعية إلى أن معاوية بن يزيد أراد أن يلتزم فى سياسته بروح الإسلام ، فأخذ نفسه بسيرة الخلفاء الراشدين ، وبمبدأ الشورى فى الخلافة ، وانتخاب أصلح المسلمين لها ، وانتقد جَدَّه وأباه ، ونَدَّد بسياستهما ، وعاب عليهما عنفهما بالعلويين والزبيريين ، إذ يقول اليعقوبى : إنه خطب الناس فقال : « أيها الناس ، فإنا قد بُلِينَا بكم ، وبُلِيتُم بنا ، فما نجهل كراهتكم لنا ، وطعنكم علينا ، ألا وإن جدى معاوية بن أبى سفيان نازع الأمرَ من كان أولى به منه فى القرابة برسول الله ، وأحق فى الإسلام ، سابق المسلمين ، وأول المؤمنين ، وابن عم رسول رب العالمين ، وأبا بقية خاتم المرسلين ، فركب منكم ما تعلمون ، وركبتم منه مالا تنكرون . حتى أتته منيته . ثم قُلِّد أبى ، وكان غير خليق للخير ، فركب هواه ، واستحسن خطأه ، وعظم رجاؤه ، فأَخْلَفَهُ الأمل ، وقَصَّر عنه الأجل ، فَقَلَّتْ مَنَعَتُهُ ، وانْقَطَعتْ مُدَّتُهُ ، وصار فى حُفْرَته رَهْناً بِذَنْبِه ، وأسيراً بِجُرْمِهِ . ثم بكى وقال : إن أعظم الأمور علينا عِلْمُنا بسوء مَصْرَعِهِ ، وقُبح مُنقَلَبِهِ ، وقد قتل عترةَ الرسول ، وأباح الحرمة ، وحرقَ الكعبة ، وما أنا المُتَقَلِّدَ أموركم ، ولاَ المُتَحَمِّلَ تبعاتِكم ، فشأنكم أمركم ، فو الله لئن كانت الدنيا مُغْنَماً لقد نِلْنا منها حظاً ، وإنْ تكن شرًّا فحسب آل أبى سفيانِ ما أصابوا منها(١١٧) .

---

(١١٣) تاريخ الطبرى ٥ : ٣٠٢ ، وانظر تاريخ اليعقوبى ٢ : ٢٢٠ .

(١١٤) تاريخ الطبرى ٥ : ٣٠٣ .

(١١٥) تاريخ الطبرى ٥ : ٣٠٣ ، وانظر الإمامة والسياسة ١ : ١٨٣ .

(١١٦) كتاب استحقاق الإمامة ، برسائل الجاحظ للسندوبى ص : ٢٩٢ .

(١١٧) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٢٥٤ .

ويروى المسعودى أنه « لما حضرته الوفاة اجتمعت إليه بنو أمية فقالوا له : اعْهَدْ إلى من رأيت من أهل بيتك . فقال : والله ما ذقت حلاوة خلافتكم ، فكيف أتقلّد وِزْرها ، وتتعجّلونَ أنتم حلاوتها . وأتعجّلُ مرارتها ؟ اللهم إنى برىء منها ، مُتَخَلٍّ عنها ، اللهم إنى لا أجد نفراً كأهل الشورى ، فأجعلها إليهم يَنْصِبُونَ لها من يَرَوْنَهُ أهلاً لها[118] » .

ويذكر هشام بن محمد الكلبى أن عوانة بن الحكم الكلبى مؤرخ بنى أمية قال : «كان معاوية بن يزيد أمَرَ بعد ولايته فَنُودى بالشام : الصلاة جامعة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإنى قد نظرت فى أمركم فضعفت عنه ، فابتغيت لكم رجلاً مثل عمر بن الخطاب ، رحمة الله عليه ، حين فزع إليه أبو بكر فلم أجده ، فابتغيت لكم سُنَّةً فى الشورى مثل سُنَّةِ عمر ، فلم أجدها ، فأنتم أولى بأمركم ، فاختاروا له من أحببتم »[119] فمات بعد أربعين يوماً من خلافته ، ولم يعهد لأحد بولاية أمر المسلمين ، فاضطرب أمر بنى أمية ، وكثر المطالبون بالخلافة والمتنافسون فيها من الزبيريين والعلويين والخوارج والقيسيين[120] ، وكاد مروان بن الحكم أن يبايع لعبد الله بن الزبير ، لولا أن عبيد الله ابن زياد قال له : « إنى استَحَيَيْتُ لك مما تريد ! أنت كبيرُ قريش وسيدها ، وتصنع ما تصنعه ! فقال : ما فات شىء بعد ، فقام معه بنو أمية ومواليهم ، وتجمع إليه أهل اليمن[121] ، وبايعوه لأنه « سيد بنى أمية »[122] . فَمَنَعُوا دولتهم من السقوط .

واتّعظ الخلفاء المروانيون بما حلَّ بالسفيانيين ، فقد انتهت خلافتهم بعد موت معاوية بن يزيد ، وأوشك الحكم الأموى على الانهيار ، لأن معاوية الثانى لم يُرَشِّحْ أحداً من أهله للخلافة ، فاجتهد المروانيون أن يحافظوا على سلطانهم ، فلم يتمسكوا بنظام وراثة الخلافة تمسكا شديداً ، بل مزجوا بينه وبين مبدأ السيادة القبلى ، فكانوا فى بعض الأحيان لا يعهدون بالخلافة لأبنائهم بل لإخوانهم ، إذ عقد سليمان بن عبد الملك العهد لأخيه يزيد بعد عمر بن عبد العزيز ، وبايع يزيد بن عبد الملك بالخلافة لابنه الوليد بعد أخيه هشام بن عبد الملك . وكانوا فى أحيان أخرى لا يسندون ولاية العهد لأبنائهم ولا لإخوانهم ، بل لشخصيات من حفدة مروان بن الحكم ، فقد اصطلحوا على مروان ابن محمد بعد ثورته بإبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ، ومروان ليس من أولاد عبد الملك بن مروان ،

---

(١١٨) مروج الذهب ٣ : ٨٢ .

(١١٩) تاريخ الطبرى ٥ : ٥٣٠ ، وانظر تاريخ اليعقوبى ٢ : ٢٥٤ .

(١٢٠) تاريخ الطبرى ٥ : ٥٣١ .

(١٢١) تاريخ الطبرى ٥ : ٥٣٠ .

(١٢٢) الأخبار الطوال ص : ٢٨٥ ، وشرح نهج البلاغة ٦ : ١٥٦ .

بل ابن أخيه محمد(١٢٣) .

وزاوج الخلفاء المروانيون بين نظام وراثة الخلافة ، ومبدأ الشورى الإسلامى ، الذى يقوم على اختيار أصلح الأمة للخلافة ، فعهد سليمان بن عبد الملك بالخلافة لعمر بن عبد العزيز ، لما اشتهر به من التدين والتقوى ، وقدمه على أخيه يزيد بن عبد الملك ، لأن الروح الإسلامية بدأت تقوى فى شخصيات الخلفاء المروانيين منذ عبد الملك بن مروان(١٢٤) ، وأخذت تضارع الروح العربية ، فانبنت سياستهم على الالتحام الوثيق بين التقاليد العربية والتعاليم الإسلامية(١٢٥) .

وحرص الخلفاء المروانيون أشد الحرص على أن يعقدوا ولاية العهد دائماً لاثنين من أبنائهم ، أو من أبنائهم وإخوانهم ، أو من إخوانهم وغيرهم من حفدة مروان بن الحكم ، ضمانا لبقاء الخلافة فيهم ، وصوناً لها من أن تخرج منهم ، فبايع مروان بن الحكم لِوَلَدَيْهِ عبد الملك ، وعبد العزيز(١٢٦) ، وبايع عبد الملك بن مروان لابْنَيْهِ الوليد وسليمان ، وجعلهما وَلِيَّىْ عهد المسلمين(١٢٧) ، ويروى المدائنى أن عبد الملك أخذ على الوليد وسليمان أن يُبَايعا لأخويهما يزيد ومروان(١٢٨) . وعهد الوليد بن عبد الملك بالخلافة لأخويه سليمان ويزيد(١٢٩) . وبايع سليمان لعمر بن عبد العزيز ، وليزيد ابن عبد الملك(١٣٠) ، واستخلف يزيد بن عبد الملك ابنه الوليد ، وأخاه هشام بن عبد الملك(١٣١) ، وعقد الوليد بن يزيد العهد لِوَلَدَيه الحكم وعثمان(١٣٢) ، وأخذ يزيد بن الوليد بن عبد الملك البيعة لأخيه إبراهيم ، وجعلهَ وَلِيَّ عهده ، ولعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بعد إبراهيم(١٣٣) ، وبايع مروان بن محمد بالخلافة لولديه عبد الله وعبيد الله(١٣٤) .

ولم يكن للخلفاء الأمويين من السفيانيين والمروانيين نظرية واضحة فى الخلافة ، وأسباب

---

(١٢٣) مقدمة فى تاريخ صدر الإسلام ص : ٦٦ .

(١٢٤) تاريخ الدولة العربية ص : ٢٠٨ ، ٢١٦ ، ٢٥٦ ، ٣٣٤ .

(١٢٥) الشعراء من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ص : ٢٦ .

(١٢٦) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٣٢٨ ، وتاريخ الطبرى ٥ : ٦١٠ .

(١٢٧) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٣٧٧ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٤١٦ ، ٤٩٨ .

(١٢٨) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٣١ .

(١٢٩) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٩٩ .

(١٣٠) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٥٠ .

(١٣١) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٩ .

(١٣٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٨ .

(١٣٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٧ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٩٥ .

(١٣٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٣١٤ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٢٨١ .

استحقاقهم لها ، فمرةً كانوا يَدَّعون أن الخلافة تناهت من طريق آبائهم وأجدادهم(١٣٥) ، ومرة كانوا يعلنون أنهم اغتصبوها اغتصاباً ، إذ يؤثر عن معاوية أنه خطب فى أهل المدينة فقال : « إنى والله ما وليتها بمحبةٍ علمتها منكم ، ولا مسرةٍ بولايتى ، ولكن جالدتكم بسيفى هذا مجالدة(١٣٦) »

وأشاعوا فى أهل الشام خاصة أن الأمويين استوجبوا الخلافة بقرابتهم من النبى ، وبكَوْنهم وَرَثَتَه الوحيدين الباقين ، يدل على ذلك ما يرويه المسعودى من أن عبد الله بن على العباسى حين خرج فى طلب مروان بن محمد ، واحتل الشام « وَجَّه إلى أبى العباس السفاح أشياخاً من أهل الشام من أرباب النعم والرئاسة من سائر أجناد الشام ، فحلفوا لأبى العباس السفاح أنهم ما علموا لرسول الله ﷺ قرابةً ولا أهْلَ بيتٍ يرثونه غيرَ بنى أمية حتى وليتم الخلافة(١٣٧) » !

ولكن الأمويين جميعا اعتمدوا على مبدأ الجبر فى الخلافة اعتماداً قوياً ، إذ استقروا على أن الله اختارهم واختار أولياء عهودهم أوصياء على الناس ، وسلطاناً له عليهم ، وصرحوا بذلك منذ خلافة معاوية ، إذ يقول زياد بن أبى سفيان فى خطبته البتراء لأهل البصرة سنة خمس وأربعين : « أيها الناس ، إنا أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم ذادة ، نسوسكم بسلطان الله الذى أعطانا ، ونذود عنكم بفىء الله الذى خوَّلنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أوجبنا ، ولكم علينا العدل فيما أولينا ، فاستوجبوا عدلنا وفَيْئَنا بِمُنَاصَحتكم(١٣٨) » .

ويقول معاوية بن أبى سفيان فى احتجاجه على خصومه الذين عارضوا مبايعته بالخلافة لابنه يزيد : « إنما هو الملك يؤتيه الله من يشاء(١٣٩) » ، « وإنَّ أمرَ يزيد قضاء من القضاء ، وليس للعباد الخيرة من أمرهم(١٤٠) » . ويقول يزيد بن معاوية فى بعض خطبه بعد موت أبيه : « إن معاوية كان عبداً من عباد الله أكْرَمَهُ الله واستَخْلَفَهُ وخَوَّلَهُ ومكَّن له(١٤١) » ، ويقول : « وقد قلدنا الله عز وجل ما كان إليه(١٤٢) » .

---

(١٣٥) هاشميات الكميت ص : ١٢١ .

(١٣٦) العقد الفريد ٤ : ٨١ .

(١٣٧) مروج الذهب ٣ : ٤٣ .

(١٣٨) تاريخ الطبرى ٥ : ٢٢٠ ، وانظر البيان والتبيين ٢ : ٤٩ ، والعقد الفريد ٤ : ١١٢ ، وجمهرة خطب العرب ٢ : ٢٦٠ .

(١٣٩) الإمامة والسياسة ١ : ١٩١ .

(١٤٠) الإمامة والسياسة ١ : ١٨٣ ، ١٨٧ .

(١٤١) الإمامة والسياسة ١ : ٢٠٣ ، وانظر تاريخ الطبرى ٥ : ٣٣٨ .

(١٤٢) الإمامة والسياسة ١ : ٢٠٤ .

وذكر معاوية أن غايته من أخذ البيعة لابنه يزيد هى الحرص على مصلحة المسلمين ووحدتهم . والخوف من اضطرابهم وانقسامهم بعد وفاته ، فإنه كان يقول : « إنى أرهب أن أدع أُمَّة محمدٍ بعدى كالضَّأْن لا رَاعِيَ لها[١٤٣] » ونوَّه بعض الخلفاء المروانيين بأهمية هذه الغاية ، إذ يقول سليمان ابن عبد الملك فى كتاب عهده : « هذا كتاب » من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز ، إنى قد وَلَّيتُك الخلافة من بعدى ، ومن بعده يزيد بن عبد الملك ، فاسمعوا وأطيعوا ، واتقوا الله ، ولا تختلفوا فَيُطْمَع فيكم[١٤٤] » .

وأضاف الخلفاء المروانيون إلى ذلك أنهم كانوا يبتغون من المبايعة لأولياء عهودهم بقاء الخلافة فى أولاد مروان بن الحكم ، وحفدته من ذرية ابنه عبد الملك ، والحفاظ على التئام الأسرة المروانية ، إذ يروى البلاذرى أن سليمان بن عبد الملك قال وقد ولى عمر بن عبد العزيز فى مرضه ، ويزيد بعده ، « لولا أنى أخاف تَفَرُّقَ بنى مروان بَعْدى ، ووقوعَ الفتنة بذلك السبب ما ولَّيتُ يزيد ، ولا قصرت على عمر بن عبد العزيز[١٤٥] » ويروى الطبرى عن رجاء بن حيوة أن سليمان قال له : «كيف ترى فى عمر بن عبد العزيز ؟ فقلت : أعلمه والله خَيِّراً فاضلاً مسلماً ، فقال ، هو والله على ذلك ، ثم قال : والله لِئنَ وَلَّيتُه ولم أُوَلِّ أحداً سواه لتكونن فتنة ، ولا يتركونه أبداً يلى عليهم إلا أن يُجْعَلَ أحدهُم بعده ، ويزيد بن عبد الملك غائب على الموسم ، قال : فيزيد بن عبد الملك أجْعَلُه بعده ، فإن ذلك مما يُسَكِّنهم ويَرْضَون به[١٤٦] » . ويروى البلاذرى أن عمر بن عبد العزيز قال وهو يحتضر : « لو اختَرْتُ لـلأمة غير يزيد كان أوْلَى ، ولكنى أخاف إن أخْرَجتُها من بنى عبد الملك أن يقع فى ذلك فتنة وفُرْقَة[١٤٧] » .

واتَّبع الوليد سُنَّةَ أسلافه من الخلفاء المروانيين ، فبايع لولديه الحكم وعثمان بولاية عهده وجعل الحكم ولى عهده الأول[١٤٨] ، وكان الحكمُ بنَ سرِيَّة أَمَة[١٤٩] ، فخالف الوليد بمبايعته وتقديمه نهج الخلفاء السابقين ، فإنهم كانوا لا يُوَلُّون ابن الأَمَة . . . ولو عهدوا إلى ابن أمة لكان مسلمة

(١٤٣) تاريخ الطبرى ٥ : ٣٠٤ ، وانظر الإمامة والسياسة ١ : ١٨٤ .

(١٤٤) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٥١ .

(١٤٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨٠ .

(١٤٦) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٥٠ .

(١٤٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨٠ .

(١٤٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٨ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٩ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٤١٠ ، ووفيات الأعيان ٧ : ١١١ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ١٧ و .

(١٤٩) الأغانى ٧ : ٧١ .

ابن عبد الملك أولاهم بها[١٥٠] » . وكان سليمان بن عبد الملك أراد أن يبايع لابنه داود بعد أخيه أيوب ، فمنعه من عقد ولاية العهد لداود أنه كان ابن أَمَة[١٥١] ، وكانوا يكرهون البيعة لأبناء الإماء ، ولا يُوَلُّون إلّا ابنَ حرَّة ، فعدل عنه[١٥٢] ، وكانت بنو أمية تتجنَّب ذلك تعظيماً للخلافة ، ولأنهم سقط إليهم أنَّ مُلكهم يزول على يد خليفة أُمُّه أَمَةٌ[١٥٣] .

وخالف الوليد بأخذه البيعة لولديه الصغيرين صنيع الخلفاء السابقين ، فإنهم كانوا يحجمون عن عقد العهد لأبنائهم الصغار ، ويؤجِّلونه حتى يدركوا ، وإن بايعوا لأحدهم فإنهم كانوا يؤخرونه ، ويجعلونه وليّ عهدهم الثانى ، أما الوليد فأصر على بيعتهما ، ورفض الجدال فيها قبل إبرامها وتأكيدها ، وعاقب من نصحه بالكف عنها ، فقد شاور الوليد سعيدَ بن بيهس بن صهيب الجرمى ، وكان من اليمنية النابهين بدمشق[١٥٤] ، فقال : لا تفعل ، فإنهما غلامان لم يحتلما ، ولكن بَايع لعتيق ابن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، فغضب الوليد ، وحبس سعيداً حتى مات فى الحبس[١٥٥] ، فسخط على الوليد بعض بنى أمية وأهل الشام . وانتقدوه وعابوه ، وفى ذلك يقول المدائنى عن بعض موالى الوليد : « دخلت إليه وقد عقد لابنيه بعده ، وقدم الحكم[١٥٦] فقلت له : يا أمير المؤمنين ، أقول قول الموثوق بنصيحته أو يَسَعُنى السكوت ، فقال ، بل قل قول الموثوق به ، فقلت : إن الناس قد أنكروا ما فعلت ، وقالوا : يُبَايع لمن لم يحتلم ، وقد سمعت ما أكره فيك . فقال : عضُّوا ببظور أمهاتكم ! أَفَأُدْخِلَ بينى وبين ابنى غيرى ، فيلقى منه كما لقيت من الأحول بعد أبى[١٥٧] » !

وليس فيما حمله المؤرخون من أخبار مبايعة الوليد لابنيه الحكم وعثمان ما يكشف عن السبب الذى دفعه إلى أن يعهد بالخلافة لابنه الحكم ، ويقدمه على أخيه عثمان ، مع أن الحكم ابنَ أَمَة ، وعثمان ابن حُرَّة ، فهو ابن عاتكة بنت عثمان بن محمد بن عثمان بن محمد بن أبى سفيان[١٥٨] .

---

(١٥٠) شرح نهج البلاغة ٧ : ١٥٧ .

(١٥١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١١٩ .

(١٥٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٢٠٣ .

(١٥٣) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ح ٥ ، الورقة : ٢٠ ظ .

(١٥٤) انظر جمهرة أنساب العرب ص : ٤٥١ .

(١٥٥) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٢ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٧ .

(١٥٦) فى رواية لمدائنى التى نقلها أبو الفرج عن شيخه الحسن بن على أن الوليد قدَّم عثمان . (انظر الأغانى ٧ : ٧٠) . وهو خطأ . والصواب أنه قدَّم الحكم ، كما فى كتاب العهد نفسه . (انظر الطبرى ٧ : ٢٢٣) .

(١٥٧) الأغانى ٧ : ٧٠ .

(١٥٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ .

وقد يدل عهده بالخلافة لابن الأَمَة على تطور فى فكرة السياسى ، وفهمه للإسلام وإدراكه للتَّحَوُّلِ الاجتماعى ، وما طرأ على معنى النسب من تَغَيُّر ، لاختلاط العرب بغيرهم من الأمم التى دخلت فى الإسلام ، وارتبطت بالعرب ، ووالتهم وَلاءَ حِلْفٍ لا ولاءَ عِتْقٍ ، فانتقل معنى النسب من دائرة العرق والدم الضيقة ، إلى دائرة اللغة والإسلام الواسعة . وربما كان عهده بالخلافة لابن الأمة تحقيقاً لرغبته فى مراعاة الموالى ، وبرهاناً ساطعا على اشتغاله بأمورهم وقضاياهم ، ودليلاً قويًا على احترامه لهم ، وتفكيره فى إشراكهم تدريجياً فى أكبر الوظائف السياسية التى احتكرها العرب ، فَعيَّن ابنه الحكم ولياً لعهده ، ولم يأْبَهْ باحتجاج أبناء عَمَّيْه هشام والوليد عليه ، ولا بانتقاد بعض سادة دمشق له . فتجاوز الخلفاء المروانيين السابقين الذين كانوا يبايعون بولاية العهد لأبنائهم الصرحاء ، ويَتحرَّجون من المبايعة لأبنائهم الهجناء ، على الرغم من كفاية بعضهم ، كمسلمة بن عبد الملك !

وفى شعر الوليد الصحيح الذى رواه المدائنى ما يقطع بأن الوليد لم يكن يرى ابنه الحكم أقل شأنا من أبنائه الآخرين الذين أمهاتهم من الحرائر ، فهو يشيد به ، ويدافع عنه ، مُتَمثلاً ما يدعو الإسلام إليه من المساواة بين الناس استناداً إلى تقواهم ، والمفاضلة بينهم اعتماداً على أعمالهم ، إذ يصفه بأنه أفضل الناس . لنشأته المستقيمة ويفترض أنَّ صلاته فى صغره ينبئ بصلاحه فى كبره ، ويصفه بأنه اتَّقى الله فى أفعاله ، ويرجو أن يؤذن حسن أعماله السابقة بحسن أعماله اللاحقة ، ويؤكد عروبته ، إذ يصفه بأنه سيد من سادات قريش ، اكتسب نصاعة النسب من أبيه ، فهو يقول مادحاً له ومنافحاً عنه (١٥٩) :

طالَ لَيْلى فَبِتُّ أُسْقَى المُدَاما إِذْ أتانى البريدُ يَنْعَى هشاما
وأتانى بِحُلَّةٍ وقَضِيب وأتانى بِخاتِمٍ ثُمَّ قاما
فجعلتُ الوَلِىَّ مِنْ بَعْد فَقْدى أَفْضَلَ الناس ناشئاً وغلامَا
ذاكُمْ ابنى وذاكَ قَرْمُ قريش خَيْرُ خَلْفٍ(١٦٠) وخَيْرُهُمْ قدَّامَا

فمبايعة الوليد بالخلافة لا بنيه على صغرهما ، وإيثاره لهما على غيرهما من حفدة عبد الملك ابن مروان ، الذين يَكْبُرونهما سناً ، يَعبِّران على حرصه على انتهاء الخلافة إليهما فى يسر . وصفائها لهما دون شقاء ، لأن سوء معاملة هشام له . وهو ولىُّ عهد ، قد علَّمته وحنَّكته . وذلك وَجهٌ واضحٌ من رأى الوليد فى عقده العهد لِوَلديه .

---

(١٥٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٨ ، وانظر الأغانى ٧ : ١٩ .

(١٦٠) خير خَلْفٍ : أى ممن حسنت أعمالهم السابقة ، أخذه من قوله تعالى: يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم . قال الزجاج : خلفهم : ما وقع من أعمالهم . (انظر لسان العرب ١٠ : ٤٣٠) .

واختياره الحكم وتقديمه له على أخيه عثمان فى ولايه العهد ، وأولهما ابنُ أمَة ، وثانيهما ابنُ حُرَّة ، يشيران إلى تعمق مبادئ الإسلام لنفس الوليد ، وإلى تحرره من عقدة النَّسَبِ بعض التحرر ، لأنه لم يهمل صفة العروبة فى ابنه الحكم ، بل احتفل بها ، وذهب إلى أنها تحققت لابنه من جهة أبيه وأعمامه القرشيين ، ويرمزان إلى اهتمامه بمشاكل الموالى الاجتماعية والسياسية ، وإلى تقديره ، أنه آنَ الأوانُ ، وتهيأت الأسباب لأن يفسح لهم المجال فى المناصب الرفيعة ، فقد أسلموا وتعربوا وطال الزمن بإسلامهم وتعربهم ، وأصبحوا جزءاً من المجتمع العربى الإسلامى . وذلك وَجْهٌ ظَنِّى ترجيحىٌ من وجوه رأى الوليد الذاتى فى عقده العهد لابنه الحكم قبل عثمان ، يستنتج من شعر الوليد الذى أثنى فيه على الحكم .

وأما رأى الوليد الرسمى فى بيعته لولديه بالخلافة فلا يغاير فى دوافعه وأهدافه آراء الخلفاء السابقين . وكتاب العهد الذى وجَّهه الوليد إلى عمال الأمصار ، وسألهم أن يقرأوه على الناس ، ويبايعوهم عليه أهم وثيقة تصَوِّر نظرية الأمويين فى الخلافة بعد تبلورها ونضوجها فى آخر أيامهم ، وتجلو الأسباب التى حملتهم على ابتداع نظام ولاية العهد ، والغايات التى كانوا يبتغونها منه ، وهو ينساب على هذا النحو :

« أما بعد ، فإن الله تباركت أسماؤه ، وجل ثناؤه ، وتعالى ذكره ، اختار الإسلام ديناً لنفسه ، وجعله دين خِيرَته من خلقه ، ثم اصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس . فبعثهم به ، وأمرهم به ، وكان بينهم وبين من مضى من الأمم ، وخلا من القرون قرناً فقرناً ، يدعون إلى التى هى أحسن ، ويهدون إلى صراط مستقيم حتى انتهت كرامة الله فى نُبُوَّته إلى محمد صلوات الله عليه ، على حين دُرُوسٍ من العلم ، وعمى من الناس ، وتَشْتيتٍ من الهوى ، وتَفرُّقٍ من السُّبل ، وطُموسٍ من أعلام الحق ، فأبان الله به الهُدَى ، وكشف به العمى ، واستنقذ به من الضلالة والرَّدى ، وأبهج به الدين ، وجعله رحمةً للعالمين ، وختم به وحْيَه ، وجمع له ما أكرم به الأنبياء قبله ، وقفَّى به على آثارهم ، مُصَدِّقاً لما نزل معهم ، ومُهَيْمناً عليه ، وداعياً إليه ، وآمراً به ، حتى كان من أجابه من أمته ، ودخل فى الدين الذى أكرمهم الله به ، مُصَدِّقين لما سلف من أنبياء الله فيما يكذبهم فيه قومهم . مُنْتَصحين لهم فيما يَنْهونَه ، ذابين لِحُرَمهم عما كانوا منتهكين ، مُعَظمين منها لما كانوا مُصَغِّرين ، فليس من أمة محمد ﷺ أحد كان يسمح لأحد من أنبياء الله فيما بعثه به مُكذِّباً ، ولا عليه فى ذلك طاعناً ، ولا لهُ مؤذياً ، بِتسفيهٍ له ، أو ردٍّ عليه . أو جحد ما أنزل الله عليه ومعه ، فلم يبْقَ كافر إلاَّ استحلِ بِذلك دمه ، وقطع الأسباب التى كانت بينه وبينه ، وإن كانوا آباءهم أو أبناءهم أو عشيرتهم .

ثم استخلف الله خلفاءه على منهاج نبوته ، حين قبض نَبِيَّه ﷺ ، وختم به وحيه لإنفاذ حكمه ، وإقامة سننه وحدوده ، والأخذ بفرائضه وحقوقه . تأييداً بهم للإسلام ، وتشييداً بهم لِعُراه ، وتقوية بهم لِقُوى حبله ، ودفعاً بهم عن حريمه ، وعدلاً بهم بين عباده ، وإصلاحاً بهم لبلاده ، فإنه تبارك وتعالى يقول : « ولولا دفْعُ الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين » ، فتتابع خلفاء الله على ما أورثهم الله عليه من أمر أنبيائه ، واستخلفهم عليه منه ، لا يتعرَّض لحقهم أحد إلاَّ صرعه الله ، ولا يفارق جماعتهم أحدٌ إلا أهلكه الله ، ولا يستخفُّ بولايتهم ، ويتهم قضاء الله فيهم أحد إلا أمكنهم الله منه ، وسلَّطهم عليه . وجعله نكالاً وموعظة لغيره ، وكذلك صنع الله بمن فارق الطاعة التي أمر بلزومها . والأخذ بها . والأثرة لها . والتي قامت السموات والأرض بها . قال الله تبارك وتعالى : (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أَتينا طائعين) ، وقال عز ذكره : (وإذ قال ربُّك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفةً قالوا أَتجْعَلُ فيها من يفسدُ فيها ويسفكُ الدماء ونحن نُسَبِّحُ بحمدك ونُقَدِّسُ لك قال إني أعلم مالا تعلمون) .

فبالخلافة أبقى على من أبقى في الأرض من عباده ، وإليها صَيَّره ، وبطاعة من ولاَّه إياها سعد من ألهمها ونصرها . فإن الله عز وجل علم أن لا قوام لشيء . ولاصلاح له إلا بالطاعة التي يحفظ الله بها حقَّه ، ويُمْضى بها أمره ، ويُنْكِلُ[١٦١] بها عن معاصيه ، ويوقف عن محارمه ، ويذب عن حرماته ، فمن أخذ بحظه منها كان لله وَلِيًّا ولأمره مُطِيعًا ، ولرشده مُصِيباً ، ولعاجل الخير وآجله مخصوصاً ، ومن تركها ورغب عنها ، وحَادَّ الله فيها أضاع نَصِيبَه ، وعصى ربه ، وخسر دنياه وآخرته ، وكان ممن غلبت عليه الشِّقْوة ، واستَحْوذت عليه الأمور الغاوية ، التي تُورِدُ أهلها أفظع المشارع[١٦٢] ، وتقودهم إلى شر المصارع ، فيما يُحِلُّ الله بهم في الدنيا من الذلة والنقمة ، ويُصَيِّرهم عندهم من العذاب والحسرة .

والطاعة رأس هذا الأمر وذروته وسنامُهُ ومِلاكُهُ وزمامُه وعِصْمَتُه وقوامُه ، بعد كلمة الإخلاص التي مَيَّز الله بها بين العباد . وبالطاعة نال المفلحون من الله منازلهم ، واستوجبوا عليه ثوابهم ، وفي المعصية مما يحلُّ بغيرهم من نقماته ، ويصيبهم عليه ، ويحقُّ من سخطه وعذابه ، وبترك الطاعة والإضاعة لها ، والخروج منها ، والإدبار عنها ، والتَّبَذُّل للمعصية بها ، أهلك الله من ضلَّ وعتا ، وعمى وغلا ، وفارق مناهج البر والتقوى .

---

(١٦١) أنكله عن حاجته : دفعه عنها .

(١٦٢) المشارع : جمع مشرعة ، وهي مورد الشاربة .

فالزموا طاعة الله فيما عراكم ونالكم ، وألمَّ بكم من الأمور ، وناصحوها واستوثقوا عليها ، وسارعوا إليها وخالصوها ، وابْتَغُوا القُرْبَةَ إلى الله بها ، فإنكم قد رأيتم مواقع الله لأهلها فى إعلائه إيا هم ، وإفلاجه[١٦٣] حجتهم ، ودفعه باطل من حَادَّهم ونَاوَأَهُم وسَامَاهم ، وأراد إطفاء نور الله الذى معهم . وخُبِّرْتُم مع ذلك ما يصير إليه أهل المعصية من التوبيخ لهم ، والتقصير بهم ، حتى يؤول أمرهم إلى تبار وصغار ، وذلة وبوار ، وفى ذلك لمن كان له رأىٌ وموعظة عبرةٌ ينتفعُ بواضحها ، ويتمسَّكُ بِحُظُوتِها ، ويعرف خيرة قضاء الله لأهلها .

ثم إن الله – وله الحمد والمن والفضل – هدى الأمة لأفضل الأمور عاقبةً لها فى حَقْنِ دمائها ، والتِئام أُلْفتها ، واجتماع كلمتها ، واعتدال عمودها ، وإصلاح دَهْمَائها ، وذخَر النعمة عليها فى دنياها ، بعد خلافته التى جعلها لهم نظاماً ، ولأمرهم قواماً ، وهو العهد الذى أَلْهَم الله خلفاءه توكيده والنظر للمسلمين فى جسيم أمرهم فيه ، ليكون لهم عندما يحدث بخلفائهم ثِقةً فى المَفْزَع ، وملتجأً فى الأمر ، ولَمَّاً للشَّعَثِ ، وصلاحاً لذات البين ، وتثْبِيتاً لأرجاء الإسلام ، وقَطْعاً لِنَزَغات[١٦٤] الشيطان ، فيما يَتَطَلَّعُ إليه أولياؤه . ويُوثِّبُهم عليه من تلفِ هذا الدين وانصداع شعب أهله ، واختلافهم فيما جمعهم الله عليه منه ، فلا يُريهم الله فى ذلك إلاَّ ما ساءهم ، وأكذب أمانِيَّهم ، ويَجِدُون الله قد أحكم بما قضى لأوليائه من ذلك عُقَد أمورهم ، ونَفَى عنهم من أراد فيها إدْغالاً[١٦٥] أوبها إغلالاً[١٦٦] ، أولِمَا شَدَّد الله منها تَوْهِيناً ، أوفيما تولَّى الله منها اعتماداً ، فأكمل الله بها لخلفائه وَحِزْبه البرَّ الذين أَوْدَعَهُمْ طاعته أحسنَ الذى عَوَّدهم ، وسبَّبَ لهم من إعزازه وإكرامه وإعلائه وتمكينه ، فأمر هذا العهد من تمام الإسلام ، وكمال ما استوجب الله على أهله من الْمِنَنِ العظام ، ومما جعل فيه لمن أجراه على يديه ، وقضى به على لسانه ، ووَفَّقه لمن وَّلاه هذا الأمر عنده أفضل الذُّخْر ، وعند المسلمين أحسن الأثر فيما يؤثر فيهم من منفعته ، ويتسع لهم من نعمته ، ويَستندون إليه مِن عِزّه ، ويدخلون فيه من وَزْرِه[١٦٧] الذى يجعل لهم به مَنَعة ، ويُحْرِزُهم[١٦٨] به من كل مهلكة ، ويجمعهم به من كل فرقة ، ويقمع به أهل النفاق ، ويعصمهم به من كل اختلاف وشقاق فاحمدوا الله ربكم الرؤوف بكم ، الصانع لكم فى أموركم على الذى دَلكم عليه من هذا

---

(١٦٣) أفلج الله حجته : نصرها وأظهرها .

(١٦٤) النزغات : جمع نازغة ، وهى الوسوسة ، من نزغ الشيطان بينهم : إذا أفسد وأغرى .

(١٦٥) الإدغال : من أدغل فى الأمر : إذا أدخل ما يفسده ويخالفه .

(١٦٦) الإغلال : الخيانة .

(١٦٧) الوَزْرُ : الملجأ .

(١٦٨) أحرز الشيء : حفظه وصانه .

العهد ، الذى جعله لكم سكناً ومُعَوَّلاً تطمئنون إليه ، وتستظلون فى أفنانه ، ويَسْتَنْهِجُ(١٦٩) لكم به من مَثْنى أعناقكم ، وسمات وجوهكم ، وملتقى نواصيكم فى أمر دينكم ودنياكم ، فإن لذلك خطراً عظيماً من النعمة ، وإن فيه مَن الله بلاءً حسناً فى سعة العافية ، يعرفه ذوو الألباب والنِيَّات المُرَيِّثون(١٧٠) من أعمالهم فى العواقب والعارفون منار مناهج الرشد ، فأنتم حقيقون بشكر الله فيما حفظ به دينكم وأمر جماعتكم من ذلك ، جديرون بمعرفة كُنْهِ واجب حقه فيه ، وحمده على الذى عزم لكم منه ، فلتكنْ منزلة ذلك منكم ، وفضيلته فى أنفسكم على قدر حسن بلاء الله عندكم فيه ، إن شاء الله ، ولا قوة إلّا بالله .

ثم إن أمير المؤمنين لم يكن منذ استخلفه الله بشىء من الأمور أَشَدَّ اهتماماً وعناية منه بهذا العهد ، لِعِلْمِهِ بِمنزلته من أمر المسلمين ، وما أراهم الله فيه من الأمور التى يغتبطون بها ، ويكرمهم بما يقضى لهم ، ويختار له ولهم فيه جهده ، ويستقضى له ولهم فيه إِلَهَهُ وَوَلِيَّهُ ، الذى بيده الحكم ، وعنده الغيب ، وهو على كل شىْء قدير ، ويسأله أن يُعِينَه من ذلك على الذى هو أرشد له خاصة وللمسلمين عامة .

فرأى أمير المؤمنين أن يعهد لكم عهداً بعد عهد ، تكونون فيه على مثل الذى كان عليه من قبلكم ، فى مُهْلَة من انفساح الأمل ، وطمأنينة النفس ، وصلاح ذات البين ، وعِلْمِ موضع الأمر الذى جعله الله لأهله عصمة ونجاة وصلاحاً وحياةً ، ولكل منافق وفاسق يحب تلف هذا الدين وفساد أهله وَقْماً(١٧١) وخسارةً وقَدْعاً(١٧٢) . فَوَلّى أمير المؤمنين ذلك الحكم ابن أمير المؤمنين ، وعثمان ابن أمير المؤمنين من بعده ، وهما ممن يرجو أمير المؤمنين أن يكون الله خَلَقَه لذلك وصاغه ، وأكمل فيه أحسن مناقب من كان يوليه إياه ، فى وفاء الرأى ، وصحة الدين ، وجزالة المروءة ، والمعرفة بصالح الأمور ، ولم يألكم أمير المؤمنين ولانفسه فى ذلك اجتهاداً وخيراً .

فبايعوا للحكم ابن أمير المؤمنين باسم الله وبركته ، ولأخيه من بعده على السمع والطاعة ، واحتسبوا من ذلك أحسن ما كان الله يُريكم ويُبْلِيكُم(١٧٣) ويُعَوِّدُكم ويُعرفكم فى أشباهه فيما مضى ، من اليسر الواسع ، والخير العام ، والفضل العظيم الذى أصبحتم فى رجائه وخفضه وأمنه ونعمته ،

---

(١٦٩) استنهج الطريق : وضح واستبان .

(١٧٠) المريثون : من رَيَّثَ فى الأمر : إذا نظر فيه وتعقبه ، ولم يعجل بالجواب .

(١٧١) الوقم : الإذلال .

(١٧٢) القدع : الكَفُّ والمنع .

(١٧٣) يبليكم : يبين لكم ويعرفكم .

وسلامته وعصمته . فهو الأمر الذى استبطأتموه واستسرعتم إليه ، وحمدتم الله على إمضائه إياه ، وقضائه لكم ، وأحدثتم فيه شكراً ، ورأيتموه لكم حظاً ، تستبقونه وتجهدون أنفسكم فى أداء حق الله عليكم ، فإنه قد سبق لكم فى ذلك من نعم الله وكرامته ، وحسن قَسْمِهِ ما أنتم حقيقون أن تكون رغبتكم فيه ، وحدبكم عليه ، على قدر الذى أبلاكم الله ، وصنع لكم منه .

وأمير المؤمنين مع ذلك إن حدث بواحد من وَلِيِّى عهده حَدَثٌ أولى بأن يجعل مكانه وبالمنزل الذى كان به من أحب أن يجعل من أمته أو ولده . ويقدمه بين يدى الباقى منهما إن شاء الله ، أو أن يؤخره بعده . فأعلموا ذلك وافهموه .

نسأل الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم أن يبارك لأمير المؤمنين ولكم فى الذى قضى به على لسانه من ذلك وقدَّر منه ، وأن يجعل عاقبته عافيةً وسروراً وغبطة ، فإن ذلك بيده ولا يملكه إلا هو ، ولا يُرْغَب فيه إلا إليه . والسلام عليكم ورحمة الله(١٧٤) » .

فهو يتأثر فى الكتاب كله بمذهب الجبر ، وما أحاط به الأمويون خلافتهم من قداسة ، وما أضفوه عليها من صبغة دينية ، وما ادعوه من أنهم يمثلون إرادة الله ومشيئته(١٧٥) . فالله اصطفى محمداً ليكون آخر الرسل ، وخاتم الأنبياء ، واختار الخلفاء الراشدين بعده ، صيانةً للإسلام ، ونصرةً له ، وحمايةً لأهله ، فلم يخرج عليهم خارجٌ ، ولم يَثِبْ بهم واثبٌ إلا أرْداهُ الله ، لأن الخلافة قاعدة من قواعد الإسلام ، ومن أطاع الخلفاء ، أطاع الله ، واستأهلَ ثوابَه ، ومن عصاهم ، عصا الله واستحقَّ عقابه .

ثم تقلد الأمويون الخلافة بأمر الله ، وكانوا حريصين على الإسلام ، مشتغلين بما ينفع المسلمين . فهداهم الله إلى ولاية العهد ، تمكيناً للإسلام ، وتأميناً للمسلمين . وكانت ولاية العهد فى نظر الأمويين جزءاً من الإسلام ، بل من تمام الإسلام ، وكمال ما استوجب الله على أهله من المنن العظام ، فرضى الله عَمَّنَ فكَّر فيها وابْتَدعها من الخلفاء الأمويين !

وقد اهتم الوليد منذ تولى الخلافة بولاية عهد المسلمين ، واستخار الله فيها ، فوفقه إلى المبايعة بها لولديه واحداً بعد الآخر ، حتى يعرف المسلمون موضع الأمر ، ومستقر الخلافة . فتطمئن نفوسهم إلى مستقبلهم ، ولا تتفرق كلمتهم ولا تتشتت صفوفهم بعد وفاة الوليد .

وواضح أن الوليد تمسك بنظام ولاية العهد ، وأكّده ، وَنَوَّهَ بأهميته للمسلمين ، وأشاد بمعاوية ابن أبي سفيان الذى اخترعه للخلفاء الأمويين ، وشرعه لهم ، وحذَّر من المماراة فى أهميته ، واعتبر

(١٧٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٩-٢٢٤ .

(١٧٥) السيادة العربية ص : ٧١ .

الاتفاق عليها ، والاعتقاد بها ، ركناً من أركان الإسلام ، وأساساً من أسس الإخلاص فى الإيمان ، ومظهراً من مظاهر الصلاح فى العمل .

وأعاد الوليد فى كتاب البيعة الرسمى بعض وجوه رأيه الذاتى فى تفضيله ابنه الحكم على أخيه عثمان ، لأنه كان فيما يبدو مصمماً على إنفاذ قراره بالمبايعة لأول مرة لِوَلِىٍّ عَهْدٍ أُمُّه أَمة ، تطبيقاً لما كان يتوخى من إصلاح سياسى ، يؤدى إلى التَّوازن بين العناصر والقوى فى المجتمع الأموى العربى الإسلامى ، ولأنه كان يعرف خطورة قراره ، وما يثير عليه من نقمة العرب . فقد ذهب الوليد إلى أنه خص الحكم وعثمان بولاية العهد . لأنه كان يظن أنهما أَهْلٌ لما خَصَّهما به ، بل ممن خلقه الله لذلك ، وصاغه له ، وأكمل فيه أحسن مناقب من كان يُوَليه إياه ، فى وفاء الرأى وصحة الدين ، وجزالة المروءة ، والمعرفة بصالح الأمور . وهو ينتصر بذلك لابنه الحكم أكثر من انتصاره لابنه عثمان ، فإنه يركز على الصفات الإسلامية تركيزاً شديداً ليمنع أهل بيته من بنى أمية ، وغيرهم من سادة العرب بدمشق من الاستمرار فى مهاجمته . لتقديمه ابنَ الأَمَة على ابن الحُرَّة فى ولاية العهد .

٦ – خلافته وسياسته فى الشعر الأموى

فرح عَدَدٌ من الشعراء بقيام الوليد بالخلافة ، فوفدوا إليه مُهنئين مباركين ، وَنَوَّهوا بشخصيته وصفاته العربية والإسلامية وأثنوا على إصلاحاته الاجتماعية ، وتغييراته الإدارية ، وقراراته السياسية . وأقام بعضهم عنده زمناً طويلاً ، ولزمه غيرهم ، ولم يفارقه إّلا قليلاً .

وقد أهمل الرواة والعلماء المتعصبون على الوليد وبنى أمية كثيراً من الشعر الذى مُدِح به الوليد ، فحذفوا منه قصائد بِرُمَّتها . وحملوا من قصائد أخرى أبياتاً معدودات ، وأسقطوا سائرها . ومن الشعراء الشاميين الذين ذكر القدماء أنهم أطافوا بالوليد ، وأفاضوا فى تمجيده ، وضاعت كل مدائحهم فيه الحسن بن عبيد الكلابى (١٧٦) وكان من أصدقاء الوليد . ومنهم إياس بن الوليد الفزارى (١٧٧) وكان من أصحاب الوليد ، ومن أشدهم وفاءً له فى حياته وبعد مماته .

ومن شعراء المدينة الذين اتصلوا بالوليد . وأشادوا به ، وفُقِدَت مدائحهم له إسماعيل بن يسار النسائى (١٧٨)

---

(١٧٦) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٣٠٨ .

(١٧٧) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ١٨٥ .

(١٧٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٢٩ ، والأغانى ٤ : ٤٢٤ .

ومن شعراء اليمامة الذين انقطعوا إلى الوليد ، وضاعت قصائدهم فى مديحه النابغة الشيبانى . ويقول أبو الفرج : إنه كان حَفِياً بيزيد بن عبد الملك ، فجفاه هشام ، فلم يزل طول أيامه طريداً ، حتى وَلى الوليد بن يزيد ، فوفد إليه ، ومدحه مدائح كثيرة ، فأجزل صلته(١٧٩) » ومع ذلك فإن أبا الفرج لم يَرْوِ شيئاً من القصائد الكثيرة التى مدح بها النابغةُ الوليد ، كما أن ديوان النابغة لا يتضمن شيئاً من الشعر فى مديح الوليد !

ومن شعراء الكوفة الذين نص أبو الفرج وغيره من القدماء على أنهم لاذوا بالوليد ، ونادَمه أغلبهم ، ومَدَحُوه كلُّهم ، ولم تصل قصائدهم فى مديحه مطيع بن إياس(١٨٠) وحماد عجرد(١٨١) وشراعة بن الزندبود(١٨٢) والحسين بن مطير الأسدى(١٨٣) .

وضاعت أيضا قصائد بعض الشعراء المُقِلّين غير المعروفين فى مديحه ، منهم شاعر اسمه ذو الإصبع ، ذكر الآمدى أنه وفد إلى الوليد ومدحه(١٨٤) .

ووصلت قصائد مُطَوَّلة كاملةً غيرَ منقوصة ، لشعراء من أمصار شتى فى مديح الوليد ، أو فى تبصيره بأعدائه ، أو الثناء على سياسته الحكيمة . ومن شعراء الشام الذين أحاطوا بالوليد ، وأخلصوا له ، وكانوا أنصاره شُقْرَان مولى بنى سلامان من قضاعة(١٨٥) وهو « شاعر من شعراء بنى أمية كان مداحاً للوليد بن يزيد(١٨٦) » ولم يبق من شعره الذى مدح به الوليد شىء ، ولكن ابن عساكر احتفظ له بقصيدة يحرض فيها الوليد بن يزيد على ابن عمه يزيد بن الوليد ، ويحثه على الفتك به ، والبطش بكل من انضم إليه ، فهو أَلَدُّ خصوم الوليد ، وأَصَحُّهم عزماً على خلعه وقتله ، سعى سرًّا لتأليب الناس على الوليد ، ولم يزل يستعديهم عليه حتى ظهر أمره وعرف ، فلا فائدة من التغاضى عنه ، والتهوين من شأنه ، ولا خير فى أخذه باللين . وأستتابته بالكلمة الطيبة ، والموعظة الحسنة ، يقول(١٨٧) :

---

(١٧٩) الأغانى ٧ : ١٠٩ .
(١٨٠) الأغانى ١٣ : ٢٧٦ . والديارات ص : ٢٥٢ .
(١٨١) الأغانى ١٤ : ٣٣٥ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٤٢٤ .
(١٨٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٢٩٧ .
(١٨٣) الأغانى ٦ : ٧١ ، ١٦ : ١٧ .
(١٨٤) المؤتلف والمختلف ص : ١٧١ .
(١٨٥) لسان العرب ٦ : ٩٩ ، وانظر الأغانى ٢ : ٣٠٦ .
(١٨٦) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٣٢٥ .
(١٨٧) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٣٢٥ .

إنَّ الـذى رَبَّصَـهـا أمْـرَهُ سِرًّا وقد بيَّنَ للسَّامع (١٨٨)
لـكـالتى نـحَّسـهـا أهْـلُـهـا عَذْراءَ بكراً وهى فى التَّاسع (١٨٩)
فـاذكـرْ مـن الأمـر قَرادِيدَهُ بالحزمِ والقوَّةِ أو صَانِع (١٩٠)
حتى تَرىَ الأخْدَعَ مذلولاً يلْتَمِسُ الفَضْلَ إلى الخادِعِ (١٩١)
كُنَّا نُداريها فَقَدْ مُزِّقَتْ واتَّسعِ الخَرْقُ على الرَّاقِعِ
كالثَّوبِ إنْ أنْهجَ فيه البِلَى أعْيَا علَى ذى الحِيلَةِ الصَّانِعِ (١٩٢)

ومنهم أبو معدان . وهو يقول معرباً عن ابتهاج الناس بتصميم الوليد على عقد العهد لابنيه الحكم وعثمان ، فإنهم كانوا يتوقون إعلانه لذلك ، وينتظرونه ويترقبونه ، وإنهم ليرجون صادقين غير منافقين أن يتوارث أبناء الوليد الخلافة واحداً بعد الآخر ، فيكون لابنه سعيد حظ فيها ، على نحو ما كان يزيد ابن عبد الملك يَرْنُو إلى أن تنتقل الخلافة منه إلى ابنه الوليد . وقد استاءوا حين خرجت الخلافة من يزيد إلى أخيه هشام . فلما رجعت إلى الوليد بن يزيد سُرُّوا به . وإنهم مجمعون على استحقاق أولاد يزيد بن عبد الملك وحفدته للخلافة ، فهم أربابها ، وهم ممن استقام حكمهم ، وعَمَّ خيرهم . وهم ينصحون الوليد أن يحرم من الخلافة أقرباءه الأدنين ، حتى يَقْنَط منها الطامعون فيها ، ولا يُغَالِبُوا أبناءه عليها (١٩٣) .

نُؤَمِّلُ عُثْمَانَ بعدَ الوَلِيـ ـدِ أوْ حَكَماً ثمَّ نَرْجُو سعيدَا
كما كانَ إذْ ذاك فى مُلْكِهِ يزيدُ يُرَجِّى لتلك الوَليدَا
ملوكٌ تَوارَثُ فى مُلْكِها وأفعالُها العُرْفُ مَجْداً تَلِيدَا
علىَ أنَّهـا شَسَعَتْ شَسْعَةً فنحنُ نُؤَمِّلُها أنْ تَعُودا (١٩٤)
فإنْ هىَ عادتْ فأقْصىَ القَريبَ عنها لِيُؤْيِسَ منها البعيدَا

وروى البلاذرى (١٩٥) وأبو الفرج (١٩٦) عن المدائنى أن صاحب القصيدة هو الوليد بن يزيد . أما

(١٨٨) التربص : الانتظار والمكث والتلبث . وربص بالشيء ربصاً : انتظر به خيراً أو شراً .

(١٨٩) تَحَسَّس الأخبار وتَنَحَّسها واستَنْحَسها : تَنَدَّسها وتَجَسَّسها وطلبها وتتبّعها بالاستخبار سرًّا وعلانية .

(١٩٠) قراديد الأمر : شدته وصعوبته .

(١٩١) يقول ابن عساكر : « المذلول : الذى ذل وانقاد وخضع . أشار على الوليد أن يقتل الذين شغبوا عليه ، حتى يطلب المخدوع الفضل إلى من خدعه ويرضى بالمخلص .

(١٩٢) أنهج : انتشر.

(١٩٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ١٧٧ .

(١٩٤) شسعت : بعدت .

(١٩٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٧ .

(١٩٦) الأغانى ٧ : ٧١ .

الطبرى فلم يذكر أنها للوليد ، بل قال : إنها لشاعر[١٩٧] ولم يُسَمِّ اسمه . وأما ابن عساكر فنسبها لأبى معدان ، وهو من شعراء الشام . ومضمون القصيدة يُرَجِّحُ أنها ليست للوليد ، فهو يُبَيِّنُ موقف الناس من خلافة يزيد بن عبد الملك ، ويُوضِّحُ رغبتهم فى بقاء الخلافة فى ذُرِّيته .

ومن شعراء المدينة المُقِلين الذين زاروا الوليد ومَدحُوه سعيد بن مرة بن جبير الكندى[١٩٨] ، مَوْلَى آل كثير بن الصلت بن معد يكرب بن وَليعَة الكندى[١٩٩] وفد على الوليد ، فعرض له فى يوم من أيام الربيع ، وقد خرج إلى متنزه له ، فصاح به : يا أمير المؤمنين ، وَافِدُك وزائرُك ومُؤَمِّلك ، فتبادر الحرس إليه لِيَصُدُّوه عنه ، فقال : أُدْنُ إِلىَّ ، فَدَنا ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا رجل من أهل الحجاز شاعر ، قال : تريد ماذا ؟ قال : تسمع منى أربعة أبيات . قال : هات . فأنشده يُنَوِّه بكرمه الذى دَوَّت شهرته فى البلاد ، ويَسْتَمِيحُه :

شِمْنَ المَخايِلَ نَحْوَ أَرْضِكَ بالحَيَا ... ولَقِينَ رُكْبَاناً بِعُرْفِك قُفَّلاَ[٢٠٠]
فَعَمَدْنَ نَحْوَكَ لم يُنَخْنَ لِحاجَةٍ ... إلاَّ وُقُوعَ الطَّيْرِ حتى تَرْحَلاَ
يَعْمِدْنَ نَحْوَ مُوَطَّئٍ حُجُراتُهُ ... كَرَماً ولم تَعْدِلْ بِذَلِك مَعْدِلاَ
لاَحَتْ لها نِيرانُ حَيَّىْ قَسطَلٍ ... فاخْتَرْنَ نَارَكَ فى المنازل مَنْزِلاَ

فقال : أَنْجحَتْ وِفادتك ، وَوَجَبَتْ ضِيَافتك ، أعطوه أربعة آلاف دينار ، فَقَبَضها وَرَحلَ[٢٠١]

وابن هرمة القرشى هو أكبر شعراء المدينة الذين وفدوا على الوليد ، وتَغَنَّوا بفضله وخيره . ويقول ابن عساكر : « إنه قدم دمشق ، وامتدح الوليد بن يزيد ، فأجازه وارتبطه عنده[٢٠٢] » ولم يسلم من شعره الذى أشاد فيه بالوليد إلاَّ بيتان ينفى فيهما عنه ما رُمِى به من التفريط فى شئون الأمة ، والاستخفاف بالدين ، إذ ينعته بأنه « خليفة حق » أَعَزَّ المسلمين وَوَحَّدهم بعد تَخَاذُلٍ وتنابُذٍ ، وناضل عن الإسلام ، ومكن له فى الأرض ، يقول[٢٠٣] :

---

(١٩٧) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٩ .

(١٩٨) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ١١٣ .

(١٩٩) جمهرة أنساب العرب ص : ٤٢٨ .

(٢٠٠) شام السحاب والبرق : نظر إليه أين يقصد ، وأين يمطر . والمخايل : جمع مخيلة ، وهى السحابة .

(٢٠١) الأغانى ٧ : ٢٤ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ١١٣ .

(٢٠٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٢٣٤ .

(٢٠٣) الأغانى ٤ : ٣٩٦ ، وديوانه ص : ٢١١ .

وكانت أمورُ النَّاسِ مُنْبَتَّةَ القُوَى فَشَدَّ الوليدُ حينَ قامَ نِظَامَها
خَلِيفةُ حَقٍّ لا خَلِيفَةُ بَاطِلٍ رَمَى عَنْ قَناةِ الدِّينِ حتَّى أَقَامَها

وقصد الوليد من شعراء الطائف يزيد بن ضَبَّة مَوْلَى ثقيف . وكان مَدَّاحاً ليزيد بن عبد الملك مختصًّا بالوليد فى حياة أبيه[٢٠٤] . فَطَرَدَه هشام وشَرَّدَه ، فأشار عليه الوليد بمغادرة دمشق ، «فلم يزل مقيماً بالطائف إلى أن وَلِيَ الوليد بن يزيد الخلافة ، فوفد إليه ، فلما دخل عليه ، والناس بين يديه جُلوسٌ ووُقُوفٌ على مَرَاتِبهم ، هَنَّأه بالخلافة ، فأدناه الوليد ، وضَمَّه إليه ، وقَبَّل يزيد بن ضَبَّة رِجْلَيْه والأرضَ بين يَدَيْه . فقال الوليد لأَصْحابه : هذا طَرِيدُ الأَحْوَل لِصُحبَتِه إياى ، وانقطاعه إِلَيَّ . فاستأذن يزيد فى الإنشاد ، وقال له : يا أمير المؤمنين ، هذا اليوم الذى نهانى عَمُّك هشام عن الإنشاد فيه ، قد بَلَغْتُه بعد يأس ، والحمد لله على ذلك ، فأذن له[٢٠٥] » ، فقال من قصيدة طويلة يَتَغَنَّى فيها بمكانة الوليد السامية ، وشرفه وسماحته ، وكثرة عطاياه ، وما يهب للناس من قطعان الإبل ، وقناطير الذهب ، ويثنى على تقواه ومساعيه الحميدة ، وسهره على مصالح الناس ، وعَدْلِه بين الرعية[٢٠٦] :

لِتَعْتَامِ الوليدَ القَرْ مَ أهلِ الجُودِ والخيرِ[٢٠٧]
كريمٌ يَهَبُ البُزْلَ مع الخُور الجَراجيرِ[٢٠٨]
وَيُعطى الذَّهَبَ الأَحْمَـ ـرَ وَزْناً بالقَناطيرِ
بَلَوْنَاهُ فأَحْمَدْنا هُ فى عُسْرٍ ومَيْسُورِ
كَرِيمُ العُودِ والعُنْصُـ ـرِ غَمْرٌ غَيْرُ مَنْزُورِ
لهُ السَّبْقُ إلَى الغَايا تِ فى ضَمِّ المَضاميرِ
إمامٌ يُوضِحُ الحَقَّ لـه نُورٌ على نُورِ
مَقَالٌ من أخى وُدٍّ بِحِفْظ الصِّدْقِ مَأْثُورِ
بإحْكامٍ وإخلاصٍ وتَفْهِيمٍ وتَخْبيرِ

فأمر الوليد بأن تُعَدَّ أبيات القصيدة ، ويُعْطَى لكل بَيت ألف درهم ، فَعُدَّت فكانت خمسين

---

(٢٠٤) الأغانى ٧ : ٩٥ .

(٢٠٥) الأغانى ٧ : ٩٧ .

(٢٠٦) الأغانى ٧ : ٩٩ .

(٢٠٧) تعتام : تصطفى وتقصد مختارة . والخير : الكرم والخَيْر والشرف ، والأصل .

(٢٠٨) البزل : جمع بازل وهو البعير أو الناقة التى استكملت السنة الثامنة ، وطعنت فى التاسعة وفَطَرَ نابها . والخور : النوق الغزيرة اللبن . والجراجير : الكرام من الإبل .

بيتاً ، فأُعْطِى خمسين ألفاً : فكان أول خليفة عَدَّ أبيات الشعر وأَعْطَى على عددها لكل بيت ألف درهم .

وطريح بن إسماعيل الثقفى هو أشهر شعراء الطائف الذين انقطعوا إلى الوليد ، ونشطوا فى الدعاية له ، واسترسلوا فى التنويه به ، حتى «استفرغ مديحه كله وعامة شعره فيه»(٢٠٩) . وله يقول طريح مسروراً بعهده ، ومدافعاً عن سياسته ، ومُجلاً لشخصيته ، فإن الناس من ثقيف وغيرها كانوا راضين عن الوليد ، مطيعين له ، فرحين به ، لأنه نَفَّذ ما وعدهم به عندما وَلِىَ الخلافة ، فأَعَزَّ ضعيفهم ، وأنصف مظلومهم ، وأَمَّن خائفهم ، وأَغْنَى فقيرهم ، وطَهَّر نفوسهم ، وأَلَّف بينهم ، وحَمَى ديارهم ، فإذاهم بسياسته أمة واحدة متكاتفة متعاونة متراحمة ، تَلْهَجُ بالدعاء له ، وتُصْفيه أصدق المحبة ، ويتطامن أشرافها أمامه لا رهبةً منه ، بل احتراماً له ، ولأن إصلاحات الوليد المختلفة فاقت إصلاحات السابقين ، فإذا هو عند طريح صاحب منزلة جليلة رَفَعه الله إليها بتكرُّمه وتقواه وحسن عبادته ، ومَثَلٌ أعلَى للخليفة الصالح الكامل ، وإمام الهدى الفاضل(٢١٠) .

دَعْ عَنْكَ سَلْمَى لِغَيْرِ مَقْلِيَةٍ ... وَعُدَّ مَدْحاً بُيُوتُهُ شُرُدُ(٢١١)

لِلأَفْضَلِ الأَفْضَلِ الخليفَةِ عبـ ... ـدِ اللهِ منْ دُونِ شَأْوِهِ صَعَدُ(٢١٢)

فى وَجْهِهِ النُّورُ يُسْتَبَانُ كما ... لاحَ سِراجُ النَّهارِ إذْ يَقِدُ(٢١٣)

يَمْضِى عَلَى خَيْرِ ما يَقُولُ ولا ... يُـخْـلِفُ مِيعَادَهُ إذا يَعِدُ

مِنْ مَعْشَرٍ لا يَشَمُّ مَنْ خَذَلُوا ... عِزًّا ولا يُسْتَذَلُّ مَنْ رَفَدُوا

بِيضٌ عِظَامُ الحُلُومِ حَشْوُهُمُ ... ماضٍ حُسَامٌ وخَيْرُهُمْ عَتَدُ(٢١٤)

أَنْتَ إمامُ الهُدَى الذى أَصْلَحَ اللـ ... ـهُ بِهِ النَّاسَ بَعْدَما فَسَدُوا

لَمَّا أَتَى النَّاسَ أَنَّ مُلْكَهُمُ ... إليكَ قَدْ صَارَ أَمْرُهُ سَجَدُوا

واسْتَبْشَرُوا بالرِّضا تَبَاشُرُهُمْ ... بالخُلْدِ لو قِيلَ إنكمْ خُلُدُ

وَعَجَّ بالحمدِ أَهْلُ أَرْضِكَ حَتْـ ... ـتَى كادَ يَهْتَزُّ فَرْحَةً أُحُدُ(٢١٥)

---

(٢٠٩) الأغانى ٤ : ٣٠٦ ، وانظر سمط اللآلى ص : ٧٠٥ ، ومعجم الأدباء ٤ : ٢٧٦ .

(٢١٠) الأغانى ٤ : ٣٢٣ .

(٢١١) المقلية : الكره . والشرد : السائرة فى البلاد .

(٢١٢) الصعد : المشقة .

(٢١٣) سراج النهار : الشمس . ويقد : يتلألأ .

(٢١٤) الأبيض : نقى العرض من الدنس والعيوب . وعتد : حاضرٌ مُعَدٌّ .

(٢١٥) عج : رفع صوته .

وَاستَقْبَلَ الناسُ عيشَةً أُنُفاً ... إنْ تَبْقَ فيها لهمْ فَقَدْ سَعِدُوا(٢١٦)
رُزِقْتَ مِنْ وُدِّهِمْ وطَاعَتِهِمْ ... ما لم يَجِدْهُ بِوالِدٍ وَلَدُ(٢١٧)
أَثْلَجَهُم مِنْكَ أَنَّهُمْ عَلِمُوا ... أَنَّك فيما وَلِيتَ مُجْتَهِدُ
وأنَّ ما قد صَنَعْتَ مِنْ حَسَنٍ ... مِصْداقُ ما كنت مَرَّةً تَعِدُ
أَلَّفْتَ أَهْوَاءَهُمْ فأصبحتِ الْـ ... أَضْغانُ سِلْماً ومَاتَتِ الحِقَدُ
كُنتُ أَرَى أنَّ ما وَجَدْتُ من الـ ... ـفَرْحَةِ لم يَلْقَ مِثْلَهُ أَحَدُ
حتى رَأَيْتُ العِبادَ كُلَّهُمُ ... قَدْ وَجَدُوا مِنْ هَوَاكَ ما أَجِدُ
قد طَلَبَ الناسُ ما بَلَغْتَ فما ... نَالُوا ولا قَارَبُوا وقدْ جَهَدُوا
يَرْفَعُكَ اللهُ بالتَّكَرُّمِ والتَّـ ... ـقْوى فتَعْلُو وأنت مُقْتَصِدُ
حَسْبُ امرئٍ مِنْ غِنىً تَقَرُّبُهُ ... منكَ وإنْ لم يكنْ لَهُ سَبَدُ(٢١٨)
فأنتَ أَمْنٌ لمن يَخَافُ وللْـ ... ـمَظْلُومِ أَوْدَى نَصِيرُهُ عَضُدُ
كلُّ امرئٍ ذى يد تُعَدُّ عليـ ... ـه مِنكَ معلومةٍ يَدٌ ويَدُ
فهمْ مُلوكٌ ما لمْ يَرَوْكَ فإنْ ... دَاناهُمُ مِنْكَ مَنْزِلٌ خَمَدُوا
تَعْرُوهُمُ رِعْدَةٌ لَدَيْكَ كما ... قَفْقَفَ تحتَ الدُّجُنَّةِ الصَّرِدُ(٢١٩)
لا خَوْفَ ظُلْمٍ ولا قِلَى خُلُقٍ ... إلاَّ جَلالاً كَسَاكَهُ الصَّمَدُ
وأنتَ غَمْرُ النَّدى إذا هَبَطَ الـ ... زُّوَّارُ أرضاً تَحُلُّها حَمِدُوا
فهمْ رِفَاقٌ فَرُفْقَةٌ صَدَرَتْ ... عنكَ بِغُنْمٍ ورُفْقَةٌ تَرِدُ
إنْ حَالَ دَهْرٌ بهم فإنَّكَ لا ... تَنْفَكُّ عن حَالِكَ التى عَهِدُوا
قد صَدَّقَ اللهُ مادِحِيكَ فما ... فى قَوْلِهِمْ فِرْيَةٌ ولا فَنَدُ(٢٢٠)

تلك أطول قصيدة بقيت من قصائد طريح التى انتصر فيها للوليد . وقد مدحه بقصائد عديدة ضاع معظمها ، ولم يصل إلاَّ أقلها . ومما بقى منها قوله من قصيدة قافية يشيد بكرم الوليد الفياض ، وكثرة ما يُقدِّم للناس من معروف بنفس راضية ، طبعت على بذل النوال ، ويثنى على أهل بيته ،

---

(٢١٦) الأنف : الجديدة .

(٢١٧) وَجَد به وَجْدا : أحبّه حباً شديداً .

(٢١٨) السبد : الشعر ، ويكنى به عن المال .

(٢١٩) قفقف : ارتعد من البرد . والدجنة من الغيم : المطبق تطبيق الريان المظلم . والصرد : المقرور .

(٢٢٠) الفرية : الكذب . والفند : الخطأ فى الرأى والقول .

فهم مَجْدُ الحياة وسناؤها ، ونعيمها ورخاؤها ، وهم ممن اجتمعت فيهم خصال العروبة النبيلة : إنْ قاتلوا أَذَلّوا أعداءهم ، وإنْ حالفوا أَعزّوا حلفاءهم ، وإن عاهدوا أَوْفَوْا بعهودهم ، وإنْ قالُوا فعلوا (٢٢١) :

وما «نَعَمْ» منكَ لِلْعَافِينَ مُسْجَلَةً ‎ ‎ من التَّخَلُّقِ لكنْ شِيمَةٌ خُلُقُ (٢٢٢)
ساهَمْتَ فيها وفى لا فاختَصَصْتَ بها ‎ ‎ وطارَ قَوْمٌ «بلا» والذَّمِّ فانْطَلَقُوا
قَوْمٌ هُمُ شَرَفُ الدُّنيا وسُؤْدَدُها ‎ ‎ صَفْوٌ عَلى النَّاسِ لم يُخْلَطْ بِهِم رَنَقُ
إنْ حارَبُوا وَضَعُوا أوسالَمُوا رَفَعُوا ‎ ‎ أوعَاقَدُوا ضَمِنُوا أوحَدَّثُوا صَدَقُوا

وقولهَ يعجَبُ من سماحته ووفرة ما يُعْطى للسائلين والمحتاجين فى الضائقات والأزمات ، حتى إنَّ الغزلان لو انقطع عنها القوت ، وجاعت وهامت على وجوهها فى الصحراء تبحث عما تقيم بها أَوَدَها ، لأسرعت نحوه ، يهديها خيره الغامر الذى طارت شهرته فى الآفاق ، وعُبِّدت إليه المسالك والطرق (٢٢٣) :

لَوْ يُرْسِلُ الأَزْلُ الظِّبا ‎ ‎ ءَ تَرِدُ ليس لَهُنَّ قائِدْ
لَتَيَمَّمَتْكَ تَدُلُّها ‎ ‎ رَيَّاكَ لِلسُّبُلِ المَوَارِدْ
وإذا الرِّياحُ تَنَكَّرتْ ‎ ‎ نُكْباً هَواجِرُها صَوارِدْ (٢٢٤)
فالنَّاسُ سَائِلَةٌ إليـ ‎ ‎ ـكَ فَصادِرٌ تُغْنى وَوَارِدْ (٢٢٥)

وقوله يشيد بحسن تقديره وتدبيره لأمور المسلمين ، ويؤيد مبايعته لولديه بولاية عهده ، فإنهما أهل لها ، وقد رفعهما أبوهما إلى المنزلة التى يستحقانها (٢٢٦) :

لا قَصَّرا عنها ولاَ بَلَغَتْهُما ‎ ‎ حَتَّى يَطُولَ على يَدَيْكَ طِوَالُها (٢٢٧)

ووفد إلى الوليد من شعراء نجد من القيسيين ابن مَيَّادة المُرِىّ . وكان مداحاً للوليد ، أثيراً عنده (٢٢٨) . وعلى كثرة المتذمرين من الوليد ، والذامين له ، فإن ابن ميادة يعلن كلمة الحق فيه ،

---

(٢٢١) الأغانى ٦ : ١٠١ .

(٢٢٢) مسجلة : مبذولة أو مُرْسَلة .

(٢٢٣) الأغانى ١٥ : ٢٥١ .

(٢٢٤) الأزل : الشدة والضيق .

(٢٢٥) النكب : جمع نكباء ، وهى كل ريح من الرياح الأربع انحرفت ووقعت بين ريحين . وهى تهلك المال وتحبس القطر . والصوارد : الباردة .

(٢٢٦) تاريخ الطبرى ٨ : ٣٦٤ .

(٢٢٧) الطوال : الطويل .

(٢٢٨) الأغانى ٢ : ٢٦٩ .

دونَ وَجلٍ أو مُدَاهَنةٍ ، فهو عنده أوسع الخلفاء معروفاً ، وأشدهم بأساً ، وأكثرهم خبرةً ، وأشهرهم ورعاً وَيُمْناً ، يقول[٢٢٩] :

هَمَمْتُ بقولٍ صَادقٍ أنْ أَقُولَهُ ... وإنِّى عَلَى رغمِ العداةِ لَقَائِلُهْ
رأيتُ الوليدَ بنَ اليزيد مُباركاً ... شديداً بأعباءِ الخلافةِ كَاهِلُهْ
أَضَاءَ سِرَاجُ المُلْكِ فوقَ جَبِينهِ ... غَدَاةَ تَنَاجَى بالنَّجاحِ قَوَابِلُهْ

ويقول دَهِشاً من هبات الوليد النفيسة ، وما منحه له من عطايا كبيرة ، سار ذكرها فى البلدان ، ومادحاً له ولولديه بعد أن أخذ لهما البيعة ، فهم عُظَمَاءُ نَدَرَ أن تجود الدنيا بمثلهم ، وملوكٌ مُتَوَّجُون مشهورون بالرحمة والرأفة والحلم فى السلم ، وبالشدة والحمية والعزم فى الحرب[٢٣٠] :

لمَّا أَتَيْتُكَ مِنْ نَجْدٍ وسَاكِنِهِ ... نَفَحْتَ لِى نَفْحَةً طَارَتْ بها العَرَبُ
وأنتَ وأبنَاكَ لم يُوجدْ لكمْ مَثَلٌ ... ثلاثةٌ كلُّهُمْ بالتَّاجِ مُعْتَصِبُ
الطَّيِّبونَ إذا طَابَتْ نُفُوسُهُمُ ... شُوسُ الحَوَاجِبِ والإبصارِ إنْ غَضِبُوا

ولم يزل ابن ميادة مقيماً عند الوليد بأُبايِر[٢٣١] حتى حَنَّ إلى وطنه ، فعاتبه الوليد ، وقال له : كأنك ضجرت من قربنا ، فقال : ما مثلك يا أمير المؤمنين يُضْجَرُ من قُرْبه ، فأذن له الوليد فى الرحيل ، وأعطاه مائة ناقة . «قال ابن ميادة : فذكرت وِلْداناً لى بنَجد إذا استَطْعَموا الله عز وجل أطعمهم وأنا ، وإذا استَسْقَوْه سَقَاهم وأنا ، وإذا استَكْسَوْه كساهم وأنا . فقال (الوليد) : يا ابن ميادة ، كم وِلْدَانُك ؟ فقلت : سبعة عشر ، منهم عشرة نفر ، وسبع نسوة ، فذكرت ذلك منهم فأخذ بقلبى ، فقال : يا ابن ميادة ، قد أطعمهم الله وأمير المؤمنين ، وسقاهم الله وأمير المؤمنين ، وكساهم الله وأمير المؤمنين ، أما النساء فأربع حُلَلٍ مختلفات الألوان ، وأما الرجال فثلاث حلل مختلفات الألوان ، وأما السَّقْى فلا أرى مائةِ لِقْحَةٍ إلاَّ سَتُرْوِيهم ، فإن لم تُرْوِهم زِدْتُهم عَيْنَيْن من الحجاز . قلت : يا أمير المؤمنين ، لسنا بأصحاب عيون يأكلنا بها البعوض ، وتأخذنا بها الحُمَّيَات ! قال : فقد أَخْلَفَها الله عليك ؛ كل عام لك فيه مثل ما أعطيتك العام ، مائة لِقْحَةٍ وفَحْلُها ، وجارية بكْرٌ ، وفرسٌ عَتِيق[٢٣٢] » .

---

(٢٢٩) تاريخ الخلفاء ص : ٢٥٢ ، وشرح شواهد المغنى ١ : ١٦٤ ، وخزانة الأدب ١ : ٣٢٨ ، وشرح الشواهد الكبرى ، بهامش خزانة الأدب ١ : ٢١٩ ، وانظر لسان العرب ٤ : ١٨٣ .

(٢٣٠) الأغانى : ٢ : ٣٠٦ ، ومعجم الأدباء ٤ : ٢١٣ .

(٢٣١) منهل بأرض الشام فى جهة الشمال من أرض حوران ، كان الوليد يخرج إليه فى أيام الربيع للنزهة .

(٢٣٢) الأغانى ٢ : ٣١٠ .

وقدم إلى الوليد من شعراء اليمامة من موالى الأمويين مروان بن أبي حفصة [٢٣٣] . ولم يصل من قصيدته الدالية التى مدح بها الوليد حين دخل عليه هو وطريح بن إسماعيل الثقفى ، والحسين بن مطير الأسدى فى جماعة من الشعراء[٢٣٤] إلاَّ بيتان يُفَخِّم فيهما شمائل الوليد العربية المجيدة من النخوة والشرف والمنعة ، وما شاع فى زمنه من الدعة والخير ، يقول[٢٣٥] :

إنَّ بِالشَّام بِالمُوَقَّر عِزًّا ومـلوكـاً مُبـاركين شُهُودَا
سادةً من بنى يزيدَ كِرَاماً سَبَقُوا الناسَ مَكْرُماتٍ وجُودا

وأَمَّ الوليد من شعراء البصرة من المضريين أبو نخيلة التميمى . ومدحه بأرجوزة لم يبق منها غير ثلاثة أبيات ، أشاد فيها بنسب الوليد الأموى الثقفى ، وهنأه بالخلافة ، يقول[٢٣٦] :

بَيْنَ أبى العَاصِى وبيَن الحَجَّاجْ يالَهُما نُورا سِراجٍ وَهَّاجْ
عليهِ بعدَ عَمِّهِ عُقِدَ التَّاجْ

وأَمَّهَ منهم رؤبة بن العجاج التميمى ، وفى الوليد يقول مُمَجِّدًا مكانته ، فهو من أسرة عريقة تعاقب أبناؤها على الحكم سيداً بعد سيد ، وزكاه للخلافة شرف أجداده الجاهلى الخالد ، وشرف آبائِهِ الإسلامى المتصاعد . وهو على خلق كريم ، لا يبارى فى أريحيته ، إذ يغدق على سائليه أكبر العطايا فى أوقات العسر والشدة ، ومُنَوِّهاً بعامله على العراق يوسف بن عمر الثقفى لعنايته بأمور ولايته ، وبسياسته لرعيته سياسة عادلة صارمة ، فهو يَرْفقُ بالطائعين المسالمين ، وَيَمْحَقَ المخالفين المُكَابرين[٢٣٧] :

خـليـفـةٌ آبـاؤُهُ خَلائِـفُ لهُ إذا عُدَّ القَديمُ الآنِفُ[٢٣٨]
مجدُ القديم والجزيلُ الرَّادِفُ وسـالـفٌ مُـرْتَـفِـعٌ وسَـالِـفُ
ومِنْ بَنِى مروان عِزٌّ شَارِفُ رَاسٍ إذا ما اهْتَزَّتِ الرَّواجِفُ
ومَنْحُ كَفَّيْكَ رَبِيعٌ وَاكِفُ جُودٌ إذا ما أَخْلَفَ المُخَالِفُ[٢٣٩]
غَيْثٌ إذا ما اغْبَرَّتِ العَواصِفُ يُفْرِغُ فى بَحْرِكَ بَحْرٌ قَاصِفُ

(٢٣٣) الشعر والشعراء ص : ٧٦٣ ، وطبقات ابن المعتز ص : ٤٢ ، والأغانى ١٠ : ٧١ .
(٢٣٤) الأغانى ٦ : ٧١ ، ١٦ : ١٧ .
(٢٣٥) شعره ص : ٣٣ .
(٢٣٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ ، والأغانى ٧ : ١ .
(٢٣٧) مجموع أشعار العرب ص : ١٠٣ .
(٢٣٨) الأثف : القديم الراسخ .
(٢٣٩) الواكف : المتتابع .

مَدٌّ ومِنْ بحرِكَ يُسْقَى الغَارِفُ ريًّا وبعض المُسْتَقَى مَرَاشِفُ[٢٤٠]
يا ابنَ اليَزيد بْن اليزيد الطَّارِفُ من الرَّدَى والكاملُ الخُنَادِفُ[٢٤١]
وبالعراقَيْنِ لمن يُخالِفُ ذُو مِرَّةٍ أَنْيَابُهُ صَوارِفُ[٢٤٢]
يوسُف والعائِفُ ضَيْماً عائفُ بالمُحْسِنينَ مُحْسِنٌ مُلاَطِفُ
وهو لمن شَاتَسَ سُمٌّ ذَائِفُ وقاصِدٌ إنْ قَصَدوا مُنَاصِفُ[٢٤٣]

وتظهر الأشعار التى قيلت فى مديح الوليد بن يزيد والانتصار لخلافته وسياسته ، وتفخيم شخصيته ثلاثة أمور : الأول أن أغلب الشعراء الذين تحلقوا عليه ، وتسابقوا فى مساندته هم من القرشيين ومواليهم ، ومن الثقفيين ومواليهم ، ومن القبائل القيسية الأخرى ، ومن تميم . أما أقلهم فمن اليمنية . ومصدر ذلك أن الوليد كان يميل إلى القيسية ، لأنهم أخواله ، فكان أكثر عماله وموظفى قصره منهم ، فاتسع نفوذ قيس فى عهده ، وقويت سلطة ثقيف خاصة ، فكان منها معظم وُلاَتِهِ على الأمصار ، وكان منها أكبر موظفى الدواوين الهامة فى دمشق[٢٤٤] . وكان لسادتها تأثير فى رسم سياسته وتوجيهها ، إذ كان طريح بن إسماعيل الثقفى ملازماً له بدمشق ، مستبداً به ، وفى ذلك يقول المدائنى : «كان الوليد بن يزيد يُكْرِمُ طريحاً ، وكانت له منزلة قريبة ومكانة ، وكان يُدْنى مجلسه ، وجعله أَوَّلَ داخلٍ وآخر خارج ، ولم يكن يصدر إلا عن رأيه[٢٤٥] » . ولذلك أسهب طريح أكثر من غيره من الشعراء فى مديح الوليد ، واستنفد شعره فى الثناء عليه ، واجتهد فى الذَّبِّ عنه ، وجَدَّ فى تأييد سياسته والترويج لها ، والكشف عن محاسنها ومزاياها .

وأما الأمر الثانى فهو بَساطةُ شخصية الوليد ويسرها وصفاؤها ونُبْلها ، وتَأَصُّل الخير فى نفسه ، وسماحته وأريحيته ، وتَهَلُّله للوافدين عليه ، والسائلين له ، وبَذْلِه لهم أَسْنَى الجوائز والصلات ، وعنايته برعيته ، وصدقه فى مواساة الفقراء والبؤساء .

وأما الأمر الثالث فهو تَدَيُّنُ الوليد واستقامته واعتداله ، واهتمامه بالإسلام . وسعيه إلى المحافظة عليه ، ويبدو أن اتهام هشام له بالكفر والمجون هو الذى بعث الشعراء على الدفاع عنه ، وحَرَّكهم

---

(٢٤٠) مراشف : قليل لا يروى .

(٢٤١) الخنادف : من الخندفة وهى الهرولة والإسراع فى المشى .

(٢٤٢) صوارف : حادة قاطعة .

(٢٤٣) ذائف : ناقع قاتل .

(٢٤٤) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٢ – ٥٥٥ .

(٢٤٥) الأغانى ٤ : ٣١٢ .

لِنَقْض ما رُمِيَ به ، فأسبغوا عليه صفات الورع والتقوى والصلاح ، وركّزوا عليها فى مديحهم له ، وأكدوها ليزيلوا ما علق به من الشُّبُهات ويَمْحُوهَا مَحْواً .

والأشعار التى قيلت فى مديح الوليد بالغة الأهمية والدلالة ، لأنها شواهد حيَّة معاصرة لخلافة الوليد ، ولأنها ترسم له صورة مخالفة للصورة التى رسمها له أكثر الإخباريين والمؤرخين المتحيزين . فالأشعار التى مُدِحَ بها تَقْطَعُ بسلامة شخصيته وبراءتها من الانحراف والانحلال ، وتُوَضِّح اهتمامه بشئون الأمة والدولة . ويُوثِّقُ دلالات تلك الأشعار ، وما تبرزه من حقائق ما بقى من أخبارٍ قليلةٍ صحيحة رواها المدائنى(٢٤٦) تشير إلى استقامة شخصية الوليد وسياسته . وإلى المنافع التى أحرزها الناس فى خلافته .

(٢٤٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٧ .

الفصل السادس

قتله ونتائجه

١ - بنو أمية وَقتْله

كثر الأمراء الأمويون فى الفترة الأخيرة من دولتهم ، وكان أغلبهم من ذرية عبد الملك ، وعبد العزيز ، ومحمد بن مروان بن الحكم ، وأقلهم من حفدة يزيد بن معاوية بن أبى سفيان .

ويستفاد من أخبارهم أنهم كانوا طائفتين ، فمعظم الأمراء الصغار من أولاد الوليد ، وهشام ، والحجاج بن عبد الملك بن مروان ، ومن أبناء عمر بن عبد العزيز كانوا عصبة واحدة على الوليد ، جمع بينهم التَّذَمُّر منه ، والمنافسة له ، والطمع فى عزله . وزاد من بَرَمِهم به أنه أهان الذين تَحزَّبوا عليه منهم فى أثناء ولايته للعهد ، وأيدوا هشاماً فى خلعه .

وكان يزيد بن الوليد بن عبد الملك أدْهَى خصوم الوليد ، وأشدهم طعناً فيه ، وأكثرهم تحريضاً عليه[١] ، وأقواهم عزماً على الإطاحة به . وآزَرَ يزيدَ إخوتُه بسر[٢] ، ومسرور[٣] ، وعمر[٤] ، وروح[٥] ، وإبراهيم[٦] .

وكان سعيد بن هشام بن عبد الملك يكره الوليد[٧] ، وكان سليمان[٨] ويزيد[٩] ابنا هشام ابن عبد الملك يمقتان الوليد ، ويذمانه ، ويحضان على قتله ، فحبسهما الوليد بعد أن استخلف . وسخط على الوليد أبان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك[١٠] ، وكان يبغض الوليد ، وينازعه فى

---

(١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٧ ، ٣٣٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٢ ، والأغانى ٧ : ٧٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٠ .

(٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٩ ، والأغانى ٧ : ٧٥ .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٤ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٣ .

(٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٣ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٤٩٦ ، ٧ : ٢٣٢ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٠ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٨ .

(٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٢٩ ، ٢٨٠ ، ٣٢٦ .

(٦) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٤ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٩٩ .

(٧) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ١٧٨

(٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٨ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٢٨٦ .

(٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٩ .

(١٠) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ١٣٣ .

الخلافة . وكان عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك يُعَادى الوليد ، ويَعِيبه ، ويفاخره ويغالبه على الخلافة [١١].

وكان عاصم وعبد الله ابنا عمر بن عبد العزيز يُنَاوِئان الوليد ، ويستخفان به [١٢] ، ويدل ما رواه ابن عساكر من شعر عاصم على أنه كان يَلُومُ المتقاعسين القاعدين عن مناهضة الوليد ، ويستفزهم للوثوب به ، ويذكى حماستهم بتذكيره لهم بما يصبه الوليد عليهم من ألوان العذاب ، إذ يقول [١٣] :

يَسُومُكُمُ الوليدُ الخَسْفَ يَعْدُو ... عليكمْ ما لكمْ منه إباءُ [١٤]
فإنْ كُنْتُمْ كما قُلتُمْ رجالاً ... فِى عَمَلِ الرِّجالِ يُرَى الغَنَاء
وإلاَّ فَاصْمتُوا عَن ذى وقُومُوا ... لِتَخْلُفَ فى مكانكمُ النِّساءُ

ونفم على الوليد أخوه سليمان بن يزيد بن عبد الملك ، فكان يُشَنِّع عليه ، ويَحُضُّ على الثورة به [١٥] .

وأما الأمراء الأمويون الكبار من أبناء عبد الملك بن مروان وحفدته ، ومن أبناء أخيه محمد ابن مروان بن الحكم ، ومن حفدة يزيد بن معاوية بن أبى سفيان فكانوا أرجح عقلاً من الأمراء الصغار المَوْتُورين المَتَهَوِّرين ، وأكثر اعتدالاً ، وأوسع أفقاً ، وأحسن وَعْياً لما ينفع وما يَضُرُّ ، فسالموا الوليد ، وصانعوه ، وأيدوه ، وحاولوا كبح جماح الأمراء الصغار .

وأشهر الأمراء الأمويين الكبار هو العباس بن الوليد بن عبد الملك . وكانت له منزلة رفيعة فى قومه [١٦] . وكان أخوه يزيد ومن انضموا إليه من اليمنية يعرفون قَدْرَه وأهميته لنجاح الثورة على الوليد ، فحاولوا اجتذابه إليهم ، إذ يقول عمر بن يزيد الحكمى ليزيد بن الوليد وقد انْتَصَحَهُ فى الخروج على الوليد : « إن العباس بن الوليد أخاك سَيِّدُ أهل بيتك ، فإنْ بايَعَك لم يُخَالِفْكَ الناسُ ، وإنْ أَبَى فالناسُ له أَطْوَعُ ، وإنْ أَبَيْتَ مُشَاوَرَتَهُ فَأَظْهِرْ بَيْعَتَه لك » [١٧] . فأفضى يزيد إليه بأمْرِهِ وخُطَّته

(١١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٧ .

(١٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ١٢٦ .

(١٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ١٢٦ .

(١٤) الخسف : الهوان .

(١٥) عيون الأخبار ٢ : ٤٢ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٢٩ ، ٣٣٤ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٥١ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ١٩ ظ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة : ١١٢ و ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥١ ، وخزانة الأدب ١ : ٣٢٩ .

(١٦) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٧٠ .

(١٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٨ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٧ .

وغايته ، فَزَجَره العَبَّاسُ وخَوَّفَه[١٨] فرجع يزيد إلى منزله بالبادية ، ودَبَّ فى الناس ، فبايعوه سراً ، ثم عاود أخاه العباس ومعه قطن مولاهم ، فشاوره وأعلمه أن قوماً يأتونه يريدونه على البيعة ، فَزَبَرَهُ العباس ، وقال : انْ عُدْتَ إلى مثلها لأَشُدَّنَّكَ وِثاقاً ، ولأَحْمِلَنَّك إلى أمير المؤمنين[١٩] .

ولم يزل العباس يعارض أخاه يزيد ويُهَدِّده ، ولا يألو جهداً فى إرشاده ، واستصلاح سائر إخوته ، حتى يَرْأَبَ الصَّدْعَ بينهم وبين الوليد ، ويَمْنَعَهُ من التنكيل بهم إذا نُمِىَ إليه أنهم يَأْتَمِرُون به ، ويُدَبِّرُون للانقضاض عليه ، حرصاً على وحدة بنى أمية ومصلحتهم ، وحماية لسلطانهم ودولتهم ، مما يدل عليه قوله لقطن مولاهم ، وقد استدعاه العباس ليعرف منه نوايا يزيد وأهدافه التى أخذ يُخْفيها عنه بعد أنْ كفَّه وتوعَّده : «ويحك ! أترى يزيدَ جاداً ؟ قال : جعلت فداك ، ما أظن ذلك ، ولكنه دخله مما صنع الوليد بن يزيد ببنى الوليد بن عبد الملك وبنى هشام ، وما يسمع من الناس من ذكر استخفاف الوليد وتهاونه بالأمور ، ما ضاق به ذرعاً . قال : أما والله إنى لأظنه أشأم سخلة من بنى مروان ، ولولا ما أخاف من عجلة الوليد ، مع تحامله علينا لشددته وثاقاً ، وحملته إليه . فازجره عن أمره ، فإنه يسمع منك»[٢٠] ومما يتضح فى قصيدة له تَمَثَّل بعد أن أتاه أخوه بشر ، وكلمه فى خلع الوليد ، وبيعة يزيد ، فنهاه وقال : «يا بنى مروان ، إنى أظن أن الله قد أذن فى هلاككم»[٢١] ، فهو يحذر فيها قومه من الفتنة ، ويسألهم أن يتوادعوا ويتضامنوا ، ويتأسوا بالأمويين الأوائل أهل الصرامة والبأس والتقوى ، الذين صانوا دينهم ودنياهم ، فانقادت الأمة لهم ، ورَسَّخوا أركان دولتهم بعزمهم الشديد ، ونضالهم العنيد ، وخلقهم النبيل ، حتى يحافظوا على عزتهم وكرامتهم ، ولا يطمعوا أعداءهم فى ملكهم ، منذراً لهم بالدمار والانهيار إذا استمروا متدابرين متناحرين ، فإنه لا تَصْلُحُ رَعِيَّة إلا إذا صَلُحَ القَوَّامون عليها ،يقول[٢٢] :

---

(١٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٧ ، وتاريخ دمشق ، مصورة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٢ و ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٩ .

(١٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٧ .

(٢٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص :٣٢٨ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٧ ، والأغانى ٧ : ٧٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٣ .

(٢١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٩ ، والأغانى ٧ : ٧٥ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٤ .

(٢٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٧٠ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣٢٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٩ ، والأغانى ٧ : ٧٥ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٤ .

يا قَوْمَنا لا تَملوا نِعْمةً لكُمُ ... إنَّ الإِلَه لكم فيما مَضى صَنَعُ[٢٣]
فأنتمُ اليومَ أهلُ المُلكُ مذْحِقبٍ ... وأهلُ دُنَيا ودِينٍ ما بِهِ طَمَعُ
فانفُوا عَدُوَّكم عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِكُمْ ... واستَجْمِعُوا إنَّ أَمْرَ الدِّينِ مُجتَمِعُ[٢٤]
قُومُوا عليهِ كما قامَ الأُولى نَصَروا ... حتَّى تَوَلَّوْا وما خَافُوا وما جَزِعُوا
إنَّ الكبيرَ عليكمْ في وِلاَيتِكُمْ ... أنْ تُصْبِحُوا وعمودُ الدِّينِ مُنْصَدِعُ
لا تُلْحِمُنَّ ذئابَ الناسِ أنفسكُمْ ... إنَّ الذئاب إذا ما أُلْحِمَتْ رَتَعُوا[٢٥]
لا تَبقُرُنَّ بأيديكمْ بُطونكُمُ ... فَثَمَّ لا حسرةٌ تُغْنِى ولا جَزَعُ
إنِّى أُعِيذُكُم باللهِ مِنْ فِتَنٍ ... مثل الجبالِ تَسَامَى ثمَّ تَنْدَفِعُ
لستُمْ كمن كانَ قبل اليوم يسْعرها ... بالمَشْرَفِيَّةِ بِيضاً حين تُنْتَزَعُ
والسَّمْهَرِيَّة مَطْرورٍ أَسِنَّتُها ... وحَوْمةُ الْمَوْتِ تَغْلِى وِرْدُها شَرَعُ[٢٦]
إنَّ البَرِيةَ قدْ مَلَّتْ وِلاَيَتكُمْ ... فاستَمْسِكُوا بِعَمُودِ الدِّينِ وارْتَدِعُوا
فَلَنْ تَزالوا رءوسَ الناسِ ما صَلَحُوا ... وما شكَرْتُمْ وأضحَى العَهدُ يُتَّبَعُ

وظل العباس يَفِى للوليد حتى النهاية ، فإنه عندما علم أن أخاه يزيد أعلن الثورة ، وبدأ الكفاح المسلح للقضاء على الوليد ، انحرف عن أخيه ، ومال إلى الوليد ، وخَفَّ لنصرته[٢٧] .

وكانُ مُبَشِّر[٢٨] بن الوليد بن عبد الملك ، عالمُ بنى مروان ، يرى رَأْىَ أخيه العباس ، ويرفض الوثوب بالوليد ، يستنتج ذلك من مقطوعة لمبشر يأخذ فيها على بنى أمية خيانتهم للوليد ، واغتيالهم له ، إذ يقول[٢٩] :

عَجَبٌ لا يَنْقَضى عَجَبٌ قَتْلُ الوليدِ
أَسْلَمَتْهُ عبدُ شَمْسٍ والبَقايا مِنْ ثَمودِ

(٢٣) الصنع : الحاذق الماهر ، ولعله يريد أن الله أكرمهم فى الماضى .

(٢٤) نحت : نشر أو قطع . والأثلة من كل شىء : أصله . ويقال : فلان ينحت أثلتنا : إذا قال فى حسبه قبيحاً .

(٢٥) ألحم : أطعم اللحم . رتع : نَعِمَ وَلَهَا .

(٢٦) السمهرية : جمع سمهرى ، وهو الرمح الصليب العود ، ينسب إلى رجل اسمه سمهر كان يبيع الرماح بالخط . المطرورة : المُحَدَّدَة المستونة . شرع : مفتوحة مبذولة .

(٢٧) أنساب الأشراف ، مطورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٢ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٤ .

(٢٨) سماه ابن عساكر بشراً . (أنظر تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٢٥٤) . والصحيح أنه مبشر . (أنظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٠٥ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٤٩٦ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٨٩)

(٢٩) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٢٥٤ .

قالَ يومَ الدَّارِ لمَّا مَسَّهُ حَدُّ الحَدِيدِ
اتَّقُوا اللهَ وكُفُّوا عَنْ عُقودى وعُهودى

ومروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، وسعيد بن عبد الملك بن مروان من الأمراء الكبار الذين كانوا ينكرون الوثوب بالوليد ، ويسعون إلى رَدْعِ الأمراء الصغار المتذمرين المتسرعين ، ورتق الفتق بينهم وبين الوليد ، حفاظاً على الخلافة الأموية ، وخوفاً من زوالها . وكان مروان أكبر مؤيدى الوليد ، ولكنه كان بعيداً بأرمينية ، أما سعيد فكان عاب الوليد ، ووافق هشاماً على خلعه(٣٠) ، ثم كف عن مناوأة الوليد ، واعتذر إليه ، فولاه فلسطين(٣١) . ويظهر أن مروان وسعيداً لم يعرفا أن يزيد ابن الوليد يدعو لنفسه ، ويتربص بالوليد إلاَّ فى وقت متأخر . وبلغَ مروانَ ذلك قبل سعيد ، فاستفظعه ، وكتب إلى سعيد يحثه على تدارك الفتنة قبل وقوعها ، إذ يقول فى كتابه له : «إن الله جعل لكل أهل بيتٍ أركاناً يعتمدون عليها . وَيتَّقُون بها المخاوف ، وأنت بحمد ربك ركن من أركان أهل بيتك ، وقد بلغنى أنَّ قوماً من سفهاء أهل بيتك قد استُنُّوا – إنْ تمتْ لهم رَوِيَّتُهم فيه على ما أجمعوا عليه من نقضِ بَيْعَتِهم – استفتحوا باباً لن يُغْلقه الله عنهم حتى تسفك دماء كثيرة منهم ، وأنا مُشْتَغِلٌ بأعظم ثغور الإسلام فَرْجاً(٣٢) ، ولو جمعتنى وإياهم لَرَمَمْتُ فسادَ أمرهم بيدى ولسانى ، ولخفت الله فى ترك ذلك ، لِعِلْمى ما فى عواقب الفرقة من فساد الدين والدنيا ، وأنه لن يَنْتَقِلَ سُلْطانُ قومٍ قَطُّ(٣٣) إلا بتشتيت كلمتهم ، وإن كلمتهم إذا تَشَتَّتَتْ طمع فيهم عدوهم . وأنت أقرب إليهم منى ، فاحْتَلْ لِعِلْمِ ذلك ، وإظهار المُتابعةِ لهم ، فإذا صرت إلى علم ذلك ، فَتَهَدَّدْهُمْ بإظهار أسرارهم ، وخُذْهُمْ بلسانك ، وخَوِّفْهُم العواقب ، لعل الله أن يرد إليهم ما عَزَب عنهم من دينهم وعقولهم ، فإن فيما سعوا فيه تغييرَ(٣٤) النعم ، وذهاب الدولة . فَعَاجِلِ الأمر ، وحَبْلُ الألفة مشدود ، والناس سُكُون ، والثغور محفوظة ، فإن للجماعة دَوْلةً من الفرقة ، ولِلسَّعةِ دافعاً من الفقر . . . وقد امْتَدَّت بنا أهلَ البيت مُتَتَابعات من النعم قد يَعِيبُها جميع الأمم ، وأعداء النعم ، وأهل الحسد لأهلها ، وبحسد إبليس خرج آدم من الجنة . وقد أمّل القوم فى الفتنة أملاً ، لعل أنفسهم تهلك دون

(٣٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٥ .

(٣١) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٦ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ١٥٦ .

(٣٢) الفرج : الثغر المخوف .

(٣٣) كان يجب أن يستعمل أبداً ، لأنها ظرف يستغرق المستقبل من الزمان . أما قط فهى ظرف يستغرق ما مضى من الزمان .

(٣٤) فى تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٨ «تَغَيُّر» ، والصواب تغيير ، كما جاء فى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٣٢٨ .

ما أمّلوا ، ولكل أهل بيت مشائيم يُغَيِّرُ الله النعمة بهم ، فأعاذك الله من ذلك ، فاجعلني من أمرهم على علم »[٣٥] .

فأعظم سعيد ذلك ، وبعث بكتابه إلى العباس بن الوليد ، فَدَعَا يزيد ، فَعَذَلَهُ وتَهَدَّده ، فَحذَّره يزيد وقال : يا أخي ، أخاف أن يكون بعضُ من حَسَدنا هذه النعمةَ مِنْ عَدُوِّنا أرادَ أنْ يُغْرِيَ بيننا ، وحَلَفَ له أنه لم يَفْعَلْ ، فَصَدَّقَه[٣٦] !

وكان يَتَشَيَّع للوليد من الأمراء الأمويين الكبار محمد بن عبد الملك بن مروان[٣٧] ، ويزيد بن سليمان بن عبد الملك[٣٨] .

ووالى الوليد أكثر الأمراء السفيانيين ، لما كان يربط بينهم وبينه من أواصر القربى ووشائج الصِّهْر فَقدمهم الوليد وَبرهم واعتمد عليهم ، فكان زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية المعروف بأبي محمد السفياني[٣٩] من خاصة الوليد ، وكان معه بالأزرق من بادية الأردن عندما خرج عليه يزيد ابن الوليد ، فأرسله الوليد لتطويق المتمردين عليه بدمشق ، فأسروه على مشارفها ، وأجبروه على المبايعة ليزيد بن الوليد[٤٠] . وكان أخوه حرب بن عبد الله بن يزيد بن معاوية من أنصار الوليد ، بل من أشدهم حماسةً له ، ومحاماةً عنه ، وقد غضب لسفك دمه ، فسار في جند أهل حمص ، للأخذ بثأره فقتل بنواحي دمشق[٤١] ، وساند الوليد ابنا عمهما يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية[٤٢] ، والوليد بن خالد بن يزيد بن معاوية[٤٣] ، ومعاوية بن أبي سفيان بن يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية[٤٤] .

وواضح أن يزيد بن الوليد بن عبد الملك كان أقوى أعداء الوليد بن يزيد من الأمراء الأمويين

---

(٣٥) تاريخ الطبري ٧ : ٢٣٨ .

(٣٦) تاريخ الطبري ٧ : ٢٣٩ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثاني ص : ٣٢٩ .

(٣٧) تاريخ الطبري ٧ : ٢٦٦ . وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ١٠٣ .

(٣٨) تاريخ الطبري ٧ : ٢٦٦ .

(٣٩) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٤٠٣ .

(٤٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثاني ص : ٣٣١ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٢٤٣ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٢ و .

(٤١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ١٠٥ .

(٤٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثاني ص : ٣٣١ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٢٤٣ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٢ و ، والكامل في التاريخ ٥ : ٢٨٦ .

(٤٣) تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٩ .

(٤٤) تاريخ الطبري ٧ : ٢٥٠ .

الصغار ، الذين لم تُحَنِّكْهم التجارب ، ولم يكونوا يستشرفون عواقب التَّباغُض والتَّطاحُن والتصارع على الملك ، ولا كانوا يَكْتَرِثُون بتدهور الخلافة الأموية وسقوطها ، فزَيَّن يزيد لأنداده من الأمراء الصغار الثورة على الوليد ، واستهواهم بآرائه الإصلاحية ، وماكان يظهر من النُّسك والورع والتواضع ، فاندفعوا إليه ، وآمنوا بآرائه ، وأيدوا خطته ومطامحه ، فعملوا للإدالة من الوليد ، إرضاء لغرورهم وكبريائهم ، أو بحثاً عن الوَجَاهة والنباهة ، أو انتقاماً من الوليد ، لأنه أهملهم وأبعدهم واستهان بهم .

أما الأمراء الأمويون الكبار الذين كانوا يفضلون منفعة بنى أمية على منافعهم الخاصة ، سواء كانت صلاتهم بالوليد حسنةً أو متوسطةً ، أو متذبذبةً ، فاحتالوا ما استطاعوا لِتبصير الأمراء الصغارِ بِخَطَرِ الإقدام على خلع الوليد ، وتَفَادى الانشقاق والصدام بين بنى أمية ، غير أنهم لم ينجحوا فى إزالة أسباب الفرقة ، واستئصال جذور الفتنة ، لعوامل مختلفة ، منها ما يعود إلى بُعْدِ بعضهم عن مسرح الأحداث ، كمروان بن محمد ، ومنها ما يرجع إلى تَستُّر العباس بن الوليد بن عبد الملك على أخيه يزيد ، ومنها ما يُرَدُّ إلى خُبْثِ يزيد ودَهائه ، ومُراوغته ومُخادعته لأخيه العباس ، كلما نَهَرَهُ ورَدَعه ، ومُضِيِّه فى العمل والتخطيط واستقطاب الأنصار سرًّا .

٢- اليَمنيَّةُ وقَتْلُه

بدأت صلة القبائل اليمنية الشامية ببنى أمية فى ولاية معاوية بن أبى سفيان على الشام ، وتطورت بعد أن تزوج معاوية مَيْسُون بنت بَحْدَل الكلبية ، ووضعت له ابنه يزيد سنة اثنتين وعشرين (٤٥) وتوطدت خلال النزاع بين عَلِيٍّ ومعاوية على الخلافة ، فقد استعان معاوية بالقبائل اليمنية ، واستثار عصبيتها ، واستغل استعلاء التيار القبلى الإقليمى ، فجعل النزاع بينه وبين على نزاعاً بين أهل الشام وأهل العراق وآمالهم ومطامحهم فى السيادة والحكم (٤٦).

ولما تَمَّ الغَلَبُ لمعاوية ، وصَفَتْ له الخلافة ازدادت صلته بالقبائل اليمنية الشامية ، وتفرعت وتشعبت ، إذ جمع بينه وبينها الصِّهْرُ والمصلحةُ الواحدة ، فتَقَوَّى بها وتَقَوَّت به ، وَوَفَى لها وَوَفَتْ له ، فاستعملها فى أكثر الدواوين ، وبعض الولايات (٤٧) ، إذ اختار منها المسئولين عن ديوان الرسائل

(٤٥) تاريخ الطبرى ٤ : ١٦٠ .

(٤٦) مقدمة فى تاريخ صدر الإسلام ص : ٦١ .

(٤٧) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٣١ .

والحرس والشرط والخاتم(٤٨)، وألَّفَ منها كتائب جيشه الفدائية التى نصبت نفسها للذود عنه وعن بنى أمية ، والانقضاض على الجماعات المعارضة لهم ، لأنها كانت تستشعر أن سقوط حكم بنى أمية بدمشق يؤذن بتَقلُّص نفوذها وسيطرتها وفوائدها ومنافعها .

وعظم سلطان القبائل اليمنية فى خلافة يزيد بن معاوية ، فكان منها معظم جيشه وقادته الذين بعث بهم إلى المدينة(٤٩) ، فحاربوا القرشيين ومن ناصروهم من الأوس والخزرج(٥٠) فى موقعة الحرة سنة ثلاث وستين ، وحاصروا مكة ، وأحرقوا الكعبة .

وعندما اضطرب أمر بنى أمية بعد موت يزيد بن معاوية ، وبدا أن حكمهم أشرف على الانهيار ، دعمت القبائل اليمنية فى فلسطين والأردن ودمشق مروان بن الحكم ، وبايعته بالخلافة ، فى مؤتمر الجابية سنة أربع وستين(٥١) ، وأيدته على القبائل القيسية ، ونصرته عليها فى معركة مرج راهط(٥٢) .

وسوَّى عبد الملك بن مروان بين نفوذ القبائل ، فانتخب أغلب عماله على الأمصار من بنى أمية ومن قيس(٥٣) ، وخَصَّ القبائل اليمنية الشامية بأهم المناصب فى قصره ، فكان من السكاسك وقضاعة وحمير وخزاعة موظفو الدواوين بدمشق ، كديوان الشرط والخراج والجند والخاتم وبيوت الأموال والخزائن والحرس(٥٤) ، وكان منها صلب الجيش الأموى ، المتأهب لحراسة الخلافة الأموية ، وقمع المتمردين عليها ، ونهضت فرق عديدة منه بمحاربة الخوارج فى العراق(٥٥) . ولم يَحْرِمْ القبائل اليمنية العراقية من الوظائف ، فقد وَلَّى المهلب بن أبى صفرة الأزدى خراسان ، فلم يزل عليها حتى وافته المنية سنة اثنتين وثمانين ، فخلفه عليها ابنه يزيد(٥٦) .

وأرسَل الحجاجُ بنُ يوسف عَبد الرحمن بن الأشعث الكندى الكوفى إلى سجستان لمناجزة زَنْبيل كابل وزابل بعد أن هزم عُبَيد الله بن أبى بكرة الثقفى ، فأبلى ابن الأشعث بلاءً حسناً فى قتال الزنبيل(٥٧) . ولكن الحجاج كان يمقت ابن الأشعث وينافسه ، إذ يقال : «كان الحجاج وليس

(٤٨) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٢٧٦ .

(٤٩) تاريخ الطبرى ٥ : ٤٩٦ ، وانظر ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص : ٩٥ .

(٥٠) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٢٩٣ - ٣١٣ .

(٥١) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٣٢٦ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٢٥٦ ، وتاريخ الطبرى ٥ : ٥٣٥ .

(٥٢) تاريخ الطبرى ٥ : ٥٣٨ .

(٥٣) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٣٨٣ - ٣٨٨ .

(٥٤) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٣٩٤ - ٣٩٥ .

(٥٥) تاريخ الطبرى ٦ : ٢٧٩ ، ٣٠٩ .

(٥٦) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٣٨٦ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٣٢٠ ، ٣٥٤ .

(٥٧) تاريخ الطبرى ٦ : ٣٢٨ .

بالعراق رجلٌ أبغضُ إليه من عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وكان يقول : ما رأيته قط إلاَّ أَرَدْتُ قَتْلَهُ »(٥٨) ، فوهَّن ابنَ الأشعث ، وعَجَّزه ، واتهمه بالركون إلى الهدنة والمسالمة ، وأَمَرَه بتعجيلِ الوُغُول فِي أرض العدو(٥٩) ، فغضب ابنُ الأشعث ، وَعصَى الحجاجَ وخلعه(٦٠) ، ثم خلع جند ابن الأشعث عبد الملك بن مروان ، وبايعوا له بالخلافة(٦١) ، وقفلوا إلى العراق ، فهاجموا البصرة والكوفة . فكانت ثورة ابن الأشعث أول ثورة عراقية على سلطان الحجاج وبنى أمية . وهى ثورة كان لأهل اليمن نصيبٌ كبيرٌ فيها ، وشَقِيَ الحجاجُ وعبدُ الملك بها ، ولم يَقْضِيَا عليها إلاّ بعد أن أرسل عبد الملك إلى الحجاج نجدات كثيرة من جند أهل الشام من اليمنية(٦٢) ، كما أنذرت بنى أمية من خطر القبائل اليمنية فى العراق والمشرق ، وفتحت باب التَّوَجُّس والريبة بينهم وبينها .

ولم يستطع الحجاج القدح فى المهلب بن أبى صفرة فى أثناء ولايته على خراسان ، إذكان هو الذى استعمله عليها ، كما أن المهلب رفض مخالفة ابن الأشعث ، ودعاه إلى الطاعة(٦٣) ، وكتب إلى الحجاج يحذره منه ، وإن كان الحجاج شك فى إخلاص المهلب له ، ورماه بأنه نصح لابن عمه عبد الرحمن بن الأشعث(٦٤) ، ولم يكن الحجاج راضيا بخضوع خراسان للمهالبة بعد موت المهلب ، فكان يراجع عبد الملك بن مروان فى أمر يزيد بن المهلب ، ويسأله الموافقة على عزله ، فكان عبد الملك يرفض طلبه ، تقديراً لصدق المهالبة فى محاربة الخوارج ، وصدهم عن البصرة والكوفة ، وملاحقتهم بفارس(٦٥) ، ولم يزل الحجاج بعد ثورة ابن الأشعث يَخْشَى يزيد ابن المهلب(٦٦)، ويشى به وبآل المهلب ، حيناً يدمغهم عند عبد الملك بالزبيرية ، وحيناً يخوفه غدرهم ، حتى قَبِلَ عبد الملك رأيه ، فسمح له بإعفاء يزيد بن المهلب من ولاية خراسان(٦٧) ، فصرفه عنها وولّى عليها قتيبة ابن مسلم الباهلى .

---

(٥٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٩ ، ٢٠ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٣٢٧ .
(٥٩) تاريخ الطبرى ٦ : ٣٢٥ .
(٦٠) تاريخ الطبرى ٦ : ٣٣٦ .
(٦١) تاريخ الطبرى ٦ : ٣٤١ .
(٦٢) تاريخ الطبرى ٦ : ٣٣٩ ، ٣٤٩ .
(٦٣) تاريخ الطبرى ٦ : ٣٣٨ .
(٦٤) تاريخ الطبرى ٦ : ٣٣٩ .
(٦٥) تاريخ الطبرى ٦ : ٣٠٣ .
(٦٦) تاريخ الطبرى ٦ : ٣٩٧ .
(٦٧) تاريخ الطبرى ٦ : ٣٩٥ .

وأبقى الوليد بن عبد الملك للقبائل اليمنية الشامية بعض الوظائف خارج دمشق ، إذ عهد لنفر منها بإدارة البصرة ، وأسند إلى غيرهم إدارة البحرين وعُمَان ومكة(٦٨) ، ولكنه أقصاها عن المناصب الكبرى فى قصره ، إذ وكَل أغلبها إلى مواليه ، كما عيَّن خاله كعب بن حامد العبسى على ديوان الشرط ، وأمسك أبناء الوليد وإخوته بمقاليد الأمور فى دمشق وحمص والصائفة وفلسطين والأردن(٦٩) . فضعفت سلطة القبائل اليمنية الشامية ، واستبد الحجاج بالعراق وخراسان وسائر بلدان المشرق ، وانحاز لقيس وحاباها ، وأَقَرَّ الوليد بن عبد الملك سياسة الحجاج ولم يعترض عليها ، لأنه كان للحجاج الفضل فى ترشيحه لولاية العهد ، وحَمْل أبيه على المبايعة بها(٧٠) ، وكاد الحجاج للقبائل اليمنية العراقية ، وتَسَلَّطَ عليها ، وحبس يزيد بن المهلب وإخوته وعَذّبهم ، وأغْرَمَهم ستة آلاف ألف درهم(٧١) . ولم يزالوا فى حبسه حتى سنة تسعين ، ثم فروا منه ، واستجاروا بسليمان ابن عبد الملك فى فلسطين فأجارهم . فأفزع هَرَبُهم الحجاجَ ، لأنه كان يظن قبل أن يعرف مكانهم أنهم يَمَّموا وجوههم شطر خراسان ، ليعلنوا بها الثورة عليه(٧٢) ، ثم أخذ لهم سليمان الأمان من أخيه الوليد .

ولم يكد سليمان بن عبد الملك يَتَوَلَّى الخلافة حتى قضى على نفوذ قيس فى العراق والمشرق ، وردّ السلطة إلى المهالبة والقبائل اليمنية العراقية والشامية ، إذ استعمل يزيد بن المهلب على العراق وخراسان ، وأمره بِتَعقب ذوى الحجاج وموظفيه ، لأن سليمان نقم من الحجاج بن يوسف ، وقتيبة ابن مسلم موافقتهما الوليد بن عبد الملك على خلعه من ولايه العهد ، والمبايعة بها لعبد العزيز بن الوليد(٧٣) . فاضطهد ابن المهلب أقرباء الحجاج وعذبهم(٧٤) ، وغَلَبَت القبائل اليمنية الشامية ومواليها على الدواوين بدمشق ، فكان منها المشرفون على ديوان الرسائل والخراج والجند والخاتم والحرس(٧٥) .

وقام عمر بن عبد العزيز بالخلافة ، فاحتفظ للقبائل اليمنية الشامية بأقل الوظائف فى دمشق(٧٦) ،

---

(٦٨) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٤١٤ .

(٦٩) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٤١٨ .

(٧٠) تاريخ الطبرى ٦ : ٤١٤ .

(٧١) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٤٨ .

(٧٢) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٤٩ .

(٧٣) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٠٧ .

(٧٤) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٦٤ .

(٧٥) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٤٣١ .

(٧٦) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٦٨ .

واستكثر من القيسية ، وكان يستعمل منهم أهل الدين والتقوى والخير(٧٧) ، فعادت لقيس مكانتها السياسية فى أيامه . وعزل يزيد بن المهلب عن العراق وخراسان ، وسَجَنَه حتى يؤدى ستة آلاف ألف درهم من أموال المسلمين احتجزها لنفسه ، وكان كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك بعد أن فتح جرجان وطبرستان(٧٨) . وظل فى السجن حتى علم بمرض عمر ، فأخذ يعمل فى الهرب ، مخافة يزيد ابن عبد الملك ، لأنه كان قد عَذَّب أصهاره من آل أبي عقيل الثقفيين(٧٩) ، ولم يلبث أن هرب .

ومات عمر ، وبويع يزيد بن عبد الملك بالخلافة ، وبلغه هرب يزيد بن المهلب ، فكتب إلى عَامليْه على الكوفة والبصرة فى طلبه ، وأمر عامله على البصرة بِأَخْذِ من كانوا بها من المهالبة(٨٠) ثم استولى ابن المهلب على البصرة ، وعَزَلَ يزيد بن عبد الملك ، ونَصَّبَ نفسه خليفةً للمسلمين ، فوجَّه إليه يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك ، وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك فى جند أهل الشام ، فأحبط ثورته ، ومحقا من أيدوه ، وطارد قادتها فلول المهالبة بفارس وأبادوها(٨١) .

فازدادت شكوك بنى أمية فى ولاء القبائل اليمنية العراقية والخراسانية ، وعَظُم سخطها عليهم . وكان جديع بن على الكرمانى زعيم الأزد بخراسان يقول خلال خروجه على نصر بن سيار : «كانتِ غايتى فى طاعة بنى مروان أنْ يُقَلَّدَ وَلَدى السيوف ، فأطلب بثأر بنى المهلب ، مع ما لقينا من نصر وجفائه ، وطول حرمانه ، ومكافأته إيانا بما كان من صنيع أسد إليه»(٨٢). واعتمد يزيد بن عبد الملك على القيسية ومالأهم ، وَعيَّن عمر بن هبيرة الفزارى على العراق ، فبعث إلى خراسان غَيْرَ والٍ من قيس(٨٣) وأخلى يزيد الدواوين بدمشق من اليمنية ، وعهد بها إلى مواليه وآخرين من قيس وتميم(٨٤) ، ولكنه استمر يصانع القبائل اليمنية الشامية بعض المصانعة ، لأنها هى التى نصرته على المهالبة ، فأعطاها حكم بعض الولايات النائية كالجزيرة وأرمينية وأفريقية ومصر(٨٥) .

وأفضت الخلافة إلى هشام بن عبد الملك فوازن بين القُوَى القبلية من اليمنية والقيسية ، وظل

---

(٧٧) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٥٤ .

(٧٨) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٥٤ ، ٥٥٨ .

(٧٩) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٦٤ .

(٨٠) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٧٨ .

(٨١) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧٢ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١١ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٥٨٥ ، ٥٩١ .

(٨٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٨٧ .

(٨٣) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٤ .

(٨٤) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٧ .

(٨٥) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٥ .

يعتمد على القرشيين من بنى أمية وغيرهم ، فاستعمل على مكة والمدينة والطائف خَالَيْه إبراهيم ومحمداً ابنى هشام المخزوميين[٨٦] ، وَوَلّى على العراق وخراسان خالد بن عبد الله القسرى البَجَلى ، فسيطر اليمنية من أهل الشام والعراق على الوظائف فى البصرة والكوفة وسجستان والسند[٨٧] . وبسط خاله نفوذه على خراسان ، فعَزل عاملها القيسى ، وأرسل إليها أخاه أسداً ، فَلَبثَ فيها ثلاث سنين ، ثم خلعه هشام عنها ، لأنه أظهر العصبية للأزد واليمنية ، وجار على المضرية حتى أفسد الناس[٨٨] ، وفصلها عن العراق ، وأشرف على إدارتها بنفسه ، لأهميتها وما قد ينتج عن تَأَزُّمِ أوضاعها السياسية وتَرَدِّيها وانفجارها من أخطارُ تهددُ الحكومة المركزية[٨٩] ، وتؤثر فى مستقبل الخلافة الأموية ، وأرسل هشام إلى خراسان عمالاً كثيرين من قيس[٩٠] . حتى إذا ثار بها الحارث بن سُرَيْج التميمى المرجئى ، وتعاقد هو وعاملها عاصم بن عبد الله الهلالى على محاربة هشام إذا لم يعمل بالكتاب والسنة ، ولم يُوَلِّ أهلِ الفَضْلِ والخير[٩١] ، عزل هشام عاصماً الهلالى عنها ، وبعث إليها أسداً القسرى فى جند أهل الشام[٩٢] سنة ست عشرة ومائة ، لِيَضْبِطَ أمورها ، فمكث بها إلى أن توفى بِبلخ سنة عشرين ومائة[٩٣] ، فعهد هشام بها إلى نصر بن سيار ، فلم يزل والياً عليها حتى أطاح به العباسيون ومات فى مهربه منهم[٩٤] .

واختار هشام موظفى الدواوين والمناصب الأساسية فى دمشق من القيسية ، ومن مواليه ، ومن اليمنية ومواليهم . فكان على شرطه كعب بن حامد العبسى ، ثم يزيد بن يَعْلَى العبسى[٩٥] ، وعلى ديوان الرسائل سالم مولاه ، وعلى الحرس نُصَيْر مولاه ، ثم نَحَّاه وولى الربيع بن زياد . وكان على الخاتم الصغير والخاصة إصطخر أبو الزبير مولاه ، وكان حاجبه غالب بن مسعود مولاه ، وكان على الخاتم الربيع بن سابور مولى بنى الحِرِيش من أهل اليمن[٩٦] ، وعلى ديوان الخراج أسامة بن زيد ، ثم

(٨٦) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٣٤ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٩ ، والأغانى ١ : ٤٠٥ .

(٨٧) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٣٥ .

(٨٨) تاريخ الطبرى ٧ : ٤٧ .

(٨٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٤٧ .

(٩٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٣٧ .

(٩١) تاريخ الطبرى ٧ : ٩٧ .

(٩٢) تاريخ الطبرى ٧ : ١٠٥ .

(٩٣) تاريخ الطبرى ٧ : ١٣٩ .

(٩٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٤٠٣ .

(٩٥) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٤ .

(٩٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٦٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ١٤٨ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٣٣٥ .

عَزَله ، وَوَلّى عُبَيْدَة بن الحبحاب مولى بنى سلول ، ثم عزله وَوَلّى سعيد بن عُقْبَة مولى بنى الحارث بن كعب من أهل اليمن ، وكان على الخزائن وبيوت الأموال عبد الله بن عمرو بن الحارث من أهل اليمن (٩٧) .

وعَزَلَ هشامٌ خالداً(٩٨) عن العراق سنة عشرين ومائة ، وبعث إليها يوسف بن عمر الثقفى أحد زعماء القيسية المجاهرين بعداء اليمنية . وتتعدد الروايات فى عزل هشام لخالد ، ويكثر الافتعال فيها ، حتى ليقذف فى بعض الروايات بالزَّندقة ، ومُحاباة النصارى والمجوس ، وظُلْمِ المسلمين(٩٩) . وربما كانت هذه التهَمُ مما وَضَعَه عليه خصومُه من قيسٍ وتميم ، وكانوا متحالفين فى البصرة على الأزد وربيعة ، إذ يَتَرَدَّدُ رَمْيُه بالكفرِ والانحيازِ للنصارى ، والتَّحزُّبِ على المسلمين فى شعر الفرزدق ، شاعر تميم ومضر بالبصرة(١٠٠) ، كما يَتَرَدَّد فى بعض رسائل هشام إلى خالد حين عَزَمَ على خلعه(١٠١) .

ويبدو أن هشاماً أقصى خالداً لأسباب سياسية وأخرى اقتصادية ، فقد عَظُمَ نُفوذُ خالد ، واستبد بخراج العراق ، واستغله لتحقيق مآربه ، وخِدْمَة مصالحه ، فكان يُنْفِقُ منه على سائليه بغير حساب ، إذ يروى اليعقوبى أنه فَرَّق مرة ستةً وثلاثين ألف ألف درهم ، فاستعظمها هشام(١٠٢) .

وجَعَل خالدٌ يَتَنَفَّخُ على هشام ، ويَسْتَخف به(١٠٣) ، ويضطهد المضرية ، ويَعْسِفُ بسادتهم(١٠٤) ، إذ حبس عمر بن هبيرة الفزارى . وعَذَّبه(١٠٥) . وكان ابن هبيرة أحسن إليه فى خلافة يزيد بن عبد الملك ، فقد ضرب خالدٌ حَبَّابَةَ ، وهو عامل على مكة للوليد بن عبد الملك ، ثم صارت ليزيد ، فلما وَلِى يزيد الخلافة خافَهُ خالد ، وخافَ حَبَّابة . وتَبَنَّاها ابن هبيرة ، فسأله خالدٌ أنْ يتَرَضَّاها له ، وأَهْدَى إليها هدايا ، فاستَشْفَعَ له ابنُ هبيرة عندها ، وأَمَّنه من خَوْفها(١٠٦) ويروى

---

(٩٧) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٤ — ٥٤٦ .

(٩٨) ترجمة خالد فى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٦٦ ، والأغانى ٢٢ : ١ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٦٧ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢٢٦ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١٧ .

(٩٩) الأغانى ٢٢ : ١٦ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٧٩ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢٢٨ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ٢١ ظ .

(١٠٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٦٩ ، والكامل ، للمبرد ٣ : ٨٧ .

(١٠١) الأخبار الموفقيات ص : ٢٩١ ، والكامل ، للمبرد ٤ : ١٢١ .

(١٠٢) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٢٢ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٥ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢٢٧ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٢٠ .

(١٠٣) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٢٢ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ١٤٣ ، ١٤٦ ، والأغانى ٢٢ : ٢٢ .

(١٠٤) الأغانى ٢٢ : ١٥ .

(١٠٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٦٨ .

(١٠٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنيه ، المجلد الثانى ص : ٢٦٧ .

البلاذري أن خالداً وأعوانه ظلوا يَمْكُرُونَ بابن هبيرة بعد أن فَرَّ من حبسه بالعراق ، ويُوقعُون به فى أثناء مجاورته لهشام بالرصافة (١٠٧) ، ويروى أن خالداً أرسل إلى ابن هبيرة من سَمَّه ، ليبقى والياً على العراق (١٠٨) .

واستهان خَالدٌ ببعض القرشيين من أقارب هشام ، وَوَبَّخهم وعضهم بلسانه (١٠٩) . فَمَقَتَهُ المضرية ، وطعنوا فى ولائه لهشام ، وكانوا يتهمون اليمنية بمنافسة بنى أمية فى الخلافة ، ويحذرون هشاماً من خيانتهم قبل استعماله لخالد على العراق وبعده ، إذ يقول عمر بن يزيد الأُسيلمى التميمى : «دخلت على هشام ، وخالد بن عبد الله القسرى عنده يذكر طاعة أهل اليمن ووفاءهم ، وذلك قبل ولايته على العراق ، فَصَفَّقْتُ تَصْفِيقةً دَوَّى منها البَهْوُ وقلت : ما رأيتُ كهذا القول خطأً وخَطلاً ! والله ما فتحت فتنة فى الإسلام إلاَّ باليمن ، هم سعوا على عثمان أمير المؤمنين فقتلوه ، وهم خلعوا أمير المؤمنين عبد الملك ، وإنّ سيوفنا لتَقْطُر من دماء آل المهلب» (١١٠) ، ويقول البلاذرى : «كان الكميت ابن زيد الأسدى يحذر هشاماً غدر خالد ، ويذكر ما تَدَّعى اليمنية من مَصِيرِ الأمر إليهم ، فإن ابن الأشعث كان ادّعى ذلك لنفسه ، ثم يزيد بن المهلب بعده ، وإن خالداً أطمع نفسه فى ذلك» (١١١) .

ولمْ يُؤيِّد خالدٌ هشاماً فى نقل ولاية العهد من الوليد بن يزيد إلى مسلمة بن هشام بن عبد الملك (١١٢) ، فأسخط هشاماً وابنه مسلمة ، وأخذ مسلمة يَتَربَّصُ بخالدٍ ، ويُدَبِّر للانتقام منه ، فلم يزل يُغْرى والده بخلعه عن العراق (١١٣) فتَنكَّر هشامٌ لليمنية وأحلافهم من الربعية ، ولمَ يَعُدْ يثق بهم فى آخر خلافته ، وفى ذلك يقول أبو حنيفة الدينورى : «كان هشام بن عبد الملك يُبْغِضُ اليمانية» (١١٤) ، وَيْروى أن هشاماً قال عندما اقترح عليه عبد الكريم بن سليط بن عطية الحنفى حليف اليمنية ، أن يُوَلِّيَ على خراسان جديع بن على الأزدى الكرمانى بعد موت أسد القسرى : «لا حاجة لى

(١٠٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٦٩ .
(١٠٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٧٠ .
(١٠٩) تاريخ الطبرى ٧ : ١٤٣ ، ١٤٥ .
(١١٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٦٦ .
(١١١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٥١ .
(١١٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٨٣ ، ٣١٠ .
(١١٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٥١ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٠ .
(١١٤) الأخبار الطوال ص : ٣٤٠ .

فى اليمانية»(١١٥) ، وقال حين عرض عليه أن يُوَلِّى عليها يحيى بن نعيم البكرى : «لا حاجة لى فيه ، لأن ربيعة لا تُسَدُّ بها الثغور»(١١٦).

وكانت مزاحمة خالد لهشام فى الزراعة السبب الذى عَجَّل بتنحيته عن العراق ، فإن خالداً لما ولى العراق استصلح مساحات واسعة من الأرض ، وحفر أنهاراً منها نهر خالد كان يغلُّ خمسة آلاف ألف درهم ، وبَاجَوَّا ، وبارِمَّا(١١٧) ، والجامع ، والمبارك ، ولَوبة ، وسابور والصِّلْح ، واشتغل بالزراعة ، فبلغت غلته عشرين ألف ألف درهم(١١٨) ، وكان لهشام مزارع بالعراق ، فكان يحسد خالداً ، وكان خالد يسابقه ولا يُصانعه ، وبلغ هشاماً أن خالداً باع غَلَّة مزارعه بثلاثة عشر ألف ألف درهم ، فَحَنِقَ عليه(١١٩).

وضَمِنَ فروخ الرمانى ضياع هشام بالعراق ، فَثَقُلَ مكانُه على خالد ، فقال لحسان النبطى . اخرج إلى أمير المؤمنين ، فزد على فروخ ، فخرج فزاد عليه ألف ألف درهم ، فبعث هشام رجلين من صلحاء أهل الشام فحازا الضياع ، فصار حسان أثقل على خالد من فروخ ، فجعل يُضِرُّ بِهِ ، فيقول له حسان : لا تفسدنى وأنا صنيعتك ، فأبى إلاّ الإضرار به . فلما قدم حسان عليه بَثَقَ البُثُوق(١٢٠) على الضياع ، ثم خرج إلى هشام فقال له : إن خالداً بثق البثوق على ضياعك ، فَوَجَّه هشام رجلاً ، فنظر إليها ثم رجع إلى هشام فأخبره(١٢١) ، فأخذ يفكر فى خلع خالد . ومضى حسان النبطى فى الكيد لخالد عند هشام ، فأغرى خادماً من خدم هشام أنْ يُبكِّى صبيًّا من صبيان هشام ، وأن يقول له : اسكت ، والله لكأنك ابن خالد القسرى الذى غلته ثلاثة عشر ألف ألف درهم ، ففعل ، وسمع هشام كلمته فأغضى عليها ، ثم دخل عليه حسان بعد ذلك فقال له هشام : كم غلة خالد ؟ قال : ثلاثة عشر ألف ألف درهم . قال : فكيف لم تخبرنى بهذا ؟ قال : وهل سألتنى ؟ فوقرت فى نفس هشام ، فأزمع على عزل خالد(١٢٢).

وكان أشياع خالد وموظفوه من اليمنية بالعراق يشيرون عليه بملاطفة هشام ومداراته ، وينصحونه

(١١٥) الأخبار الطوال ص : ٣٤٠ .

(١١٦) الأخبار الطوال ص : ٣٤٠ .

(١١٧) فى تاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٢ : بارمانا ، والتصويب من معجم البلدان ١ : ٤٩٤ .

(١١٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٢٩٦ ، وانظر الأخبار الموفقيات ص : ٢٨٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ١٥١ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢١٩ .

(١١٩) تاريخ الطبرى ٧ : ١٤٣ ، انظر الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٢٠ .

(١٢٠) بثق النهر : شقه لينبعث ماؤه ، واسم ذلك الموضع البثق ، وجمعه البثوق .

(١٢١) تاريخ الطبرى ٧ : ١٤٣ .

(١٢٢) تاريخ الطبرى ٧ : ١٤٣ ، وانظر تاريخ ابن خلدون ، المجلد الثالث ، القسم الأول ص : ٢٠٥ .

أن يعطى هشاماً قسماً من ثروته ، ليرضى عنه ، قبل أن يتفاقم الشر بينهما ، وكانوا يخوفون خالداً غضب هشام وسطوته ، فكان خالد لا يستمع لهم ، ولا يأخذ بمشورتهم ضناً بأمواله ، واعتداداً بنفسه ، إذ يروى الهيثم بن عدى الطائى أن العريان بن الهيثم النَّخَعىَّ كان يقول لخالد : «إن الناس قد رَمَقُوك بأبصارهم وَحَدجُوك ، وهى قريش ، وليس بينك وبينهم إلٌّ ، وهم لا يجدون منك بدا ، وأنت لا تجد منهم بدا ، فأنشدك الله لما كتبت إلى هشام تخبره خبر أموالك ، وتعرض عليه ما أحب منها ، فما أَقْدرَكَ على اتخاذ مثلها ، ولا يَسْتَفْسِدك ، وإن كان حريصاً ، وأعطه طائعاً ، خير من أن تعطيه كارهاً ، وله عندك اليد الجليلة التى تحفظ ولا تنسى ، وإنما نلت ما نلت فى سلطانه ، فإنه إن رفع عليك رافع وسعى بك سَاعٍ لم آمن عليك أن يحوزها . قال : ما أنت بِمتَّهمٍ ، ولا يكون ذلك أبداً . فقال : أطعنى واجعلنى رسولك إليه ، فو الله لا يَحُلُّ عقدةً إلاَّ شَدَدْتُها ، ولا يشد عقدة إلاَّ حَلَلْتها . قال : إنى والله ما أعطى على الذل ، فكان العريان يقول : كأنك بها قد أخذت منك على الذل والصغار»(١٢٣) .

ويروى الهيثم بن عدى «أن بلال بن أبى بردة كتب إلى خالد وهو عامله على البصرة حين بلغه تَعتب هشام على خالد يستأذنه فى القدوم عليه ، فأذن له ، فسار إلى الكوفة فى يوم وليلة على الجمَّازات(١٢٤) ، فقال له خالد : يا أبا عمرو ، لقد أتعبت نفسك ، فقال : إنه قد بلغنى تَعتب أمير المؤمنين عليك ، وما بَغَاك به وَلَدُه وأهلُ بيته ، فإن رأيت أن تعرض عليه بعض أموالنا ليأخذ من ذلك ما أحب ، فافعل ، فإن أنفسنا طيبة بما نعطيه ، فقال : يا بلال ، إنى والله ما أعطى شيئاً قسراً . فقال : أتكلم أيها الأمير؟ قال : نعم ، قال : يقول لك هشام : وَلَّيْتُك ولا شىء لك ، فلم تَرَ على نفسك من الحق أن تعرض على بعض ما صار إليك ، وأخاف أن يزين له حسان النبطى ما لا تستطيع تَلاَفيه ولا تداركه ، فاغتنم هذه الفترة ، قال : انظر فى ذلك ، فانصرف راشداً . فانصرف بلال وهو يقول : كأنكم بهذا الرجل ، وقد بُعِثَ إليه رجل بعيد الرحم ، سخيف الدين ، بغيض النفس ، قليل الحياء ، فَأَخَذَهُ بالإِحَنِ والتِّرات»(١٢٥) .

ومع أن هشاماً كان يأمر خالداً أن يراعى منافع أمير المؤمنين ، ويقدمها على منافعه ، فإن خالداً لم يعبأ به ، ومضى يزاحمه وينافسه ، وينتقده أمام العامة ، إذ كان يخطب فيقول : «تزعمون أنى

---

(١٢٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٦ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ١٥٢ .
(١٢٤) الجمازات ، جمع جماز ، وهو البعير .
(١٢٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٦ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ١٥٣ .

أُغْلى أسعاركم ، فعلى من يُغْليها لعنة الله »(١٢٦) ، يعنى هشاماً . وكتب إليه هشام ألاّ يُباعَنَّ شىء من الغلات حتى تباع غلة ولد أمير المؤمنين »(١٢٧) ، فلم يكترث خالد له ، وباع محاصيله قبل محاصيل ولد أمير المؤمنين ، فكسدت سوقها وبارت ، حتى بيعت الكيلجة(١٢٨) بدرهم(١٢٩) فَقَلَّ صَبْرُ هشامٍ ، وقَرَّرَ عَزْلَ خالد ، وأخفى قراره على كاتبه سالم ، لصداقة كانت بينه وبين خالد ، فكتب إلى يوسف ابن عمر بخطه بولاية العراق ، وإلى خالد بالتسليم(١٣٠) وكان يوسف على اليمن ، فقدم العراق ، ونزل بالكوفة فى دور ثقيف ، وجمع إليه المُضرية(١٣١) . وكان هشام أمره بإقصاء عمال خالد جميعاً ، فأقصاهم عن البصرة والكوفة وسجستان وفارس ، إلاّ الحكم بن عوانه ، فإنه أقره على السند بأمر هشام(١٣٢) وحبس يوسف خالداً بواسط ، وحبس معه أخاه إسماعيل ، وابنه يزيد ، وابن أخته المنذر ، واستمر يوسف يسأل هشاماً فى ضرب خالد ، ويلح عليه ، فأذن له فى البسط عليه مرة واحدة ، وبعث حَرَسِيًّا يشهد ذلك ، وحلف لئن أتى على خالد أجله وهو فى يده لَيَقْتُلَنَّهُ به ، فَعذَّبَهُ يوسف بالحيرة عَلانيةً ، ثم رَدَّه إلى محبسه ، فَلَبِثَ فيه ثمانية عشر شهراً ، ثم كتب هشام إلى يوسف يأمره بتخلية سبيلِ خالدٍ سنة إحدى وعشرين ومائة(١٣٣) .

ورحل خالد حتى أتى الرصافة ، فنزل بالقرب منها ، وأقام أشهراً ، وهشام لا يأذن له فى القدوم عليه ، نكايةً به ، واحتقاراً له ، وجعل يوسف يتربص بخالد بعد أن أطلقه ، ويشى به إلى هشام ، فلما ثار زيد بن على اتَّهم يوسف خالداً بأنه أَمَدَّ بنى هاشم بالأموال ، وشَدَّ من أَزْرِهم فى أثناء ولايته على العراق ، حتى ثاروا بهشام ، فكَذَّبَ هشامُ يوسفَ ، ولم يَأْبَهْ بافترائه على خالد ، وقال : إننا مهما اتهمنا خالداً فإننا لا نتَّهمه فى طاعته(١٣٤) . وبلغ الخبر خالداً فصار إلى دمشق ، وأقام بها حتى حضرت الصائفة ، فخرج فيها ومعه أبناؤه وبعض حَفَدَتِه ، وكان على دمشق كلثوم بن عياض

---

(١٢٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٧ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ١٥٤ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٢٠ .

(١٢٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٧ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ١٥٤ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٢٠ .

(١٢٨) الكيلجة : نوع من المكاييل . انظره فى المكاييل والأوزان الإسلامية ص : ٧١ .

(١٢٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٧ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ١٥٤ .

(١٣٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٥ ، ٢٩٧ .

(١٣١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٥ .

(١٣٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٧ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ١٥١ .

(١٣٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٢٩٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٤ .

(١٣٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٥ .

ابن وَحْوح ابن قيس القشيرى[١٣٥] ، وكان متحاملاً على خالد مُطابقاً ليوسف على أمره . ولم يكد أهل الصائفة يَدْخُلون أرض الروم حتى ظهر فى دمشق حريق ، فاتهّم كلثوم بن عياض خالداً بتدبيره ، وكتب إلى هشام أن موالى خالد يريدون الوثوب على بيت المال ، ونهب الناس ، فأمره هشام بِحَبْس آل خالد صغيرهم وكبيرهم ومواليهم ونسائهم ، فأخذهم عياض وألقاهم فى السجون مع أهل الجرائم . ثم تَبيَّن أن أبا العُرس[١٣٦] وأصحاباً له من العراق هم الذين أشعلوا الحريق ، وأنهم لصوص ، فكتب الوليد بن عبد الرحمن ، عامل الخراج بدمشق إلى هشام يخبره ببراءة من حُبسوا من أهل خالد ، فكتب هشام إلى كلثوم بن عياض القشيرى يَشْتِمُه ويُعنِّفُه ، ويأمُره بتَخلية الذين حبسهم من أهل خالد ومواليه وغيرهم ممن هو منهم بسبب ، فَخَلاَّهم . وعاد خالد من الغزو ، وبلغه فى بعض الطريق حَبْسُ أهله ، ولم يبلغه إطلاقهم ، فغضب وقال : غزوت فى سبيل الله سامعاً مطيعاً ، فأخذ حرمى وحرم أهل بيتى فحبسوا مع أهل الجرائم ، كما يُفْعَلُ بأهل الشرك ! وهدَّد هشاماً – إن لم يكف عنه – بالدعوة للعباسيين والانضمام إليهم ، فاتَّهمه هشام بالخرف[١٣٧] .

ولما أيقن يوسف بن عمر الثقفى أن هشاماً لا يمكن أن يُحكِّمَهُ فى خالد ، أو أن يطلق يده فى ضَرْبِهِ ، لَجَّ فى طلب يزيد بن خالد ، فكتب هشام إلى كلثوم بن عياض يأمره بحمل يزيد إلى يوسف ، فبعث إليه خيلاً فَفَاتها ولم تقدر عليه ، فحبس كلثوم خالداً فى سجن دمشق ، فسار إسماعيل ابن عبد الله القسرى إلى هشام فأخبره بحبس كلثوم لخالد ، فكتب هشام إلى كلثوم يُوَبِّخه ، ويقول : عجزت عمن أمرتك بأخذه ، وحبست من لم آمرك بحبسه ، وأمره بالإفراج عن خالد ، فأفرج عنه[١٣٨] . وأقام خالد بدمشق حتى توفى هشام .

وهكذا انتقم هشام من خالد ، إذ عزله عن العراق ، ووافق على سجنه ، وإن لم يسمح بقتله ، لأنه كان يعلم قدر خالد وخطره ، وأنه سيد اليمنية فى الشام والعراق ، وأن قتله يثير اليمنية ، وهم صلب جيش أهل الشام ، فاكتفى هشام بحبس خالد وضربه ، مع المحافظة على حياته ، وحمايته من دسائس يوسف وأنصاره .

ولكن دهاء هشام واحتراسه وتحوطه فى معاملة خالد مُصانعةً لليمنية لم تخفف من تَذَمُّرهم

---

(١٣٥) فى الأخبار الطوال ص : ٣٤٩ ، وفى تاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٥ ، القسرى ، وهو خطأ ، والصحيح القشيرى (انظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٨ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٢٩٠) .

(١٣٦) فى الأخبار الطوال ص : ٣٤٩ ، وفى تاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٦ : أبو العمرس ، وفى أنساب الأشراف مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٩ : أبو العرس .

(١٣٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٧ .

(١٣٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٩ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٧ .

وتَسَخُّطهم ، فقد أنفوا من خلع هشام لزعيمهم ، وإذنه بإهانته ، وامتعضوا من توليته يوسف بن عمر الثقفى على العراق ، وَوَقَر فى نفوسهم أنهم مظلومون مستعبدون ، وأن خلفاء بنى أمية يسفكون دماء رؤسائهم ، ويستهينون بتضحياتهم السابقة دفاعاً عن الخلافة الأموية ، ويُسلِّطُون القيسية عليهم فى الشام والعراق وخراسان ، مما هاجَ الصِّراعَ بين اليمنية والمضرية من قيس وتميم فى الأقاليم الثلاثة .

وتَتَقَطع أخبار خالد فى عهد الوليد بن يزيد ، ولا يسوقها الإخباريون كالهيثم بن عدى والمدائنى وغيرهما متتابعة متواترة ، بل يروون منها أجزاء متباعدة متناثرة دون ترتيبٍ أو مراعاةٍ للزمان وتطور الأحداث ، وماكان ينشأ عنها من نتائج . ومع ذلك فإنه يمكن الجمع بين أجزائها وتنسيقها تنسيقا ظنيًّا يرسم منها صورة متسلسلة متكاملة تكشف عن حال خالد ، وعلاقته بالوليد ، وأسباب اختلافهما ، وما أدَّتْ إليه من دَفْعِ الوليد خالداً إلى يوسف بن عمر الثقفى ، وقَتْل يوسف له .

فقدكان خالد بدمشق عندما بويع للوليد بالخلافة . ويظهر أنه لم يقصد الوليد بعد أن شهد جنازة هشام وعاد من الرصافة إلى دمشق ، إذ يروى الهيثم بن عدى أن خالداً وفد على الوليد مع أشراف الأجناد ، ولم يستقبل الوليد أحداً منهم ، واشتكى خالد ، واستأذن فى الرحيل ، فأذن الوليد له (١٣٩) ويذكر الأزدى أن خالداً سار إلى الوليد وهو بالقسطل من البلقاء بالأردن ، فأشار عليه الوليد بدخول دمشق والمقام بها (١٤٠) فَقَفَل إليها ، ومكث بها أشهراً من أواخر سنة خمس وعشرين ومائة وأوائل سنة ست وعشرين ومائة ، وقف فيها خالدٌ مواقف لم يَحْمَدْها الوليد له ، بل حَقَدها عليه ، ففيما يرويه المدائنى «أن الوليد بن يزيد دعا خالد بن عبد الله القسرى إلى البيعة لابْنَيْه ، فَأَبَى ، فقال له بعض أهله : دعاك أمير المؤمنين فخالفته ! فقال : ويحكم ! كيف أبايع لمن لا أصلى خَلْفه ، ولا أقبل شهادته ؟ قالوا : فَتَقْبَلُ شهادةَ الوليد مع مجونه وفسقه ! قال : أمر الوليد أمر غاب عنى ، فلا أَتَتبَّعُه . وإنما هى أخبار الناس . فغضب الوليد على خالد وقال : كان الأحول أعرف به» (١٤١) .

فخرج خالد على إرادة الوليد ، وامتنع عن المبايعة لولديه الحكم وعثمان بولاية عهده ، وكان الوليد لا يَحْتَمِلُ أنْ يُعارضَ أحدٌ رَغْبَتَهُ فى هذا الأمر .

واجتمع إلى خالد بدمشق نفر من اليمنية الذين كانوا يسعون إلى الثورة بالوليد ، وسألوه الانتظام فى صفوفهم فرفض ، وفى ذلك يقول المدائنى : «أتى حريث وشبيب بن أبى مالك الغسانى ،

---

(١٣٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٩ ، وانظر الإمامة والسياسة ٢ : ١٣٢ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٨ .

(١٤٠) تاريخ الموصل ص : ٥٢ .

(١٤١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٧ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٢ ، وتاريخ الموصل ص : ٥٢ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨١ .

ومنصور بن جمهور ، ويعقوب بن عبد الرحمن ، وحبال بن عمرو ، ابن عم منصور ، وحميد ابن نصر اللخمى ، والأصبغ بن زوالة ، وطفيل بن حارثة ، والسرى بن زياد بن علاقة ، خالد بن عبد الله ، فدعوه إلى أمرهم ، فلم يجبهم ، فسألوه أن يكتم عليهم ، فقال : لا أُسَمِّى أحداً منكم . وأراد الوليد الحج ، فخاف خالد أن يفتكوا به فى الطريق ، فأتاه فقال : يا أمير المؤمنين ، أَخِّر الحجَّ العام ، فقال : وَلِمَ ؟ فلم يخبره »(١٤٢) .

فَعَظُمَ غضُب الوليد على خالد ، لأنه أخفى عليه أسماء اليمنية الذين أضمروا قتله ، فاستدعاه من دمشق إلى الأزرق جنوبى عمان من الأردن ، وقرر محاسبته ومعاقبته ، وكتب إليه فيما يرويه الهيثم بن عدى : «إن أمير المؤمنين قد علم حال الخمسين الألف ألف التى تعلم ، فأقدم على أمير المؤمنين مع رسوله ، فقد أمره ألاّ يُعْجلك عن جهازك.» . فبعث خالد إلى عدة من ثقاته منهم عمارة بن أبى كلثوم الازدى ، فأقرأهم الكتاب ، وقال : أشيروا علىّ ! فقالوا : إن الوليد ليس بمأمون عليك ، فالرأى أن تدخل دمشق ، فتأخذ بيوت الأموال ، وتدعو إلى من أحببت ، فأكثر الناس قومك ، ولن يختلف عليك رجلان . قال : أو ماذا ؟ قالوا : تأخذ بيوت الأموال ، وتقيم حتى تتوثق لنفسك . قال : أو ماذا ؟ قالوا : أو تتوارى . قال : أما قولكم : تدعو إلى من أحببت ، فإنى أكره أن يكون الفرقة والاختلاف على يدى ، وأما قولكم : تتوثق لنفسك ، فأنتم لا تأمنون على الوليد ، ولا ذنب لى ، فكيف ترجون وفاءه لى ، وقد أخذت بيوت الأموال ! وأما التوارى ، فوالله ما قَنَّعْتُ رأسى خوفاً من أحد قط ، فالآن وقد بلغت من السن ما بلغت ! لا ، ولكن أمضى وأستعين بالله »(١٤٣) .

فاليمنية كانوا عازمين على الوثوب بالوليد ، والإطاحة به ، وكانوا يأملون أن ينضم خالد إليهم ، فتقوى حركتهم ، ويتَصدر جماعتهم ، فيخلع الوليد ، ويدعو لنفسه أو لمن أحب ، ليتم لهم الاستيلاء على الخلافة ، والاستئثار بها . ولكن خالداً رفض الانضمام إليهم ، لأنه كان يكره العصيان .

ويكمل الهيثم بن عدى وصف حال خالد بعد ذلك فيقول : «خرج حتى قدم على الوليد ، فلم يَدْعُ به ، ولم يكلمه . . . . وجاء الحاجب فوقف ، فقال له خالد : إنَّ حَالى ما تَرَى . لا أقدر على المشى ، وأنا أحمل فى كرسى ، فقال الحاجب : لا يَدْخُلُ عليه أحدٌ يُحْمَلُ . . . ثم أذن للناس كلهم ، وأمر بخالد ، فَحُمِلَ على كرسيِّه ، فَدُخِلَ به ، والوليد جالس على سريره . . . . والناس بين

---

(١٤٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٣ ، وانظر الإمامة والسياسة ٢ : ١٣٣ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٧ ، وتاريخ الموصل ص : ٥٢ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨١ ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٥ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد الخامس ، الورقة : ١١١ ظ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٨ ، ٢١ .

(١٤٣) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٨ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٠ .

يديه سماطان ، وعقال بن شبة يخطب ، فَمِيلَ بخالد إلى أحد السماطين . فلما فرغ الخطيب قام الوليد ، وصرف الناس ، وحمل خالد إلى أهله . فلما نزع ثيابه جاءه رسول الوليد فَرَدَّه ، فلما صار إلى باب السرداق وقف فخرج إليه رسول الوليد فقال : يقول لك أمير المؤمنين : أين يزيد بن خالد ؟ فقال : كان أصابه من هشام ظفر ، ثم طلبه ، فهرب منه ، وكنا نراه عند أمير المؤمنين حتى استخلفه الله ، فلما لم يظهر ظنناه ببلاد قومه من السراة ، فرجع إليه الرسول فقال : لا ، ولكنك خَلَّفتَه طلباً للفتنة . فقال : خالد للرسول : قد علم أمير المؤمنين أنا أهل بيت طاعة ، أنا وأبي وجدى – قال خالد : وقد كنت أعلم بسرعة رجعة الرسول ، أن الوليد قريب حيث يسمع كلامى – فرجع الرسول فقال : يقول لك أمير المؤمنين : لَتَأْتِيَنَّ به ، أو لأُزْهِقَنَّ نفسك . فرفع خالد صوته ، وقال : قل له : هذا أردت ، وعليه درت ، والله لو كان تحت قَدَمَيَّ ما رفعتهما لك عنه ، فاصنع ما بَدَا لك ! فأمر الوليد غيلان صاحب حرسه بالبسط عليه ، وقال له : أسمعني صوته ، فذهب به غيلان إلى رَحْلِه ، فعذبه بالسلاسل ، فلم يتكلم ، فرجع غيلان إلى الوليد ، فقال : والله ما أعذب إنساناً ، والله ما يتكلَّم ولا يَتَأَوَّه ! فقال : اكفف عنه واحبسه عندك»(١٤٤) .

وأمر الوليد بالبحث عن يزيد بن خالد ، فَظُفِرَ به فى دمشق ، وقُبِض عليه ، وسيق إلى الوليد ، فظل محبوساً فى عسكره حتى قتل الوليد(١٤٥) .

ولم يزل خالد مسجوناً حتى أجمع الوليد على عزل يوسف بن عمر الثقفى ، لأنه لم يبعث إليه خراج العراق ، وكتب يستوفده ، فوفد إليه ، ويصور المدائنى احتيال يوسف لشراء خالد من الوليد بالأموال فيقول : «قدم يوسف وخالد محبوس ، فلقيه حسان النبطى ليلاً فأخبره أن الوليد عازم على تولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج ، وأنه لابد ليوسف فيها من إصلاح أمر وزرائه ، فقال : ليس عندى فضل درهم ، قال : فعندى خمسمائة ألف درهم ، فإن شئت فهى لك ، وإن شئت فارْدُدْها إذا تيسرت . قال : فأنت أعرف بالقوم ومنازلهم من الخليفة منى ، ففرقها على قدر علمك فيهم ، ففعل . وقدم يوسف ، والقوم يعظمونه ، فقال له حسان : لا تَغْدُ على الوليد ، ولكن رُحْ إليه رَواحاً ، واكتب على لسان خليفتك كتاباً إليك ، أنى كتبت إليك ، ولا أملك إلاّ القصر ، وادخل على الوليد ، والكتاب معك مُتَحازِناً ، ومُرْ أبان بن عبد الرحمن النميرى يشترى خالداً منه بأربعين

---

(١٤٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٩ ، وانظر الإمامة والسياسة ٢ : ١٣٣ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٠ .

(١٤٥) الإمامة والسياسة ٢ : ١٣٥ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣٣٥ ، وتاريخ الموصل ص : ٥٤ .

ألف ألف ، ففعل يوسف ، فقال له الوليد : ارجع إلى عملك ، فقال له أبان : ادْفَعْ إلى خالداً ، وأَدْفَعُ إليك أربعين ألف ألف درهم . قال : ومن يَضْمن عنك ؟ قال : يوسف ، قال : أَتَضْمَنُ عنه ؟ قال : بل ادْفَعْهُ إليَّ ، فأنا أَستأْدِيهِ خمسين ألف ألف ، فدفعه إليه » (١٤٦) .

ويكمل الهيثم بن عدى الخبر فيقول : « فأرسل الوليد إلى خالد : إنّ يوسف يشتريك بخمسين ألف ألف ، فإن كنت تَضْمنُها ، وإلاَّ دفعتك إليه ، فقال خالد : ما عهدت العرب تباع ! والله لو سألتنى أن أضمن هذا – ورفع عوداً من الأرض – ما ضمنته ، فَرَ رأْيَك . فدفعه إلى يوسف ، فنزع ثيابه ، ودَرَّعه عباءة ، ولَحَّفَهُ بأخرى ، وحمله فى محمل بغير وطاء . . . . ثم قدم يوسف الحيرة ، فدعا به ، فبسط على خالد ، فلم يكلِّمْهُ . فمكث خالد يوماً فى العذاب ، ثم وضع على صدره المضرسَة (١٤٧) ، فقتله من الليل . ودفن بناحية الحيرة فى عباءته التى كان فيها ، وذلك فى المحرم سنة ست وعشرين ومائة » (١٤٨) .

فمناهضة خالد لسياسة الوليد كانت السبب المباشر فى غضبه عليه ، فقد رفض خالد المبايعة لابنى الوليد بولاية العهد (١٤٩) ، ثم تكتَّم على اليمنية الذين كانوا يخططون لاغتياله ، ولم يَدُلَّه على الموضع الذى توارى فيه يزيد بن خالد ، وكان الوليد يخشى أن يكون يزيد تَغَيَّبَ للوثوب به . ثم احتاج الوليد إلى المال ، وكان يَعْلَمُ أن خالداً اغتنى ممَّا حَازَ من أموال العراق ، وممَّا ثَمَّرَ بها من أمواله فى الزراعة ، فطالبه بخمسين ألف ألف درهم من خراج العراق الذى اتُّهم باحتجازه واختيانه (١٥٠) . واشترك يوسف بن عمر الثقفى فى الإيقاع بخالد ، وواطأه فى الإيقاع به حسان النبطى ، وكان لا يطيق خالداً ، لأنه ضَيَّق عليه وحَارَبه ونافسه فى وَكَالَةِ بعض أراضى العراق فى آخر أيام هشام ابن عبد الملك ، وعَطَّل مصالحه ومنافعه . فَزَيَّن حسان ليوسف أن يَرْشُوَ موظفى الوليد ، ويشيع أن الأمر قد اضطرب بالعراق بعد خروجه منه ، وأن يشترى خالداً من الوليد بالمبلغ الذى طالبه به . وأشار حسان على يوسف أن يُدْخِلَ أبان بن عبد الرحمن النميرى (١٥١) فى المؤامرة ، وكان من خاصة

---

(١٤٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٣ .

(١٤٧) المضرسة : حجر ضخم خشن .

(١٤٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٦٠ ، وانظر الإمامة والسياسة ٢ : ١٣٤ ، والأخبار الطوال ص : ٣٤٧ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٠ .

(١٤٩) انظر تاريخ ابن خلدون ، المجلد الثالث ، القسم الأول ص : ٢٢٧ .

(١٥٠) الأخبار الطوال ص : ٣٤٧ .

(١٥١) أخطأ عبد المنعم عامر ، محقق الأخبار الطوال فى قراءة اسم أبان بن عبد الرحمن النميرى ، فظنه زياد بن عبد الرحمن الضُّمْرى . (انظر الأخبار الطوال ص : ٣٤٧) . والتصويب من تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٤ .

الوليد ، وممن يعاندون خالداً ، ويعادونه . فاشترى أبان خالداً بأربعين ألف ألف درهم ، فدفعه الوليد إليه ، فسلمه ليوسف فسار به إلى العراق ليستخرج منه الخراج الذى استولى عليه ، فَنَكَّلَ بخالد وقتله .

واسْتَصْفَى يوسف موظفى خالد من مواليه ومن اليمنية ، وبطش بهم ، وقتل بعضهم ، إذ يقول المدائنى : «أخذ يوسف عمال خالد ، وهم ثلثمائة وخمسون ، وقال : قد بقى منهم كبشٌ كبير الصوف ، ولابد من أنْ يُجَزَّ ، يعنى الحكم بن عوانة الكلبى ، وكان على السند ، وكان هشام يُقَدِّمُ فيه إلى يوسف ، واستخرج منهم تسعين ألف ألف درهم ، ولولا عنفه لأخذ منه أكثر من ذلك . وأخذ يوسف مولى لخالد يقال له : داود ، فسأله عن أموال خالد ، فلم يُقِرَّ له بشىء ، فضربه حتى مات» (١٥٢) .

فتراكم تَذَمُّر اليمنية وتَسَخُّطهم بالشام والعراق ، وكانوا بدءوا يضجون بالشكوى من بنى أمية ، وَيَتَضجَّرون منهم فى نهاية القرن الأول بعد محق عبد الملك بن مروان لعبد الرحمن بن الأشعث الكندى ، ومن التفوا حوله من اليمنية وغيرهم . ثم حنقهم على بنى أمية فى بداية القرن الثانى عندما نَكَبَ يزيد بن عبد الملك المهالبة وكاد يُفْنيهم . وتنامى حقد اليمنية فى آخر أيام هشام حين أقصى خالداً عن العراق وأمر بحبسه وجلده . وتَصَدَّى الوليد بن يزيد لخالد ، لأنه قاوم رغباته السياسية ، فسجنه وأذن فى ضربه . وكان قتل يوسف بن عمر الثقفى لخالد خاتمة النكبات التى حاقت باليمنية ، وبعثتهم على التدبير المُتْقَن لخلع الوليد واغتياله ، ثأراً لدماء زعمائهم المراقة ، وكرامتهم المهدرة ، وسلطتهم الضائعة ، وقضاءً على نفوذ المضرية من قيس وتميم ، الذين أيدوا بنى أمية ، ومكَّنُوهم من اليمنية .

ولبلوغ ذلك لجأ اليمنية فى الشام إلى وسيلتين : الأولى إعلامية دعائية تحريضية ، قصدوا منها إلى استفزاز أبناء عشائرهم ، وإذكاء حميتهم وأنفتهم ، بإثارة العصبية القبلية بينهم وبين القيسية ، فوضعوا على لسان الوليدين يزيد قصيدة طويلة فى تقريع اليمنية وذمهم ، والتَّشفى باندحارهم ، وتَقَلُّص سلطانهم ، وفى تمجيد القيسية ، والافتخار بجبروتهم وعظمتهم ، وسحقهم لليمنية ، وهى تتوالى على هذا النمط (١٥٣) :

أَلَمْ تَهتَجْ فَتَدَّكِرَ الوِصَالاَ ... وحَبْلاً كان مُتَّصلاً فَزالا

(١٥٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠١ ، وانظر المعارف ص : ٣٩٨ .

(١٥٣) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٤ ، والقصيدة كاملة فى الأخبار الطوال ص : ٣٤٨ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٢ ، ومنها أبيات فى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠١ ، ٣٢٧ ، والتنبيه والإشراف ص : ٢٨٠ .

بَلَى فالدَّمْعُ مِنْكَ لهُ سِجَامٌ كماءِ المُزْنِ يَنْسَجِلُ انْسِجَالاً
فَدَعْ عنكَ ادِّكارَك آلَ سُعْدَى فنحنُ الأَكْثَرونَ حَصىً ومَالاً
ونحنُ المالكونَ النَّاسَ قَسْراً نَسُومُهُم المذَلَّةَ والنَّكالا
وَطِئْنَا الأَشْعَرِىَ بِعِزِّقَيْس فَيالَكِ وَطْأَةً لن تُسْتَقَالا
وهذا خالدٌ فينا أَسيرا أَلا مَنَعُوهُ إِنْ كانوا رِجَالا
عَظِيمُهُم وسَيِّدُهُمْ قديماً جعلنا المُخْزِياتِ له ظِلالا
فلو كانتْ قبائل ذاتَ عِزٍّ لما ذَهَبتْ صَنائِعُهُ ضَلالا
ولاَ تركُوهُ مَسْلُوباً أسيراً يُسامِرُ من سَلاسلنا الثِّقالا
وكندةُ والسَّكُونُ فَما استَقالُوا ولا بَرِحَتْ خُيولُهُمُ الرِّحَالاَ
بها سُمْنَا البَرِيَّةَ كلَّ خَسْفٍ وهَدَّمْنَا السُّهولةَ والجبالا
ولكنَّ الوَقَائعَ ضَعْضَعتهُمْ وَجذَّتْهم وَردتْهُم شِلالا (١٥٤)
فما زالُوا لَنا أبداً عبيداً نَسُومُهُمُ المَذَلّةَ والسِّفَالا (١٥٥)
فأصبحتُ الغداةَ علىَّ تاجٌ لِمُلْكِ النَّاسِ مايَبْغى انْتِقَالا

ويختلف الإخباريون والمؤرخون فى صاحب القصيدة ، أما رواة اليمنية فيقطعون بأنها للوليد ! وفى ذلك يقول الطبرى مُتَحرِّزاً من روايتهم : «قال الوليد بن يزيد – فيما يزعم الهيثم بن عدى – شعراً يوبخ به أهل اليمن فى تركهم نصرة خالد بن عبد الله» (١٥٦) . ويظهر أن أبا حنيفة الدينورى لم يطّلع إلاّ على رواية الهيثم بن عدى الطائى ، فأخذ بها ، دون تحفُّظ ، إذ يقول : «فأنشأ الوليد بن يزيد» (١٥٧) ، ثم أنشد القصيدة ، كما اقتصر المسعودى أيضاً على رواية الهيثم بن عدى ، ونقلها عن الطبرى بأكثر ألفاظها ، إذ يقول : «قال الوليد عند ذلك يوبخ اليمن ويقرعها ، ويذكر خالداً ، ويفتخر بنزار فى قصيدة له طويلة» (١٥٨) .

وحمل البلاذرى عن المدائن روايتين ، عزا فى الأولى القصيدة إلى القيسية ، إذ يقول : قال

---

(١٥٤) الشلال : القوم المتفرقون .

(١٥٥) السفال : مصدر سفل يسفل إذا نحط .

(١٥٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٤ . وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠١ . والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٢ .

(١٥٧) الأخبار الطوال ص : ٣٤٨ .

(١٥٨) التنبيه والإشراف ص : ٢٨٠ .

المدائنى : قالها رجل من قَيْسٍ وَنَحلها الوليد . وهو الثَّبتُ »(١٥٩) . وعَزَا القصيدة فى الرواية الثانية إلى بنى كلب ، إذ يقول : «قال بعض الكلبيين شعراً على لسان الوليد»(١٦٠) . ونقل الطبرى رواية المدائنى الثانية عن أحد تلاميذه فقال : «وأما أحمد بن زهير ، فإنه حَدَّث عن على بن محمد ، عن محمد بن سعيد العامرى ، عامر كلب ، أن هذا الشعر قاله بعض شعراء اليمن على لسان الوليد يُحَرِّضُ عليه اليمانية »(١٦١) . وجزم ابن خلدون بأن القصيدة ليست للوليد ، بل لأهل اليمن ، إذ يقول : « ثم فسدت اليمانية عليه . . . واستعظموا ماكان من بَيْعِهِ خالداً ليوسف بن عمر ، وَصَنعوا على لسان الوليد قصيدةً مُعَيِّرَةً لليمنية بشأن خالد»(١٦٢) .

وعلى الرغم من أن الإخباريين الموثقين كالمدائنى ومن أخذوا عنه كالبلاذرى ، والطبرى ، وابن خلدون يجمعون على أن القصيدة مفتعلة ، لَفَّقها أحد شعراء اليمنية ونَحَلها للوليد ، فإن أسلوب القصيدة يرجح أنها ليست للوليد ، فهو أسلوب جزل مصقول سهل ، لا التواء فيه ولا خشونة ولا غرابة ، مما يخالف أسلوب الوليد فى شعره الفخرى ، الذى يتصف بقلة التنقيح والتهذيب وببعض العوج والقلق ، وتَنْتَشِرُ فيه أوابد الألفاظ وشواردها ، ويشيع فيه وَحِشى الكلام ومهجوره .

وربما كانت القصيدة من صُنْعِ عِمران بن هلباء الكلبى الحمصى ، الذى نقضها ، وَتَمَدَّح بعز أهل اليمن ، وَتَنَفَّج بنصرتهم لبنى أمية وملكهم ، وبمكافحة القبائل اليمنية الشامية أبناءَ القبائل اليمنية العراقية وزعماءها الذين ثاروا ببنى أمية ، كعبد الرحمن بن الأشعث ، ويزيد بن المهلب ، وتَوَعَّد القبائل القيسية بالفناء ، والثأر منها لخالد ، فإن أسلوب النقيضة(١٦٣) ، يشبه فى الصفاء والسلاسة والنصاعة أسلوب القصيدة المنسوبة إلى الوليد .

وساهم منصور بن جمهور الكلبى فى تحميس القبائل اليمنية ، وحَثِّها على تقويض حكم بنى أمية ، متهماً لهم بالطغيان والعدوان ، ودامغاً خلفاءهم المتأخرين بأنهم ولدان وغلمان ، ومندداً بسياستهم ، وفتكهم برؤساء اليمنية ، وتقريبهم للمضرية ، يقول(١٦٤) :

يا قوم لا تُغْلَبُوا عن رأيكم فلقدْ ... جَرَّبْتُمُ الغَدْرَ من أولادِ مَرْوَانا

---

(١٥٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠١ .

(١٦٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٧ .

(١٦١) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٤ ، وانظر الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٢ .

(١٦٢) تاريخ ابن خلدون ، المجلد الثالث ، القسم الأول ص : ٢٢٧ .

(١٦٣) انظرها فى تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٦ ، ومنها أبيات فى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠١ .

(١٦٤) أنساب الأشراف . مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠١ .

ما زَالَ مُذْقَتَلُوا عَمْراً بِغَدْرِهِمُ ... يَدْعُون غَدْراً بِعهدِ الله كيسانا
حَتَّى استَبَاحُوا سَنَامَ الأرضِ مملكةً ... قَسْراً فَوَلَّوْا أمورَ الناسِ صِبْيَانا
وَوَحَّشُوا بكتاب اللهِ واتَّخذُوا ... هَواهُمُ فى مَعاصِى اللهِ قُرْبانا
ألا تَرَى مُضَراً أَضحَتْ تُثِيرُ مَعاً ... حَرْباً وَضَرْباً شتاتَ الأمرِ وجدانا
يُقَطِّعُونَ بنا أعناقَ سَادَتِنا ... ويُعْلِقُونَ بنا أثوابَ دُبْيَانَا

وناصر اليمنية فى حَمْلتهم الإعلامية الدعائية التحريضية على الوليد وبنى أمية بعض شعراء ربيعة ، مثل حمزة بن بيضٍ الحنفى الكوفى . وقد دفعه إلى مناصرتهم أنه كان يَتَعَصَّب لهم ، لمحالفتهم قومه فى البصرة وخراسان ، وأنه كان يتحزب على المضرية ، فقد كان كالمنقطع إلى المهلب بن أبى صفرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد ، وبلال بن أبى بردة (١٦٥) ، ومدح سليمان بن عبد الملك لأنه استعان بالمهالبة ، وانتصف لهم من القيسية (١٦٦) . وكان يحسد الكميت بن زيد الأسدى ، لأنه مدح مخلد بن يزيد بن المهلب بخراسان ، ونال منه جوائز عظيمة ، وكان يقول : «أنا والله أولى من الكميت بما ناله من مخلد بن يزيد ، وإنى لَحَليفُهُ وناصره فى العصبية على الكميت وعلى مضر جميعاً» (١٦٧) .

وأنشد البلاذرى لحمزة قطعة رمى فيها الوليد بالحمق والانحراف ، والظلم والمجانة ، وارتكاب المعاصى ، والإلحاد ، وزعم أنه تَنَصَّر ، وزاد على رؤساء النصارى فى كفره وخلاعته ، يقول (١٦٨) :

يا وليدَ الْخَنَا تركت الطَّرِيقا ... واضحاً وارتكبْتَ فَجًّا عَمِيقَا
وتَمَادَيْتَ واعــتَــدَيْتَ وأَسْــرَفْــ ... ــتَ وأغْوَيتَ وانبَعَثْتَ فُسُوقا
أبداً هاتِ ثُمَّ هاتِ وهاتِى ... ثم هاتِى حَتَّى تَخِرَّ صَعِيقاً
أنتَ سكران ما تُفِيقُ فما تَرْ ... تُقُ فَتْقاً وقد فَتَقْتَ فُتُوقا
جَاثَلِيقٌ أَسْقَفٌ كُفْرٍ وفِسْقٍ ... ثم فُقْتَ الأَسْقَفَّ والجَاثليقا

وأنشد له بيتين آخرين يستقبح فيهما سياسة الوليد ، لكثرة ما أصاب الناس فى عهده من الأذى ، ويتمنى أن يعود هشام إلى حكمهم على ماكانوا يقاسون فى أيامه من شِدَّة ، يقول (١٦٩) :

وَصَلْتَ سماءَ الضُّرِّ بالضُّرِّ بَعْدَما ... زَعَمْتَ سماء الضُّرِّ عَنكُمْ سَتُقْلِعُ

---

(١٦٥) الأغانى ١٦ : ٢٠٢ ، ونهاية الأرب ٤ : ٦٥ .

(١٦٦) الأغانى ١٦ : ٢١٠ .

(١٦٧) الأغانى ١٦ : ٢١١ .

(١٦٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٨ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٣ .

(١٦٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٦ ، والأغانى ٧ : ٢٢ ، وتاريخ الموصل ص : ٥١ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٣ .

فليت هشاماً كان حَيًّا يَسُوسُنا وكُنَّا كما كُنَّا نَخافُ ونَطْمَعُ

فألهبت هذه القصائد التى تصايح بها شعراء اليمنية وأحلافهم من الربعية عواطف اليمنية ، وفَجَّرت نقمتهم على الوليد والمضرية ، إذ يقول أبو حنيفة الدينورى واصفاً أَثَر القصيدة الأولى فى اليمنية : «لما سمع من كان بأقطار الشام من اليمانية هذا الشعر أَنِفُوا أَنَفاً شديداً ، فاجتمعوا من مدن الشام ، وساروا نحو الوليد بن يزيد» (١٧٠) .

وأما الوسيلة الثانية التى لجأ إليها اليمنية فى الشام فهى التخطيط السرى المنظم للثورة بالوليد . فجعلوا يبحثون عن زعيم يثقون به ، ويشاركهم آلامهم وآمالهم ، بعد أن استنكف خالدبن عبد الله القسرى عن قيادتهم ، وخذلهم قبل هلاكه ، فوجدوا فى يزيد بن الوليد بن عبد الملك الزعيم المنشود ، إذ كان حانقاً على الوليد مِثْلَهم ، وكان يُفَتِّش عن أنصار مخلصين ، وزاد من اطمئنان اليمنية إليه ، وإقبالهم عليه أنه كان مُصْهِراً إليهم ، فقد كان متزوجاً امرأة منهم اسمها هند بنت زبان الكلبى (١٧١) ، وكان له منها ثلاثة أبناء هم أبوبكر ، وعبد المؤمن ، وعلى (١٧٢) . فأتاه رؤساء اليمنية ، وفاوضوه فى خلع الوليد ، والمبايعة له بالخلافة (١٧٣) ، فوافقهم ، وتعاهدوا على أمرهم . ويحتفظ المؤرخون بأسماء كثيرين منهم ، ممن تَرَدَّدُوا على يزيد ، وشجعوه على الثورة ، منهم منصور بن جمهور الكلبى ، «وكان أعرابيًّا جافياً غيلانيا ، ولم يكن من أهل الدين ، وإنما صار مع يزيد لِرَأْيِهِ فى الغيلانية ، وحمية لقتل خالد ، فَشَهِدَ لذلك قتل الوليد» (١٧٤) . وكان المعتدلون من سادة اليمنية يعرفون عصبيته القبلية ، وينتقدون يزيد بن الوليد ، لأنه اصطنعه ، واستعمله على العراق مكافأة له على مساهمته فى قتل الوليد ، فقد قال يزيد بن حَجْوَة الغسانى ليزيد بن الوليد ، وقد سمع بإرساله منصوراً إلى العراق : «يا أمير المؤمنين ، أَوَلَّيْتَ منصوراً العراق ؟ قال : نعم ، لِبَلائِه وحُسْنِ مَعونته ! قال : يا أمير المؤمنين ، إنه ليس هناك فى أعرابيته وجفائه فى الدين» (١٧٥) ! . وكان منصور يكره القيسية وخلفاء بنى أمية الذين يُقَدِّمُونهم وينتصرون بهم كُرْهاً بعيداً ، فآثر الخضوع للخوارج على الخضوع لمروان بن محمد بعد أن قام بالخلافة ، وسيطر على العراق ، فخالف مروان ، وجعل يجبى

---

(١٧٠) الأخبار الطوال ص : ٣٤٨ .

(١٧١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٨ .

(١٧٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٧ .

(١٧٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ ، ٣٢٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٧ ، وتاريخ الموصل ص : ٥٤ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٢ .

(١٧٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٧٠ ، وانظر الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٥ .

(١٧٥) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٧١ .

مَالَ الجبل ، ويحمله إلى شيبان الخارجي وهو بِكرمان . ومضى إلى السند فغلب عليها حتى كانت دولة بني العباس . وبعث أبومسلم عامله ، فركب منصور المفازة حتى مات عطشاً»(١٧٦) .

ومنهم طفيل بن حارثة الكلبي الحمصي ، «قدم دمشق ، وكانت له يد في قتل الوليد بن يزيد ، وكان له فَضْلٌ وخَطَرٌ في كلب»(١٧٧) . وبشر بن هلباء الكلبي ، «كان من الذين شهدوا قتل الوليد ابن يزيد»(١٧٨) ، وأخوه عمران بن هلباء الكلبي(١٧٩) ، وعبد الرحمن بن مصادر الكلبي(١٨٠) ، وأخوه هشام بن مصادر الكلبي(١٨١) ، وثابت بن سعد الخُشَني(١٨٢) ، ويزيد بن حَجْوَةَ الغساني ، «وكان دَيِّناً فاضلاً ، ذا قَدْرٍ في أهل الشام ، قاتل الوليد بن يزيد دِيَانَةً»(١٨٣) ، وحميد بن حبيب اللخمي(١٨٤) .

وانضاف إلى يزيد بن الوليد سائر رؤساء اليمنية الذين كانوا اتصلوا بخالد بن عبد الله القسري ، واستَنْفروه ، وعرضوا عليه أن يَنْضَمَّ إليهم ويَتَزعَّمهم للإطاحة بالوليد ، وهم : حُرَيْثُ بن مالك الغساني ، وأخوه شبيب بن مالك الغساني ، ويعقوب بن عبد الرحمن الكلبي(١٨٥) ، وحبال ابن عمرو الكلبي ، والأصبغ بن ذؤالة الكلبي(١٨٦) ، وحميد بن نصر اللَّخمي ، والسرى بن زياد السَّكْسكي(١٨٧) .

واعتمد يزيد بن الوليد على رؤساء اليمنية في مناصرته ، وتأليب الناس على الوليد ، فَدَسَّ الأحنف الكلبي ، ويزيد بن عَنْبَسَةَ السَّكسكي ، وقوماً من ثقاته من وجوه الناس وأشرافهم ، فدعوا

---

(١٧٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثاني ص : ٣٤٠ ، ٣٧٠ .

(١٧٧) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٥٩ .

(١٧٨) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٢٥٥ . ويسميه ابن عساكر بشيراً ، والصحيح بشر . (انظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثاني ص : ٣٣٤ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٢٥١) .

(١٧٩) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٢٥٥ .

(١٨٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثاني ص : ٣٢٩ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٢٤١ .

(١٨١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثاني ص : ٣٢٩ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٢٤٠ .

(١٨٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثاني ص : ٣٢٩ ، وتاريخ الطبري ٧ : ٢٤٠ .

(١٨٣) تاريخ الطبري ٧ : ٢٧١ .

(١٨٤) تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٣ .

(١٨٥) تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٣ .

(١٨٦) تاريخ الطبري ٧ : ٣٠٢ .

(١٨٧) تاريخ الطبري ٧ : ٣٠٢ .

الناس سرًّا »[١٨٨] ، فبايع له عامة أهل دمشق وأعيانهم من اليمنية إلاَّ معاوية بن مصاد الكلبى ، سيد أهل المِزَّة ، فسعى يزيد له ، وحاوره ، ولم يزل به حتى أقنعه بخطته وغايته ، وضمن مساعدته[١٨٩] . وكان بعض اليمنية يتتبعون أخبار الناس ، ويرصدونها ، ويرسلونها إلى يزيد ابن الوليد ، إذ يقول عمرو بن مروان الكلبى : «سمعت محمد بن سعيد بن حسان الأردنى قال : كنت عَيْناً ليزيد بن الوليد بالأردن ، فلما اجتمع له ما يريد وَلاَّنى خراجَ الأردن »[١٩٠] .

فكان للقبائل اليمنية الشامية دورٌ كبيرٌ فى الحث على الثورة بالوليد ، دَفَعها إليه انحطاط مكانتها السياسية ، وفَتْكُ بنى أمية بالمتمردين من زعمائها ، وتَعَاظم سلطان القبائل القيسية فى دمشق والعراق وخراسان . وكان المتسرعون زعماء اليمنية بدمشق يُفَضّلون العمل فى سبيل خلافة يمنيةٍ خالصةٍ . فلما صعب ذلك عليهم ، لاذوا بيزيد بن الوليد ، واحتشدوا عليه ، وعبَّأوا أنفسهم لمؤازرته . وظلوا ينتظرون اليوم الموعود للخلاص من الوليد ، واستعادة نفوذهم المفقود .

٣ - القَدرِيَّةُ وقَتْلُه

تَحَدَّث المسلمون فى الجبر والاختيار بعد أن انتهوا من الفتح ، واستقروا فى منازلهم الجديدة ، وهدأوا ، وأَخذوا يفكرون ، فنشأ بينهم قوم يقولون بحرية الإرادة الإنسانية ، وأن البَشَر مُخَيَّرون لا مُسَيَّرون[١٩١] . ويختلف الباحثون فى أصل القول بالقَدَر ومكانه ، إذ يذهب بعضهم إلى أن العراق موطنه ، فقد ظهر فى حلقة الحسن البصرى ، وتَحَدَّث فيه نصرانى عراقى أَسْلَمَ ، وأخذ عنه معبد الجُهَنِى ، وغيلان الدمشقى ، ويذهب آخرون إلى أن دمشق مصدره ، فإن النصارى الذين كانوا يخدمون فى بيوت الخلفاء الأمويين هو الذين أثاروه وخاضوا فيه .

ومن العسير تحديد الموطن الأول بالقدر ، فقد سالَ سَيْلُهُ فى العراق ، والشام ، والحجاز لهذا

---

(١٨٨) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٧ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٨ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٣ .

(١٨٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٠ ، والأغانى ٧ : ٧٥ .

(١٩٠) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٧ .

(١٩١) فجر الإسلام ص : ٢٨٤ .

العصر ، وقال ابن تيمية : إنّ أكثر الحديث فى القدر كان بالبصرة والشام ، وبعضه فى المدينة [١٩٢] .

والراجح أن النصارى فى العراق والشام سبقوا إلى الحديث عن حرية الإنسان ، وجادلوا علماء المسلمين الذين كانوا يميلون إلى مذهب الجبر ، فإن مَعْبداً الجُهَنى التابعى كان أول من تكلموا فى القدر بالبصرة [١٩٣] ، وتَعَلَّم معبد على مولى فارسى نصرانى [١٩٤] . وكان القديس يوحنا الدمشقى الذى عاصر معاوية بن أبى سفيان ، وابنه يزيد ، وأدرك أيام هشام بن عبد الملك — أَبْرَزَ من عَرَضُوا لحرية الإنسان ، وناظروا علماء المسلمين بالشام . وَوَضَعَ عَدداً من المؤلفات من أهمها ينبوع الحكمة الذى لخص فيه آراء المشاهير من المؤلفين الكَنَسِيِّين الذين تَقَدَّموه ، وساق فيه مُحَاوَرَتَيْنِ بين مسيحى ومسلم ، أَلَحَّ فيهما على حرية الإرادة الإنسانية ، وكان يَتَوَخَّى من كتابه أن يكون تَسْويغاً للنصرانية ، ومُسْتَنداً لهداية النصارى فى مناقشة المسلمين . ولعل مادته مُسْتَوحاة من المناظرات التى كانت تجرى أمام الخليفة ، والتى كان القديس يوحنا يشارك فيها [١٩٥] .

وأهم مبادئ القَدَرية القول بحرية الإرادة الإنسانية ، وأن البشر مُخَيَّرون غير مُجْبَرين ولا مُقَيَّدين ، يخلقون أفعالهم ويقدرونها [١٩٦] ، ويثابون بها ويعاقبون عليها . ويستفاد من أخبار الجَعْدِ بن درهم [١٩٧] ، وغيلان الدمشقى [١٩٨] ، وهما من القدرية النَّابهين فى عهد هشام بن عبد الملك — أنهما كانا يقولان بِخَلْقِ القرآن ، ونَفْى الصِّفات .

وَيختَلِطُ مُصطَلَحُ القدرية بمصطلح المعتزلة ، ويستعمل أحدهما مكان الآخر ، فيسمى المعتزلة قدريةً لأنهم وافقوا القدرية فى قولهم : إن للإنسان قُدْرَةً تُوجِدُ الفِعْلَ بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى ، وأنكروا أن تكون الأشياء بِقَدَرِ الله وقضائه [١٩٩] . ويسمى القدرية معتزلةً ، إذ يطلق المسعودى على القدرية الذين أَيَّدوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك اسم القدرية ، فيقول : «كان

---

(١٩٢) فجر الإسلام ص : ٢٨٦ .

(١٩٣) جمهرة أنساب العرب ص : ٤٤٥ ، وميزان الإعتدال ٤ : ١٤١ .

(١٩٤) القدرية فى بلاد الشام ، مقالة مخطوطة لغان إس ، ألقيت فى المؤتمر الدولى لتاريخ بلاد الشام ، الذى عقد فى الجامعة الأردنية سنة ١٩٧٤ ، ص : ٥ .

(١٩٥) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ٢ : ١١٥ .

(١٩٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٣ .

(١٩٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤١ ، وتاريخ الموصل ص : ٦٣ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٥٠ ، وشذرات الذهب ١ : ١٦٩ .

(١٩٨) الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٣ .

(١٩٩) فجر الإسلام ص : ٢٨٧ .

خروج يزيد بن الوليد بدمشق مع شائعةٍ من المعتزلة وغيرهم . . . على الوليد بن يزيد»(٢٠٠) ، ويصف يزيد بن الوليد بأنه معتزلى يعتقد بمبادئ المعتزلة ، فيقول : «كان يذهب إلى قول المعتزلة وما يذهبون إليه من الأصول الخمسة من التوحيد والعدل والوعيد والأسماء والأحكام ، وهو القول بالمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر»(٢٠١) .

وَتَخَوَّفَ الخلفاء الأمويون من قولِ القدرية بحرية الإرادة الإنسانية تَخَوُّفاً شديداً ، لأنه فتح الباب إلى نَقْدِهم والحُكْمِ على أعمالهم ، ولأن القدرية نفذوا منه إلى مهاجمة مبدأ الجبر الذى تَسَلَّح به الأمويون فى محاربة خصومهم ، وأضفوا به على خلافتهم هالةً من القداسة ، ورفعوها إلى مرتبة السلطة الإلهية ، كما نفذوا منه إلى مكافحة السياسة الأموية وما قامت عليه من استبداد بنى أمية بالخلافة دون غيرهم من العرب والموالى المسلمين ، «فَعَنَى القول بالقدر روحاً ثوريةً ، وشَكَّلَ خطراً حقيقيا تَهَدَّدَ الفِرَقَ الإسلامية والخلافَة الإسلامية معاً»(٢٠٢) .

وتكشف أخبار القدرية ببلاد الشام فى العصر الأموى عن أنهم كانوا من العرب والموالى ، وأن العرب منهم كانوا من القبائل الربعية واليمنية(٢٠٣) التى فَقَدتِ الأمل فى بنى أمية فى آخر العصر الأموى ، وممن انتحلوا مذهب القدرية من القبائل الربعية أسباط واصل الشيبانى(٢٠٤) ، ولكن أكثر العرب الذين اعتنقوا مذهب القدرية هم من القبائل اليمنية الشامية ، ومنهم معبد الجُهَنى(٢٠٥) ، وثور بن يزيد بن زياد الكلاعى الحمصى(٢٠٦) ، ووهب بن منبه الذى صَنَّفَ كتاباً فى القَدَر(٢٠٧) ، وعمرو بن شراحيل(٢٠٨) ، وعثمان بن داود الخولانى(٢٠٩) . وكان أهل المِزَّةِ الذين بايعوا ليزيد بن الوليد من القدرية الذين يقولون بقول غيلان ، وكان معظمهم من اليمنية(٢١٠) .

وكان رؤساء القدرية فى الشام من الموالى ، منهم صالح بن سويد ، وكان من حرس عمر بن

---

(٢٠٠) مروج الذهب ٣ : ٢٣٩ .

(٢٠١) مروج الذهب ٣ : ٢٣٤ ، وانظر شرح هذه الأصول فى ضحى الإسلام ٣ : ٢١ .

(٢٠٢) القدرية فى بلاد الشام ص : ٥ .

(٢٠٣) انظر جريدة بأسماء القدرية فى المعارف ص : ٦٢٥ .

(٢٠٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٤٠٤ .

(٢٠٥) جمهرة أنساب العرب ص : ٤٤٥ .

(٢٠٦) المعارف ص : ٦٢٥ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٣٨٤ .

(٢٠٧) المعارف ص : ٦٢٥ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٢٧ ، ومعجم الأدباء ٧ : ٢٣٢ ، وميزان الاعتدال ٤ : ٣٥٢ .

(٢٠٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٧ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٢ .

(٢٠٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٧ .

(٢١٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٩ .

عبد العزيز[٢١١] . ومنهم حسان بن عطية ، مولى محارب[٢١٢] ، والجعد بن درهم ، أصله من خراسان ، وهو من موالى بنى مروان[٢١٣] ، وغيلان بن مسلم ، المعروف بغيلان الدمشقى ، وهو مصرى قبطى[٢١٤] . ويرى فان إس أن أكثر مؤيدى غيلان بدمشق كانوا من الموالى[٢١٥] .

ولما كان القدرية يمثلون اتّجاهاً من اتجاهات المعارضة للخلافة الأموية استقطب عناصر مختلفة من العرب والموالى المتذمرين الساعين إلى الإصلاح الاجتماعى والسياسى ، فإنّ الخلفاء الأمويين تَصَدوا لهم ، وقاوموهم مقاومةً تَنوّعت أساليبها ، وتباينت أشكالها ، فقد أمروا الفقهاء والعلماء من أهل السُّنّة فى دمشق بمجادلة القدرية ، لِدَحْضِ آرائهم ، ونَقْضِ مقالاتهم ، وتطويق دعوتهم ، فحاور ربيعةُ الرَّأى غيلانَ الدمشقى فى القدر[٢١٦] ، وحاوره فيه ميمون بن مهران[٢١٧] ، والأوزاعى[٢١٨] ، وجادل ميمون بن مهران الجعد بن درهم[٢١٩] . وجادل الخلفاء الأمويون أنفسهم بعض القدرية ، إذ ناظر عُمر بن عبد العزيز غيلانَ الدمشقى ، واستتابه ، وكتب إلى الأمصار بخلاف ما يقول[٢٢٠] ، وناقش عمرُ صالحَ بن سويد فى القدر ونهاه عنه[٢٢١] ، وحاور هشامُ ابن عبد الملك[٢٢٢] غيلان الدمشقى ، لأنه رجع إلى قول بالقدر بعد أن أظهر لعمر بن عبد العزيز أنه كف عنه .

وأوحى الخلفاء الأمويون إلى فقائهم وعلمائهم بتفسير بعض الآيات القرآنية تفسيراً موجهاً يرمى القدرية بضعف العقيدة ، ومن الآيات التى حملوها على مهاجمة القدرية قوله تعالى : «الذين قَالُوا لإخوانِهمْ وَقَعدُوا لو أَطَاعُونا ما قُتلُوا قُلْ فَادْرَءوا عن أَنْفُسِكُم المَوْتَ إن كُنْتُم صَادِقِين» ، وقوله

---

(٢١١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٦٩ ، ولسان الميزان ٣ : ١٧٠ .

(٢١٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ١٢٤ .

(٢١٣) البداية والنهاية ٩ : ٣٥ .

(٣٢٤) المعارف ص : ٦٢٥ ، والقدرية فى بلاد الشام ص : ١١ .

(٢١٥) القدرية فى بلاد الشام ص : ١٣ .

(٢١٦) العقد الفريد ٢ : ٣٧٧ .

(٢١٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٣ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٥٣ .

(٢١٨) العقد الفريد ٢ : ٣٧٩ .

(٢١٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤١ .

(٢٢٠) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٣٨٢ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٣ ، وانظر فجر الإسلام ص : ٢٨٥ .

(٢٢١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٣٦٩ .

(٢٢٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٣ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٥٣ .

تعالى : «قُلْ لو كُنْتُم فى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الذين كُتِبَ عليهمُ القَتْلُ إلى مَضَاجِعِهِم» فإنه ينسب إلى ابن شهاب الزهرى أنه قال : إن هاتين الآيتين أنزلهما الله على نَبِيِّه فى القدرية(٢٢٣) !

وحاربوا القدرية بوضع الأحاديث التى تَطْعَنُ فى دينهم ، ولمَّا كان الافتعال فى الأحاديث أيْسَر من التَلْفيق فى تأويل معانى بعض الآيات القرآنية ، وأحسن تعبيراً عن مقاصد الخلفاء الأمويين ، وأكثر تلبيةً لغاياتهم ، فقد صنع فقاؤهم وعلماؤهم أحاديث تَتَّهِمُ القدرية بالكفر والزندقة اتِّهاماً صريحاً !

ومن الأحاديث الزائفة التى تقطع بانسلاخ القدرية من الإسلام ، أو تُنَفِّر العامة عن مخالطتهم ، وتَصُدُّهم عن التعلق بأفكارهم ، ما رواه زكريا بن منظور المَدَنِىُّ القاضى المُحدِّث – وكان مَرَّ بدمشق ونَزَل بها فى طريقه إلى العراق(٢٢٤) – عن أبى حازم عن نافع عن عمر أن النبى ﷺ قال : «القدرية مجوسُ هذه الأمة ، فإن مَرِضُوا فلا تَعُودُوهم ، وإن ماتوا فلا تَشْهَدُوهم» !(٢٢٥) ، وما رواه أُغَيْبِرُ مولى هشام بن عبد الملك ، إذ قال : سمعت الزهرى يقول : «ثلاثة ليسوا من أمة محمد ﷺ ، الجَعْدِىُّ والمَنَّانى والقَدَرى(٢٢٦)» . ومنها حديث رواه عبد الرحمن المقرئ عن أبى هريرة عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال : لا تُجَالِسُوا أهل القَدَرِ ، ولا تُفَاتِحوهم(٢٢٧)» ، وحديث آخر رواه عبد الرحمن القَصِير فقال : حدثنا يونس عن بلال عن يزيد بن حبيب أن رجلاً قال للنبى ﷺ : يا رسول الله ، أَيَقْدِرُ الله عَلَىَّ الشرَّ ثم يعذبنى ؟ قال : نعم ، وأنت أظلم(٢٢٨)» .

وكافح الخلفاء الأمويون القدرية بالاعتقال والنفى والإعدام حين خُيِّل إليهم أنَّ شرَّ القدرية استفحل ، وأخذ ينذر بِخَطَرٍ عظيم ، فمنذ أواخر عهد عبد الملك بن مروان كان القدرية يهاجمون ، وربما تكون مهاجمتهم بدأت قبل عهده(٢٢٩) ، ومع أن عبد الملك قَرَّبَ مَعْبَداً الجُهَنِىَّ ، وَغَمرهُ بِثِقَتِه فَجَعله مُعَلماً لابنه سعيد ، وأرسله سفيراً إلى البلاط البيزنطى ، فإنه لم يَتَورَّع عن الإذن فى قتله عندما ثار عليه(٢٣٠) . فَقَتَلَهُ الحجاج صَبْراً لخروجه مع عبد الرحمن بن الأشعث(٢٣١) .

(٢٢٣) العقد الفريد ٢ : ٣٧٨ .
(٢٢٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٣٨٢ .
(٢٢٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٣٨٢ .
(٢٢٦) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٨٤ .
(٢٢٧) العقد الفريد ٢ : ٣٨١ .
(٢٢٨) العقد الفريد ٢ : ٣٨١ .
(٢٢٩) القدرية فى بلاد الشام ص : ٩ .
(٢٣٠) القدرية فى بلاد الشام ص : ٩ .
(٢٣١) ميزان الاعتدال ٤٨ : ١٤١ .

وجَاهَدَ هشامُ بن عبد الملك القدرية بغير هوادة أو لين ، فحبس جماعة منهم من اليمنية ، ونفاهم إلى دهلك (٢٣٢) ، وأعدم غير واحد من رؤساء القدرية . إذ أَمَرَ بِغَيْلاَنَ الدمشقى فقطعت يداه ورجلاه ، ثم أَمَرَ به فَصُلِب (٢٣٣) ، لأن غيلان كان يرجو أن يَمْضى هشام فى المساواة بين العرب والموالى ، التى بدأها عمر بن عبد العزيز ، فانتقد هشاماً لِتَبَاطُئه فيها (٢٣٤) ، وجَرَّده من حق السلطة الإلهية فى أرمينية ، فظن هشام أنه فكر فى الوثوب به (٢٣٥) . وقَتَل هشام صالح بن سويد (٢٣٦) ، وقَيَّدَ الجعدَ بن درهم ، ودفعه إلى خالد القسرى ، وأمره بإعدامه ، فَذَبَحه ذبحاً (٢٣٧) .

وكان القدرية يَتَوَقَّعون أن يتسامح الوليد بن يزيد معهم ، وأن يفرج عن المعتقلين منهم ، تَرضيةً لهم ، ومتابعةً لخطته الإصلاحية السياسية ، غير أنه خَيَّب رجاءهم ، فإنه كان حفيظاً على أن تبقى الخلافة فى بنى أمية ، ولم يكن يجيزُ أن تَخرُجَ منهم إلى غيرهم ، وهو وإن خالف إجماع الخلفاء السابقين بمبايعته لابنه الحكم بولاية عهده ، وهو ابن أمة ، فإنه لم يكن يريد أن يمضى إلى أبعد من ذلك ، وكان القدرية يسعون أن تصبح الخلافة حقا لجميع المسلمين من العرب والموالى ، فقاومهم الوليد بحزم ، إذ يروى المدائنى عن يزيد بن مصاد الكلبى ، عن عمرو بن شراحيل ، قال : «سَيَّرنا هشام إلى دَهْلَك ، فلم نزل بها حتى مات ، واستخلف الوليد ، فكُلِّم فينا فأَبَى وقال : والله ما عمل هشام عَملاً أَرْجَى أن تَنَالَهُ به المغفرة من تسييره هؤلاء ، وقَتْلِهِ القدرية ، يَعْنِى غيلانَ وصاحبه (٢٣٨) » .

فقرر القدرية الانقضاض على الوليد ، فاتصلوا بيزيد بن الوليد ، وكان فيما يتفق عليه أكثر من ترجموا له — يدين بمذهب القدرية (٢٣٩) ، وربما ساقه إليه رَغْبَتُه فى الإصلاح الاجتماعى والسياسى ، فالتقى مع القدرية فى هذا الهدف الذى كانوا يناضلون من أجله ، إذ كان يزيد ابن أَمَةٍ

---

(٢٣٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٧ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٢ .

(٢٣٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٣ ، ولسان الميزان ٣ : ١٧٠ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٥٣ .

(٢٣٤) القدرية فى بلاد الشام ص : ١٠ .

(٢٣٥) القدرية فى بلاد الشام ص : ١٢ .

(٢٣٦) لسان الميزان ٣ : ١٧٠ .

(٢٣٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤١ ، وتاريخ الموصل ص : ٦٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٣ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٥٠ ، ١٠ : ١٩ ، وشذرات الذهب ١ : ١٦٩ .

(٢٣٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٧ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٢ .

(٢٣٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٩٨ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٣٤ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣١٠ ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٨٩ ، ودول الإسلام ١ : ٦١ ، والعبر فى خبر من غبر ١ : ١٦٢ ، ومرأة الجنان ١ : ٢٦٤ .

فارسية(٢٤٠) ، ولم يكن له من المنزلة فى الأسرة المروانية ماكان لغيره من أبناء الخلفاء من الحرائر العربيات ، فَحُرِمَ هو وإخوته وسواهم من الأمراء الأمويين من أبناء الأعجميات من الخلافة ، فمال إلى القول بالقدر ، وأظهر غير قليل من الزُّهْدِ والتَّقْوَى والتَّألُّه(٢٤١) ، فاطمأن إلى القدرية ، واطمأنوا إليه ، فقد ألَّف بينهم المذهب الواحد ، والهدف المشترك ، وَوَالاهُ وَظَاهَرَهُ أحياؤُهم الذين خَفِيَ أمرهم على هشام بن عبد الملك ، فلم يعتقلوا ، ولم يقتلوا كحسان بن عطية ، مولى محارب(٢٤٢) ، وأسباط بن واصل الشيبانى(٢٤٣) ، وكثيرين من اليمنية من أهل المِزَّة الذين اعتنقوا مذهب القدرية(٢٤٤) ، لأنه يَفْسَحُ الأمل لهم . ويَسْمَح لهم ولغيرهم من المسلمين بِتَوَلِّى الخلافة ، ويتيح لليمنية استرداد نفوذهم الضائع !

وبَثَّ يزيد بن الوليد بعض القدرية فى نواحى الشام ، ليُحثُّوا الناسَ على تأييده ومبايعته ، وَيَحُضُّوهم على المناداة بخلع الوليد وسَفْك دمه . ومن القدرية الذين نهضوا باستعداء الناس على الوليد أسباط بن واصل الشيبانى ، وله أبيات «يذكر فيها غَيْبَتَهُ عن قَتْلِ الوليد ، وأنه لم يحضره ، وكان قبل ذلك يُعَدُّ من المُتحاملين عليه والدَّاعين إلى قِتَالِه وقَتْله» ، ويصرح بأنه لم يشارك فى محاربته ، لأنه كان مشغولاً بتأليب الناس عليه ، يقول(٢٤٥) :

مَرَرْتُ بحيثُ قَضَى نَحْبَهُ فكادَ يُشَيِّبُ مِنِّى القَذَالا
لِذِكْرى وَقِيعَتَهُ إذْ مَضَتْ ولمْ أَكُ باشَرْتُ فيها قِتَالا
فإنْ أَكُ غُيِّبْتُ عنها فما تَغَيَّبَ قَلْبِى ولا كان مَالا

وظاهر أن القدرية بادروا إلى يزيد بن الوليد ، وآزروه فى تَدْبيره للثورة بالوليد ، لأنه جَاهدهم ؛ وجَدَّدَ حَبْسَ المعتقلين منهم ، واعْتَبَرَ قولهم بحرية الإرادة الإنسانية تَحَدِّياً للخلافة الأموية ، ولمذهب الجبر الذى اعتنقه الخلفاء الأمويون ، وانتصروا به لأنفسهم وسلطانهم ، فشايعوا يزيد بن الوليد القدرى ، ونشطوا فى تحريض الناس على الوليد ، وظلوا يستوعبون أعداءه ، وَيتكَتَّمون على أمرهم

(٢٤٠) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٧٦ ، ٧ : ٢٩٨ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٣٩ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٢٨٩ والبداية والنهاية ١٠ : ١٦ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥٢ .

(٢٤١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٧ ، ٢٣٨ ، والفخرى فى الأولب السلطانية ص : ١٢٢ ، ودول الإسلام ١ : ٦١ ، والعبر فى خبر من غبر ١ : ١٦٢ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١٦ .

(٢٤٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ١٤٢.

(٢٤٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٤٠٤ .

(٢٤٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٩ ، ٣٣٠.

(٢٤٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٤٠٤ .

انتظاراً ليوم الثورة المرتقب . فكان لهم دورٌ بارزٌ فى الدعوة لعزل الوليد واغتياله . ويؤكد مروان بن محمد أنهم هم الذين تآمروا بالوليد ، وغدروا به ، إذ يقول فى رسالته التى وَجَّهَها إلى الغمر بن يزيد بعد مقتل الوليد : «ولم أشْبِهْ محمداً ولا مروان إنْ لم أُشمر للقدرية إزارى ، وأضربهم بسيفى جارحاً وطاعناً ، يَرْمى قضاءُ اللهِ بى فى ذلك حيث أخذ ، أو يرمى بهم فى عقوبة الله حيث بلغ منهم فيها رضاه ، وما إطْراق إلاّ لما أَنْتَظِرُ مما يأْتينى عنك ، فلا تَهِنْ عن ثأرك بأخيك ، فإن الله جارك وكافيك ، وكفى بالله طالباً ونصيراً(٢٤٦) » ، ويوافقه فيما ذهب إليه المسعودى(٢٤٧) ، وابن عساكر(٢٤٨) .

٤ – عَزْلُه وقَتْلُه

يدل ما بقى من شعر الوليد الصحيح الذى رواه المدائنى على أنه علم بتدبير يزيد بن الوليد وغيره من بنى أمية للإطاحة به ، فاستصغرهم ولم يكترث بهم ، وأخذ يتحداهم ويفاخرهم سائلاً لهم أن يهبوا لملاقاته ، ويرسلوا إليه فرسانهم إن كانوا صادقين فيما يشيعوه ، حتى يفتك بهم ، ويقضى عليهم ، فإنه يقول مستهيناً بقومه وقد بلغه مَشْىُ بعضهم إلى بعضٍ فى خلعه(٢٤٩) :

سَلِّ هَمَّ النَّفْسِ عنها ... بِعَلَنْداةٍ عَلاةٍ(٢٥٠)
تَتَّقى الأرضَ وتَهْوى ... بِخِفافٍ مُدْمَجاتِ
ذاك أَمْ ما بالُ قَوْمى ... كَسَروا سِنَّ قَناتى
واسْتَخَفُّوا بى وصارُوا ... كَقُرودٍ خاسئاتِ
أصبحَ اليومَ وليدٌ ... هائماً بالفَتَياتِ
عِنْدَهُ راحٌ وإبْريـ ... ـقٌ وكأْسٌ بالْفَلاةِ
إبْعثُوا خيلاً لَخيْلٍ ... ورُماةً لِرُماةِ

(٢٤٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٨٢ .

(٢٤٧) مروج الذهب ٣ : ٢٣٩ .

(٢٤٨) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ، رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٤ و .

(٢٤٩) الأغانى ٧ : ٧٤ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢١ .

(٢٥٠) العلنداة : الناقة الضخمة الطويلة . والعلاة : الناقة الطويلة الجسيمة .

وكان يزيد بن الوليد فطناً لبيقاً يجيد تقدير الأمور ، والتأنى لها ، واختيار الوقت المناسب لتنفيذها ، فاحتوى الجماعات الأموية واليمنية والقدرية المناهضة للوليد ، ووعدها بِحَلِّ مشاكلها ، وتحقيق مطالبها ، فَشَدَّت من عَزْمِه ، وشَدَّ من عزمها ، ونَظَّمها وأحسَن استغلالها وأعدها حتى تسنح الفرصة للانقلاب على الوليد ، وظلَّ يَتَحين الظرف حتى أمكنه فأعلن الثورة على ابن عمه ، إذ اقتحم دمشق والطاعون فاشٍ فيها(٢٥١) ، والخليفة وكبار موظفيه بعيدون عنها ، فإن الوليد رحل عن دمشق لأنه كان مريضاً ، وقصد الأزرق ببادية الأردن ، وأقام بقصر الطُّوبة للعلاج والاستشفاء والاستجمام(٢٥٢) ، وخافَ الوباءَ عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف الثقفى عامل خراج دمشق وجندها ، فخرج عنها ، ونزل قَطَنا من قراها ، واستخلف على دمشق ابنه ، وجعل على شرطته أبا العاج كثيربن عبد الرحمن السلمى(٢٥٣) . وكان العباس بن الوليد بن عبد الملك مُتَبَدِّياً بالقَسْطل بين حمص ودمشق(٢٥٤) ، وكان يزيد مُبَتَدِّياً بمقربة من حمص ، فانتهز هذه الفرصة ، وأقبل إلى دمشق مُتَنكِّراً فى سبعة نَفَرٍ على حمير ، فنزلوا بِجَرُود من قرى غُوطَةِ دمشق ، فأتاهم مولى لِعَبَّاد بن زياد بن أبى سفيان بِقِرًى ، فَتَعَشوا ، ثم دخلوا دمشق سرا ، وقد بايع ليزيد أكثر أهلها ، وبايع له أهل المِزَّة من قُرَى دَمَشق ، وأكثرهم غَيْلانية ، ولم يخالفه منهم إلا معاوية بن مصاد الكلبى ، فمضى يزيد إليه من ليلته ، ولم يُفَارِقْهُ حتى وافقه ، فرجع إلى دمشق على حمار ، ونزل دار ثابت بن سليمان بن سعد الخُشَنى(٢٥٥) . ومع أن يزيد قدم دمشق مُتَخفياً ، وتكَتَّم على تَحركه وَتَنَقُّله بها ، فإن أبا العاج السُّلَمى قائد شرطتها أُخْبِرَ بأنه أجمع على الخروج ، فلم يُصَدِّق ، لأنه كان فى خُمَارٍ شديد(٢٥٦) !

وأرسل يزيد إلى أصحابه أن يأتوا إليه بين المغرب والعشاء من ليلة جمعة ، فكمنوا عند باب الفراديس بدمشق حتى أرخى الظلام أستاره ، فدخلوا المَسْجِدَ فَصَلَّوا . وكان للمسجد حَرَسٌ وُكِّلُوا

---

(٢٥١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٧ .

(٢٥٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٤ .

(٢٥٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٠ ، والأغانى ٧ : ٧٦ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٤ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٩ .

(٢٥٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٧ ، والأغانى ٧ : ٧٥ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٩ .

(٢٥٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٠ .

(٢٥٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٠ ، والأغانى ٧ : ٧٦ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٤ .

بإخراج الناس منه بالليل ، فلما صلى الناس صاح بهم الحرس ، فتباطأ أصحاب يزيد ، وجعلوا يخرجون من باب المقصورة ، ويدخلون من باب آخر ، حتى لم يبق فى المسجد غير الحرس وأصحاب يزيد ، فأخذوا الحرس ، ومضى يزيد بن عَنْبَسة السَّكْسكى إلى يزيد ، فأخذ بيده ، وقال : «قُمْ يا أمير المؤمنين راشداً مهديا ، وأبشر بعَوْنِ الله ونَصْرِه» ، فقام وقال : «اللهم إن كان هذا لك رِضاً فأَعِنِّى عليه ، وسَدِّدْنى فيه ، وإن لم يكن رِضاً فاصْرِفْهُ عنى بموتٍ عاجل» ، وسار فى اثنى عشر رجلاً إلى المسجد ، وفى طريقه إليه تكاثف أصحابه فبلغوا ستين ومائتى رجل ، فلما وصل المسجد خَدَعَ أصحابه خَدَم المقصورة ، وكانوا أغلقوا بابها ، فَدَقَّه أصحاب يزيد وقالوا : رُسُلُ الوليد بن يزيد ، أمير المؤمنين ! ففتحه لهم خادم ، فأخذوه ، ودخلوا المقصورة ، وقبضوا على أبى العاج السلمى وهو سكران ! واحتجزوا خُزَّانَ بيت المال ، وصاحب البريد .

وفى اللية نفسها شرَعَ يزيد فى اعتقال عمال الوليد فى القرى والمدن المجاورة لدمشق ، فبعث بعض أنصاره إلى بَعْلَبك ، فقبضوا على عاملها محمد بن عبيدة مولى سعيد بن العاص ، وأرسل بعضهم إلى قَطنا ، فاعتقلوا عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف الثقفى ، وقَضَى يزيد ليلته فى المسجد الأموى ، وأمر أنصاره بحراسة أبواب دمشق ، وَمنْعِ الناس من دخولها ، إلاَّ من نادى منهم بِشِعارِه . وأصاب يزيد وأصحابه سلاحاً كثيراً ، ولم ينتصف يوم الجمعة حتى بايع الناس له ، وخلعوا الوليد(٢٥٧) ، فقد توافد على يزيد أهل المِزَّة فى ألف وخمسمائة مع عبد الرحمن بن مصاد الكلبى ، والسَّكاسك فى نحو ثلثمائة ، ثم أقبل يعقوب بن عُمَيْر بن هانئ العبسى فى أهل دَارَيَّا من قُرَى غُوطَةِ دمشق ، وعبسى بن شبيب التَّغْلَبِى فى أهل دُومة من قُرَى غوطة دمشق ، وأَهْلَ حَرَسْتَا من قُرَى دمشق على طريق حمص ، وحميدُ بن حبيب اللخمى فى أهل دَيْرِ المُرَّان بالقرب من دمشق ، وأهل أَرْزُونا(٢٥٨) من قرى دمشق ، وأهل سَطْرًا من قرى دمشق ، والنَّضْرُ بن الجرشِ فى أهل جرش ، وأهل الحَدِيثَة من قرى غُوطَة دمشق ، وأهل دَيْر زَكَّى من غُوطة دمشق ، وَرِبَعِىٌّ بن هاشم الحارثى فى الجماعة من بنى عُذْرَةَ وَسلامَان ، وجُهَيْنَة ومن وَالاَهُم مع طلحة بن سعيد(٢٥٩) .

ثم استَدْعَى يزيدُ ابنَ عمه عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، وأمره أن يَقِفَ بباب الجَابِيَة ،

---

(٢٥٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤١ ، والأغانى ٧ : ٧٦ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٥ .

(٢٥٨) فى تاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٢ : الأرزة ، والصحيح أرزونا . (انظر معجم البلدان ١ : ٢٠٦) .

(٢٥٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٢ ، والأغانى ٧ : ٧٧ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٥ .

ويحرسه ، وأمر يزيد إخوته أن يَتَفَرَّقوا فى الناس وَيحضُّوهم على الحضور إليه ، ويُغْروهم بالمال ، إذ أمرهم أَنْ ينادوا : من كان له عطاء فَلْيأْتِ لِيقبِضَ عطاءه ومن لم يكن له عطاءٌ فله ألف درهم معونة(٢٦٠) ، وفَتحَ بيت المال ، وأعطى الناس ، وجاءت أموال الكُوَرِ فَوزَّعها وتألّف الناس بها(٢٦١) .

وواضح أن الذين خَفُّوا إلى يزيد ، والتفوا حوله عندما أعلن الثورة هم من إخوته ، وأبناء عمه الحجاج بن عبد الملك ، ومن اليمنية والقدرية ، كما انضم إليه بعض العبسيين ، وكانوا ناقمين على الوليد ، لأنه أَعْدَمَ أربعة منهم(٢٦٢) أَيَّدُوا هشاماً فى إقصائه عن ولاية العهد ، وعَنَّفَ بسادتهم فى دمشق ، وضيق عليهم . ولكن المؤرخين لم يذكروا أن العبسيين اتصلوا بيزيد فى المرحلة السرية من دعوته .

وحينما فَرَغ يزيد من احتلال المسجد الأموى ليلة الجمعة ، واستولى على السلاح والمال ، واعتقل أنصار الوليد وموظفيه ، وَرَابَطَ جنده على أبواب دمشق ، وحَظَر على الناس الدخول إليها والخروج منها والتَّجول بها إلا إذا كانوا من شيعته ، وتَسَارَع إليه أصحابه صبيحة يوم الجمعة ، ولم يزالوا يتسارعون حتى تَوَافَوْا وتكاملوا عند منتصف النهار ، فَفرَّق فيهم أرزاقهم ، وأعطى من لم يكن منهم مُسَجَّلاً فى الديوان ، وأَغْدَقَ الصلات والجوائز على اليمنية خاصة(٢٦٣) — انتدب الناسَ إلى قتال الوليد . وتَملَّقهم بالمال ، فنادى مناديه : من يَنْتَدِبُ إلى الفاسق وله ألف درهم ! فاجتمع إليه أقل من ألف رجل ، فأمرَ رجلاً آخر فَنادى : منَ يَنْتَدِبُ إلى الفاسق وله ألف وخمسمائة درهم ! فجاءه ألف وخمسمائة رجل . ويقال : إنه نَدَبَهم إلى ألفين ألفين ، فأتاه ألفان(٢٦٤) ، فَعقَد لمنصور ابن جمهور الكلبى على طائفة ، وعقد ليعقوب بن عبد الرحمن بن سليم الكلبى على طائفة ثانية ، وعقد لهرم ابن عبدالله بن دُحَيَّة الكلبى على طائفة ثالثة ، وعقد لحميد بن حبيب اللخمى على طائفة رابعة . وكان فى من سار لقتال الوليد الأصبغ بن ذؤالة الكلبى ، وشبيب بن أبى مالك الغسانى ، ورأَسَ يزيد

---

(٢٦٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٣ ، والأغانى ٧ : ٧٨ .

(٢٦١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣١ .

(٢٦٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٧ .

(٢٦٣) الأخبار الطوال ص : ٣٤٩ .

(٢٦٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣١ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٣ ، والأغانى ٧ : ٧٨ .

عليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك[٢٦٥] .

وكان الوليد لا يزال بقصر الطُّوبَة بالأزرق من بادية الأردن ، لا يعلم بما حَدَث فى دمشق . فخرج إليه مَوْلى من مواليه على فرس له ، فأتاه من يومه ، وأخبره بِتَمرُّد يزيد عليه ، فاضطرب ، وضرب مولاه مائة سوط وحبسه[٢٦٦] . ثم بَدَأ يخطط لمواجهة الثائرين به ، وكان أول ما صنع أن دعا أبا محمد السفيانى ، فأجازه وَجهزه وَوَجَّهه إلى دمشق ، فسار أبو محمد السفيانى ، فلما انتهى إلى ذَنَبَة قرب دمشق أقام ، فبعث يزيد إليه عبد الرحمن بن مصاد الكلبى ، فسالمه أبو محمد ، وبايع ليزيد مُرْغَماً[٢٦٧] .

وبلغ الوليد انهيار أبى محمد السفيانى ، وانضمامه إلى يزيد ، فازداد موقفه حرجاً ، وقد احتفظ البلاذرى بقصيدة له صور فيها لومه للمقاتلين الذين أرسلهم مع أبى محمد السفيانى ، لأنهم أحجموا عن منازلة أعدائه ، وألقوا سلاحهم ، واستسلموا ليزيد ، وبايعوه ، وكان وثق بهم وَبصرهم بما يأتون وما يتركون ، فَخَذلُوه وَخيبوا أمله ، ولم يعملوا بما أوصاهم به ، فجروا عليه ، وعلى أنفسهم ، وعلى الأمة البلاء والشقاء . واعتد فيها بقوته وفروسيته ، وأنه بطل مغوار لا يخاف الأهوال ، ولا يرهب المهالك ، وأعلن أنه لن يستكين ولن يهدأ حتى يهزم الخارجين عليه ، يقول[٢٦٨] :

يا وَيْحَ جُنْدى الأُلَى خارُوا وما نَظَرُوا … فى غِبِّ أمرِ عَمُودِ الدِّين لَوْ وَقعا[٢٦٩]
أَلْقَحْتُها ثُمَّ شَالَتْ عاقداً أُنُفاً … ما نَتَّجُوها فَيلْقَوْا تَحتَها رُبَعَا[٢٧٠]
ولا ارْتَقَوْا مِنْ صَمِيمِ المَحْضِ آونةً … لكنهمْ يَحْتَسُونَ الصَّابَ والسَّلعا[٢٧١]
ما كنتُ أَجْزَعهُمْ من عَرْكَ كَلْكَلِها … حتى تَدِرَّ نَجِيعاً أحمراً دُفَعَا[٢٧٢]

---

(٢٦٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣١ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٣ ، والأغانى ٧ : ٧٨ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٢ و .

(٢٦٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٣ .

(٢٦٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣١ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٣ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٢ و ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٤٠٣ .

(٢٦٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣١ .

(٢٦٩) غب الأمر : عاقبته وآخره .

(٢٧٠) شالت الناقة : رفعت ذنبها للقاح . والعاقد : الناقة التى تعقد بذنبها عند اللقاح . والأنف : التى حملت لأول مرة . والربع : الفصيل الذى ينتج فى الربيع .

(٢٧١) المحض : اللبن الخالص بلا رغوة . وارتقوا : امتلأت بطونهم شبعاً . والصاب : شجر مر واحدته صابة ، وقيل هو عصارة الصبر . والسلع : نبات أو شجر مر .

(٢٧٢) النجيع : الدم الطرى المصبوب .

مِنْ كُلِّ لَيْثٍ شَتِيمِ الوَجْهِ ذَى زَبَدٍ ضِرْغَامَةٍ يَحْذَرُ الآسَادُ مَاصَنَعا (٢٧٣)
غَضَنْفَرٍ أهرتِ الشِّدْقَيْنِ قَسْوَرةٍ كأنَّه ظَالع نَقْباً ومَا ظَلَعا (٢٧٤)
يَلْقَاكَ فى اللَّيلةِ الظَّلماءِ مُنْفرداً كأَنَّهُ فى رأْسِهِ نَجْمَيْنِ قد طَلَعا

ويتحقق فى هذه القصيدة التى نظمها الوليد قبل اغتياله بقليل جملة الخصائص المعنوية واللفظية والتصويرية التى تَمثَّلت فى كل شعره الصحيح فى الفخر والعتاب واللوم ، فمعانيه تقليدية بدوية ، موغلة فى البداوة ، ولغته متينة فيها كثير من الألفاظ النادرة المهجورة ، وتراكيبه ضخمة فيها وعورة ، وفيها خفاءٌ وإبهامٌ ، حتى إن بعض معانيها تكاد تَستَغْلق ، ولا تَستظْهر إلاَّ بِجُهْدٍ شاقٍ . وصوره أعرابية مفرطة فى الأعرابية ، إذ يستمدها من صور الجاهليين والأمويين الصحراوية ، ويتأثر فيها بمعلقة زهير بن أبى سلمى تَأَثُّراً واضحاً (٢٧٥) . فالخطة التى رسمها لمحق الثائرين به ، وأحكم رسمها ، واطمأن إلى نجاحها ، ثم تغافل أصحابه عنها ، ولم ينتفعوا بها ، فذاقوا الهوان ، تشبه الناقة البكر التى لَقِحت ، وعَقَدَتْ بذنبها عند اللقاح ، ثم أهملها أهلها ، ولم يصبروا حتى تكتمل مُدَّة حَمْلها ، لِتُنْتِجَ لهم فُصْلاَناً ، وتَدِرَّ ألباناً ، فشربوا عصارة الصاب والسلع المُرَّة . وثقته بخطته ، وعزمها على تجريبها وتطبيقها هى الناقة نفسها التى لقحت ، ولم يهتم أهلها بها ، فقرر هو اختبارها وامتحانها ، وانتظار خيرها من دماء أعدائه المثخنين بالجراح . وأعداؤه الأقوياء يشبهون الأسود الشَّرِسة المخوفة ، قبيحة الوجوه ، واسعة الأشداق ، كثيرة اللُّغَام ، عالية الزئير ، جافية الطبع ، متغضنة الجلد ، مُتَوَقِّدة الأعين .

واستمال الوليد من كانوا معه من الجند والحرس بالمال ، فوعدهم بأرزاق دائمة ، وهبات طائلة ، وسألهم أن يَحُفُّوا به ، ويُخْلِصُوا فى مساندته ، فإذا انجلت الفتنة دفع لهم رواتبهم ومكافآتهم ، يقول (٢٧٦) :

ضَمِنْتُ لكم إنْ سَلَّمَ اللهُ مُهْجَتِى عطاءً ورِزْقاً كاملاً فى المُحَرَّمِ
فلا تُعْجِلونى لا أَبَا لأَبِيكُمُ فإنِّى لكمْ كالوَالدِ المُتَرَحِّمِ

ثم أشار عليه من كانوا معه من السفيانيين والقيسيين واليمنيين بمغادرة قَصْرِ الطُّوبةِ وملاقاة يزيد بن

---

(٢٧٣) شتيم الوجه : كريهُهُ قبيحُه . والضرغامة : الضارى الشديد المقدام .

(٢٧٤) الغضنفر : الجافى الغليظ . وأهرت الشدقين : واسعها . والقَسورة : كثير الزئير والهدير . والظلع : العرج والغمز فى المشى . ونقب البعير : رقت أخفافه .

(٢٧٥) أنظر شرح المعلقات السبع ص : ١٩١ .

(٢٧٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣١ .

الوليد ، فسار إلى حِصْنِ البخراء على أميالٍ من تَدْمُر ، وقال يُمَنِّي نفسه بالنَّصْرِ ، ويفتخر بصلابته وجُرأته فى مجابهة أعدائه (٢٧٧) :

إذا لمْ يكُنْ خيْرٌ مع الشرِّ لم تَجِدْ نَصِيحاً ولا ذَا حَاجةٍ حين تَفْزَعُ

إذا ماهُمُ همُّوا بإحدى هَنَاتِهِمْ حَسَرْتُ لهمُ رأسى فلا أَتَقَنَّعُ (٢٧٨)

واجتاز الوليد منزلاً للضحاك بن قيس الفهرى ، فالتحق به أربعون من أولاد الضحاك وحفدته ، وانضمت إليه نجدات من أهل حمص من بهراء وكلب ، كما أسرع إليه من البخراء أولاد النعمان بن بشير الأنصارى ، فلما بلغ البخراء ، وعَسْكَر بها ، تكاثر جُنْدُه ، وقلَّتْ أعلاف دَوَابِّهم ، فأَمَرَ رجلاً فنادى : إن أمير المؤمنين قد اشترى زُرُوعَ القَرْية ، فقالوا : ما نَصْنَعُ بالقَصِيل ! (٢٧٩) تَضْعُفُ عليه دَوَابُّنا ، وإنما أرادوا الدراهم ! (٢٨٠)

وعَرَفَ عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك أن الوليد سار إلى البخراء ، فتابعه ، ولم يزل ينزل بالقرى والمواضع التى يرحل عنها حتى وصل إلى البخراء ، فَعَسْكَر على مقربةٍ منها إزاء الوليد ، وكان مع أصحاب عبد العزيز كتاب مُعَلَّقٌ فى رمح فيه : «إنَّا نَدْعُوكم إلى كتاب الله ، وسنَّة نبيه ، وأن يكون الأمر شورى» (٢٨١) .

واستعد الفريقان للحرب فاقتتلوا فى صباح اليوم الثانى ، فانهزم جند عبد العزيز ، وقُتِلَ عدد من فرسانهم ، ولكن المعركة لم تحسم ، لأن بنى عامر الكلبيين كانوا مُفَرَّقين بين الوليد وعبد العزيز ، إذ كان على ميسرة الوليد الوليدُ بنُ خالد ابن أخى الأبرش الكلبى ، وكان بنو عامر مَيْمَنَةَ عبد العزيز ، فلم تقاتل مَيْسَرةُ الوليد مَيْمَنَةَ عبد العزيز . ثم مال الكلبيون جميعاً إلى عبد العزيز ، فَضَعُفَ جند الوليد ، وقَوِىَ جند عبد العزيز ، وأَنْقِذُوا من الانكسار والهلاك (٢٨٢) . وزاد من ضَعْفِ الوليد وجنده أن العباس بن الوليد بن عبد الملك أرسل إلى

---

(٢٧٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣١ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٥ ، والأغانى ٧ : ٢١ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٢ و .

(٢٧٨) الهنات : جمع هنة ، وهى الشر والشدة والأمر العظيم .

(٢٧٩) القصيل : ما قُصِلَ من الزرع أخضر .

(٢٨٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٣ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٨ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٣ و .

(٢٨١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٣ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٩ .

(٢٨٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٣ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٣ .

الوليد يُخْبِرُه بقدومه إليه من حمص فى مائة وخمسين من ولده ومواليه ، فَوَقَع رَسُولَه فى أيدى جند عبد العزيز ، فَكَمَنُوا للعباس ، حتى إذا مَرَّ بهم خرجوا له ، وأطبقوا عليه ، وهَدَّدُوه بالقتل إن استمر فى السير إلى الوليد ، ويقال : إنهم طعنوه ، ويقال : إنهم جرحوا أحد أبنائه أو قتلوه ، فرضخ لهم ، وعدل إلى عبد العزيز ، فقال له : بايع لأخيك يزيد بن الوليد ، فبايع مكرهاً وَوَقَف ، فنصبوا راية وقالوا : هذه راية العباس بن الوليد ، وقد بايع لأمير المؤمنين يزيد بن الوليد ، فقال العباس : إنا لله ! خِدْعَةٌ من خِدَع الشيطان ! هلك بنو مروان ! فَتَفَرَّق الناس عن الوليد ، وأتوا العباس وعبد العزيز ، فانهار أصحاب الوليد وانكسروا (٢٨٣) . ومكث العباس أسيراً عند عبد العزيز ، ثم إن أخاه يزيد بن الوليد صفح عنه ، وكان به برا (٢٨٤) .

فَجنَح الوليد إلى مفاوضة عبد العزيز ، فأرسلَ إليه الوليدَ بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان يعرض عليه أن يُعْطيَه خمسين ألف دينار ، ويجعَل له ولاية حمص ما بَقِيَ ، ويُؤَمِّنَه على كل ماحَدَثَ ، على أن يَنْصَرفَ ويَكُفَّ ، فأَبَى ولم يجبه . فقال له الوليد : ارجع إليه فَعَاوِدْهُ أيضاً ، فأتاه الوليد ، فلم يُجِبْهُ إلى شىء ، فانصرف الوليد ، حتى إذا كان غَيْرَ بَعيدٍ عَطَفَ دابته ، فَدَنَا من عبد العزيز ، فقال له : أَتَجْعَلُ لى خمسة آلاف دينار ، وأنْ أكُون كأخص رجلٍ من قومى منزلةً ، فآتيك فأدخل معك فيما دخلت فيه ؟ فقال له عبد العزيز : على أنْ تَحْمِلَ الساعة على أصحاب الوليد ، ففعل . وكان على مَيْمَنَةِ الوليد معاوية بن أبى سفيان بن يزيد بن خالد ، فقال لعبد العزيز : أَتَجْعَلُ لى عشرين ألف دينار ، وولاية الأردن ، والشركةَ فى الأمر ، على أن أصيرَ معكم ؟ قال : على أنْ تَحْمِلَ على أصحاب الوليد من ساعتك . ففعل ، فانهزم أصحاب الوليد » (٢٨٥) .

وعلى الرغم من خيانة بعض الأمراء السفيانيين للوليد فى اللحظات العصيبة ، فإنه لم ييأس من محاربة عبد العزيز ، ولم يَقْنَطْ من القضاء عليه ، فَظَاهَر بين دِرْعَيْنِ ، وأُتِىَ بِفرَسَيْه : السِّنْدىِّ والذَّائد ، فقاتَل عبد العزيز وجُنْدَهُ قتالاً شديداً ، فناداهم رجل : « اقتلُوا عَدُوَّ الله قِتْلَةَ قوم

---

(٢٨٣) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٩ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٣ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، والأغانى ٧ : ٧٩ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ، رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٣ ظ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٦ .

(٢٨٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٣ .

(٢٨٥) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٠ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٣ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٣ ظ .

لوط ، ارموه الحجارة ، فلما سمع الوليد ذلك ، دخل القصر ، وأغلق الباب ، وأحاط عبد العزيز وأصحابه بالقصر ، فدنا الوليد من الباب فقال : أما فيكم رجل شريف له حَسَبٌ وحياءٌ أُكَلِّمُه ! فقال له يزيد بن عَنْبَسة السَّكْسَكى : كَلِّمنى ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا يزيد بن عَنْبَسة ، قال : يا أخا السكاسك ، أَلَمْ أَزِدْ فى أعطياتكم ! أَلَمْ أَرْفَع المؤن عنكم ! أَلَم أُعْط فُقَراءَكم ! أَلَمْ أُخْدِم زَمْناكُم ! فقال : إنا ما ننقم عليك فى أنفسنا ، ولكن ننقم عليك فى انتهاك ما حَرَّمَ الله ، وشرب الخمر ، ونكاح أمهات أولاد أبيك ، واستخفافك بأمر الله ! قال : حَسْبُك يا أخا السكاسك ! فلعمرى لقد أكثرتَ وأَغْرَقْتَ ، وإن فيما أحلَّ لى لَسَعَةً عما ذكرت ، ورجع الدار ، فجلس وأخذ مصحفاً ، وقال : يومٌ كيوم عثمان ، ونشر المصحف يقرأ »(٢٨٦) .

ولا يَتَضَمَّنُ ما أخذه المدائنى عن رواة اليمنية من كلب ، الذين عاصروا الأحداث أنَّ الوليد تنازل عن الخلافة ، ولكن صاحب الإمامة والسياسة يذكر أن الوليد قبل فى آخر مفاوضاته مع اليمنية أنْ يَخلَعَ نفسه ، فأَبَوْا إلاَّ رأْسَه(٢٨٧) . ويقول أبو حنيفة الدينورى : إن اليمنية خلعوا الوليد ، فلبث مخلوعاً أياماً كثيرة(٢٨٨) ، مما حَرَّفَهُ المؤرخون من أهل الأهواء ، إذ نَقَلُوا الخَلْعَ من المعنى السياسى إلى المعنى الاجتماعى الذى يَتَّصِلُ بالمجون وَيدلّ على الانحلال !(٢٨٩) .

ويروى المدائنى قصة اللحظات الأخيرة من حياة الوليد فيقول : «كان أول من عَلا الحائط يزيد بن عنبسة السَّكسكى ، فنزل إليه ، وسيف الوليد إلى جنْبِه ، فقال له يزيد : نَحِّ سيفك ، فقال له الوليد : لو أَرَدْتُ السيف لكانت لى ولك حالة غير هذه . فأخذ بيد الوليد ، وهو يريد أن يُؤَامِرَ فيه ، فنزل من الحائط عشرة : منصور بن جمهور ، وحبال بن عمرو الكلبى ، وعبد الرحمن بن عجلان ، مولى يزيد بن عبد الملك ، وحميد بن نصر اللخمى ، والسرى بن زياد بن أبى كبشة ، وعبد السلام اللخمى ، فضربه عبد السلام على رأسه ، وضربه السرى على وجهه ، وجَرُّوه بين خمسة ليخرجوه ، فصاحت امرأة كانت معه فى الدار ، فكفوا عنه ولم يخرجوه »(٢٩٠) . وكان مقتل الوليد يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست

(٢٨٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٦ ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٩ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٣ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٢ و ، والأغانى ٧ : ٨٠ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١١ .

(٢٨٧) الإمامة والسياسة ٢ : ١٣٥ .

(٢٨٨) الأخبار الطوال ص : ٣٤٩ .

(٢٨٩) مروج الذهب ٣ : ٢٢٨ ، وتاريخ الموصل ص : ٥١ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٥١ ، والفخرى فى الأداب السلطانية ص : ١٢٢ ، وشذرات الذهب ١ : ١٦٨ .

(٢٩٠) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٦ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٣ ، والأغانى =

وعشرين ومائة (٢٩١) .

« واحتز أبو علاقة القضاعى رأسه ، فأخذ عَقَباً (٢٩٢) فخاط الضربة التى فى وجهه ، وقدم بالرأس على يزيد رَوْحُ بن مُقْبِل ، وقال : أبشر يا أمير المؤمنين ، بقتل الفاسق الوليد ، وأسر من كان معه ، فسجد ومن كان معه ، وقام يزيد بن عنبسة السكسكى ، وأخذ بيد يزيد ، وقال : قم يا أمير المؤمنين ، وأبشر بنصر الله ، فاختَلَج يزيد يدَه من كفه ، وقال : اللهم إن كان هذا لك رضاً فَسَدّدنى ، وقال ليزيد بن عنبسة : هل كلمكم الوليد ؟ قال : نعم ، كلمنى من وراء الباب ، وقال : أما فيكم ذو حَسَبٍ فأكلمه ! فكلمته ووبخته ، فقال : حسبك ، فقد لعمرى أغرقت وأكثرت ، أما والله لا يُرْتَقُ فتقكم ، ولا يُلَمُّ شعَثكُم ، ولا تجتمع كلمتكم » (٢٩٣) .

وكانت أخبار عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك لا تصل بانتظام إلى دمشق ، وكان بعض موالى الوليد وأنصاره يشيعون أن عبد العزيز خُذِلَ وانهزم ، فلما أتاهم رأس الوليد سكتوا وكَفُّوا . ويبدو أن يزيد بن الوليد أراد أن يقطع الأراجيف ، فأمر بنصب رأس الوليد ، فقال له يزيد بن فروة ، مولى بنى مروان : إنما تُنْصَب رءوس الخوارج ، وهذا ابن عمك ، وخليفة ، ولا آمن إنْ نَصبتَه أنْ تَرِقَّ له قلوب الناس ، ويغضب له أهل بيته ، فقال : لا ، والله لأَنْصِبَنَّه ، فنصبه على رمح ، ثم قال له : انطلق به ، فَطُفْ به فى مدينة دمشق ، وأَدْخله دار أبيه ، ففعَل ، فصاح الناس وأهل الدار ، ثم رَدَّه إلى يزيد ، فقال له : انطلق به إلى منزلك ، فمكث عنده قريباً من شهر ، ثم قال له : ادْفَعْهُ إلى أخيه سليمان ، فغسل ابن فروة الرأس ، ووضعه فى سَفَطٍ ، وأتى به سليمان (٢٩٣) .

ويقول المسعودى : إن الوليد دفن بالموضع الذى قتل فيه (٢٩٤) ، ولكن ابن عساكر يذكر أن جسد الوليد حمل سِرًّا بليلٍ إلى دمشق ، ودفن بها خارج باب الفراديس (٢٩٥) .

= ٧ : ٨٠ ، وتاريخ دمشق مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٣ ظ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١١ .

(٢٩١) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٢ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٢٤ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٤ ظ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٨ .

(٢٩٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٧ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٢ .

(٢٩٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٤ ، وتاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٥١ ، وتاريخ دمشق مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٣ ظ .

(٢٩٤) مروج الذهب ٣ : ٢٢٤ .

(٢٩٥) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٤ ظ .

٥ - نَتائجُ قَتْله

نجم عن قتل الوليد بن يزيد عدة نتائج : منها ضعفُ الخلافة ، وذهابُ هَيْبتها ، وضياعُ جلالها وانهيارُ سلطانها على العامة والخاصة والجند فى الأمصار المختلفة . ومنها اختلاف آراء القبائل اليمنية الشامية ، وتضارب أهوائها السياسية ، وانقسامها ، ومحاربة بعضها لبعض ، وهى عُظْمُ جند بنى أمية ، فَتَفَكَّكَ جَيْشُ الدولة فى العاصمةِ ، وتَصَدَّعَتْ قُوَّتُها الضَّاربة وتَمَزَّقَتْ .

وثالثة النتائج التى نشأت عن قتل الوليد تفسخ الأسرة الأموية بِفَرْعَيْها السُّفيانىِّ والمروانىِّ ، وتَنَاحُرهُا وتَفَانيها فى سبيل الفوز بالحكمْ والمُلْكِ ، فإن يزيد بن الوليد لم يكد يفرغ من قتل الوليد ، ويبايع له بالخلافة حتى خرج عليه أهل حمص من اليمنية ، وكان أقلهم من القدرية ، فساهموا فى اغتيال الوليد ، وفرحوا به ، أما أكثرهم فكان هواهم مع الوليد ، ولذلك أَمَدُّوه بأمدادٍ شَتَّى دفعوها إليه بحصن البخراء قَبْل أَنْ يُقتَل ، فلما جاءهم نَبأُ قَتْلِه أغلقوا أبواب مدينتهم ، وأقاموا النوائح والبواكى عليه ، وسألوا عن قَتْلِه ، فقال بعض من حَضَرهم : ما زلنا مُنْتَصِفين من القوم قاهرين لهم ، حتى جاء العباس بن الوليد ، فمال إلى عبد العزيز بن الحجاج ابن عبد الملك ، فوثب أهل حمص فهدموا دار العباس ، وانتهبوها ، وسلبوا حرمه ، وأخذوا بنيه فحبسوهم ، وطلبوه ، فَفَرَّ إلى أخيه يزيد بدمشق . وكاتبوا الأجناد ، ودعوهم إلى الطلب بدم الوليد ، فأجابوهم ، وكتب أهل حمص بينهم كتاباً ألاَّ يدخلوا فى طاعة يزيد ، وإن كانَ وَلِيًّا عهد الوليد حَيَّينِ ، قاموا بالبيعة لهما ، وإلاّ جعلوها لِخَيْرِ منَ يَعْلَمون ، على أن يعطيهم العطاء من المحرم إلى المحرم ، ويعطيهم للذريَّة ، وأمروا عليهم معاوية بن يزيد بن حُصَيْن[٢٩٦] .

وكانت حمص موطناً من مواطن الأمراء السفيانيين والمروانيين ، وكان أغلب من بها منهم يؤيدون الوليد ، وقد رجع إليها أبو محمد السفيانى بعد أن بايع ليزيد مجبراً . وكان عليها فى آخر أيام الوليد مروان بن عبد الله بن عبد الملك ، وكان من سادة بنى مروان نُبْلاً وكَرَماً وعَقْلاً وجَمالاً ، فكتب إليه معاوية بن يزيد بن حصين زعيم أهل حمص المنتخب يَحثُّه على الأخذ بثأر الوليد ، فأجابه وتابعه على ما أراد . فلما بلغ يزيَد بن الوليد خَبَرُهم ، وجَّه إليهم رُسلاً ، فيهم يعقوب بن

(٢٩٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٢ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ٢١ ظ ، والمختصر فى أخبار البشر ١ : ٢٠٦ .

عمير بن هانئ العَبْسى ، وكتب إليهم : إنه ليس يدعو إلى نفسه ، ولكنه يدعوهم إلى الشورى ! فقال عمرو بن قيس السَّكونى : رضينا بوَلِيِّ عَهْدِنا الحكم بن الوليد ، فأخذ يعقوب بن عمير بلحيته فقال : إن الذى تعنى لو كان يتيماً فى حجرك لم يحل لك أن تدفع إليه ماله ، فكيف أَمْرُ الأمة ! فوثب أهل حمص على رسل يزيد بن الوليد فطردوهم . فَوَجَّه يزيد إليهم أخاه مسروراً ، وابن أخيه الوليد بن روح فى جمع كبير من كلب . ثم قدم سليمان بن هشام على يزيد فأكرمه ، وتزوج أخته أم هشام ورَدَّ عليه ما كان الوليد أخذه من أموالهم ، وَوَجَّهه إلى مسرور بن الوليد ، والوليد بن روح بحصن حُوَّارين من حصون حمص على الطريق إلى دمشق ، وأمرهما بالسمع والطاعة له .

وتأهب أهل حمص لمهاجمة يزيد بدمشق ، فنصحهم مروان بن عبد الله بمنازلة جيش يزيد الذى عسكر بمشارف حِمصْ ، فقال لهم أبو محمد السفيانى : إن مروان يريد أن يُرَيِّثكم عن الطَّلَبِ بدم الخليفة ، وكان معهم السمط بن ثابت من ولد شرحبيل بن السمط الكندى ، وكان ينافس معاوية بن يزيد بن حُصَيْن فى زعامة أهل حمص ، ونقم على مروان بن عبد الله لأنه أقر بزعامته ، فقال : مروان العدو القريب الدار ، يريد أن ينقض جماعتكم ، وهو ممايل للقدرية ! فوثب السمط ، والصقر بن صفوان الكندى ، وغالب بن ربعى الطائى فى جماعة فقتلوا مروان ، فلم يشعر أبو محمد السفيانى إلاَّ برأسه على رمح ، فقال : لم أُرِدْ هذا ، ثم بايعوا له ، فسار حتى نزل بحصن جُوسيَّة من حصون حمص من جهة دمشق ، فأمَر يزيد بن الوليد سليمانَ بن هشام ، وعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك أنْ ينزلا ثِنْيَة العُقاب فى الجبل الذى يُطِلُّ على غوطة دمشق من ناحية حمص ، فانتقل أبو محمد السفيانى إلى قُطَيِّفَةِ هشام إزاء جند يزيد ، فَتَقَدَّم إليه سليمان بن هشام ، والتقوا بالسُّلَيْمانية على بعد أربعة عشر ميلاً من دمشق ، فقاتل السُّفيانُى ، فخذله جُنْدُه ، وأَسَرهُ سليمانُ وساقه مقبداً إلى يزيد بدمشق ، فحبسه مع الحكم وعثمان ابنى الوليد ابن يزيد ، وحبس معهم يزيد بن عثمان بن محمد بن أبى سفيان[٢٩٧] . وبايع ليزيد بعض اليمنية من أهل حمص الذين خرجوا مع أبى محمد السفيانى[٢٩٨] ، فأجرى عليهم العطاء ، وأجاز أشرافهم[٢٩٩] .

---

(٢٩٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤١ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٣ .

(٢٩٨) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٤٤٤ .

(٢٩٩) الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٤ .

وما إن قضى يزيد على ثورة أهل حمص حتى ثار به أهل الأردن وفلسطين من اليمنية ، وكان سعيد بن عبد الملك عاملاً للوليد على فلسطين ، وكان ولد سليمان ينزلون فلسطين ، وكان يزيد ابن سليمان سَيِّدَ ولد أبيه ، وكان رأس أهل فلسطين يومئذ سعيد بن روح الجذامى ، فدعا يزيد ابن سليمان ليوليه على قومه من جذم ، ويطالبوا بدم الوليد ، وأمر سعيد بن عبد الملك بالرحيل عنهم ، فذهب إلى يزيد بن الوليد بدمشق ، فدعا يزيد بن سليمان أهل فلسطين إلى قتال يزيد ، وبلغ أهل الأردن أمرُهم ، فوَلَّوا عليهم محمد بن عبد الملك ، واحتشدوا جميعاً لمحاربة يزيد ، فأرسل إليهم سليمانَ بن هشام فى جُنْدِ أهل دمشق ، وحمص ، فلمْ يُنَاجْزهم سليمان ، فمضى إلى يزيد بعضُ عيونه من اليمنية فى فلسطين ، وأخبره بِتَخَلُّف سليمان عن القتال ، فكتب إليه بأمره بمناجزتهم ، وبَثَّ يزيد بعض دعاته ، لِيُثَبِّطُوا الثائرين ، ويشتروهم بالأموال ، فلم يزالوا بالثائرين حتى كَفُّوا وتوقفوا ، وتَفَرَّقُوا عن يزيد بن سليمان ، ثم سار سليمان إلى طبرية وأخذ البيعة بها ليزيد ، ثم أتى الرَّملة ، وأخذ البيعة على أهلها ، وعَيَّن يزيد بن الوليد على فلسطين والأردن ولاة جدداً من إخوته ومن اليمنية(٣٠٠) .

وكان مروان بن محمد عامل أرمينية وأذربيجان والجزيرة للوليد ، فلما اغتيل الوليد كتب إلى الغمر ابن يزيد بن عبد الملك يَحُضُّه على مجاهدة قَتَلَةِ أخيه من القدرية ، ويَعِدُه بالمساعدة(٣٠١) ، فسكت الغمر ، وبقى مروان فى ولايته ، وأرسل ابنه عبد الملك إلى الجزيرة ، فسيطر عليها ، وضبطها ، فترك مروان أرمينية ، وتحرك إلى الجزيرة ، فدعا أهلها إلى الفَرْضِ ، ففرض لِنَيِّفٍ وعشرين ألفاً من أهل الجَلد منهم ، وتهيأ لمحاربة يزيد بن الوليد ، فكتب إليه يزيد يسأله أن يُهادنه وَيدْخُلَ فى طاعته على أن يُوَلِّيَه ما كان عبد الملك بن مروان وَلَّى أباه من الجزيرة وأرمينية والموصل وأذربيجان ، فبايع له مروان ، ثم استرد كتاب البيعة من رسل يزيد بعد أن أتاه نعيه(٣٠٢) .

واستخلف إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ، سنة سبع وعشرين ومائة ، فسار مروان إلى دمشق ، وأعْلَنَ أنه ثائرٌ للوليد ، مُنْكِرٌ قتله ، ومعه جند الجزيرة من المضرية ، وخَلَّفَ ابنه عبد الملك فى أربعين ألفاً من الرابطة بالرقة ، فلما انتهى إلى قنسرين ، وكان بها بشر بن الوليد بن عبد الملك ، وأخوه مسرور ، فنَازَلها مروان ، ودعا الناسَ إلى مبايعته ، فمال إليه يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى فى

---

(٣٠٠) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٦ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٤ ، والمختصر فى أخبار البشر ١ : ٢٠٦ .

(٣٠١) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٨١ .

(٣٠٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٩٥ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٠٩ .

القيسية ، وأسلم إليه بشراً ومسروراً ، فحبسها ، وسار فيمن معه من أهل الجزيرة وقنسرين إلى حمص ، وكان أهل حمص امتنعوا عن المبايعة لإبراهيم بن الوليد ، وعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك (٣٠٣) ، فوجَّه إبراهيم إليه عبد العزيز بن الحجاج فى جند أهل دمشق ، فوصل إلى حمص قبل أن يصل إليها مروان ، وحاصر أهلها ، فلما دنا مروان من حمص رَحَلَ عبد العزيز عنها ، وخرج أهلها إلى مروان فبايعوه ، وساروا بأجمعهم معه ، فَوجَّه إليه إبراهيم بن الوليد الجند بقيادة سليمان بن هشام ، فمضى بهم حتى نزل عَيْن الجَرِّ بالبقاع بين بعلبك ودمشق ، فدعاه مروان إلى الكفِّ عن قِتالِهِ ، والتَّخْلية عن ابنى الوليد الحكم وعثمان المسجونين بدمشق ، وضَمِن عنهما أن لا يُؤاخذاه بقَتْلِ الوليد ، ولا يَطْلُبا أحداً ممن وَلُوا قَتْلَه ، فأبى عليه ، وَجَدَّ فى مُجالدته ، فانهزم جُنْدُ سليمان ، وهلك منهم سبعة عشر ألفاً ، وأُسِرَ أكثر من سبعة عشر ألفاً ، فأخذ مروان على الأسرى البيعة للحكم وعثمان ابنى الوليد ، ثم أطلقهم ولم يقتل منهم إلاَّ يزيد بن العَقَّار الكلبى ، والوليد بن مصاد الكلبى ، لأنهما كانا فيمن ساروا إلى الوليد ، واشتركوا فى اغتياله . ورجع سليمان والفَلُّ الذى معه إلى دمشق ، فاجتمع إليه وإلى إبراهيم بن الوليد ، وعبد العزيز بن الحجاج رؤوس اليمنية ، وهم يزيد بن خالد القسرى ، وأبو علاقة السكسكى والأصبغ بن ذؤالة الكلبى ، فاتفقوا على قتل ابنى الوليد بن يزيد ، ويوسف بن عمر الثقفى ، وأبى محمد السفيانى ، خوفاً من أن يبايع للحكم وعثمان بالخلافة ، فإنهما إن صار الأمر إليهما لم يستبقيا أحداً من قَتَلة أبيهما ، فوكلوا قتلهم ليزيد بن خالد القسرى ، فأرسل مولاه أبا الأسد ، فاغتال الحكم وعثمان ، ويوسف بن عمر ، ولم يَقْدِرْ على أبى محمد السفيانى ، لأنه اختفى . ثم دخلت خيل مروان دمشق . فهرب إبراهيم ابن الوليد ، وتَغَيَّب ، وانْتَهَبَ سليمان ما كان فى بيت المال ، وقَسَمَهُ فى جنده ، وخرج من دمشق (٣٠٤) ، فثار بها من فيها من موالى الوليد بن يزيد إلى دار عبد العزيز بن الحجاج فقتلوه ، ونبشوا قبر يزيد بن الوليد ، وصلبوه على باب الجابية . وأمر مروان بابنى الوليد ويوسف بن عمر فدفنوا ، وأتى بأبى محمد السفيانى محمولاً فى كبوله ، فَسَلَّم على مروان بالخلافة ، وبايع له بها رؤوس أهل دمشق وحمص ، فاستعمل العمال على دمشق وحمص والأردن وفلسطين ، وأخذ عليهم العهود المؤكدة ، والأيمان المغلظة على بيعته ، وطلب منه إبراهيم بن الوليد ، وسليمان بن هشام الأمان ، فأَمَّنهم ، فقدم عليه سليمان بمن معه من إخوته وأهل بيته ومواليه

---

(٣٠٣) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٨ .

(٣٠٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٠٠ ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٤ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤٩ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٢١ ، والمختصر فى أخبار البشر ١ : ٢٠٧ .

من تدمر فبايعوه ، وقدم عليه إبراهيم فخلع نفسه ، فاستقامت الخلافة لمروان ، وانصرف إلى منزله بحّران (٣٠٥) .

وبعد ثلاثة أشهر من مبايعة مروان خَالَفَهُ أهلُ حمص ودمشق وفلسطين ، دعاهم إلى ذلك واليه على فلسطين ثابت بن نعيم الجذامى ، وراسلهم وكاتبهم ، وسار إليهم بنفسه ، وأرسل أهل حمص إلى من بتدمر من كلب ، فشخص إليهم الأصبغ بن ذؤالة الكلبى ، وأبناؤه الثلاثة : جمرة ، وذؤالة ، وفرافِصَة ، وغيرهم من اليمنية ، كمعاوية السكسكى ، وعصمة بن المقشعر ، وهشام ابن مصادر ، وطفيل بن حارثة ، ونحو ألف من فرسانهم ، فدخلوا حمص ليلة الفطر من سنة سبع وعشرين ومائة ، وكان مروان بحماة ، فأتاه خبرهم ، فأَغَذَّ السير إليهم ، ومعه إبراهيم بن الوليد المخلوع ، وسليمان بن هشام ، فحاصر حمص ، واقتحمها جنده ، فقتلوا عامة المقاتلة من اليمنية ، وأَفْلَتَ الأصبغ بن ذؤالة ، ومعاوية السكسكى ، وأسر ذؤالة وفرافصة ابنا الاصبغ بن ذؤالة فى نيف وثلاثين رجلاً ، فجىء بهم إلى مروان فقتلهم ، وأمر بجميع قتلاهم فصلبوا حول المدينة .

وثار أهل الغوطة إلى دمشق ، فحاصروا أميرهم زامل بن عمرو الجبرانى ، وولوا عليهم يزيد بن خالد القسرى ، فبعث إليهم مروان من حمص أبا الورد مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث ، وعمرو بن الوضاح فى عشرة آلاف ، فحملوا على أهل الغوطة ، وهزموهم ، واستباحوا عسكرهم ، وحرقوا قربة المِزَّة . ولجأ يزيد بن خالد القسرى ، وأبو علاقة السكسى إلى رجل من لخم من أهل المزة ، فَدُلَّ عليهما زاملُ بن عمر الجبرانى ، فأرسل إليهما فَقُتِلاَ ، فَدَفَع رأسيهما إلى مروان بحمص (٣٠٦) ، وقَتَلَ زامل أيضاً الوليد وخالداً ابنى يزيد بن الوليد بن عبد الملك (٣٠٧) .

وخرج ثابت بن نعيم الجذامى حتى أتى طبرية ، وعليها الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم ، فَطَوَّقها فقاتله أهلها أياماً ، فكتب مروان إلى أبى الورد أن يشخص إليهم فَيمِدَّهم ، فرحل من دمشق ، بعد أيام ، فلما بلغهم دُنُوُّه وثَبُوا على ثابت ، فهزقوا عسكره ، فانصرف إلى فلسطين ، فلحق به أبو الورد فهزمه ، وفَرَّق من معه ، وأسر ثلاثة من أبنائه هم : نعيم وبكر وعمران ، وعَيَّن مروان على فلسطين الرُّماحِس بن عبد العزيز الكنانى ، وكتب إليه فى طلب ثابت ، والتلطف له ، فأرشده إليه رجل من جذام فأخذه الرماحس ، وأرسله إلى مروان موثقاً ، فأمر به وببنيه الثلاثة الذين كانوا

(٣٠٥) تاريخ الطبرى ٧ : ٣١١ ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٥ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٥٠ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٢٣ .

(٣٠٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٣١٣ ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٧ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٢٨ .

(٣٠٧) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٦ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤٢ ، ٣٥١ .

فى قبضته ، فقطعت أيديهم وأرجلهم ، ثم حُمِلُوا إلى دمشق ، فأقيموا على باب مسجدها ، لأنه كان يبلغ مروان أن أهل دمشق يرجفون بثابت ، ويقولون : إنه أتى مصر ، فغلب عليها ، وقتل عامل مروان بها (٣٠٨) .

وأقبل مروان من دير أيوب إلى دمشق ، فبايع لولديه عبيد الله وعبد الله ، وزَوَّجها ابنتى هشام ابن عبد الملك أم هشام وعائشة ، وجمع لذلك أهل بيته جميعاً من ولد عبد الملك بن مروان ، محمد وسعيد وبكار ، وولد الوليد وسليمان ويزيد وهشام وغيرهم من قريش ورؤوس العرب ، وقَطَعَ على أهل الشام بَعْثاً وَقَوَّاهم ، وولى على كلِّ جُنْدٍ منهم قائداً منهم ، وأمرهم باللحاق بيزيد بن عمر بن هبيرة ، وكان مروان قبل مسيرِهِ إلى الشام وَجَّهه فى عشرين ألفاً من أهل قنسرين والجزيرة ، وأمره أن ينزل دَوَّرين من قرى واسط إلى أن يقدم . ثم سار مروان إلى القسطل من أرض حمص ، ومنها إلى الرصافة ، ومعه سليمان بن هشام ، وعمه سعيد بن عبد الملك ، وإخوته جميعاً ، وإبراهيم المخلوع ، وجماعة من ولد الوليد وسليمان ويزيد ، فأقاموا بها أياماً ، ثم شخص إلى الرقة ، فاستأذنه سليمان ، وسأله أن يقيم أياماً ليقوى من معه من مواليه ، ثم يتبعه ، فأذن له ، ومضى مروان فنزل عند واسط على شاطئ دجلة بمعسكر كان ينزله ، فأقام به ثلاثة أيام ، ثم مضى إلى قرقيسيا ، وابن هبيرة بها ، ليقدمه إلى العراق لمحاربة الضحاك بن قيس الشيبانى الحرورى ، فأقبل نحو من عشرة آلاف ممن كان مروان قطع عليه البعث بدير أيوب ، لغزو العراق مع قُوَّادهم حتى حلوا بالرصافة ، فدعوا سليمان إلى خلع مروان ومحاربته (٣٠٩) وقالوا له : أنت أرضى منه عند أهل الشام ، وأولى بالخلافة ، فأجابهم ، وخرج إليهم بإخوته وولده ومواليه ، فعسكر بهم ، وسار بجمعهم إلى قنسرين ، فكاتب أهل الشام ، فانْقَضُّوا إليه من كل وَجْهٍ وجُنْدٍ . وأقبل مروان بعد أن شارف قرقيسيا مُنْصَرِفاً إليه ، واجتمع إلى سليمان نحو من سبعين ألفاً من أهل الشام وغيرهم ، وعسكر فى قرية لبنى زفر بن الحارث ، يقال لها : خُسَاف من قنسرين ، فقاتلت مقدمة مروان ، فانهزمت ، فأسرع مروان حتى انتهى إلى سليمان ، فواقعه ، فانْدَحَر سليمان ومن معه ، وأتبعهم مروان خُيولَه تقتلُهم وتأسُرهم ، واحتل فرسانه معسكرهم ، فأمرهم ألاَّ يأتوا بأسير إلا قتلوه إلا عبداً مملوكاً ، فَأُحْصِى من قتلاهم يومئذ ما نَيَّف على ثلاثين ألفاً ، وقتل إبراهيم بن سليمان ، وخالد بن هشام المخزومى خال هشام بن عبد الملك (٣١٠) .

---

(٣٠٨) تاريخ الطبرى ٧ : ٣١٤ ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٧ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٥٤ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٣٠ .

(٣٠٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٣١٥ .

(٣١٠) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٢٤ .

ومضى سليمان مَغْلولاً حتى انتهى إلى حمص ، فانضم إليه مَنْ أَفْلَتَ مِمَّن كان معه ، فعسكر بها ، وبنى ماكان مروان أمر بهدمه من حيطانها ، وَوَجَّه مروانُ يوم هَزَمَ سليمان قُوَّاداً ورَوابِطَ فى جَرِيدةِ خَيْلٍ ، وأمرهم أن يسبقوا إلى حِصْنِ الكامل . وكان موالى سليمان وولد هشام اجتمعوا بالهَنِىِّ من الرقة ، ودخلوا الحصن بذراريهم ، فتحصنوا فيه ، وأغلقوا الأبواب ، وخلعوا طاعة مروان ، فَتَخَطَّاهم إلى قنسرين لمحاربة سليمان ، فجعلوا يخرجون من حصنهم ، فيغيرون على من اتَّبَعَ مروان من أخريات الناس ، وشُذَّانِ الجند ، فيسلبونهم خيولهم وسلاحهم ، وبلغ مروان ذلك ، فتحرق عليهم غيظاً(٣١١) . ثم وصلت جريدة خيله حصن الكامل ، فأحدقت به إلى أن أتاهم ، فسأل موالى سليمان وولد هشام أن ينزلوا على حكمه ، فَأَبَوْا حتى يُؤَمِّنَهم بأجمعهم ، فَدَلَّفَ إليهم ، ونصب عليهم المجانيق ، فلما أنهالت عليهم الحجارة ، نَزَلُوا على حكمه ، فَمَثَّلَ بهم ، وكانوا نحواً من ثلاثمائة(٣١٢) .

واندفع مروان إلى سليمان بن هشام ومن تجمع معه بحمص ، فلما دنا منهم ، وَطَّنَ تسعمائة من فرسانهم على الموت ، فقاتلوه حتى قُتِلُوا ، وانهزم عسكر سليمان ، فخلف أخاه سعيداً فى مدينة حمص ، وعرف أنْ لا طاقة له بمروان ، وَمَضى إلى تدمر ، فأقام بها ، ونزل مروان على حمص ، فحاصر من بها عشرة أشهر ، ورماهم بالمجانيق ، فلما تتابع عليهم البلاء ، ولزمهم الذل ، سألوه أن يُؤَمِّنَهم على أن يمكنوه من سعيد بن هشام وابنيه عثمان ومروان ، ومن رجل يسمى السكسكى ، ومن حبشى ، فأجابهم إلى ذلك وقبلَه ، فقتل السكسكى والحبشى ، واستوثق من سعيد وابنيه(٣١٣) .

وفى بعض الروايات أن سليمان بن هشام بعد انهزامه من وقعة خُسَاف ، أقبل هارباً حتى صار إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، فخرج معه إلى الضحاك بن قيس الشيبانى الحرورى فبايعه(٣١٤) .

فأمر بنى أمية لم يلتئم ولم يستقم بعد هلاك الوليد بن يزيد ، فقد ظلوا يتصارعون على الخلافة سنتين كاملتين ، حتى قضى مروان بن محمد فى أواخر سنة سبع وعشرين ومائة على كل من ثاروا به من ولد أعمامه الحجاج والوليد وهشام بنى عبد الملك بن مروان .

ورابعة النتائج التى نجمت عن اغتيال الوليد بن يزيد استعار العصبية القبلية ، واشتداد التنافس بين المضرية من تميم وقيس وبين اليمنية والربعية فى السلطان ، وتقاتلهم عليه فى الشام والعراق واليمامة

(٣١١) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٢٤ ، وانظر الكامل فى التاريخ ٥ : ٣٣٢ .

(٣١٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٢٥ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٥٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٣٢ .

(٣١٣) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٢٦ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٥٥ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٣٢ .

(٣١٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٢٧ .

ونجد والحجاز وخراسان . أما فى الشام فَمَرَّ أن اليمنية تَذَمَّروا من الوليد ، لأنه استعان بالقيسية ، وخصهم بأكثر الوظائف وأرفعها . ويُلَخِّص المسعودى أثر سياسة الوليد فى اشتعال العصبية القبلية ، واحتدام التسابق بين المضرية واليمنية فى الحكمِ فيقول : «بويع الوليد بن يزيد . . . فَقَدَّم نزاراً واستَبْطنها ، وجَفَا اليمنَ واطَّرحها ، واستَخَفَّ بأشرافها ، وعمد إلى خالد القسرى . . . وكان رئيسَ اليمنية فى وقته المنظورَ إليه منهم . . . فدفعه إلى يوسف بن عمر الثقفى عامله على العراق ، فحمله إلى الكوفة ، وعَذَّبه حتى قَتَلَه . . . فَدَبَّ يزيد بن الوليد فى الدعاء إلى خَلْعِهِ ، فأجابته اليمن بأسرها ، وعاضَدُوه ، وَوَثبوا معه على عامل الوليد بدمشق . . . وبايعوا يزيداً ، ثم ساروا إلى الوليد . . . فقتلوه »(٣١٥) .

وتشير الأشعار التى نظمها أبناءُ خالدٍ ومواليه وغيرهم إلى أن اليمنية كانوا أكبر أعوان يزيد بن الوليد ، وأنهم أيدوه لينتقموا لخالد القسرى . ومنها قول يزيد بن خالد يُندِّد بِقَتْل القيسية لأبيه غدراً وعدواناً ، وهو المسلم الصالح ، ويشمت باغتيال الوليد ، مردداً أنه قَتَلَهُ بأَبيه ، وكان أتى على الوليد وهو مُجَنْدَلٌ ، فضربة تسع ضَرَبات(٣١٦) :

قَتَلْتُم خالداً بالظُّلْم قَسْراً وما يَبْقى سوى الإسلامِ دينًا
قَتَلْتُ إمامَكُمْ بأبى فَحَسْبِى وقد قَتَلُوا سِوَاهُ آخَرِينا

وقول محمد بن خالد الذى صاغه بعد هلاك الوليد بزمن ، وهتف به أثناء تَقَدُّمِ الجيوش العباسية نحو الكوفة ، وكان ثار ورفع شعارات العباسيين وراياتهم السوداء(٣١٧) ، فإنه يعبر فيه عن ابتهاجه بمصرع الوليد ، ويَرْميه بالفسق والِكبر . ومجانبة الصواب ، ويستهين بسخريته باليمنية واتهامه لهم بالعجز فى القصيدة اللامية التى وضعوها عليه ، ويطاول بقوة القبائل اليمنية وجبروتها ، فقد قضت على الوليد ، وطَوَّحت بدولة بنى مروان (٣١٨) .

قَتَلْنَا الفَاسِقَ الْمُخْتَالَ لمَّا أضَاعَ الحَقَّ واتَّبَع الضَّلالاَ
يَـقُولُ لخالـدٍ أَلَّا حَـمَتْهُ بنو قحطانَ إنْ كانوا رِجَالاَ
فكيف رأى غداةَ غَدَتْ عليهِ كَرَادِيسٌ يُشَبِّهُها الجِبَالاَ(٣١٩)
أَلاَ أَبْلِغْ بنى مروانَ عَنِّى بأنَّ الْمُلْكَ قد أَوْدَى فزالاَ

---

(٣١٥) التنبيه والإشراف ص : ٢٨٠ .

(٣١٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٥ .

(٣١٧) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٦٧ ، وتاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦١٦ .

(٣١٨) الأخبار الطوال ص : ٣٦٧ .

(٣١٩) الكراديس : الفرق من الخيل .

وقول أبى الأسد مولى خالد (٣٢٠) يفتخر بما أحرزت القبائل اليمنية من نصر مؤزر عزيز. معتدًّا بعظمتها وسطوتها، وأنها تَتَصَدَّى لأعدائها، وتَحتَزُّ رؤسهم، ولا تنام على ثاراتها، ومعلنا أن القيسية إذا كانوا أضعفوا القبائل اليمنية، وطغوا عليها إلى حين، فإنها لم تلبث أن حَطَّمتهم، وانتصفت لخالد منهم، إذ دَقَّت عنق الوليد الذى مكَّن لهم (٣٢١):

لقدْ سَكَّنَتْ كَلْبٌ وأسيافُ مَذْحِجٍ   صدىً كانَ يَزْقُو لَيْلَهُ غيرَ راقدِ (٣٢٢)
تركْنَا أميرَ المؤمنينَ بخالدٍ   مُكِبًّا على خَيْشُومِهِ غيرَ سَاجدِ
فإنْ تَقْطَعُوا مِنَّا مَنَاطَ قِلادَةٍ   قَطَعْنَا بِهِ منكمْ مَناطَ قَلائدِ
وإنْ تَشْغَلُونا عن نِدَانَا فإنَّنا   شَغَلْنَا الوليد عن غِناءِ الولائدِ
وإنْ سَافَر القسرىُّ سَفْرَةَ هَالكٍ   فإنَّ أبا العباسِ ليسَ بشاهدِ

وصاح أبو محجن مولى خالد بغير مقطوعة تَمَدَّحَ فيها بسطوة اليمنية، ومحقهم للمضرية، وأزرى بالوليد، وكان ممن هاجموه وَمثَّلُوا به، فهو يقول مصوراً عبثه بجسده عبثاً قبيحاً لو رآه أنصاره لخروا صرعى من فرط حزنهم وغيظهم (٣٢٣):

لو شَاهَدوا حَدَّ سَيْفِى حينَ أُدْخِلُهُ   فى استِ الوليدِ لَماتُوا عِنْدَهُ كَمَدا

ويقول واصفاً فرحته باغتيال الوليد، ومتشفياً بالمضرية الذين تَخَلَّوْا عنه ولم يعصموه من الموت، ومتغنياً بإباء اليمنية، وما يصبون من الصواعق على خصومهم، فتحرقهم حرقاً (٣٢٤):

سائِلْ وليداً وسائِلْ أهلَ عَسْكَرِهِ   غداةَ صَبَّحَهُ شُؤْبُوبُنَا البَرِدُ
هل جاءَ من مُضَرٍ نَفْسٌ فَتَمْنَعَهُ   والخيلُ تحتَ عَجاجِ الموتَ تَطَّرِدُ
مَنْ يَهْجُنا جَاهِلاً بالسَّيْفِ نَنْقُضُهُ   بالبِيضِ إنَّا بها نَهْجُو ونَفْتَئِدُ (٣٢٥)

ويقول الأصبغ بن ذؤالة الكلبى معرباً عن مسرته بهلاك الوليد، وأسر ولديه الحكم وعثمان،

---

(٣٢٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٥، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٠٢.

(٣٢١) الكامل، للمبرد ٤ : ٤٥. وتنسب الأبيات لخلى بن خليف البكرى. (انظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٠، والعقد الفريد ٤ : ٤٦٣، وتاريخ الموصل ص : ٥٤، وتاريخ دمشق، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠، المجلد ١٧، الورقة : ٤٨٤ و.) والراجح أنها لأبى الأسد مولى خالد، فهى تكشف عن رأى اليمنية فى اغتيال الوليد. وكان خلف بن خليفة حليفاً لليمنية بخراسان، ولكنه كان بعيداً عن الأحداث بدمشق، مشغولاً بالتعبير عن موقف قومه، وأحلافهم من اليمنية ومنافستهم للمضرية بخراسان فى ولاية نصر بن سيار. (انظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢٩٠).

(٣٢٢) زقا : صاح.

(٣٢٣) أنساب الأشراف، مصورة الجامعة الأردنية، المجلد الثانى ص : ٣٣٧، والأغانى ٧ : ٨١.

(٣٢٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٦١، وتاريخ الموصل ص : ٥٥.

(٣٢٥) افتأد : أوقد النار.

وأخذ اليمنية بثأر خالد ، ومُسْتَعْلياً على القبائل القيسية والعَشَائر القرشية التي كانت تساعده (٣٢٦) :

من مُبْلغٌ قَيْساً وخِنْدِفَ كُلَّها ... وسادَاتِها من عبدِ شمسٍ وهاشمِ
قَتَلْنَا أميرَ المؤمنينَ بخالدٍ ... وبِعْنا وَلِيَّىْ عَهْدِه بالدَّرَاهمِ

ويقول نصر بن سعيد الأنصارى مهنئاً يزيد بن خالد بمصرع الوليد ، وَاصِماً له بالعبودية ، فهو قين ابن قين ، ومكاثراً القبائل النزارية من مضر وربيعة ، ومغتبطاً بما حل بها من النكال والوبال ، ومصرحاً بأن اليمنية ، وإن فتكوا بالوليد ، فإنه لا يكافئ خالداً ولا يساويه ، بل إن بنى أمية جميعاً ليس فيهم من يَزِنُهُ ويُاثله (٣٢٧) :

أبلغْ يزيدَ بنى كُرْزٍ مُغَلْغَلَةً ... أنِّى شُفِيتُ بِغَيْبٍ غَيْرِ مَوْتُورِ
قَطَّعْتَ أوصالَ قِنُّورٍ على حَنَقٍ ... بصارمٍ من سيوفِ الهندِ مَأْثُورِ
أمستْ حَلائِلُ قِنُّورٍ مُجَدَّعَةً ... لِمَصْرَعِ العَبْدِ قِنّوْرِ بنِ قِنْوْرِ (٣٢٨)
ظَلَّتْ كلابَ دِمَشْقٍ وهى تَنْهَشُهُ ... كأنَّ أعضاءَهُ أعضاءُ خِنْزِيرِ
غادَرْنَ منه بقاياً عندَ مَصْرَعِهِ ... أنقاضِ شِلْوٍ على الأطنابِ مَجْرُورِ
حَكَّمْتَ سَيْفَكَ إذْ لَم تَرْضَ حُكْمَهمُ ... والسيفُ يحكمُ حُكْماً غيرَ تَعْذِيرِ
لاتَرْضَ من خالدٍ إنْ كنتَ مُثَّئِراً ... إلاَّ بكلِّ عظيمِ المُلْكِ مَشْهُورِ
أَسْعَرْتَ مُلْكَ نَزارٍ ثم رُعْتَهُمُ ... بالخيلِ تركضُ بالشُّمِّ المغاويرِ
ماكان فى آلِ قِنُّوْرٍ ولا وَلَدُوا ... عَدْلاً لبدرِ سماءٍ ساطعِ النُّورِ

فهذه الأشعار تقطع بأن القبائل اليمنية الشامية إنحازت ليزيد بن الوليد ليتسنىَّ لها استرجاع سلطانها ، والإنتقام لخالد ، وتكشف عن احساسها بكيانها ، واعتدادها بمجدها ، وتوضح حقدها على المضرية ، ومنازعتها لهم ، وتصميمها على تدميرهم .

وخطب يزيد بن الوليد بعد اغتيال الوليد ، فأعلن أنه إنما ثار غضباً لله ودينه ، وشرح منهجه السياسى والاجتماعى والمالى والعسكرى ، وما يتوخاه من العدل فى الحكم ، والشورى فى الخلافة ، والمساواة بين المسلمين ، وناشد الناس أن يبايعوه إذا اقتنعوا بمنهجه فبايعوه (٣٢٩) .

---

(٣٢٦) الأغانى ٧ : ٨١ ، والتنبيه والإشراف ص : ٢٨١ ، وتاريخ الموصل ص : ٥٥ .

(٣٢٧) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٦١ .

(٣٢٨) القنور : العبد .

(٣٢٩) انظر خطبته فى تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٠ ، والبيان والتبيين ٢ : ١١٥ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٨ ، والعقد الفريد ٤ : ٩٦ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١٣ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥٢ .

ومع ما وعد به من التغيير السليم ، والإصلاح الشامل ، فإن القبائل اليمنية الشامية ضغطت عليه ضغطاً شديداً ، وكانت أكبر القوى التى ساندته ، ورفعته إلى الخلافة ، فلم يستطع الإفلات من ضغطها ، فانصاع لها ، وعمل على تحقيق مطامحها ، فَقَدَّمها ، وآثرها بالوظائف المهمة فى قصره ، وفى الأمصار المختلفة ، فاستعمل على شرطته بكير بن شماخ اللخمى(٣٣٠) ، أو محمد بن سعيد الكلبى(٣٣١) ، وعلى الخراج والجند والحرس النضر بن عمرو من أهل اليمن ، وعلى الخاتم عبد الرحمن ابن حنبل الكلبى ، وعلى الرسائل الليث بن أبى سليمان بن سعد(٣٣٢) . وَوَلَّى على العراق منصور ابن جمهور الكلبى(٣٣٣) ، فاستبد بالعراق ، وبسط نفوذ أهل اليمن عليها ، وحاول مد نفوذهم إلى أقطار المشرق ، إذ عَيَّن على البصرة جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلى(٣٣٤) ، وعلى شرطتها الحجاج بن أرطاة النخعى(٣٣٥) ، وعَيَّن على سجستان محمد بن عذار من أهل اليمن ، وكتب لأخيه منظور بن جمهور بعهد خراسان ، وعَزَلَ نصر بن سَيَّار عنها ، فامتنع نصر عليه ، ولم يذعن له(٣٣٦) . وأقصى يزيدُ بن الوليد يوسفَ بن محمد الثقفى عن المدينة ومكة والطائف ، وأرسل إليها عبد العزيز ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، ثم نَحَّاه عنها ، وَوَلَّى عليها عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز(٣٣٧) .

فتهاوَى سلطان المضرية وتَداعَى ، وعَظُمَ سلطان اليمنية وعَلاَ ، مما بدا معه أن يزيد بن الوليد حاد عن المبادئ الإسلامية التى نادى بتطبيقها ، وقَصَّر عن تحقيق الإصلاحات التى مَنَّى الناس بها ، واعتمد عليها فى ترشيح نفسه للخلافة ، فانتقده بعض اليمنية المُتَدَيِّنين الذين شاركوا معه فى الثورة ، ولم تأخذهم العزة بالعصبية القبلية والحمية الأعرابية ، ولا كان من همهم التَّحَزُّبُ لأنفسهم ، أو الاقتصاص من القيسية الذين قتلوا خالداً القسرى ، وإنما كانوا يبتغون سياسة سديدة رشيدة ، إذ يروى أن يزيد بن حجوة الغسانى الدمشقى لام يزيد بن الوليد لاستعماله منصور بن جمهور الكلبى على العراق ، وإبعادِه لقيس ، ونَصَحَهُ أنْ يُوَلِّى أهل الصلاح والوقوف عند الشُّبُهات ، والعلم

(٣٣٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٢ .

(٣٣١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٩ .

(٣٣٢) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٢ .

(٣٣٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٧١ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٥ .

(٣٣٤) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٠ .

(٣٣٥) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٨٠ .

(٣٣٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٧٧ .

(٣٣٧) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٩ .

بالأحكام والحدود ، وقال له : « مالى لا أرى أحداً من قيس يغشاك ، ولا يقف ببابك ؟ قال : لولا أنه ليس من شأنى سَفْكُ الدماء ، لَعَاجَلْتُ قيساً ، فوالله ما عزَّت إلّا ذلَّ الإسلام » ! . مما يدل على أنه كان يكره قيساً كُرْهاً عميقاً متأصلاً .

فَتلاَومت المضرية فيما كان من غلبة اليمانية عليها ، وقتلهم الوليد بن يزيد ، فَدَبَّ بعضهم إلى بعض ، واجتمعوا من أقطار الأرض ، وساروا حتَى وافَوْا مدينة حمص ، وبها مروان بن محمد . وكان يومئذ شيخَ بنِى أمية وكبيرهم ، وكان ذا أدبٍ كاملٍ ، ورأْيٍ فاضلٍ ، فاستخرجوه من داره ، وبايعوه ، وقالوا له : أنت شيخ قومك وسيدهم ، فأطلب بثأر ابن عمك الوليد بن يزيد ، فاستعد مروان بجنوده فى تميم وقيس وكنانة ، وسائر قبائل مضر ، وسار نحو مدينة دمشق ، فاحتلها ، وأستولى على الخلافة من إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك(٣٣٨) فاستقر فى نفوس اليمنية أن تنازل إبراهيم عن الخلافة نذير بزوال نفوذهم الذى تَمَّ لهم فى أيام يزيد بن الوليد ، فقاوموا مروان ، وظلوا يطيرون إلى سليمان ابن هشام كلما ثار به ، ثم إن الكلبيين من أهل حمص الذين غضبوا لمقتل الوليد بن يزيد نقضوا بيعتهم لمروان ، ورفضوا الإذعان له ، كما خرجت عليه قبيلة جذام بفلسطين ، إذ هب زعيمها ثابت بن نعيم الجذامى لمحاربته ، ثم خلعه وقال : « أنا الأصفر القحطانى ! لست لنعيم إن لم أنل الشام من أولاد قيس »(٣٣٩) . فقضى مروان عليه ، وأعدمه ، واستَتَبَّ الأمر له ، فاصطنع القيسية ، واستَظَلَّ بهم ، واستكثر منهم فى المناصب الكبرى بدمشق ، وفى بقية الأمصار(٣٤٠) .

ويُوجِزُ أبو عبيدة معمر بن المثنى أثر الانقلاب على الوليد فى اضطرام العصبية بالشام زمن يزيد ابن الوليد ، ومروان بن محمد ، وما نتج عنها من انشقاق القبائل إلى مجموعتين متصارعتين ؛ اليمن فى جانب ، وقيس فى جانب ، كل منهم يريد أنْ ينتزع الحكم لنفسه ، ويدعم مركزه ، ويحافظ على نفوذه فيقول : «كان جند أهل اليمن مع يزيد بن الوليد تعصباً على الوليد بن يزيد ، حيث أسلم خالد ابن عبد الله القسرى إلى يوسف بن عمر حتى قتله ، وكانت القيسية مع مروان بن محمد لأنه طلب بدم الوليد » (٣٤١) .

واحتدمت العصبية القبلية بالكوفة بين المضرية واليمنية والربعية من جهة أخرى فى ولاية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز على العراق ، ومنازلته لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى

---

(٣٣٨) الأخبار الطوال ص : ٣٥٠ .

(٣٣٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٥٢ .

(٣٤٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦١٥ .

(٣٤١) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٢١ .

طالب سنة سبع وعشرين ومائة ، فثار عامة المضرية وغوغاؤهم باليمنية من أهل الكوفة ، وَرَجَمُوهم فقتلوا منهم أكثر من ثلاثين رجلاً (٣٤٢) . وعندما انهزم شيعة ابن معاوية ، وأقبل قادة يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى إلى الكوفة حذروا الربعية من المضرية ، وقالوا لهم : «أما نحن يا معشر ربيعة فما كنا نأمن عليكم ما صنع الناس بأهل اليمن ، ونَتَخَوَّفُ عليكم مثلها» (٣٤٣) .

ووقعت العصبية القبلية بين اليمنية من أهل الشام وبين المضرية خلال محاربة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز لسعيد بن بهدل الشيبانى الخارجى ، فكانت اليمانية من أهل الشام مع عبد الله بن عمر بالحيرة ، والمضرية مع النضر بن سعيد الحرشى ، أحد قادة ابن عمر ، فكانوا يقتتلون فيما بينهم غُدوةً وَعِشيَّةً (٣٤٤) وكذلك كانوا بعد أن ولى أمر الخوارج بالكوفة الضحاك بن قيس ، فقد مالت المضرية إلى النضر ، ومالت اليمنية إلى ابن عمر ، فتحاربا أربعة أشهر ، وأقبل الضحاك نحو الكوفة ، فأرسل ابن عمر إلى النضر : هذا لا يريد غيرى وغيرك ، فَهَلُمَّ نجتمع عليه ، فتعاقدا على قتاله ، فنزل ابن عمر الكوفة ، وكان يصلى فى مسجد الأمير بأصحابه ، والنضر فى ناحية الكوفة يصلى بأصحابه ، لا يجامع ابن عمر ولا يصلى معه ، غير أنهما قد تَكَافَّا واجتمعا على قتال الضحاك (٣٤٥) !

ولما غَلَبَ الضحاك على الكوفة فَرَّ ابن عمر ، فنزل منزل الحجاج بن يوسف بواسط فى اليمانية ، ونزل النضر وأخوه سليمان ابنا سعيد ، وحنظلة بن نباتة وابناه محمد ونباتة فى المضرية ذات اليمين ، إذ صعدت من البصرة ، وخَلَّوْا الكوفة والحيرة للضحاك والشُّراة ، وصارت فى أيديهم ، وعادت الحرب بين عبد الله بن عمر ، والنضر بن سعيد الحرشى إلى ما كانت عليه قبل قدوم الضحاك ، يَطْلُبُ النضر أن يسلم إليه عبد الله بن عمر ولاية العراق بكتاب مروان ، ويأبَى عبد الله بن عمر. وأقبل الضحاك منقضاً فى الشراة إلى واسط مُتَّبعاً لابن عمر والنضر ، فلما رأيا ذلك ، نَكَلاَ عن الحرب فيما بينهما ، وصارت كلمتهما عليه واحدة ، كما كانت بالكوفة ، فجعل النضر وقواده يعبرون الجسر ، فيقاتلون الضحاك وأصحابه مع ابن عمر ، ثم يعودون إلى مواضعهم ، ولا يقيمون مع ابن عمر ، فلم يزالوا على ذلك ثلاثة أشهر (٣٤٦) .

واستطارت العصبية القبلية بين الربعية والقيسية باليمامة ونجد فى مناطق الحدود ومنازلهم

(٣٤٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٠٥ .

(٣٤٣) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٠٧ .

(٣٤٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٦١ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣١٧ .

(٣٤٥) تاريخ الطبرى ٧ : ٣١٨ .

(٣٤٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٢١ .

المتجاورة ، فأخذ كل منهم يُغِيرُ على خصمه ويغزوه ، حتى اتصلت الأيام والحروب بينهم ، وتَعَدَّدت الثارات ، واستأنفوا حياتهم الجاهلية . فقد كان على اليمامة حين قتل الوليد بن يزيد عَلِيٌّ بن المهاجر ابن عبد الله الكلابي ، فقال له المُهَيْر بن سلمى بن هلال أحد بنى الدُّول بن حنيفة : أَخْلِ لنا بلادنا ، فأبى ، فجمع له المهير وسار إليه وهو فى قصره بقاع حَجْر ، فالتقوا بالقاع بسوق حجر ، فهزمه المهير حتى أدخله قصره ، وخرج من ناحية القصر ، فهرب إلى المدينة ، وقَتَلَ المهير ناساً من أصحابه . فهذا يوم القاع (٣٤٧) .

وتَأَمَّرَ المهير على اليمامة ، وكان على شرطته عبد الحكم بن حكام العبدى ، فركب المهير والناس معه ، فَشَدَّ قومٌ على عبد الحكم فقتلوه . ثم مات المهير ، واستخلف عبد الله بن النعمان أحد بنى قيس ابن ثعلبة بن الدُّول ، فاستعمل الْمُنْدَلَثَ بن إدريس الحنفى على الفَلَج من قرى بنى عامر بن صعصعة ، وقيل هى لبنى نمير (٣٤٨) ، فجمع له بنو كعب بن ربيعة بن عامر ، ومعهم بنو عُقَيْل ، وأتوا الفلج ، فقاتلهم المندلث ، فقتله رجل منهم يقال له : رَحَّال بن فروة القشيرى ، وقَتَلَ أكثر أصحابه ، وظفرت بنو عامر ، ولم يقتل منهم كبير أحد ، وقتل يومئذ يزيد بن المنتشر المعروف بيزيد ابن الطَّثْرِيَّة . فهذا يوم الفَلَج الأول (٣٤٩) .

ولما أتى عبد الله بن النعمان خليفة المهير قَتْلُ الْمُنْدَلَث ، جمع جمعاً بلغ ألفاً من حنيفة وغيرها من ساكنى اليمامة ، فغزا الفَلَج ، فلما تَصَافَّ الناس انهزم أبو لطيفة بن مسلم العُقَيْلى . وتَجَلَّلَتْ بنو جعدة البراذع ، وقاتلوا حتى قتلوا إلا نَفَراً منهم ، وقطعت يد زياد بن حيان الجعدى ، ثم قُتِل فهذا يوم الفَلَج الثانى (٣٥٠) .

واستعد بنو عُقَيْلٍ وقُشَيْرٍ وجعدة بن كعب ونُمَيْر بن عامر بعد الفلج الثانى للحرب ، فتجمعوا وتَقَدَّمهم بنو سهلة النميرى ، فأغاروا على من كان من بنى حنيفة بمعدن الصحراء ، وقتلوا من وجدوه من بنى حنيفة ، وسلبوا نساءهم ، وكَفَّت بنو نمير عن النساء ، غير أن رباح بن جندل من بنى الراعى سبى امرأةً واحدةً مُخَصَّلةً بِخُصَلِ الفِضَّة . فهذا يوم معدن الصحراء (٣٥١) .

---

(٣٤٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٨ .

(٣٤٨) يقول ياقوت الحموى فى معجم البلدان ٣ : ٩٠٨ : «فلج مدينة بأرض اليمامة لبنى جعدة وقشير وكعب ابن صعصعة بن ربيعة بن عامر بن صعصعة» .

(٣٤٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤٣ ، والأغانى ٨ : ١٨١ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٩

(٣٥٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤٤ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٠٠ .

(٣٥١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤٤ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٠٠ .

ولما أوقعَ بالعامريين يوم الفلج الثانى ، قال عمر بن الوازع الحنفى لست بدون عبد الله بن النعمان وغيره مِمَّن يغير ، وهذه فترة يُؤْمَنُ فيها السلطان ، فمضى يريد أُضَاخاً من قرى اليمامة لبنى نمير ، فلما كان بالشُّرَيْف بَثَّ خيله فأغارت ، وأغار فملأ يده من الغنائم ، وأقبل ومن معه حتى نزلوا النَّشنَاش ، وأقبلت بنو عامر حاشدةً حتى أغارت ، فلمَ يَرُعْ ابْنَ الوَازِعِ إلا رُغَاءُ الإبل ، فجمع النساء فى فسطاط ، وأقام عليهن حَرساً من ثقاته . ولقى القوم فقاتلهم ، فَهُزِمَتْ حنيفة ومن معها ، وهرب ابن الوازع ، فلحق باليمامة ، وتساقط منهم خَلْق فى قلب النشناش من العطش وشدة الحر ، فَطُلِبَ ابنُ الوازع ، فلم يقدر عليه ، ورجعوا بالأسرى والنساء ، فهذا يوم النشناش(٣٥٢) وقد تَغَنَّى به شعراء قيس من عُقَيْل ونُمَيْر طويلاً(٣٥٣) ، وافتخروا بانتصارهم على بنى حنيفة ، وانتصافهم منهم ، افتخاراً منه قول القُحَيْفِ العقيلى(٣٥٤) :

مَنْ مُبْلِغٌ عنَّا قُرَيْشاً رسالةً ... وأفناءَ قَيْسٍ حيث سارتْ وحَلَّتِ
بأنّا تركَنا مِنْ حَنِيفةَ بعدَما ... أغارتْ على أهل الحِمَى ثُمَّ وَلَّتِ
نَسُكٌ نميرٌ بالقَنا صَفَحاتِهم ... فكمْ ثَمَّ مِنْ نُذْرٍ لها قدْ أُحِلَّتِ

وكَفَّتْ قَيْسٌ يومَ النَّشناشَ عن السَّلْبِ ، فجاءت عُكْلٌ من الحلَّةِ(٣٥٥) فسلبتهم . ولم يكن لحنيفة بعد هذا اليوم جَمْعٌ ، غير أنَّ عبيد الله بن مسلم الحنفى جَمَع جمعاً ، وأغارَ على ماءٍ لِقُشَيْرٍ يقال له : حَلَبان ، وأغار على عُكْلٍ فقتل منهم عشرين رجلاً . ثم قدم المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة والياً على اليمامة من قِبلَ أبيه حين ولى العراق لمروان بن محمد ، فوردها وهى سَلْمٌ ، فلم يُحارِبْ ، وتَشَاهَدَتْ بنو عامر على بنى حنيفة ، فَتَعَصَّبَ لهم المُثَنَّى بالقَيْسيّة ، فضرب عدة من بنى حنيفة ، ثم إن المثنى جعل يرفعهم إلى قاضيه طلحة بن إياس العدوى ، فلم يقبل شهادة عامرى ، فهدأت البلاد ، وسكنت ، ولم يزل عبد الله بن مسلم الحنفى مستخفياً حتى قدم السرى بن عبد الله بن الحارث بن عباس بن عبد المطلب والياً على اليمامة من قِبَلِ بنى العباس ، فَدُلَّ عليه فقتله لما صنع(٣٥٦) .

وثارت العصبية القبلية بين اليمنية والقيسية بالحجاز ، وتوقفت طيئ عن دفع الضرائب والصدقات لموظفى عبد الواحد بن سليمان عامل مروان بن محمد على المدينة ، وهَزَمَتْ جيشَ أهل المدينة من قيس ، وكانت فبه فرقة من جند أهل الشام ، وظلت مخالفةً لمروان ، مُسْتَعْصِيةً عليه ،

(٣٥٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤٤ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٠١ .
(٣٥٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤٥ .
(٣٥٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤٥ .
(٣٥٥) الحلة : قفٌّ من الشُّرَيْف بناحية أضاخ بين ضرية واليمامة .
(٣٥٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٠١ .

مُسْتَقِلَّةً عنه ، حتى قامت الدولة العباسية ، ففيما يرويه هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن معدان ابن عبيد الطائى أنه قال : تزوجت امرأة من بنى بدر من فزارة رجلاً منا على نبيذ لهم ، فأسرع فيهم النبيذ ، وجرت ملاحاة ، فوثب رجل منا يقال له : يعقوب بن سلامة ، فضرب شاباً منهم ، فَشَجَّه فمات من شَجَّته . قال معدان : فقلت للبدريين لكم دية صاحبكم ، فأبوا إلا إن يُدْفَعَ إليهم قاتله ، فأبيت دَفْعَه ، وكنا حين قُتِلَ الوليد بن يزيد ، ووقعت الفتنة ، مَنَعْنا الصدقة ، فلم يُؤَدِّها من طيئ إلا بنو جرم وبنو نبهان أو أكثرهم . فأتى البدريون أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان عامل الأعشار والصدقات بالمدينة ، وإليه صدقات الجَبَلَيْن ، فأخبروه بخبر صاحبهم ، فكتب أمية إلى مروان يخبره بمنعنا الصدقة ، وبقتل البدرى ، وامتناعى من دفع قاتله إليهم ، وأنَّا على خلاف ومعصية . فكتب مروان إليَّ أنْ أمكِّنَ البدريين من صاحبهم ، وأدُّوا الصدقة إلى أمية وسعاته ، وإلاَّ وَجَّهتُ إليك منَ يَحْمِلُكَ إليَّ ، فإن امتنعت عليه أتانى برأسك ، وَثَمَّ والله لأُبِيلَنَّ الخيل فى عرصاتكم . فأمر معدان بِضَرْبِ عنقِ الرسول ، فقال : إن الرسول لا يُقْتَلُ ، والأسير فيكم يا معشر طيئ يُسْتَحيا . فقال : صدقت ، وخلَّى سبيله ، وقال : أَدَّيْتَ إليَّ ، فَأَدِّ عنى ، قل لابن زُرْبَى (٣٥٧) : أنت تُبِيلُ الخيل فى عرصاتنا ، وبيننا وبينك رمال عالج ، وخلف ظهرى الجبلان ، وحولى عَدِيدُ طيئ ! اجْهَدْ جُهْدَك ، واحْشِدْ حَشْدَك ، فلا أبقى الله عليك إنْ أَبْقِيتَ ، ولا أَرْعَى عليك إنْ أُرْعِيت ، وكتب إليه :

أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ مروانَ عَنِّى ... علىَ مَاكانَ مِنْ بُعْدِ المَزارِ
أَلَمْ تَرَ للخلافةِ كيفَ ضاعَت ... لأَن صَارَتْ لأبناءِ السَّرارى

فأدى الرسول إلى مروان الرسالة والشعر ، فاستشاط غضباً ، ودعا عبد الحميد بن يحيى كاتبه ، فأمره أن يكتب إلى عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك عامله على المدينة ، وإلى أمية بن عبد الله عامله على الأعراض والأعشار والصدقات بها ، وعلى صدقات طيئ بالجبلين ، أنْ يسيرا بأهل المدينة وأهل البوادى من قيس وغيرها إلى معدان بن عبيد حتى يَحْمِلاَه ، أو يُقَاتَلَ فَيُقْتَل فى المعركة . فسار بالناس حتى نَزَلاَ بِفَيْد ، وبعث أمية إلى معدان بن عبيد فى أداء الصدقة ، فبعث إليه وإلى عبد الواحد أنى غير دافع إليكما شيئاً مما تطالبان ، أما الصدقة فإنى أَحْبِسُها حتى يستقيم أمر الناس ، وأما وضع يدى فى أيديكم فذلك ما لا يكون ، أو أُوسَرَ وأقتل . فسار أمية وصاحبه فى زهاء مائة ألف من أهل المدينة والبوادى من قيس وغيرها ، وفى ألف من أهل الشام بعثهم مروان إعانةً لهم ، وبعث عبد الواحد على مقدمته رجلاً من الضِّباب لِحَنَقِ قيس على طيئ ، واتَّبعه ، ويقال إنه لم يتبعه ،

---

(٣٥٧) زربى : أم مروان بن محمد .

وعسكروا بالْمُنْتَهب من أَجَأ . قال معدان : وكنت فى اثنى عشر ألفاً من بنى مَعْن بن عَتُود بن عَتير بن سلامان ابن ثُعَل ، وبنى جَدِيلَة وغيرهم من طيىٔ ، فذهب يحيى بن الكَرَوَّس بن زيد المَعْقِلى منهم بستة آلاف ، لأنه كَره القتال ، فبقيت فى ستة آلاف ، فلما انتهيت إلى عسكر الضِّبَابى ، واسمه جرير ابن يزيد بن كثيف ، إذا جِبَالٌ من حديد ، وإذا عسكر القوم لا يُرَى طرفاه . فرفعت طيىٔ النار على أجا ، فاجتمعوا فنحروا الجُزُر ، وعملوا النبال والنشَّاب ، وقالوا : قَبَّح الله أجزع الفريقين من الموت . قال : فَتَصافَفْنَا ، فلما رموا بالنبل حَمَلْنَا عليهم حملة رجل واحد ، فما كان إلا كَلاً ولا ، حتى قتل الضِّبابى ، وانهزم الناس أسوأ هزيمة ، فقتلنا وانتهبنا ، وأُتِيتُ بأمية أسيراً ، فَخَلَّيْتُ سبيله ، وأُتِيتُ بجارية له بعد ذلك ، فبعثت بها إلى المدينة ، وقلت : لا تتبعوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح . قال : ثم قُرِئَ علينا بعد ذلك كتاب مروان إليهم ، يأمرهم فيه إذا نشبت الحرب أن يَقْتُلُوا ويَسْبُوا . ولو علمت ما فى الكتاب قبل ذلك ما نجا منهم مخبر . وكتب صاحب المدينة إلى مروان بالخبر ، فعزم على توجيه عبده بن رباح الغسانى فى عشرة آلاف من أهل الشام ، وقال : أهل المدينة أضعف قوم وأَفْشَلُه ، والأعراب كذلك ، ما لم يُوتَروا ، وَيطْلُبُوا الطَّوائل . فَبَيْنَا هو عَلَى ذلك إذ كتب إليه ابن هبيرة عامله على العراق بقتل ابن ضُبارة ، وإقبال قحطبة ، فقال : ما شُغْلُنا عَشْرَة آلاف بأعراب طيىٔ ؟ فصرف الجيش نحو العراق ، فلم نعط الصدقة حتى استقام أمر الناس ، واستُخْلِفَ أبو العباس (٣٥٨) ! ونظم شعراء طيىٔ بعض القصائد والأراجيز التى تمجدوا فيها بقهرهم لقريش وقيس (٣٥٩) .

واستطارت العصبية القبلية بين المضرية واليمنية فى المدينة ، وظهرت آثارها فى صفوف الجند بموقعة قُدَيْد سنة ثلاثين ومائة ، فإن الجيش الذى عَبَّأَه عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك لمجاهدة أبى حمزة الشارى كان من قريش والأنصار (٣٦٠) ، ومن قيس والموالى (٣٦١) . وكان اليمنية فى المدينة ناقمين على قريش وقيس لما حَلَّ بإخوانهم اليمنية فى الشام والعراق وخراسان من اضطهاد واستعباد ، فلم يتآلفوا مع بقية الجند ، فكان جيش أهل المدينة مُتنافراً ، فلما اصطدم بجيش أبى حمزة الشارى ، وأخذت الهزيمة تحيق بقريش ، فرح بعض اليمنية ، «فنظر رجل من قريش إلى رجل من أهل اليمن ، وهو يقول : الحمد لله الذى أَقَرَّ عَيْنِى بمقتل قريش ! فقال لابنه : يا بنىَّ ابْدأْ به ، فَدَنا منه ابنه ،

(٣٥٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٥٥ ، وانظر معجم البلدان ٤ : ٦٥٧ .

(٣٥٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

(٣٦٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٧٧ .

(٣٦١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٧٨ .

فَضَرَبَ عنقه ، ثم قال لابنه : أى بنى ، تَقَدَّم ، فقاتلا حتى قـتلا[٣٦٢]» . وقال رجل من الخزرج من بنى زُرَيْف : «الحمد لله الذى أَذَلَّ قُريشاً ! وإلى جنبه عمارة بن حمزة بن مصعب ، فضربه عمارة فقتله»[٣٦٣] . ويروى أنَّ خُزاعة دَلَّت أبا حمزة على عورة قريش ، وكانوا أكثر الناس ، وأشدهم شوكة ، فأدخلته عليهم ، فقتل منهم مقتلةً عظيمةً[٣٦٤] ، وأَعْدَمَ أسراهم ، أما الأسرى من اليمنية فأطلقهم[٣٦٥] .

واضطرمت العصبية القبلية بين المضرية وخصومهم من اليمنية والربعية بخراسان . وكانت القبائل بها من تميم وقيس ، وكانوا فى حلف ، ومن الأزد وبكر ، وكانوا فى حلف آخر . وكانت قبائل الحِلْفَيْن تتنافس فى السلطان منذ قيام الدولة الأموية إلى انهيارها[٣٦٦] ، فلما قُتِلَ الوليد بن يزيد تفاقمت الفتنة بينها . وكان نصر بن سيار وَلِىَ خراسان سنة عشرين ومائة ، فمال فى السنوات الأربع الأولى من ولايته إلى المضرية ، وتَعَصَّبَ على اليمنية والربعية ، فتضجروا . ثم أرسل يزيدُ بنُ الوليد منصور بن جمهور الكلبى عاملاً على العراق ، فسعى إلى تَعْيين أخيه منظور على خراسان ، فانتعش اليمنية والربعية ، وطاولوا نَصْراً والمضرية ، فساسَ نصرُ الناس سياسة عادلة حازمة ، وَعَدَل عن العصبية ، فأشرك أكثر القبائل فى الوظائف ، إذ وَلَّى اليمنية والربعية على طخارستان وخوارزم وقوهستان ، وأمر ولاته بحسن السيرة[٣٦٧] فانقاد له البكريون بِقُوهستان ، ولكن البكريين الذين كانوا بمرو الرُّوذ ، ومرو الشاهجان نابذوه ، وأنضافوا إلى جديع بن على الكِرمانى ، زعيم الأزد ، وأثاروا عليه القلاقل ، كما تَشَغَّب به جماعة من الأزد وبكر بمروالشاهجان ، وادَّعوا أنه لم يدفع لهم أعطياتهم ، فَحَذَّرهم نَصْرُ من الفرقة ، وذَكَّرهم بأنهم طليعة متقدمة يحرسون الثُّغورَ من العدو ، فلم يأبهوا بتحذيره وإرشاده ، بل زَادُوا من مُنَاوأتهم له[٣٦٨] .

وعندما عَزَلَ يزيدُ بن الوليد منصور بن جمهور الكلبى عن العراق ، وَوَلَّى عليها عبد الله ابن عمر بن عبد العزيز ، فثَبَّت عبدُ الله نصراً على خراسان ، تعاظم سخط الأزد عليه ، ولَجُّوا فى مُنَاهضتهم له ، وجعل جديع بن على الكِرْمانى يَتَرَبَّص بنصر . فهاجت المضرية ، وأَلَحَّت على نَصْرٍ

(٣٦٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٩٣ .

(٣٦٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٧٨ .

(٣٦٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٩٣ .

(٣٦٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٧٨ .

(٣٦٦) انظر الشعر العربى بخراسان فى العصر الأموى ص : ٧٣ .

(٣٦٧) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٧٨ .

(٣٦٨) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٨٥ .

أنْ يَنْفِيَه ، أو يَعْتَقِلَه ، أو يَقْتُلَه ، فتركه حُراً ، حتى إذا عرف أنه يشيع فى الأَزْد أنه كان يُخَطِّطُ منذ زمنٍ طويلٍ للثورة ببنى أمية ، والأخذ بثأر المهالبة(٣٦٩) ، وتأكَّد من خطره ، قبض نَصْر عليه ، وزَجَّه فى السجن ، فهرب منه ، وَمَضَى يَسْتَفِزُّ الأزْدَ ، فَتَدافعوا إليه ، فانْتَحَى بهم فى مَرْج نَوْش بمرو الشاهجان ، فنزل نصر بباب مَرْو الرُّوذ إزاء الكِرْمانى ، وتَدَفَّق عليه المضرية ، فَهادنَ الكِرْمَانِىَّ ، ولم يُحَاربه . ولكن عَوْدةَ الحارثِ بن سُرَيْجٍ التميمى المرجئى إلى مرو الشاهجان سنة سبع وعشرين ومائة فَجَّرت الأزمة من جديد (٣٧٠) ، وكان الكِرْمانى يُضْمِرُ الغَدْر بِنَصر ، وإنْ أظهرَ أنه صالحه ، فتعاقد مع الحارث بن سريج على مقاتلة نصر إنْ لم يَعْمَلْ بالكتاب والسُّنَّةِ ، ولم يَسْتَعْمِلْ أهلَ الخيْر والفَضْل(٣٧١) ، وضَاعَفَ من تَفَجُّر الموقف أنَّ مروان بن محمد غَلَبَ على الخلافة ، وَوَلَّى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى على العراق ، فكتب لِنَصْر بعهده على خراسان ، فبايع لمروان ، فثار الحارث على نَصْرٍ ، زاعماً أن يزيد ابن الوليد هو الذي أَمَّنه(٣٧٢) ، وأنه أصبح يَجْهَلُ مَصِيره ، وَيَتَخوَّفُ على مستقبله من مروان ، فتحاربا ، وتمكَّن قادةُ نصرٍ من السيطرة على أكثر المدينة ، فَضَعُفَ الحارثُ ، فَعَاضَدَهُ الكِرْمانى ، فتزعزع نَصْرٌ ، وتقهقر إلى نيسابور ، واستبد الحارثُ والكِرْمانىُّ بالمدينة ، ثم إنَّهما تنازعا ، فَقَتَل الحارثَ الكِرْمانِىُّ ، وصلبه(٣٧٣) ، وَخَلَتِ المدينة لأهل اليمن ، فهدموا دور المضرية ، ونهبوا أموالهم ، فاستغاثوا بنصر ، واستصرخوه أن ينقذهم من شر اليمنية(٣٧٤) ، فَوَجَّه جُنْدَه وقادته إليهم ، فالتحموا باليمنية والربعية فى حَرْبٍ بطيئةٍ ثقيلةٍ ، ولكنهم لم ينجحوا فى احتلال المدينة ، فاستَمَدَّ نصرٌ يزيد بن عمر بن هبيرة والى العراق ، ووصف له حال خراسان ، وما سادها من الفوضى والاضطراب خلال عامين ، وبصَّرَهُ بِتَرَدِّى وضعها ، وأنه إذا استمر فى التدهور ، فإنه يُنْذِرُ بعاقبةٍ وخيمةٍ ، فلم يُمِدَّه بأحدٍ لأنه كان مشغولاً بمنازلة الخوارج ومقارعتهم(٣٧٥) ، وكتب إليه : «لا غلبة إلا بكثرة ، وليس عندى رجل» (٣٧٦) . فاستنجد نصر بمروان بن محمد ، وأخبره بظهور أبى مسلم وقوته ، وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد العباسى(٣٧٧) ، فلم

(٣٦٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٨٧ .
(٣٧٠) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٠٩ .
(٣٧١) تاريخ الطبرى ٧ : ٣١٠ .
(٣٧٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٩٣ .
(٣٧٣) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٤٢ .
(٣٧٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٤٣ .
(٣٧٥) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٦٩ .
(٣٧٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٧٠ .
(٣٧٧) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٧٠ .

ينجده(٣٧٨) ، ويقال : بل كتب إلى ابن هبيرة «يأمره أن ينتخب من جنوده اثنى عشر ألف رجل ، مع فَرْضٍ يَفْرِضُه بالعراق من عرب الكوفة والبصرة ، ويُوَلِّىَ عليهم رجلاً حازماً ، يَرْضَى عَقْلَه وإقدامَهُ ، ويُوَجِّه بهم إلى نصربن سيار . فكتب يزيد بن عمر بن هبيرة إلى مروان : أن من معه من الجنود لا يَفُوْنَ باثنى عشر ألفاً ، ويُعْلِمُهُ أنَّ فَرْضَ الشام أفضلُ من فَرْضِ العراق ، لأن عرب العراق ليست لهم نصيحة للخلفاء من بنى أمية ، وفى قلوبهم إِحَن»(٣٧٩) .

فعجزَ نَصْرٌ عن استرداد مَرْو الشاهجان ، وجعل يهاجم شيعة بنى العباس ، ويتهمهم بأنهم لا يَبْتغُون سوى إبادة العرب ، ويُنَفِّر الربعية منهم ، ويسألهم أن ينفصلوا عن اليمنية(٣٨٠) ـ فلم تَكْتَرِثْ ربيعةُ بدعايته ، ومضت فى مناصرتها لليمنية ، وأخذ الكِرْمانى يَتَرَدَّدُ عِلى معسكر أبى مسلم ، فخشى نصرٌ أن ينحاز الكِرْمانِى بمن معه من اليمنية والربعية إلى أبى مسلم ، فتكون نهايته ، فَوَادَعَ الكِرْمانى ، لِيُفَرِّقَ بينه وبين أبى مسلم ، وبدآ يتفاوضان ، فَدَسَّ نَصْرٌ إلى الكرمانى من قَتَلَه(٣٨١) ، فَتَوتَّر الموقفُ وتَأَزَّم .

ولما رأى العربُ بخراسان أن أبا مسلم هو الذى استفاد من انقسامهم واحترابهم تعاهدت عامة قبائلهم على المسالمة ، ليشتغلوا بمجاهدة أبى مسلم(٣٨٢) ، وتَحَلَّلَتْ ربيعة من محالفتها للأزد ، ومالت إلى نصر ومضر ، وتَوسَّطَ رئيسها يحيى بن نعيم البكرى بين شَيْبان بن عبد العزيز الحرورى وبين نصر ، وأفلح فى وساطته ، فقد توادعا(٣٨٣) ، وهادَن علىُّ بن جديعٍ الكِرْمانى نصراً ، فَحَرَّضَ أبو مسلم ابنَ الكرمانىِ على نَصْرٍ ، وعيَّره بسكوتِهِ عن المطالبة بدم أبيه منه ، فَرَجَع إلى مقاتلة نصر(٣٨٤) ، فتزلزلت قوته ، وفَرَّ إلى نيسابور سنة ثلاثين ومائة ، فخلصت مرو الشاهجان لأبى مسلم !

وظاهر أن العصبية القبلية استَشْرَتْ فى أكثر الأمصار المهمة بعد اغتيال الوليد بن يزيد ، فَنَخرتها وفَتَّتَتْها ، وذهبتْ بوحدة العرب بها ، وَبَدَّدَتْ طاقتهم ، فضعفت الدولة الأموية ، وأصبحت على شَفَا الانهيار .

وآخر النتائج وأخطرها أن أَحْزاب المُعَارضة استغلت كل الأوضاع التى نشأت عن اغتيال الوليد

---

(٣٧٨) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٦٩ .

(٣٧٩) الأخبار الطوال ص : ٣٦٠ .

(٣٨٠) الأخبار الطوال ص : ٣٦١ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٧٩ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٦٧ .

(٣٨١) الأخبار الطوال ص : ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٧١ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٣٨١ .

(٣٨٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٦٣ .

(٣٨٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٧٢ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ٣٦٣ .

(٣٨٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٦٤ .

ابن يزيد استغلالاً واسعا وسعت سعياً حثيثاً للإطاحة بالدولة الأموية ، أما الشيعة فثاروا بالكوفة ، إذ خرج بها عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب سنة سبع وعشرين ومائة . وكان سبب خروجه أن قدم الكوفة زائراً لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، يلتمس صلته ، فأكرمه وأكرم أخويه الحسن ويزيد ، فلما زَحَفَ مروان بن محمد إلى دمشق ، واستولى عليها ، فَرَّ منها إسماعيل بن عبد الله القسرى ، وكان فى جيش إبراهيم بن الوليد مع عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، فأتى الكوفة ، ونَقَل إلى اليمنية من قومه خبر انهزام إبراهيم بن الوليد ، واحتلال مروان بن محمد لدمشق ، فانتشر الخبر ، واشْرَأَبَّت الفتنة ، ووقعت العصبية بين الناس ، وَوَهَن عبد الله بن عمر ، فاجترأت الشيعة عليه ، وطمعوا فيه ، فقال أهل الكوفة لعبد الله بن معاوية أُدْعُ إلى نفسك ، فبنو هاشم أولى بالأمر من بنى مروان . وكان عبد الله بن عمر بالحيرة فدعا عبد الله بن معاوية لنفسه سراً ، فبايعه الكوفيون فيهم ابن ضَمْرَةَ الخزاعى ، وعمر بن الغضبان بن القَبَعْثَرِيّ ، وبايعه منصور بن جمهور الكلبى ، وإسماعيل بن عبد الله القسرى ، ومن كان معه من أهل الشام بالكوفة له أَهْلٌ وأصلٌ ، فأقام بالكوفة أياماً يبايعه الناس ، وأَتَتْهُ البيعة من المدائن ، والتف حوله الزَّيْدِيَّةُ ، فخرج يريد عبد الله بن عمر بالحيرة فَدَسَّ ابنُ عمر إلى ابن ضَمْرَةَ الخزاعى فأرضاه ، وأرسل إليه : إذا نحن التقينا بالناس انهزمت بهم ، فلما التقوا انهزم ابن ضمرة ، وانهزم الناس فلم يبق مع عبد الله بن معاوية أحد ، فرجع إلى الكوفة ، واعتصم بها ، فأحاط به جُنْدُ عبد الله بن عمر من أهل الشام ، قاتلوه ، فأخذ الأمان لنفسه ، ورحل ومن معه من شيعته ومن اتبعه إلى المدائن ، فبايعه أهلها (٣٨٥) . وأتاه قومٌ من أهل الكوفة ، فسار إلى الجبال ، فَغَلَبَ عليها ، وعلى حُلوان وقُومى وأصْبهان والرّى ، وخرج إليه عبيد أهل الكوفة . فلما غلب على تلك البلاد ، أقام بأصبهان ، فَتَمَرَّد بها محارب بَن موسى ، مَوْلَى بنى يشكر ، وكان عظيم القَدْرِ بفارس ، فاستولى على اصطخر ، وطَرَدَ عاملها ، واستقل بها ، ثم سار إلى أصبهان ، فَتَحوَّل عَبدُ الله بن معاوية إلى اصطخر ، واستعمل أَخَوَيْه الحسن ويزيد على الجبال وفارس ، فأتاه الناسُ بنو هاشم وغيرهم ، وجَبَى المال ، وبَعثَ العُمَّال وكان معه منصور بن جمهور الكلبى ، وسليمان بن هشام بن عبد الملك ، وشيبان بن عبد العزيز الحرورى . فلما قدم يزيد بن عمر ابن هبيرة الفزارى والياً على العراق لمروان بم محمد ، أرسل نباتة بن حنظلة الكلابى ، فحارب عبد الله بن معاوية بالأهواز ، وهزمه وهزم من معه من الخوارج ، ولكنه لم يفلح فى نَفْيِه عنها ، فبقى عبد الله بن معاوية بها حتى أرسل إليه ابنُ هبيرة عامر بن ضبارة المُرِىّ مع داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة ، فأمر ابن معاوية شيعته فكسروا قنطرة الكوفة ، فَوَجَّه ابنُ هبيرة إليه معن بن زائدة الشيبانى .

(٣٨٥) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٧ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٠٢ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٢٤ .

من وجه آخر ، فقاتل هو وابن ضبارة شيعة ابن معاوية وهزموه ، فرحل إلى سجستان ، ثم أتى خراسان (٣٨٦) ، فلم يزل بها حتى ظهر أبومسلم سنة تسع وعشرين ومائة فحبسَ عبدَ الله وأخَوَيْه ثم قَتله ، وخَلّى عن أَخَوَيْه سنةَ ثلاثين ومائة (٣٨٧) .

وثار الخوارج من الصُّفْرية والإباضية بالعراق واليمن والمغرب ، واحتلوا المدينة ومكة ، واستبسلوا فى القتال للقضاء على الخلافة الأموية ، ففى سنة سبع وعشرين ومائة وَثَب سعيد بن بهدل الشيبانى ، والضحاك بن قيس الشيبانى بكَفَرتُوثَا من أعمال الجزيرة ، ثم مضى سعيد بن بهدل نحو العراق لما بلغه من تشتت الأمر بها ، واختلاف أهل الشام ، وقتال بعضهم بعضاً مع عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، والنضر بن سعيد الحرشى ، فمات سعيد فى طريقه إلى العراق من طاعون أصابه . وقام بأمر الصُّفْرية الضحاك بن قيس الشيبانى ، فاجتمع إليه نحو من ألف ، ثم تَوَجَّه إلى الكوفة ، ومر بأرض الموصل ، فاتبعه منها ومن أهل الجزيرة نحو من ثلاثة آلاف ، فلما اقترب الضحاك من النضر بن سعيد الحرش اصطلح الحرش وابن عمر ، وتعاقدا على مواجهة الضحاك ، فخندقا على الكوفة ، ومعهما يومئذ ثلاثون ألفاً من أهل الشام لهم قُوَّةٌ وعُدَّةٌ ، ومعهم قائد من أهل قنسرين يقال له : عَبَّاد ابن الغُزَيِّل فى ألف فارس ،كان مروان أَمَدَّ به الحرشى ، فبرزوا للضحاك فهزمهم أقبح هزيمة ، فمال الحرشى وابن عمر إلى واسط ، فأسرع إليهم الضحاك فى الشراة ، فحاربوه شهوراً ، ونكأ كلٌ منهم بصاحبه ، فقال منصور بن جمهور الكلبى لابن عمر : مارأيتُ فى الناس مثل هؤلاء الشراة قط ! فَلِمَ تُحاربُهم وتَشْغَلُهم عن مروان ! أَعْطِهم الرِّضا ، واجعلهم بينك وبين مروان ، فإنك إن أعطيتهم الرضا خَلُّوا عنا ومضوا إلى مروان ، فكان حَدُّهم وبَأْسُهم عليه ، وأقمت أنت مستريحاً بموضعك هذا ، فإنْ ظفروا به ، كان ماأردت ، وكنت عندهم أمناً . وإنْ ظفر بهم ، وأردت خِلاَفَهُ وقِتَالَه ، قَاتَلتَه جاماً مستريحاً ، مع أنَّ أمره وأمرهم سيطول ، ويُوسِعُونه شَراً ! فأَبَى ابنُ عمر ذلك . وفَضَّل الانتظار ، فانفصل عنه منصور ، وانضم للخوارج وبايعهم ، ثم لحق به ابن عمر بعد حين ، وبايعهم أيضاً (٣٨٨) !

وفارق الضَّحاكُ ابنَ عمر ، وكاتبه أهل الموصل ، ودعوه أن يقدم عليهم ، فَيمكِّنُوهُ من بلدهم ، فسار فى جنوده بعد عشرين شهراً حتى انتهى إلى الموصل ، فرحب به أهلها ، وفتحوها له ، فدخلها واستولى عليها وعلى كُورِها وبلغ مروان خبرهُ ، وهو مُطْبِقٌ على حمص ، مُشْتَغِلٌ بقتالِ أهلها ، فكتب

(٣٨٦) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٨٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٧١ .

(٣٨٧) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٩١ .

(٣٨٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٦٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٢١ .

إلى ابنه عبد الله ، وهو خليفته بالجزيرة يأمره أن يسير فيمن معه من روابط إلى نَصِيبين ، ليشغل الضحاك عن تَوَسُّط الموصل ، فشخص إليها فى سبعة آلاف ، فسار إليه الضحاك من الموصل فى عشرين ومائة ألف فارس ! فقاتله عبد الله بن مروان ، فلم يقدر عليه فحاصر الضحاك نصيبين ، وَوَجَّه فرقة من جنده إلى الرَّقَّة ، فقاتلهم من بها من خيل مروان ، وَوَجَّه إليهم مروان حين بلغه نزولهم الرقة خيلاً من روابطه . فلما دَنَت الخيل من أصحاب الضحاك انقشعوا منصرفين إليه فَقَطَعهم مروان حين قدم الرقة ، ومضى صامداً إلى الضحاك وجموعه حتى التقيا بالقَزِّ من أرض كَفَرْتُوثا ، وتَرَجَّل الضحاك فى ستة آلاف ، فأَحْدَقَتْ بهم خيول مروان ، وألح عليهم فرسانه ، فقتلوا الضحاك سنة ثمان وعشرين ومائة(٣٨٩) .

وبعد هلاك الضحاك بايع الصُّفْرِيَّةُ الخَيْبَرِىَّ ، ومعه سليمان بن هشام بن عبد الملك ، فحمل الخيبرى على مروان بن محمد ، وهو فى القلب ، فهرب مروان من خيمته ، ودخلها الخيبرى ، فثار به جند مروان من ميسرته وميمنته وكانوا لم يهزموا ، فقتلوه ، فعاد مروان إلى جنده ، وبات فى معسكرهم(٣٩٠) .

وولى أمر الخوارج شيبان بن سلمة الأكبر الشيبانى ، فقاتل أهل الشام ، ثم رجع بعضهم عن بعض ، فافترق الخوارج فأتت فرقة منهم الجزيرة ، وأتت فرقة العراق ، وأقام الباقون مع شيبان ، فقاتلهم مروان ، فانتصفوا ، ثم تحاجزوا ، فارتحل شيبان إلى الزَّابِيَين بين واسط وبغداد ، ومعه سليمان ابن هشام ، فخندق شيبان وأصحابه ، وأتاهم مروان فخندق ، وقاتلهم عشرة أشهر ، وهو لايقدر عليهم . وكان يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى قد استولى على واسط ، لما وَجَّهه مروان والياً على العراق ، فاستمده مروان ، فأمدَّه بِبَعْثَيْن من عشرة آلاف فارس ، عليهم عامرُ بن ضُبارة المرى ، فقاتل الجَوْنَ بن كلاب الشيبانى ، وكان نازلاً بقلعة السِّنِّ من الجزيرة ، لِيُزَوِّدَ الخوارج بالطعام والعلف ، فَقَتَلَهُ مصعبُ بن الصَّحْصَح ، وقدم فَلُّه على شيبان . فقوى مروان ، وقطع ابن ضبارة عن شيبان المادة من العراق ، وقطع عنهم مروان مادة الشام ، فَحُوصِرَ الخوارج ، وعَزَّ عليهم القوت ، وخاف شيبان أن يأتيه ابن ضبارة من خلفه ، ثم حَضَّ مروان جنده ، فهاجموا شيبان ، فهزمهم(٣٩١) .

---

(٣٨٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣٦٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٤٥ .

(٣٩٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٧٤ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٦٧ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٤٧ .

(٣٩١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٦٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٥١ .

ثم ارتحل شيبان فيمن بقى معه ، فأتى أذربيجان ومعه سليمان بن هشام ، وانصرف مروان عن الموصل ، وكتب إلى ابن هبيرة يعلمه خبر الخوارج ، وأن طريقهم عليه ، ويأمره بطلبهم وتوجيه الجنود إليهم وطوّقهم ابن هبيرة ومروان فأتى شيبان العراق منصرفا من أذربيجان فنزل المدائن ، فقال له المعمر ابن شعبة : حتى متى هذا الرّوغان ؟ فقال شيبان : إن فى مطاولتهم غيظاً لهم ، ووهناً عليهم ، وخالف المعمر فى بعض الأحكام . ففارقه المعمر ، وصار معه عامة أصحاب شيبان ، فأتى شيبان الأهواز ، ومعه سليمان بن هشام ، ومنصور بن جمهور الكلبى ، ثم أتى فارس ، ومنصور معه ، فكانا مع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، ثم ندم المعمر بن شعبة على فراق شيبان ، ولقيه ابنُ ضبارة فقتله(٣٩٢) . وتفرّق أصحابُ عبد الله بن معاوية عنه فمضى إلى هراة ، ومضى سليمان بن هشام إلى عمَّان ، ومنصور بن جمهور إلى السند ، وتَوَجَّه شيبان إلى جزيرة ابن كاوان بين عُمَان والبحرين ، فأقام بها حتى قدم عليه المسيح بن الحوارى من قبل بنى العباس ، فقاتله فانهزم أصحاب المسيح(٣٩٣) ، وأتى شيبان عُمَان ، فقتله الجُلَنْدَى بن مسعود الأزدى سنة أربع وثلاثين ومائة(٣٩٤) .

وكان عبيدة بن سوّار قام بأمر الخوارج فى الكوفة بعد مصرع الضحاك بن قيس الشيبانى وبلغه مسير يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى إلى العراق . فبعث إليه عبيدة طائفة من جنده ، فلقيهم ابن هبيرة بالأنبار ، وهزمهم ، فدخلت فُلُولُم الكوفة ، فتعقّبهم ابنُ هبيرة ، وقتل عدداً من رؤوسهم ، ونزل النُّخَيْلَة ، ثم زحف إلى عبيدة ، فَوَجَّه عبيدة إليه مطاعن بن مطيع ، فقتله عطيةُ التَّغْلَبى وقتل ابنه مجاهداً ، فَوَلِيَ عسكرَ مُطاعنٍ شيبانُ بن عبد العزيز الصغير اليشكرى ، فقاتل عطية شهراً ، وخَفَّ عبيدة بن سوار إلى شيبان ، فلم يتصل به وَحَفَر ابن هبيرة خندقاً بين شيبان وعبيدة ، فاحتلاه ، وقاومها ابن هبيرة ، وجيش أهل الشام مقاومة عنيفة ، وقتلوا عبيدة ، فتقهقر الخوارج نحو الكوفة ، ولحق شيبان الأصغر بالمدائن ثم خرج إلى فارس(٣٩٥) . فأرسل ابن هبيرة إليه عامر بن ضبارة المرى ، فَوَاقعه بأقصى فارس ، ثم صار شيبان إلى جِيرَفت من كِرْمان ، فَفَضَّ عسكرَه فهرب الى سجِسْتَان ثم صار منها إلى خراسان ، فكتب إليه سعيد بن جديع الكِرْمانى وكان خالَفَ نصر بن سيار ، وخلعَ

---

(٣٩٢) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٧٩ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٦٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٥٢ .

(٣٩٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣٧٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٥٣ .

(٣٩٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٤٦٢ .

(٣٩٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٧١ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ٣٥٢ .

مروان : إنك قدمت ونحن خالعون لمروان ، فَصِر إليَّ لنجتمع على محاربة أوليائه أولياء الشيطان ! فصار إليه فكانا يحاربان نصر بن سيار . وأظهر أبومسلم المَيْل إلى ابن الكرمانى ، وبعث إلى نصر بن سيار ، وإلى ابن الكِرْمانى وشيبان : إنى رجل أدعو إلى الرضا من آل محمد ، ولست أعرض لكم ، ولا أُعِينُ منكم أحداً على صاحبه ، وقوى أمر أبى مسلم ، فَوَجَّه إلى ابن الكِرْمانى وقد كان أَنسَه حتى اغتَّربه من أتاه به ، فحبسه وكان أبومسلم قد وَادَع شيبان مُدَّة ثم أرسل إليه جُنْداً فواقعوه فكشفوه ، فصار إلى أَبِيوَرْد ، وأهلُها أَوَّلُ مَنْ سَوَّد فكتب إليه أبومسلم أن بايع للرضا من آل محمد حتى لاأعرض لك ، فبعث إليه : بل بَايِعْنى أنت ، فكتب أبومسلم إلى بَسَّام بن إبراهيم ، مولى بنى لَيْث من كنانة ، وهو بأبِيَورد يأمره بمناهضته ، فقتل شيبان وأصحابَه إلاَّ عدةً يسيرةً تفرقوا فى البلاد ، ويقال : بل صاروا إلى نَصْرٍ قبلَ هَرَبِهِ ، ثم تَقَطَّعُوا(٣٩٦).

واعتصمَ عمر بن سالم الشيبانى الخارجى بمسكن السواد ، وخرج إلى العامل بقُطْرُ بل ، وهو الحجاج بن عمارة ، فهرب فاتبعه فأخذه فقتله رجل من أصحاب عمر يقال له : سِنْطير ، ورجع عمر إلى مسكن ، فأقام شهرين فأتاه أهل الأنبار يشكون إليه عَلِيَّ بن عمر الأسدى ، وكان ابن هبيرة استعمله عليها فسار إليه ، فلما عَايَنَهُ العامل رمى بنفسه وفرسه فى الفرات فهرب . ثم أتى عمر بن سالم كَرْخَ بَادُورِيًا ، وعليها رجل يقال له : مروان ، فقاتله فانهزم مروان وتفرق أصحابه وقد قتل عمر منهم عشرين ، وأصاب بالكَرْخ متاعاً فَقَسَمه . وأقام بالكرخ فى مائة ، فبعث إليه ابنُ هبيرة أبابكر الكلاعى فى ألف فقاتله عمر ، فقطعت يده ، فلم يزل ينزف حتى مات ، وقتل من أصحابه ثلاثون وانهزم الآخرون وأحْتُزَّ رأس عمر ، وحمل إلى ابن هبيرة ، فأنفذه إلى مروان بن محمد(٣٩٧).

وانتفض الإباضية بحضرموت وعمان ، واستولوا على اليمن سنة تسع وعشرين ومائة ، ثم اندفعوا إلى مكة والمدينة فاحتلوهما إلى حين ، فقد كان عبد الله بن يحيى الكندى بحضرموت ، وكان مجتهدا عابداً ، وكان أعور ، ورَأْيُه رأيُ الإباضية ، يقول : قَوْمُنا كُفَّارُ نعمة ، وليسوا بكُفَّار بالله ، نقاتلهم على بَغْيِهم ولا نَغْنَم لهم مالاً ، فرأى باليمن جوراً وعسفاً شديداً ، وسيرة فى الناس قبيحة ، فقال لأصحابه : لايحل لنا المقام على مانرى ولايَسَعُنا احتماله والصبر عليه فكتب إلى أبى عبيدة ، مسلم كُودِين ، مولى بنى تميم ، وإلى غيره من إباضية البصرة يشاورهم فى الخروج ، فكتبوا إليه إن استطعت ألا تقيم يوماً واحداً ، فافْعَل ، فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل ، وإنك لاتدرى متى يَبْلُغ أجلك ، ولله خيرة من عباده يبْتَعِثُهم إذا شاء لنصر دينه ، ويَخُصُّهم بالشهادة إكراماً لهم بها . وشخص إليه

(٣٩٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٧٢ ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٨٦ .
(٣٩٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٧٣ .

أبوحمزة المختار بن عوف بن مازن بن مجاسر ، أحد بنى سليمة الأزدى(٣٩٨) ، وبَلْجُ بن عقبة الأزدى ، وكان قبل ذلك فى الشرط بالبصرة ، فى رجال من الإباضية ، وهم أصحاب عبد الله بن إباض التميمى ، فقدموا عليه حضرموت ، فحثوه على الخروج ، وأتوه بكتب أصحابه ، فقال : إذا خرجتم فلا تَغْلُوا ولا تغدروا ، واقتدوا بسلفكم الصالحين ، وسيروا سيرهم ، فقد علمتم أنه إنما أخرجهم على السلطان العَيْبُ لأعمالهم ، فدعا أصحابه فبايعوه ، فأتى دار الإمارة بحضرموت ، وعلى حضرموت إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندى ، فأخذوه فحبسوه يوماً ، ثم أطلقوه فأتى صنعاء ، وأقام عبد الله بن يحيى بحضر موت ، وكثر جمعه ، وسموه طالب الحق ، ويقال : بل هو سَمَّى نفسه ، وكتب إلى مَنْ بصنعاء من أصحابه أنى قادمٌ عليكم ، ثم استخلف على حضر موت عبدالله بن سعيد الحضرمى ، وتَوَجَّه إلى صنعاء سنة تسع وعشرين ومائة فى ألفين ، وبلغ القاسم بن عمر أخا يوسف بن عمر الثقفى ، وهو عامل مروان على صنعاء مسيرُ عبد الله بن يحيى ، فاستخلف على صنعاء الضحاك بن زمل السكسكى وخَرَجَ يريد ابن يحيى والإباضية ، فلقوه بقرية لحْج وكان القاسم فى عددٍ كبير ، وعدةٍ ظاهرة وسلاح شاك ، فقتل من أصحاب القاسم بشر كثير ، ومضى هو إلى صنعاء ، ثم خرج منها ، واستخلف عليها ابن زمل أيضا ، وأقبل عبد الله بن يحيى فنزل على ميلين من عسكر القاسم ، فوجه إليه القاسم يزيد ابن الفَيْض الثقفى فى ثلاثة آلاف من أهل الشام واليمن ، فكانت بينهم مُشَاوَلة ثم تحاجزوا ثم قاتلهم الصلت بن يوسف . فَقُتِلَ فى المعركة ، ثم قاتلهم يزيد بن الفيض ، ثم انهزم أهل صنعاء وأراد أبرهة بن شرحبيل بن الصباح اتِّبَاعَهم ، فمنعه عبدالله بن يحيى ، ولحق يزيد بن الفيض بالقاسم فأخبره بقتل الصلت(٣٩٩) .

ودَخَل عبدالله بن يحيى صنعاء ، فأخذ الضحاك بن زمل ، وإبراهيم بن جبلة ابن مخرمة الكندى ، فحبسهما ، وجمع الخزائن والأموال فأحرزها ثم أطلق الضحاك وإبراهيم ، وقال : إنما حبستكما مخافة عليكما من العامة ، وليس عليكما مكروه فأقيما أو اشخصا ، فخرجا واستولى عبدالله بن يحيى على اليمن(٤٠٠) ، فأقام بصنعاء أشهراً حسن السيرة ، لين الجانب ، كافاً عن الناس ، فكثر جَمْعُه ، وأتته الشُّراة من كُلِّ وَجْهٍ ، فلما كان وَقْتُ الحج وَجَّه أبا حمزة المختار بن عوف السلمى ،

(٣٩٨) انظر بعض أخباره فى تاريخ الطبرى ٧ : ٣٤٨ ، والأغانى ٢٣ : ٢٢٧ .

(٣٩٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٧٣ ، والأغانى ٢٣ : ٢٢٤ ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٨٢ .

(٤٠٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٧٤ ، والأغانى ٢٣ : ٢٢٦ ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٨٣ .

وَبْلج بن عقبة الأزدى ، وأبرهة بن شرحبيل بن الصباح الحميرى إلى مكة فى تسعمائة ، ويقال فى ألف ومائة وأمره أن يقيم بمكة إذا صَدَر الناس ، وأن يوجه بَلْجاً إلى الشام فأقبل المختار إلى مكة ، فقدمها يوم التَّرْوية وعليها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، فكره قتالهم ، وقال لعبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب ، إنى لآمن أن تفسد هذه العصابة على الناس أمرهم ، فلايتم للناس فى عامهم هذا حج ، فلولقيتهم فسألتهم أن يكفوا حتى ينقضى الموسم ، وأخرج لهم عن مكة ، فأتاهم عبد الله بن حسن فى رَهْط معه ، فقال لأبى حمزة : أيها الرجل ، إنك أتيت بلداً حراماً ، فى يوم عظيمةٍ حُرْمَتُه ، فأَمَّ أصحابك ، ويؤُمُّ الوالى أصحابه ، فإذا أفاض الناس وقَضَوا مناسِكَهم ، رأيت رأيك فى الحرب ، وخرج عنك ، فأجابه إلى ذلك ، فصلى عبد الواحد ، ووقف بالجماعة وصلى أبوحمزة بأصحابه ، ووقف بهم ، ولم يَعْرِضْ لأحدٍ حتى صدر الناس وخرج عبد الواحد بن سليمان إلى المدينة . ثم وجه أبوحمزة رَجُلاً من الإباضية إلى الطائف ، فسيطر عليها ، وأمَّنَ أهلها(٤٠١) .

وكتب عبد الواحد بن سليمان إلى مروان بن محمد يعتذر ، عن خروجه من مكة ، ويُخْبِرُ أن الناس خذلوه ، ويقال : بل خرج إلى مروان فَشَافَهه بهذا . فكتب مروان إلى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وهو عامله على المدينة ، يأمره أن يُوَجِّه جيشاً إلى مكة ، فوجه ثمانية آلاف من قريش والأنصار ، وغيرهم من التجار ، واستعمل عليهم عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فخرجوا فى المُصَبَّغات ومعم المُلاءُ لايكترثون بالخوارج ولايَرَوْنَ إلاَّ أنَّهم فى أكفهم !

وبلغ أبا حمزة إقبال أهل المدينة إليه ، فاستخلف على مكة أبرهة بن شرحبيل بن الصباح الكندى ، وسار إليهم ، وعلى مقدمته بَلْجُ بن عقبة الأزدى ، وصار بإزائهم بقديد ، فحث جنده على قتال أهل المدينة ، وسألهم أن يدعوه يسير إلى مروان ، فرفضوا فلم يقاتلهم أبوحمزة حتى ناوشوا جنده ، فانْقَضَّ عليهم ، ومزَّقهم ، وقَتَل منهم أربعة آلاف من الأنصار وقريش ، وسفك دماء الأسرى من قريش ، وخَلَّى عن اليمنية ! ومضى بَلْجٌ إلى المدينة ، فدخل أهلها فى طاعته ، وبايعوا ، فكف عنهم ، ورجع أبو حمزة إلى مكة(٤٠٢) .

وعلم مروان بن محمد بانكسار أهل المدينة فى موقعة قُدَيد ، فَوَجَّه عبد الملك بن محمد بن عطية

---

(٤٠١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٧٥ ، والأغانى ٢٣ : ٢٢٧ ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٨٣ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٣٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٧٥ .

(٤٠٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٧٧ ، والأغانى ٢٣ : ٢٣١ ، وانظر تاريخ خليفة ابن خياط ٢ : ٥٩٢ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٤٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٩٤ .

القيسى فى أربعة آلاف ، فيهم فرسان أهل الشام منهم رومى بن ماعز المرى ، ومنهم من أهل الجزيرة ألف ، اشترطوا على مروان أن يقفلوا إلى بلدهم إذا قتلوا الأعور ، عبد الله بن يحيى ! وسار عبد الملك وجنده مسرعين ، وبعث أبو حمزة إليهم بَلْج بن عقبة الأزدى من المدينة فى ستمائة ، فلقى عبد الملك بوادى القرى سنة ثلاثين ومائة ، فتواقفوا ودعاهم بلج إلى السنة والعمل بالكتاب ، فشتمه أهل الشام ، فحمل عليهم ، فانكشفوا ، وصبر عبد الملك فى عُصَيْبَةٍ واستنهض همم جنده ، فكروا ، وصبروا وقتلوا بَلْجاً ، وأكثر أصحابه ، ونَصَبَ عبدُ الملك رأس بلج على رمح ، وخرج أبو حمزة عن المدينة إلى مكة ، واستخلف عليها رجلاً يقال له : المفضل ، فوثب به العبيد وأهل السوق ، فقتلوه وفتكوا بعامة أصحابه وهرب من نجا منهم ، فلم يبق من الإباضية أحدٌ بالمدينة(٤٠٣) .

واسترد عبد الملك بن محمد بن عطية القيسى المدينة ، وأقام بها شهراً ثم تحرَّك إلى مكة ، وأبوحمزة المختار بن عوف بها ، وأتى عبد الملك الشُّراة من وَجْهَين ، وقد جعل جُنده فرقتين فَصَيَّر طائفة بالأبطح ، وصار هو والطائفة الأخرى بأسفل مكة ، فاقتتلوا ، ودَحَر الشُّراةُ أهل الشام حتى انتهوا إلى عقبة منى ، ثم تقدموا ، فقاتلوا وثبَتُوا فَقُتِلَ أبرهةُ بن شرحبيل بن الصباح الحميرى وتَفَرَّق الخوارج ولقى أبوحمزة عبد الملك بن محمد بأسفل مكة ، فاقْتَتَلا فَقُتِلَ أبوحمزة على فم الشِّعْب ، وقُتِلَتْ مَعَه امرأته وتَنَاثر الخوارج وتَبَدَّدوا وأسَر أهل الشام منهم أربعمائة ، فقتلهم عبد الملك ، وصَلَب أبا حمزة وأبرهة(٤٠٤) .

ورجع فَلُّ الإباضية إلى اليمن ، فأقبل عبد الله بن يحيى الإباضى من صنعاء ، وشخص إليه عبد الملك بن محمد بن عطية القيسى ، فالْتَقَيا بِكُتْبَة ، فأكثر أهل الشام القتل فى الخوارج ،وقتل عبد الله بن يحيى ، وانهزم أصحابه ، فَقُتِلُوا فى كل وَجْهٍ ، وَلَحِقَ فَلُّهم بصنعاء(٤٠٥) ، فبعث عبد الملك ابنه يزيد بمقتل عبد الله بن يحيى إلى مروان بن محمد . وقَفَل عبد الملك إلى مكة ، فكتب إليه مروان يأمره بالمصير إلى صنعاء ، فصار إليها ، فلما شارف صنعاء هرب عامل عبد الله بن يحيى عنها إلى حضر موت ، وقدم عبد الملك صنعاء ، فَتَتَبَع الخوارج يَقْتُلُهمُ فقتل منهم بصنعاء ثلاثمائة ، وأرسل عماله . وفَرَّقهم فى المخاليف ، ودَرَّ له الخراج ، ثم خرج عليه يحيى بن عبد الله بن عمرو بن السَّبَّاق الحميرى من آل ذى الكلاع بالجَنَد فى جمع كثير ، فبعث إليه عبد الرحمن بن يزيد بن عطية

(٤٠٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٧٩ ، والأغانى ٢٣ : ٢٤٥ .

(٤٠٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٨٠ ، والأغانى ٢٣ : ٣٤٧ ، وأنظر تاريخ الطبرى ٧ : ٣٩٩ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٥٧ .

(٤٠٥) انساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٨١ ، والأغانى ٢٣ : ٢٤٩ ، وأنظر تاريخ الطبرى ٧ : ٤٠٠ .

فلقيه بالجند ، فهزم يحيى وقتل عامة أصحابه ، وعاد إلى صنعاء ، ولحق يحيى بن عبد الله بَعَدَن . واجتمع اليه ألفان ، فسار إليه عبدُ الملك بن محمد فواقعه ، فقتله وقَتَل أكثر أصحابه ، وتفرق الباقون ، ورجع عبد الملك إلى صنعاء(٤٠٦) .

وخرج يحيى بن كرب الحميرى بساحل البحر ، وانضم إليه شذاذ الإباضية ، فبعث إليه عبد الملك أبا أمية الكندى ، فالتقوا بالساحل ، فقتل من الإباضية نحو مائة رجل ، وتحاجزوا عند المساء ، فمضت الإباضية إلى حضرموت ، وعليها عبد الله بن معبد الجَرْمى ، عامل عبد الله بن يحيى . فصار يحيى بن كرب معه ، ورجع أبوأمية الكندى إلى عبد الملك بن محمد ، فشخص عبد الملك إلى حضرموت ، ولقى الإباضية على أربع مراحل منها بالغلاة ، فحاصرهم وجعل يقتل من يقدر عليه منهم ، ويسلب ويأخذ الأموال ثم صالحهم سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وأسرع إلى مكة ليقيم الحج بها بأمر مروان بن محمد ، فقتله المُراديون والهَمْدانيون ، فانتقم له منهم ابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد ابن عطية ، خليفته على صنعاء ، ثم أرسل مروان إلى اليمن الوليد بن عروة بن عطية ، فبعث إلى يحيى ابن كرب ، وعبد الله بن معبد من حارَبها فَقَتَلهما ، ويقال : إنه واقَعهما بنفسه فقتلهما ، ولم يزل الوليد باليمن حتى استخلف أبو العباس السفاح(٤٠٧) .

وثار الإباضية بالمغرب سنة تسع وعشرين ومائة ، على رأسهم سعد بن مسعود ، فقتله وصلبه عبد الرحمن بن حبيب الفهرى عامل إفريقية ، فخرجت الإباضية عليهم عبد الجبار بن معن ، فلقيهم يزيد بن صفوان المُعَافرى فى صفر سنة تسع وعشرين ومائة ، فهزم وأقبل أبوقرة الصُّفرى من تَلْمَسين أيضاً فى صفر ، فوجه إليه ابنُ حبيب سليمانَ بن عثمان ، فقتله أبوقُرَّة وقتل ابنيه عبد الله وعثمان ، ثم انصرف راجعاً إلى تَلْمَسين(٤٠٨) .

فأنفق مروان بن محمد ثلاث سنوات من خلافته فى مجاهدة الخوارج ولم ينجح فى القضاء عليهم إلا بعد جُهْدٍ جهيدٍ ، استهلك قُوَّته وقوة ولاته وجنده فى الشام والعراق واليمن والحجاز .

وأما العباسيون فكانو أكثر حذراً من الشيعة والخوارج ، وأشدّ منهم دهاء ، فاستغلوا الظروف التى نتجت عن اغتيال الوليد أحسن استغلال ، إذ مضوا ينظمون أنفسهم ، ويحشدون أنصارهم ، وظلوا يترقبون الفرصة المواتية للثورة حتى يضمنوا الإدالة من بنى أمية ، ففى سنة ست وعشرين ومائة أرسل الإمام إبراهيم بن محمد إلى خراسان أباهاشم بكير بن ماهان ، وبعث معه بالسيرة والوصية فقدم مرو

---

(٤٠٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٨٢ ، والأغانى ٢٣ : ٢٥٤ .

(٤٠٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٣٨٣ ، والأغانى ٢٣ : ٢٥٤ .

(٤٠٨) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٨٨ .

الشاهجان ، وجمع النُّقبَاء ، ومن بها من الدعاة ، فَنَعَى لهم الإمام محمد بن على ، ودعاهم إلى إبراهيم ، ودفع إليهم ، ودفع إليهم كتابه ، فَقَبِلُوه ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة العباسية فقدم بها بكير على إبراهيم بن محمد(٤٠٩)

وفى سنة سبع وعشرين ومائة تَوجَّه سليمان بن كثير ، ولاهز بن قريظة ، وقحطبة بن شبيب إلى مكة ، فلقوا الإمام إبراهيم بها ، وأعلموه أنّ معهم عشرين ألف دينار ، ومائتى ألف دينار ومسكاً ومتاعاً كثيراً ، فأمرهم بدفع ذلك إلى عروة مولى محمد بن على ، وكانوا قدموا معهم بأبى مسلم ذلك العام(٤١٠) .

ومرض بكير بن ماهان كبير الدعاة بخراسان ، فكتب الإمام إبراهيم إلى أبى سلمة الخلال يأمره بالقيام بأمر أصحابه ، وكتب إلى أهل خراسان يخبرهم أنه أسند أمرهم إليه . وسار أبوسلمة إلى خراسان ، فَصَدَّقوه ، وقبلوا أمره ، ودفعوا إليه ما اجتمع قبلهم من نفقات الشيعة العباسية وخمس أموالهم(٤١١) .

وفى سنة ثمان وعشرين ومائة أرسل الإمام إبراهيم أبامسلم إلى خراسان ، لأنه خاف أن يغدر به سليمان بن كثير الخزاعى ، أحد كبار الدعاة بخراسان ، ولأنه أخذ يفكر فى تفجير الثورة بعد احتدام العصبية القبلية بين المضرية وبين اليمنية والربعية ، وكتب الإمام إبراهيم إلى شيوخ الدعوة أن يطيعوا أبامسلم ، وينقادوا له(٤١٢) .

وتَوَجَّه أبومسلم إلى الإمام إبراهيم سنة تسع وعشرين ومائة ، فكتب إليه أن يرجع إلى خراسان ، وكان بلغ قُومَى ، وبعث إليه : إنى قد بعثت إليك براية النصر ، فارجع من حيث أَلْفاكَ كتابى ، وَوَجِّه إلىَّ قحطبة بما معك يَوافِينى به فى الموسم ، فانصرف أبو مسلم إلى خراسان ، ووَجَّه قحطبة إلى الإمام(٤١٣) .

وقدم قحطبة فبعث معه الإمام إبراهيم كتاباً إلى سليمان بن كثير ، وكان فيه أنْ أَظْهر دعوتك ، ولا تُرَبِّص ، فقد آن ذلك ، فَنَصَبوا أبا مسلم ، وقالوا : رجل من أهل البيت ! وَدَعوا إلى طاعة بنى العباس ، وارسلوا إلى من قرب منهم أو بعد ممن أجابهم ، فأمروه بإظهار أمرهم ، والدعاء

---

(٤٠٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٥٩٤ .

(٤١٠) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٢٩ .

(٤١١) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٢٩ .

(٤١٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٤٤ ، ٣٥٣ ، وانظر العصر العباسى الأول ص : ٢٨ .

(٤١٣) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٥٥ .

إليهم ، ونزل أبومسلم قرية سميدنج من قرى خزاعة . وشيبان الحروری ، والكِرْمانی يقاتلان نصر بن سيار ، فَبَثَّ أبومسلم دعاته فی الناس ، وظهر أمره [٤١٤] ، ثم استولى على مرو الشاهجان سنة ثلاثين ومائة ، وطرد منها نصر بن سيار ، وأعلن الثورة العباسية [٤١٥] ، وأَدَّى اغتيال الوليد بن يزيد ، ومانشأ عنه من نتائج إلى سقوط الدولة الأموية !

---

(٤١٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٥٥ .

(٤١٥) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٧٩ .

خاتمة

ولد الوليد سنة تسعين للهجرة ، ونشأ بين أحضان أبيه وأمه الثقفية وجدته السفيانية نشأةً مدللةً طبعت شخصيته بطوابع مختلفة ، منها حب النعمة والترف ، وطلب اللهو ، والشعور بالاستعلاء ، والفخر بالنسب والنفس . وكان لمواقف أبيه المناوئة للقبائل اليمنية العراقية بعد قضائه على ثورة المهالبة تأثير واضح فى سياسته وما انطوت عليه من محاباة للقبائل القيسية وتحامل على القبائل اليمنية العراقية والشامية ، وكان للوليد إخوة كثيرون منهم الغمر بن يزيد وكان أقواهم اتصالاً به ، وأخلصهم مودة له ، وسليمان بن يزيد وكان ألد أعداء الوليد ، وأكثرهم تشنيعاً عليه . وتَسَرَّى الوليد عدداً من الجوارى والإماء ، واقترن بثلاث نساء من الحرائر الأمويات ! أشهرهن سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، إذ شق فى حبه وعشقها طويلا ، ونظم فيها أكثر غزله ، ولم يتزوجها إلا بعد أن استخلف ووضعت له أزواجه خمسة عشر من البنين . وبعض البنات ، وكان ابناه الحكم ، وعثمان أحب أولاده إليه ، فقدمها وخصها بولاية عهده ، وكان أولها ابن أمةٍ ، وثانيهما ابن عاتكة بنت عثمان بن محمد بن عثمان بن محمد بن أبى سفيان .

وأَدَّبَ الوَليدَ غيرُ مُؤَدِّبٍ ، أذكرهم عبدالصمد بن عبد الأعلى الشيبانى ، وهو من أسرة نابهةٍ كان لها مكانة اجتماعية مرموقة ، واشتغلت بالعلم والسياسة ، وهو الذى علم الوليد القراءة والكتابة والقرآن والحديث وأنساب العرب وأيامهم وحروبهم ، وقواعد اللغة والنحو والشعر والخُطَب وكان صديقاً حميماً للوليد ، فاعتصم به ، وأيده وحثَّه على التَّشَبث بولاية العهد ، وأغراه بمعارضته رغبة هشام بن عبد الملك فى المبايعة لابنه مسلمة بولاية العهد ، وبَصَّره بالردِّ عليه . والهُزْءِ منه ، فرماه هشام بالزندقة لِيُحَطِّمَهُ ويَعِيبَ الوليد به ثم حبسه ودفعه إلى يوسف بن عمر الثقفى واليه على العراق ، فَعَذَّبَهُ حتى مات صَبْراً ! وكان أبو نخيلة التيمى مؤدب الوليد الثانى ، وهو الذى عَلَّمه الشعر . وزعم الرواة والإخباريون المتأخرون أن يزيد بن أبى مساحق السلمى من مؤدبى الوليد . وهو شخصية مجهولة اخترعت للطعن فى الوليد والتشهير به . وبعد أن كبر الوليد واستقل بنفسه عَمَّقَ العلوم التى حصلها فى طور التلقين والتكوين ، فنمى معرفته بالقرآن وعلومه ، وبالفقه وأحكامه ، وبالحديث ورواته وعنى بالتراث العربى والتاريخ الجاهلى والإسلامى عناية فائقة ، فكلف عوانة بن الحكم الكلبى الكوفى أن يجمع له ديوان العرب ، فجمعه وقدمه إليه ، واحتفل الوليد بالشعر العربى ، فكان يسأل الرواة عن

روائعه وشوارده ، وكان يعقد المجالس الأدبية للنقاد ، ويستمع إلى نقدهم للشعر وتقويمهم له ، وأغرم بالشعر الغزلى والخمرى والهزلى غراماً شديداً ، لأنه كان يُرَوِّح به عن نفسه المرهقة . واستغل الإخباريون المتعصبون غرامه بهذه الألوان من الشعر أسوأ استغلال ، فخلطوا بين أخباره وأخبار غيره من الخلفاء ، وحرَّفوا بعض أخباره الموثقة ومَسَخُوها ، للقدح فيه وتجريح بنى أمية ، ومديح بنى العباس !

وكان لظروف الوليد العامة والخاصة أثر واضح فى إقباله على الترف والملاهى ، فقد جعلته يعكف عليها كعكوف غيره من الأمراء والخلفاء حيناً ، وجعلته ينغمس فيها أكثر من انغماس أترابه وأبناء طبقته حيناً آخر إذ عاش فى نهاية العصر الأموى التى شهدت استقرار الأوضاع الاجتماعية والحضارية وتطورها وازدهارها وتحررها وفِتْنَةَ الناس بمباهج الحياة وزينَتِها من كل نوع ، وربى فى قصر أبيه على الدعة والسعة ، ثم ضَيَّق هشام عليه ، وكاد يَخْنُقُه خَنْقاً . فلما ولى الخلافة طلب الترف ، وبالغ فى طلبه ، وأكب على اللهو ، وأسرف فى الإكباب عليه ، لِيُعَوِّض مافاته فى فترة البؤس والحرمان ، فبذخ فى ملابسه وعطوره وقصوره وأولع بالغناء والمغنين والمضحكين ، وَأَدْمَنَ الخمر وشغف بالغزل ، وزاول سباق الخيل والصيد والمصارعة والشطرنج والصولجان ، ولكن الرواة والإخباريين المتحزبين عبثوا بأخبار ترفه وملاهيه وهواياته ورياضاته عبثاً ظاهراً ، تراوح بين التحريف والتشويه والدس والاختلاق ، فاستحال الوليد على أيديهم رجلاً خرافياً لانظير له بين البشر فى خلاعته وتَعَهُّرِه وفجورِه وضلالته وكفره !

وكان هشام بن عبد الملك يَمقُتُ أخاه يزيد وينافسه ، ويعتقد أنه أفضل منه وأنه يستحق الخلافة قبله ، فنقم من أخيه سليمان بن عبد الملك ، ومن عمر بن عبد العزيز ، تفضيلها ليزيد وتقديمها له عليه فى الخلافة . وقضت ثورة ابن المهلب بالعراق على بنى أمية أن يبايع يزيد بن عبد الملك لأخيه هشام بولاية عهده ، فلما انجلت المحنة السياسية وأدرك الوليد بن يزيد ، وبلغ الخامسة عشرة من عمره ندم يزيد ، وأراد أن يُعَيِّن ابنه وَلِيَّ عهده الأول ، ويؤخر هشاماً ويجعله وَلِيَّ عَهْدِه الثانى ، فعظم سخط هشام على يزيد وابنه الوليد . ولكنه كظم غيظه حتى لاتضيع الخلافة منه . حتى إذا قام هشام بالملك ، صمم على عقد العهد لابنه مسلمة ، وعلى عزل الوليد عن ولاية عهده ، وشاور الوليد فى ذلك فأبى فسأله : أن يوافق على أن يكون مسلمة ولى العهد من بعده ، فرفض ، فغضب هشام وثار على الوليد ، وأخذ يسعى لإقصائه عن ولاية عهده ، وآزره بعض أبنائه وأخواله وعُمَّاله ، فجعل يَذُمُّ الوليد ، ويطعن فى خلقه ، ويتهمه فى دينه ليثير الناس عليه ، ويحملهم على المطالبة بتنحيته . فكان ذلك يزيدُ الوليدَ تمسُّكاً بولاية العهد ، وعناداً لهشام وأعوانه ، ومحاربةً لهم . واستمر هشام يمكر

بالوليد ، والوليد يمكر به ، ويَتَصَدَّى له ويقاومه ، وهشام عاجز عن الانتقام منه والإيقاع به ، لأنه كان يخشى مسلمة بن عبد الملك ، أعظم أبناء عبد الملك هيبةً وجلالاً ونفوذاً وسَطْوَةً . وكان مسلمة ينتصر للوليد ، ويردع هشاماً عنه ، ويزجره عن الإساءة إليه ، ولم يزل هشام مَغْلُولَ اليد ، يتطامن لمسلمة بن عبد الملك ، ويخافه لأنه كان أكبر منه ، ولأنه كان يعلم أن مسلمة هو الذى اقترح على أخيه يزيد أن يبايع له بولاية عهده ، وكان سبب تَوَلِّيه الخلافة . فلما مات مسلمة فى مطلع العقد الثالث من القرن الثانى صفا الأمر لهشام ، ولم يَعُدْ يَرْهَبُ أحداً من أهله أويَهابُهُ فقرر أن يتخلص من الوليد غِيلةً وغَدْراً ، فأخفق فتعاظم حنقه على الوليد ، وعداؤُه له ، ففر الوليد إلى الأزرق من بادية الأردن ، وتَأَبَّدَ به ، محافظة على حياته ، وعزم هشام على أن يقتل الوليد جوعاً أو يتنازل عن ولاية العهد ، فقطع عنه وعن أهله وأسبابه وخاصته وحرسه العطاء والرزق ، فابتأس الوليد واكتأب وافتقر واحتاج ، ومع ذلك فقد ظل مُتَمَسِّكاً بحقه فى ولاية العهد ، يَحْتَجُّ على هشام ، ويُقَرِّعُهُ ويُوَبِّخُه ، ويَدْمَغُهُ باللؤم والخيانة ، لأنه تَنَكَّر له ، وغَدَرَ به ، وجَحَدَ فَضْلَ يزيد بن عبد الملك عليه . ومات هشام دون أنْ يَفُوزَ بما أراد ، ولكنه أفلح فى تَمْزِيق الوليد ، فقد وسمه بالمجانة والإباحة والإلحاد والزندقة وفتح الباب إلى تشويه سيرته وإفساده .

ولم يَكَدْ الوَليدُ يُبَايَعُ بالخلافة ، وَيتَوَلَّى الحكم حتى أخذ بثأره من أعدائه الذين كانوا يساندون هشاماً ، ويَحُثُّونه على خَلْعِه ، وفتك بهم فَتكاً ذريعاً ، فأعدم بعضَهم وحبس بَعْضَهم ، وعَزَل عُمَّال هشام وموظفيه ، لأنه ظفر بِكُتُبِهم التى أيدوا فيها هشاماً ، ووافقوه على خلعه ، إلا يوسف بن عمر الثقفى ، فإنه أبقاه واليا على العراق ، لأنه عارض هشاماً فى إقصاء الوليد عن ولاية العهد . وعندما خلص الأمر للوليد ، وانتقم من خصومه ، اهتم بشئون الدولة ، فزاد عطاء الناس فى الأمصار المختلفة عشرة دنانير فى العام . وزاد أهل الشام عشرة دنانير أخرى ، ووزع على أطفالهم الملابس والطيوب ، وَوَاسَى المحتاجين والعَجَزَة والزَّمْنَى منهم ، وكفل لهم حياةً كريمةً ، وعُنِى بتحسين الزراعة فى الشام ، فأنشأ بعض الجسور والمشاريع المائية ، واستَبْسَل ولاته وقادته فى مقاومة هجمات الترك والروم ، وأحرزوا بعض الانتصارات الكبرى ، إذ فتحوا قبرص لأَوَّل مَرَّة . وعقد العهد لولديه الحكم وعثمان ، وقدم الحكم وهو ابن أَمَة ، على عثمان وهو ابن حُرَّة ، فخرج على سُنَنِ الخلفاء الأمويين السابقين فى ولاية العهد ، إذ كانوا لايبايعون بها إلا لأبنائهم الصرحاء ، فبايع بها لابنه الهجين لِيتألَّفَ الموالى ، ويُخَفِّفَ من شعورهم بالغبْنِ والظُّلْم وأشاد الشعراء الأمويون بشخصية الوليد . وما اتسمت به من سماحة وأريحية وصرامة وشهامة ، وَوَقارٍ وَوَرع ، ونَوَّهُوا بسياسته ، وما تَحَقَّقَ للناس فى عهده من استقرار ورخاء وطمأنينة وعدل ، وللإسلام من قوة وعِزَّة .

وتآمَرَ بالوليد فئات وجماعات مختلفة ، سَعَتْ لِعَزْلِهِ واغْتِيالِهِ ، منها الأمراء الأمويون الصغار من أبناء عَمَّيْهِ الوليد وهشام ابني عبد الملك ، وعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، وعبد الله وعاصم ابنا عمر بن عبد العزيز ، الذين كانوا ينازعونه فى الخلافة ، ويريدون الاستيلاء عليها والاستئثار بها . ومنها سادة القبائل اليمنية الشامية الذين امتعضوا لقتل زعيمهم خالد بن عبد الله القسرى واستاءوا من محاصرة الوليد لهم ، وتَضْيِيقه عليهم ، وتَقْلِيصه لنفوذهم ، وتَحْكِيمه القيسية فى رقابهم ومنها القدرية الذين كانوا ينادون بإصلاحات اجتماعية وسياسية شاملة ، فحاربهم الوليد ، لأنه هَدَّدُوا الخلافة الأموية ، وتَقَدَّم صفوف الساخطين عليه ، والمتآمرين به ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، ولم يزل يدعو الناس إلى نفسه ، ويُؤَلِّبهم على الوليد ، ويستميل كل من آمنوا بدعوته ويستوعبهم وينظمهم حتى تكاثف أنصاره ، فادَّخرهم ليوم الثورة المرتقب . فلما غاب الوليد عن دمشق ، وخلت من كبار المسئولين لانتشار وباء الطاعون بها ، احتل دمشق وخلع الوليد ، وأرسل إليه جيشاً بقيادة عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، أطبق عليه بحصن البخراء على أميال من تدمر ، واغتاله . ونجم عن اغتيال الوليد ذهابُ هَيْبة الخلافة وسلطانها ، وتَصَدُّعُ الأسرة الأموية وتَصارُعها على الملك ، وَإفناءُ بعضها لبعض ، واحتدامُ العصبية بين القبائل المضرية واليمنية فى كافة الأمصار ، وتَمزُّقُ الجيش الأموى وتَفَسُّخه ونشاط الأحزاب ، إذ تَحرَّكَ الشيعةُ بالكوفة ، وَتَمَرَّدَ الخوارج من الصُّفْرِيَّةِ والإباضِيَّة . وصَبَرُوا فى قتال عمال بنى أمية فى العراق واليمن والحجاز والمغرب ثلاثة أعوام متصلة ، واغتنم العباسيون كل النتائج التى نشأت عن اغتيال الوليد ، فَجَدُّوا فى الدعوة السرية لأنفسهم ، وفى تَحْرِيضِ الناس على بنى أمية ، واجتهدوا فى تنظيم أتباعهم ، حتى إذا أيقنوا أنه لم يَعُدْ فى طاقة مروان ابن محمد أن يفتك بهم إذا خرجوا عليه ، لأنه استهلك قوة جنده فى مقارعة الخوارج ومجالدتهم ، أعلنوا ثورتهم بخراسان وأطاحوا بالدولة الأموية !.

المصادر والمراجع

(ا) المطبوعة

١ – الآثار الإسلامية فى فلسطين والأردن ، لمحمود العابدى
طبع جمعية عمال المطابع التعاونية بعمان ١٩٧٣
٢ – اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى ، للدكتور مصطفى هدارة
طبع دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ١٩٧٠
٣ – اتجاهات الغزل فى القرن الثانى الهجرى ، ليوسف حسين بكار
طبع دار المعارف بمصر ١٩٧١
٤ – أخبار الدولة العباسية ، لمؤلف من القرن الثالث الهجرى
تحقيق الدكتور عبد العزيز الدورى ، والدكتور عبد الجبار المطلبى
طبع دار الطليعة ببيروت ١٩٧١
٥ – الأخبار الطوال ، لأبى حنيفة أحمد بن داود الدينورى (٢٨٢ هـ)
تحقيق عبد المنعم عامر
طبع عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر ١٩٦٠
٦ – الأخبار الموفقيات ، للزبير بن بكار (– ٢٥٦ هـ)
تحقيق الدكتور سامى مكى العانى
طبع مطبعة العانى ببغداد ١٩٧٢
٧ – أسماء خيل العرب وفرسانها ، لأبى عبد الله محمد بن زياد الأعرابى (– ٢٣١ هـ)
نشر جرجس لوى دلاويدا
طبع مطبعة بريل بليدن ١٩٢٨
٨ – الأشربه ، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (– ٢٧٦ هـ)
عنى بنشره محمد كرد على
طبع المجمع العلمى العربى بدمشق ١٩٤٧
٩ – الأغانى – لأبى الفرج على بن الحسين الأصفهانى (– ٣٥٦ هـ)
طبع دار الكتب المصرية

١٠ – أمالى المرتضى ، للشريف المرتضى على بن الحسين الموسوى العلوى (– ٤٣٦ هـ)
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر ١٩٥٤
١١ – الإمامة والسياسة ، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (– ٢٧٦ هـ)
طبع مكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٩٦٩
١٢ – إنباه الرواه على أنباه النحاة ، لجمال الدين الحسين بن على بن يوسف القفطى (– ٦٤٦ هـ)
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع دار الكتب المصرية ١٩٥٠
١٣ – أنساب الأشراف ، لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى (– ٢٧٩ هـ)
الجزء الأول ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله ، أخرجه معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية ، بالاشتراك مع دار المعارف بمصر ١٩٥٩
الجزء الرابع ، تحقيق ماكس شلوزنجر ، طبع القدس ١٩٣٨
الجزء الخامس ، تحقيق س . غويتين ، طبع القدس ١٩٣٦
١٤ – البدء والتاريخ ، لمطهر بن طاهر المقدسى
اعتنى بنشره كلمان هوار ، طبع باريز ١٩١٦
١٥ – البداية والنهاية فى التاريخ ، لأبى الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير القرشى الدمشقى (– ٧٧٤ هـ)
طبع مطبعة السعادة بمصر ١٩٣٢
١٦ – بغية الوعاة ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (– ٩١١ هـ)
طبع مطبعة السعادة بمصر ١٩٢٦
١٧ – البرصان والعرجان والعميان والحولان ، لأبى عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (– ٢٥٥ هـ)
تحقيق محمد مرسى الخولى ، طبع دار الاعتصام ، القاهرة بيروت ١٩٧٢
١٨ – البيان والتبيين ، لأبى عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (– ٢٥٥ هـ)
حققه وشرحه حسن السندوبى ، طبع المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٢
١٩ – تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحب الدين أبى الفيض محمد مرتضى الحسينى (١٢٠٥ هـ)
طبع بيروت ١٩٦٦
٢٠ – التاج فى أخلاق الملوك ، لأبى عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (– ٢٥٥ هـ)
تحقيق أحمد زكى باشا ، طبع المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩١٤
٢١ – تاريخ الآداب العربية من الجاهلية إلى عصر بنى أمية ، لكارلو نالينو
طبع دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ١٩٧٠
٢٢ – تاريخ الأدب العربى ، العصر الإسلامى ، للدكتور شوقى ضيف
طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٣

٢٣ – تاريخ الأدب العربى ، العصر الجاهلى ، الدكتور شوقى ضيف
طبع دار المعارف بمصر ١٩٦١
٢٤ – تاريخ الأدب العربى ، لكارل بروكلمان
ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، طبع دار المعارف بمصر
٢٥ – تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (– ٧٤٨ هـ)
نشر مكتبة القدسى بالقاهرة
٢٦ – تاريخ بغداد ، لأبى بكر أحمد بن على بن ثابت (– ٤٦٣ هـ)
طبع مكتبة الخانجى بمصر ١٩٣١
٢٧ – تاريخ ابن خلدون ، لعبد الرحمن بن محمد بن خلدون (– ٨٠٨ هـ)
نشر دار الكتاب اللبنانى ببيروت ١٩٥٧
٢٨ – تاريخ الخلفاء ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (– ٩١١هـ)
تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، طبع مطبعة المدنى بالقاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٦٤
٢٩ – تاريخ خليفة بن خياط ، الخليفة بن خياط العصفرى (– ٢٤٠ هـ)
تحقيق سهيل زكار ، طبع وزارة الثقافة بدمشق ١٩٦٨
٣٠ – تاريخ الرسل والملوك ، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (– ٣١٠ هـ)
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع دار المعارف بمصر
٣١ – تاريخ سنى ملوك ، الأرض والأنبياء ، لحمزة الأصفهانى
طبع دار مكتبة الحياة ببيروت ١٩٦١
٣٢ – تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، للدكتور فيليب حتى
ترجمة كمال اليازجى ، طبع دار الثقافة ببيروت ١٩٥٩
٣٣ – تاريخ الموصل ، لأبى زكريا يزيد بن محمد بن إياس بن القاسم الأزدى (– ٣٤٠ هـ)
تحقيق الدكتور على حبيبة ، طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٩٦٧
٣٤ – تاريخ اليعقوبى ، لأحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (– ٢٩٢ هـ)
طبع دار صادر ببيروت ١٩٦٠
٣٥ – تدوين الأدب العربى ، للدكتور يوسف العش
فصلة مستلة من كتاب المحاضرات العامة للجامعة السورية لعام ١٩٥١ – ١٩٥٢
٣٦ – التنبيه والإشراف ، لأبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى (– ٣٤٦ هـ)
تصحيح عبد الله إسماعيل الصاوى ، طبع مكتبة الصاوى ١٩٣٨
٣٧ – تهذيب تاريخ ابن عساكر ، لأبى القاسم على بن الحسن بن عبد الله بن عساكر (– ٥٧١ هـ)
هذبه ورتبه عبد القادر بن محمد بن مصطفى المعروف با بن بدران ، طبع المكتبة العربية بدمشق

٣٨ – الجاحظ فى البصرة ، للدكتور شارل بلات
ترجمة الدكتور إبراهيم الكيلانى ، طبع دار اليقظة العربية بدمشق ١٩٦١
٣٩ – جمهرة أنساب العرب ، لأبى محمد على بن سعيد بن حزم (– ٤٥٦ هـ)
تحقيق عبد السلام هارون ، طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٢
٤٠ – جمهرة خطب العرب فى عصور العربية الزاهرة ، لأحمد زكى صفوت
طبع مكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٩٣٣
٤١ – جمهرة نسب قريش وأخبارها ، للزبير بن بكار (– ٢٥٦ هـ)
شرحه وحققه محمود محمد شاكر ، طبع مطبعة المدنى بالقاهرة ١٣٨١ هـ
٤٢ – الحائر فى العمارة الأموية الإسلامية ، للدكتور فواز طوقان
مقالة فى كتاب المؤتمر الدولى لتاريخ بلاد الشام ، طبع الدار المتحدة للنشر ببيروت ١٩٧٤
٤٣ – حديث الأربعاء ، للدكتور طه حسين
طبع دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية
٤٤ – حركات الشيعة المتطرفين ، للدكتور محمد جابر عبد العال
طبع مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٩٥٤
٤٥ – حلبة الفرسان . وشفار الشجعان ، لعلى بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسى
تحقيق محمد عبد الغنى حسن ، طبع دار المعارف بمصر ١٩٤٩
٤٦ – حلبة الكميت . لشمس الدين محمد بن الحسن النواجى
طبع مطبعة دار الوطن ١٢٩٩ هـ
٤٧ – حماسة البحترى ، لأبى عبادة الوليد بن عبيد الطائى (– ٢٨٤ هـ)
تصحيح الأب لويس شيخو ، طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩١٠
٤٨ – الحماسة الشجرية ، لهبة الله بن على بن حمزة العلوى الحسينى (– ٥٤٢ هـ)
تحقيق عبد المعين الملوحى . وأسماء الحمصى ، طبع وزارة الثقافة بدمشق ١٩٧٠
٤٩ – الحور العين ، لأبى سعيد نشوان بن سعيد الحميرى (– ٥٧٣ هـ)
تحقيق كمال مصطفى ، طبع طهران ١٩٧٢
٥٠ – الحياة الأدبية فى البصرة إلى نهاية القرن الثانى الهجرى ، للدكتور أحمد كمال زكى
طبع دار المعارف بمصر ١٩٧١
٥١ – حياة الشعر فى الكوفة إلى نهاية القرن الثانى للهجرة ، للدكتور يوسف خليف
طبع دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٨
٥٢ – الحيوان ، لأبى عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (– ٢٥٥ هـ)
تحقيق عبد السلام هارون ، طبع مكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٩٣٨

٥٣ – خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر البغدادى (– ١٠٩١ هـ)
طبع المطبعة الأميرية ببولاق
٥٤ – الخيل ، لعبد الملك بن قريب الأصمعى (– ٢١٦ هـ)
تحقيق الدكتور نورى حمودى القيسى ، طبع مطبعة الحكومة ببغداد ١٩٧٠
٥٥ – الخيل ، لأبى عبيدة معمر بن المثنى (– ٢٠٩ هـ)
طبع مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن ١٣٥٨ هـ
٥٦ – دول الإسلام ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (– ٧٤٨ هـ)
طبع مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن ١٣٦٤ هـ
٥٧ – الديارات ، لأبى الحسن على بن محمد الشابشتى (– ٣٨٨ هـ)
تحقيق كوركيس عواد ، طبع مطبعة المعارف ببغداد ، الطبعة الثانية ١٩٦٦
٥٨ – ديوان امرئ القيس بن حجر الكندى :
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٩
٥٩ – ديوان بشار بن برد :
نشر محمد الطاهر بن عاشور ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة
٦٠ – ديوان جرير :
تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه ، طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٩
٦١ – ديوان رؤبة بن العجاج :
اعتنى بتصحيحه وترتيبه عروة بن الورد ، طبع ليبسيغ ١٩٠٣
٦٢ – ديوان ذى الرمة :
تحقيق الدكتور عبد القدوس صالح ، طبع مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٢
٦٣ – ديوان الطرماح بن حكيم :
عنى بتحقيقه الدكتور عزة حسن ، طبع وزارة الثقافة بدمشق ١٩٦٨
٦٤ – ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات :
تحقيق وشرح الدكتور محمد يوسف نجم ، طبع دار بيروت ودار صادر ببيروت ١٩٥٨
٦٥ – ديوان الفرزدق :
طبع دار صادر ببيروت ١٩٦٦
٦٦ – ديوان كثير عزة :
جمعه وشرحه الدكتور إحسان عباس ، نشر دار الثقافة ببيروت ١٩٧١
٦٧ – ديوان المعانى : لأبى هلال الحسن بن عبد الله العسكرى (– ٣٩٥ هـ)
طبع مطبعة القدسى بالقاهرة ١٣٥٢ هـ

٦٨ – ديوان نابغة بنى شيبان :

طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٣٢

٦٩ – ذو الرمة شاعر الحب والصحراء ، للدكتور يوسف خليف

طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٠

٧٠ – ذيل زهر الآداب ، لأبى إسحاق إبراهيم بن على الحصرى القيروانى (– ٤٥٣ هـ)

عنى بنشره محمد أمين الخانجى ، طبع المطبعة الرحمانية بالقاهرة ١٣٥٣ هـ

٧١ – رسائل الجاحظ :

تحقيق عبد السلام هارون ، نشر مكتبة الخانجى بمصر ١٩٦٥

٧٢ – رسائل الجاحظ :

جمعها ونشرها حسن السندوبى ، طبع المطبعة الرحمانية بالقاهرة ١٩٣١

٧٣ – رسالة الغفران ، لأبى العلاء المعرى :

تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، طبع دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ١٩٦٣

٧٤ – زهر الآداب وثمر الألباب ، لأبى إسحاق إبراهيم بن على الحصرى القيروانى (– ٤٥٣ هـ)

تحقيق على محمد البجاوى ، طبع عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر

٧٥ – السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات فى عهد بنى أمية ، لفان فلوتن

ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن ومحمد زكى إبراهيم ، طبع مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥

٧٦ – سمط اللآلى ، لأبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى (– ٤٨٧ هـ)

تحقيق عبد العزيز الميمنى ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٤٥

٧٧ – شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، لأبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى (– ١٠٨٩ هـ)

طبع المكتب التجارى ببيروت

٧٨ – شرح ديوان الحماسة ، لأبى على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقى (– ٤٢١ هـ)

تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٥١

٧٩ – شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة :

تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، طبع دار الأندلس ببيروت

٨٠ – شرح الشواهد الكبرى ، لمحمود بن أحمد العينى (– ٨٥٥ هـ)

بهامش خزانة الأدب للبغدادى ، طبع المطبعة الأميرية ببولاق

٨١ – شرح شواهد المغنى ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى (– ٩١١ هـ)

طبع لجنة التراث العربى بدمشق ١٩٦٦

٨٢ – شرح نهج البلاغة ، لعز الدين أبى حامد بن هبة الله بن محمد بن أبى الحديد (– ٦٥٥ هـ)

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر

٨٣ – شعر الأحوص :
جمع وتحقيق الدكتور إبراهيم السامرائى ، طبع مكتبة الأندلس ببغداد ١٩٦٩
٨٤ – شعر الأخطل :
طبع دار إحياء التراث العربى ببيروت
٨٥ – الشعر والشعراء ، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (– ٢٧٦ هـ)
تحقيق أحمد محمد شاكر ، طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٦
٨٦ – شعراء عباسيون ، لفوستاف غرنباوم
دراسات ونصوص شعرية ترجمها وأعاد تحقيقها الدكتور محمد يوسف نجم ، نشر مكتبة الحياة ببيروت ١٩٥٩
٨٧ – الشعر العربى بخراسان فى العصر الأموى ، للدكتور حسين عطوان
نشر مكتبة المحتسب ودار الجيل ببيروت ١٩٧٤
٨٨ – الشعراء من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، للدكتور حسين عطوان
نشر مكتبة المحتسب ، ودار الجيل ببيروت ١٩٧٥
٨٩ – الشعر والغناء فى المدينة ومكة لعصر بنى أمية ، للدكتور شوقى ضيف
طبع دار الثقافة ببيروت ١٩٦٧
٩٠ – صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، لأحمد بن عبد الله القلقشندى (– ٨٢١ هـ)
طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة
٩١ – ضحى الإسلام ، لأحمد أمين
طبع مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ، الطبعة السادسة
٩٢ – طبقات الشعراء ، لعبد الله بن المعتز (– ٢٩٦ هـ)
تحقيق عبد الستار فراج ، طبع دار المعارف بمصر
٩٣ – طبقات الفقهاء ، لأبى إسحاق الشيرازى الشافعى (– ٤٧٦ هـ)
حققه وقدم له الدكتور إحسان عباس ، نشر دار الرائد العربى ببيروت ١٩٧٠
٩٤ – الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد (– ٢٣٠ هـ)
نشر دار صادر ودار بيروت ببيروت ١٩٦٠
٩٥ – العباسيون الأوائل : للدكتور فاروق عمر
طبع دار الإرشاد ببغداد ١٩٧٠
٩٦ – العبر فى خبر من غبر ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (– ٧٤٨ هـ)
تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، طبع الكويت ١٩٦٠
٩٧ – العصر العباسى الأول ، للدكتور عبد العزيز الدورى
طبع مطبعة التفيض ببغداد ١٩٤٥

٩٨ – العقد الفريد ، لأحمد بن محمد بن عبد ربه (٣٢٨ هـ)
طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة
٩٩ – العقيدة والشريعة ، لإجناس جولدتسيهر
ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين ، نشر دار الكاتب المصرى بالقاهرة ١٩٤٦
١٠٠ – عيون الأخبار ، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (– ٢٧٦ هـ)
طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٥
١٠١ – فجر الإسلام ، لأحمد أمين
طبع مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة العاشرة ١٩٦٥
١٠٢ – الفخرى فى الآداب السلطانية ، لمحمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى
طبع مطبعة دار المعارف بمصر ١٩٢٣
١٠٣ – الفرق الإسلامية فى الشعر الأموى ، للدكتور النعمان عبد المتعال القاضى .
طبع دار المعارف بمصر ١٩٧٠
١٠٤ – فن الشعر الخمرى وتطوره عند العرب ، لإيليا حاوى
طبع دار الثقافة ببيروت
١٠٥ – الفن ومذاهبه فى النثر العربى ، للدكتور شوقى ضيف
طبع دار المعارف بمصر ، الطبعة الخامسة
١٠٦ – الفهرست ، لأبى الفرج محمد بن إسحاق بن يعقوب بن النديم (– ٣٨٥ هـ)
طبع مكتبة خياط ببيروت
١٠٧ – فوات الوفيات ، لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبى (– ٧٦٤ هـ)
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد – طبع مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة
١٠٨ – قطب السرور فى أوصاف الخمور ، لأبى إسحاق إبراهيم المعروف بالرقيق النديم
تحقيق أحمد الجندى ، طبع مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦٩
١٠٩ – الكامل ، لأبى العباس محمد بن يزيد المبرد (– ٢٨٥ هـ)
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة ، طبع مكتبة نهضة مصر بالقاهرة ١٩٥٦
١١٠ – الكامل فى التاريخ ، لعز الدين على بن محمد بن الأثير (– ٦٣٠ هـ)
تحقيق تورنبرج ، طبع ليدن ١٨٥١
١١١ – الكميت حياته وشعره ، للدكتور محمد حاج حسين
طبع دار الأجيال ببيروت ١٩٧٢
١١٢ – لسان العرب ، لأبى الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور (– ٧١١ هـ)
طبع المطبعة الأميرية ببولاق ١٣٠١ هـ

١١٣ – لسان الميزان ، لأبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى (– ٨٥٢ هـ)
نشر مؤسسة الأعلمى ببيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧١
١١٤ – مآثر الإنافة فى معالم الخلافة ، لأحمد بن عبد الله القلقشندى (– ٨٢١ هـ)
تحقيق عبد الستار فراج ، طبع الكويت ١٩٦٤
١١٥ – المؤتلف والمختلف ، لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى (– ٣٧٠ هـ)
تحقيق عبد الستار فراج ، طبع عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر ١٩٦١
١١٦ – المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير (– ٦٣٧ هـ)
قدم له وحققه وعلق عليه الدكتور أحمد الحوفى والدكتور بدوى طبانه ، طبع مكتبة نهضة مصر
١١٧ – المختار من شعر بشار للخالديين ، أبى بكر محمد وأبى عثمان سعيد ابنى هاشم
تصحيح محمد بدر الدين العلوى ، طبع مطبعة الاعتماد بالقاهرة
١١٨ – المختصر فى أخبار البشر ، لعماد الدين إسماعيل أبى الفداء (– ٧٣٢ هـ)
طبع دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت
١١٩ – مرآة الجنان ، وعبرة اليقظان ، لأبى محمد عبد الله بن أسعد بن على اليافعى (– ٧٦٨ هـ)
طبع الهند ١٣٣٧ هـ
١٢٠ – المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، للدكتور عبد الله الطيب المجذوب
طبع مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ١٩٥٥
١٢١ – مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبى الحسن على بن الحسين المسعودى (– ٣٤٦ هـ)
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، طبع مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٥٨
١٢٢ – مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، لابن فضل الله العمرى (– ٧٤٨ هـ)
تحقيق أحمد زكى باشا ، طبع دار الكتب المصرية ١٩٢٤
١٢٣ – مسند الإمام أحمد بن حنبل (– ٢٤١ هـ)
شرحه أحمد محمد شاكر ، طبع دار المعارف بالقاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٤١
١٢٤ – مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية ، للدكتور ناصر الدين الأسد
طبع دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ١٩٦٢
١٢٥ – مصارع العشاق ، لأبى محمد جعفر بن محمد بن أحمد السراج (– ٥٠٠ هـ)
طبع دار صادر ودار بيروت ببيروت ١٩٥٨
١٢٦ – المعارف ، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (– ٢٧٦ هـ)
حققه وقدم له الدكتور ثروت عكاشة ، طبع دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٦٠
١٢٧ – معاوية فى الأساطير ، لسعيد الأفغانى
مقالة بكتاب المؤتمر الدولى لتاريخ بلاد الشام ، طبع الدار المتحدة للنشر ببيروت ١٩٧٤

١٢٨ – معجم الأدباء ، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (– ٦٢٦ هـ)
اعتنى بنسخه وتصحيحه د . س . مرجوليوث ، طبع لندن ١٩٢٣
١٢٩ – معجم البلدان ، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (– ٦٢٦ هـ)
طبع طهران ١٩٦٥
١٣٠ – معجم الشعراء ، لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (– ٣٨٤ هـ)
تحقيق عبد الستار فراج ، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٤٩
١٣١ – المعلقات السبع ، شرح أبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني (– ٤٨٦ هـ)
ضبطه وكتب مقدمته محمد علي حمد الله ، نشر المكتبة الأموية بدمشق ١٩٦٣
١٣٢ – المغني في الضعفاء ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (– ٧٤٨ هـ)
تحقيق علي البجاوي ، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٦٣
١٣٣ – مقاتل الطالبيين ، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (– ٣٥٦ هـ)
تحقيق السيد أحمد صقر ، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٤٩
١٣٤ – مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ، للدكتور عبد العزيز الدوري
طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩٦١
١٣٥ – المكاييل والأوزان ، لفالتر هنتس
ترجمة الدكتور كامل العسلي ، منشورات الجامعة الأردنية ١٩٧٠
١٣٦ – الملل والنحل ، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (– ٥٤٨ هـ)
تخريج محمد فتح الله بدران ، طبع مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ١٩٥٦
١٣٧ – المنتخب من كنايات الأدباء ، للقاضي أبي العباس أحمد بن محمد الجرجاني (– ٤٨٢ هـ)
طبع دار البيان ودار صعب ببيروت
١٣٨ الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (– ٣٨٤ هـ)
تحقيق علي البجاوي ، طبع دار نهضة مصر ١٩٦٥
١٣٩ – ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (– ٧٤٨ هـ)
تحقيق علي البجاوي ، طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٦٣
١٤٠ – النجوم الزاهرة ، لجمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (– ٨٧٤ هـ)
طبع دار الكتب المصرية
١٤١ – نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري (– ٥٧٧ هـ)
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع دار نهضة مصر بالقاهرة
١٤٢ – نسب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها ، لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (– ٢٠٤ هـ)
نشر جرجس لوي دلاويدا ، طبع مطبعة بريل بليدن ١٩٢٨

١٤٣ – نسب قريش ، لأبى عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيرى (– ٢٣٦ هـ)
نشر ليفى بروفنسال ، طبع دار المعارف بمصر ١٩٥٣
١٤٤ – نشأة علم التاريخ عند العرب ، للدكتور عبد العزيز الدورى
طبع المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٩٦٠
١٤٥ – نهاية الأرب فى فنون الأدب ، لشهاب الدين أحمد عبد الوهاب النويرى (– ٧٣٣ هـ)
طبع دار الكتب المصرية ١٩٢٩
١٤٦ – نور القبس المختصر من المقتبس ، لأبى المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود الحافظ اليغمورى (– ٦٧٣ هـ)
عنى بتحقيقه رودلف زلهايم ، طبع فيسبادن ١٩٦٤
١٤٧ – هاشميات الكميت ، لعبد المتعال الصعيدى
طبع مطبعة الرسالة بالقاهرة
١٤٨ – الوافى بالوفيات ، لصلاح الدين خليل بن آيبك الصفدى (– ٧٦٤ هـ)
عنى بنشره هلموت ريتر ، طبع فيسبادن
١٤٩ – الورقة ، لأبى عبد الله محمد بن داود الجراح (– ٢٩٦ هـ)
تحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار فراج ، طبع دار المعارف بمصر . الطبعة الثانية
١٥٠ – الوزراء والكتاب ، لأبى عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى
تحقيق مصطفى السقا وجماعته ، طبع مطبعة عيسى البابى الحلبى وأولاده بمصر ١٩٣٨
١٥١ – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لأحمد محمد بن أبى بكر بن خلكان (– ٦٨١ هـ)
تحقيق الدكتور إحسان عباس ، طبع دار صادر ببيروت
١٥٢ – يزيد بن معاوية الملك الشاعر ، لجبرائيل جبور
مقالة بمجلة الأبحاث بالجامعة الأمريكية ببيروت ، الجزء الثالث ، ١٩٦٥

(ب) المخطوطة

١٥٢ – أنساب الأشراف ، لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى (– ٢٧٩ هـ)

مصورة الجامعة الأردنية عن مخطوطة استانبول رقم ٥٩٧–٥٩٨ .

١٥٤ – تاريخ دمشق ، لأبى القاسم على بن الحسين بن عبد الله بن عساكر (– ٥٧١ هـ)

مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٣٣٧٤

مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٣٣٩٠

مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٣٣٩١

مصورة المكتبة الظاهرية بدمشق عن نسخة ابن الحافظ بن عساكر بمكتبة الأزهر

١٥٥ – سير أعلام النبلاء ، لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (– ٧٤٨ هـ)

مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ عن مخطوطة أحمد الثالث رقم ٢٩١٠ / ١٥

١٥٦ – عيون التواريخ ، لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبى (– ٧٦٤ هـ) ؛

مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٤٥ تاريخ

١٥٧ – القدرية فى بلاد الشام ، لفان إس

مقالة ألقيت فى المؤتمر الدولى لتاريخ بلاد الشام ، الذى عقد فى الجامعة الأردنية سنة ١٩٧٤

رقم الإيداع	١٩٨٠/٣٥١٦
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧–٢٤٧–٧٣٣٠–٩٧–٩

٦١/٧٨/ق

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)

هذا الكتاب

كتاب يقدم أخبار الوليد بن زيد وأشعاره ، جمعها وحققها المؤلف من كتب التاريخ والأدب المطبوعة والمخطوطة المتاحة ، موضحاً تناقضاتها ، وما فيها من اختلاف واختلاق .

وقد وضع المؤلف تلك الأخبار فى ميزان النقد الموضوعى السليم وقسّم كتابه ستة فصول ، أفرد أولها لمولد الوليد وأسرته ، وثانيها لتعليمه وثقافته ، وثالثها لترفه وملاهيه ، ورابعها لعلاقته بهشام بن عبد الملك ، وخامسها لخلافته وسياسته ، وسادسها لقتله ونتائجه ، فجاء الكتاب سيرة شاملة لهذا الرجل الذى اختلف عليه المؤرخون كثيراً .

٢٨٠ قرشا